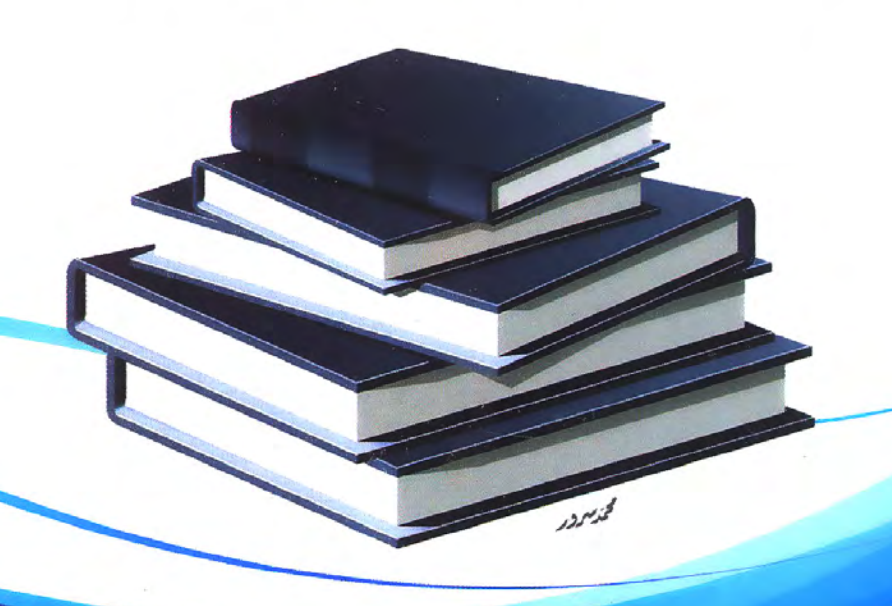


الكشكول

الشيخ الدكتور

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين



مؤسسة السماحة


الكشكول

بطاقة الكتاب

اسم الكتـــاب : الكشكول

موضوع الكتاب : قطوف من الأدب والحكمة

تأليف : الشيخ الدكتور / جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

الناشـــر : شركة السماحة للنشر والتوزيع الكويت

الصف والإخراج : مركز بدور للثقافة والترجمة

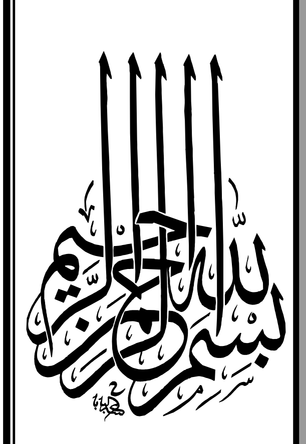
عدد الصفحـات : ٥٧٦

مقاس الكتـاب : ١٧× ٢٤

عـدد المـلازم : ٣٦

رقـم الإيـداع : ٢٠١٢/١١٢١٥

شركة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت
ت/ ٩٩٥٥٧٤٧١
الرمز البريدي : ٤٣٧٥٦
ص. ب : ٦٦٥٢٠ بيان



الطبعة الثانية
١٤٣٤هـ-٢٠١٣م

طبعة مزيدة
ومنقحة



الشيخ الدكتور

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

الطبعة الثانية

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

تطلب مؤلفات الشيخ الدكتور

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

في الكويت من: شركة السماحة - الكويت.

ت/ ٩٩٥٥٧٤٧١

الرمز البريدي : ٤٣٧٥٦

ص. ب : ٦٦٥٢٠ بيان

في مصر من: مؤسسة شروق للترجمة والنشر

المنصورة/ شارع جيهان– أمام مستشفى الطوارئ

ت: ٠٥٠ /٢٢٥٢٨٦٠

سلسلة من وحي التجربة

رقم السلسلة (٢٧)

الرقم الفني (٨)

الإهْدَاءُ نثراً

إِلَى وَالِدَتِي مُنِيرَةَ، الَّتِي لَهَا مِن اسْمِهَا نَصِيبٌ، فَقَدْ أَنَارَتْ لِي طَرِيقَ حَيَاتِي، فَعَرَفْتُ رَبِّي، وَسَلَكْتُ مَنْهَجَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ .

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي أَرْضَعَتْنِي مَعَانِيَ الْخَيْرِ كُلَّهَا، فَكَانَتْ مَدْرَسَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْنِي كَيْفَ يَكُونُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَعَلَّمَتْنِي الإِحْسَانَ إِلَى الآخَرِينَ وإِنْ أَسَاؤُوا، وأَرْضَعَتْنِي مَعَانِيَ الصَّبْرِ الَّتِي قَرَأْنَا فِي المجَلَّدَاتِ وَكَتَبْنَاهَا. لَقَدْ عَلَّمَتْنِي مَعْنَى الإِنْفَاقِ مِمَّا كَانَ فِي يَدهَا لِتُدْخِلَ بِهِ السُّرُورَ عَلَى الآخَرِينَ.

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي لَمْ تَعْرِفِ الشَّكْوَى فِي حَيَاتِهَا، وَلَمْ تَئِنَّ مَعَ كَثْرَةِ أَمْرَاضِهَا.

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي كُنَّا قَبْلَ وَفَاتِهِا – رَحِمَهَا اللهُ – بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ، وَإِنِّي لأَذْكُرُ قَوْلَ أَحَدِ الأَصْدِقَاءِ عَنْ أُمِّهِ بَعْدَ وَفَاتِهَا: لَقَدْ ذَهَبَتْ مَنْ كُنَّا بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ. وَإِنِّي لأَقُولُ: لَئِنْ تَنَعَّمْتُ بِدُعَاءِ أُمِّي فِي حَيَاتِهَا، فَإِنِّي أَتَنَعَّمُ بالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَكُلَّمَا ازْدَدْتُ لَهَا دُعَاءً، ازْدَادَتْ نَفْسِي إِحْسَاساً بِالنَّعِيمِ، فَقَدْ كُنْتُ أَتَنَعَّمُ بِدُعَائِهَا فِي حَيَاتِهَا وَأَتَنَعَّمُ بِالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَفِي الْحَالَتَيْنِ، فَإِنِّي أَتَنَعَّمُ بِخَيْرِهَا فِي الْحَيَاةِ وَالمَمَاتِ.

وَلَسْتُ أَعْرِفُ لإِنْسَانٍ فَضْلاً عَلَيَّ – فِيمَا أَنْعَمُ بِهِ مِنْ فَضْلٍ – خَيْراً يُعَادِلُ أَوْ يُقَارِبُ فَضْلَ وَالِدَتِي – رَحِمَهَا اللهُ تَعَالَى. وَأَسْأَلُ الله – سُبْحَانَهُ – أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا لِي، وَيَسْتَجِيبَ دُعَائِي لَهَا.

لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهَا الصَّبْرَ وَالتَّجَلُّدَ؛ فَقَدْ شَطَبَتْ مِنْ حَيَاتِهَا مَا يُسَمَّى بِالإِيذَاءِ، فَكَانَتْ لاَ تُؤْذِي أَحَداً وَلا شَيْئاً، حَتَّى الأَرْضَ الَّتِي كَانَتْ تَمْشِي عَلَيْهَا، عَلَّمَتْنِي مَعَانِيَ كَثِيرَةً، قَدَّمَتْهَا وَهِيَ تُضَحِّي بِصِحَّتِهَا وَوَقْتِهَا وَسَعَادَتِهَا.

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي أعْـرف مِـنْ مَدْرَسَـتِهَا الْكَثِـيرَ، وَلا يَـسَعُنِي ذِكْـرُهُ فِي هَـذَا الإِهْدَاءِ، وَسَأُفْرِدُ لَهُ رِسَالَةً خَاصَّةً، إنْ شَاءَ اللهُ.

إِلَى وَالِدَتِي أَهْدِي ثَوَابَ هَـذِهِ الرَّسَـائِلِ، لَعَـلِّي أُؤَدّي زَفْـرَةً مِـنْ زَفرَاتِهَـا فِي وِلادَتِي.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى وَالِدِي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى رَفِيقَةَ الـدَّرْبِ أُمّ مُعَـاذٍ، الَّتِـي كَانَـتْ لِي عَوْنـاً فِي صَبْرِهَا عَلَى سَهَرِي وَسَفَرِي.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى أَوْلادِي جَمِيعاً، ذُكُوراً وَإِنَاثاً.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى كُلّ مَنْ أَسْهَمَ فِي إِخْرَاجِهَـا، وَجَعَلَهَـا بَـيْنَ يَـدَي النَّاسِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

وَإِنَّنِي إِذْ أَكْتُبُ هَذَا الإِهْدَاءَ، أَرْجُو مِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ يَكُونُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ هَذَا الْكِتَابُ أَلا يَنْسُونَا جَمِيعاً مِنْ صَالِحِ دُعَائِهِمْ.





الإِهْدَاءُ شِعْراً

أَمَّــاهُ كُنْـتِ مُـنِيــرَةً وَمَنَــارَةً عُلْيَـا وَصَـــرْحاً ثابـتَ الأَرْكَـانِ

قَـدْ كُنْتِ مَدْرَسَـةً تُعِـدُّ نُفُوسَنَـا لِــصَنَائِعِ المَعْــرُوفِ وَالإِحْـسَانِ

قــَدْ كُنْـتِ لِلأَيْتَــامِ أُمَّـا بَــرَّةً وَالجَــارِ وَالمِـسْكِينِ أَرْأَفَ حَــانِ

أَرْضَعْتِنَا الأَخْلاق شَهْدَاً سَلْـسَلاً تَــدْنُو ثِمَــارُ قُطُـوفِهَــا لِلْجَــانِي

عَلَّمْتِنَـا الصَّبْرَ الجَــمِيلَ خَــلِيقَةً وَالقَوْلَ لِلحُسْنَى وَكَفَّ لِسَانِ

* * *

أَبَتَـاهُ قَــدْ رَبَّيْتَنِـــي وَأَحَــطْتَنِي برِعَـايَـــةٍ فِـــي غِبْطَـــةٍ وَأَمَـــانِ

وَفَّرْتَ أَسْـبَابَ الـسَّعَـادَةِ وَالهَنَـا فَجَعَلْتَنِي أَسْمُـو عَلَى الأَقْـرَانِ

فَجَزَاكَ رَبُّ العَرْشِ خَـيْرَ جَزَائِـهِ وَأُسْــــكِنْتَ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَــــانِ

* * *

نَوَّرْتَ **يَا بَدْرَ** الدُّجَـا سُبُلَ العُلا بالفَــضْــلِ لا فَـــظٍّ وَلا مَنَّـــــانِ

كـَمْ ذَا تُقَابِلُ بِالـسُّـــرورِ تَـدَلُّلِي بمَـحَبَّـــةٍ وَبـرَأْفَــــةٍ وَحَنَــــانِ

أَحْـبَبْتَنِــي قَــرَّبْتَـنِــي رَبَّيْتَـنِــي بالعِـــزِّ فِي ثِقَـــةٍ وَفِـــي اطْمِئْنَــانِ

* * *

أَرَفيقَتِي كُنْـتِ الـشُّعَـاعَ إِذا دَجَـا لَيْــلُ الحَيَــاةِ بـمُظْــلِمِ الحِــدْثَانِ

قَدْ كُنْـتِ خَـيْرَ شَرِيكَــةٍ وَمُعِينَــةٍ فِي الــبِرِّ عِنْـــدَ تَقَــاعُسِ الأَعْــوَانِ

الصَّبْرُ فِيـكِ مَـعَ الوَفَــاءِ سَـجِيَّةٌ بتَعَــاقُبِ الأَفْـــرَاحِ وَالأَحْـــزَانِ

* * *

يَـا حَبَّـذَا **أَفْــلاذ أَكْبَـادٍ** بِـهَـــا كَـــمُلَ المُــــرَادُ وَقَــرَّتِ العَيْنَــانِ

فَاحْفَـظْ **مُعَـاذاً** وَاحْفَظَـنَّ **مُهَلْهِلاً** ... أَمَـــدَ الزَّمَـــانِ **وَعَابِـــدَ الـــرَّحْمَنِ**

لا زَالَ **عَـبْـدُ الله** فِي حِفْظٍ وَلا ... زَالُـــوا جَـمِيعـــاً غُـــرَّةَ الفِتْيَـانِ

وَلْتَـحْظَ **عَـائِشَـةٌ وَفَـاطِـمَةٌ** بِـهَا ... قَــدْ شَـاءَتَا مِـنْ بُـغْيَــةٍ وَأَمَـــانِ

وَاحْـفَـظْ هَـيَـا **وَمُـنِيـرَةً** يَـا رَبَّنَا ... مِـــنْ مُبْطِـــنِ البَغْـضَـاءِ وَالـشَّنَآنِ

* * *

يَـا رَبِّ لا زَالَ الجَـمِيـعُ بِنِـعْمَةٍ ... وَقِـــهِمْ شُرُورَ الحَـاسِـــدِ المِعْيَـانِ

صَلَّى الإِلـهُ عَـلَى **النَّبِـيِّ مُحَـمَّدٍ** ... وَالآلِ وَالأَصْحَـــابِ كُـــلَّ أَوَانِ

الشيخ الدكتور
جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين



مقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بكتابه، وشرفنا بخطابه، وأدبنا بآدابـه، وجعلنـا مـن أنصاره وأحزابه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه.

وبعد:

فهذا كتاب جـامع شـامل لأطـراف متباينـة مـن فنـون الآداب والحكمـة والقول، لا يرتكز على موضوع واحد أو فكرة محددة، وإنما جُمِعَ فيه من الحكـم والمـواعظ والآداب ومنثـور الكـلام وجميـل الأشـعار وغريـب الأخبـار مـن منتخبات الكتب النفيسة المفيدة التي تملأ مكتبتنا الإسلامية، هدفت من خلاله أن يكون عونًا ورافدًا للدعاة والواعظين، وهذا اللون من التأليف ليس جديدًا على المكتبة الإسلامية؛ فقد سلك هذا المـنهج كثـير مـن العلـماء والأدبـاء مـن مختلف الطبقات، وقد صنفت ذلك تحت مسمى «**الكشكول**».

وفي العادة فـ «**الكشكول**» يجمع طرفًا من كل فـن، فهـو لـون أدبيّ وعظـيّ محببٌ إلى النفس. ومن شأن هذا اللـون مـن التـأليف أن يـدفع الـسأم والملـل والخمول؛ حيث تتنقل بين صفحاته بين الحكمة والأدب وبين الـشعر ومنثـور الكلام من موضوعات مختلفة في وقت واحد.

وحين بدأت هذا المشروع لم يكن في خاطري أن أكتب كتابًا خاصًا في هـذا الأمر، وإنما هي نقولات كانت تستهويني من حين لآخر، وكنت أدونهـا لعـلي أحتاج إليها في حينها، وإذا بها بعد فترة ليست بالقـصيرة كـم هائـل ومتنـوع، ومع إلحاح الإخوان والأحباب على أن يعم النفع على العامة والخاصة، عزمت على إصدارها بعد تبويبها تبويبًا اجتهاديًا، ولذا فالقارئ الكريم قد يلحظ شيئًا من التكرار لا في النثـر وإنـما في الأشـعار؛ وعلـة هـذا أنـه قـد يكـون مناسـبًا لموضوعه، وهذا راجع إلى دقة وحذاقة القارئ، وقـد حرصـت – رغـم كثـرة

النقولات- على الاختصار، فهو غيض من فيض تمتلئ به مكتبتنا الإسلامية.

ولمَ لا يكون عندنا هذا الكم الكبير الذي نملأ به «الكشكول» وألف وأربعمائة من السنين كتبت فيها مؤلفات في مختلف فنون المعارف الإنسانية ومخطوطات في بطونها نتاج حضارة أمة، أدبًا وعلمًا وفنًا وسياسة واجتماعًا واقتصادًا وتاريخًا، ثم كانت الآلة الطابعة التي ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي والتي تطورت وكان لها الفضل في نشر عيون هذا التراث، فهذا الجمع هو ما سرح به البصر في رياض الفنون والمعارف، رياض زهت فيها أزهار المعاني والبيان، وتفتحت بنسائمها مغاليق الأذهان، وكانت غذاء للروح قبل الأبدان.

نعم ما أطول رحلة الحياة على قصرها! لقد بدأنا الدعوة حين بدأناها منذ أن كنا في المرحلة الثانوية، وبعد أن تغير وجه أمتنا العربية في أعقاب هزيمة ١٩٦٧م، وبعد سقوط الأقنعة المختلفة لكل الزعامات الزائفة، وبعد أن رأينا رجالاً كنا نظنهم كبارًا فإذا هم يتساقطون، وبعد أن سمعنا أقوالاً وآراء كنا نظنها النهج الصحيح فإذا بها سخافات وهراء. لقد عشنا فترة من الزمن ننظر ونجول في مجتمعنا الذي كان يفور بالمتناقضات ويتشقق بالصراعات، وخضت محنة زماني من أول انتباهة شبابية، رغم أن نفوسنا كانت غضة إلا أنها كانت مجرحة بالتجارب.

ومضت بنا الأيام وأخذنا نبحث عن الكتاب الإسلامي هنا وهناك حيث كان نادرًا إلا في مكتبة المنار في الكويت، وكبر الشباب ومات رجال فرأينا وسمعنا ورضينا وسخطنا وعلمنا من واقع الحياة ما علمنا، فبدأنا قراءة ما هو منثور من كتب التراث، ومن سبقونا في الفكر والدعوة.

طال بنا الزمن لنخرج بعد ذلك قصاصات من هنا وهناك، ومن غير

تلجلج أو إحجام، ومن غير مداراة، ومن أجل الدفاع عن هذا الدين وعن أمتنا أخذنا نجمع هذه المتراكمات من القراءة.

وبعد أن بلغنا الخمسين وقاربنا على الستين، وبعد معاناة كثيرة تقلبت بين القلق والحيرة والبيان والوضوح ومصارعة النفس والأفكار، وبعد أن بلغنا ما بلغنا من العمر أخذت القوة الفكرية تتماسك والبصيرة تتضح، فجمعنا هذا الجمع بابًا بابًا، وموضوعًا موضوعًا. ولقد قامت في نفوسنا همة الشباب؛ لتطرد الفتور والضعف من أعضائنا ومفاصلنا، وتمسح النعاس عن عيوننا ووجوهنا.

وأسأل الله فيما بقي من العمر أن أثري المكتبة الإسلامية بكتابات تكون معينًا للدعاة السائرين في نصرة الدين العظيم.

نعم ما أشرف مقام الدعوة إلى الله تعالى وما أحسنه وما أجله من مقام!! إن جاد الناس بالمال فصاحب الدعوة يجود بما هو أبقى، إنه يجود بالعلم الذي يحوي آداب الإسلام وتعاليمه وأخلاقه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويؤسس ويدرس، يبشر وينذر، أليس وريث الأنبياء وإن الأنبياء كما قال ﷺ: «**لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[1].

إن الداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة هو العامل الأكبر في إخراج الناس من ظلمات الجهالة إلى نور العلم، هو كالسراج الذي يبدد الظلام ويوقظ النيام وينشر الضياء على كل الأنام، ولذلك كان لزامًا على كل داعية أن يعي بيئته جيدًا، وأن يجتهد قدر طاقته في التعرف على لغة الوصول إلى قلوب الناس وعقولهم قبل آذانهم، وغير خافٍ أن الداعية على قوة ملكته وسعة مداركه، يحتاج إلى مادة تعينه على أداء مهمته، فمطلوب إليه أن يجتهد -ما

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وحسنه الألباني.

أمكنه- فينتخب من المدونات أنفعها وينتقي من لبابها أرفعها، ويعرف لغة قراءتها على الناس، حتى يكتب الله له القبول، وعليه أن ينتبه أن كل ذلك لن يغني عنه شيئًا إذا خالف قوله عمله فيكون كالقائل:

كحامل لثيـــاب النـاس يغسلها وثوبه غارق في الرجس والدنس

إن الصراع بين العلم والجهل صراع أزلي، صراع وجودي، وللعلم فيه رجال يحملون لواءه، وحق لمن حمل لواء العلم أن يعظمه ويقدره قدره، ويعلم أنه على ثغر فلا يؤتى العلم من قبله فَيَهْلَكُ ويُهْلِكُ، وللجهل كذلك في هذا الصراع أعوان، ومن الغريب أنهم أعوان للجهل عن جهل، وواجب حملة لواء العلم أن يقتلوا الجهل في كل جاهل، وأن يضيئوا ظلمات عقولهم بما حباهم الله به من نور العلم. ولا ينسى حامل العلم وطالبه أن الله -تبارك وتعالى- يبارك خطواته والملائكة تؤيده وتدعو له، حتى الحيتان في الماء تستغفر له كما صح في الحديث: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله لـه طريقًـا إلى الجنـة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع**»[1].

وما قمنا به في هذا «الكشكول» هدفنا من خلاله أن يكون زادًا للداعية ومعينًا له على طريقه، ويا له من طريق شاق، ولكن يكفيه شرفًا أن سالك هذا الطريق هم الأنبياء والمرسلون.

نسأل الله ألا نضيع بين الغفلة والجهل، وأن يسدد خطانا، وخطى أمتنا إلى غاية مرموقة، يعين على بلوغها تراث من الثقافة والأدب والفكر، تراث لو كان لعدونا مثله لما لجأ إلى أبشع وسائل التدمير والنسف، حتى يتركنا أمة عاجزة جاهلة تخر على آثار قدميه خاضعة، تصف نفسها بما يوصفه لها من ألفاظ صارت على ألسنة الصغار قبل الكبار «كالتخلف والتعصب والرجعية

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٥٧٣).

والإرهاب» وما درينا وما درى عدونا أننا جميعًا شركاء في الحضارة الإنسانية، تلك الحضارة التي طبعها عدونا بطبعه، والتي صارت مدفعًا وقنبلة بدلًا من أن تكون قرطاسًا وقلمًا.

وقد انتظمت أبواب هذا الكتاب في موضوعات مختلفة، ذكرنا في كل موضوع ما يتعلق به من الآيات والأحاديث وكللناها بمختلف الأخبار والأشعار والحكم والأقوال، ولم نحجم عن الاستفادة من أخبار العرب الجاهليين أو الملوك السابقين أو الفلاسفة أو أرباب الحكم أيا كان مكانهم «فالحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق بها».

من كل معنى يكاد الميت يفهمه حسنًا ويعشقه القرطاس والقلم

لقد انتظمت أبواب «**الكشكول**» إلى عشرة أبواب متنوعة، أتينا فيها بما يتعلق بالمسلم بين يدي ربه، فهو صنعة بين يدي صانعها، يأتمر بأمره وينتهي عند نهيه، يرضى بقضائه ويصبر على بلائه ويشكره دائمًا على نعمائه، فهو يعلم أنه الخالق والرازق والمحيي والمميت، فلا يلجأ إلا إليه، ولا يعتمد إلا عليه، ولا يسأل سواه، ولا يخشى أحدًا كخشيته إياه، عليه يتوكل وإليه ينيب، وقد يذنب لكنه يعلم أن له ربًّا يغفر الذنوب، فيأوي إليه ويستغفره لعله يتوب عليه.

وأتينا أيضًا بما يتعلق بالمسلم مع نفسه فهو دائمًا منها على حذر، يخالفها ويعصيها ويقومها ما استقامت حتى تصير طيعة ذلولة، ترضى بما قسم لها ولا تنظر إلى حق غيرها؛ فالحسد ليس من صفاتها، بل الغبطة عادتها، تدل صاحبها على الخير وتعينه عليه وتلومه ما اعوج.

وأتينا كذلك بما يتعلق بالمسلم مع الناس؛ فهو آية على قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(1) .. الحلم من طبيعته، والغضب ليس من سجيته إلا إذا انتهكت محارم الله، والحياء عنوانه، والعفو والرفق آيته بين إخوانه، والبخل والحسد والغيبة والنميمة صفات ذميمة لا تجد طريقًا إليه، فرابطة الدين عنده أعظم من رابطة الدماء، وإن أخطأ أحد في حقه أو أساء وجدته آية في السماحة والمروءة والوفاء.

والمسلم كذلك مع الدنيا زارع في مزرعة، على قدر كده يكون جزاؤه، مع علمه بأنها خلقت جميعها له ولم يخلق لها، فقد خلق لأمر عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(2) .

وختامًا حَسْبُ حظنا من القارئ الكريم أن يدعو لنا بظهر الغيب لعل الله تعالى أن يطلع على قلبه فيوكل له ملكًا يقول له: «بإذن الله ولك بمثله».





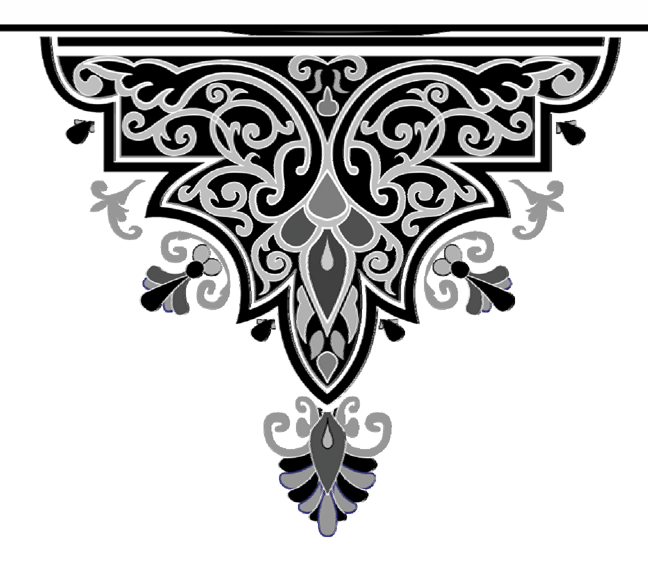
(1) الحجرات: 13.

(2) الذاريات: 56-58.



البَابُ الأَوَّلُ

العقيدة والتوحيد



حقيقة التوكل في باب الاكتساب

طلب المعيشة:

قال رجل للفضيل بن عياض -رحمه الله: لو أن رجلاً قعد في بيته وزعم أنه يثق بالله، فيأتيه برزقه. قال: «إذا وثق به حتى يعلم أنه قد وثق به لم يمنعه شيء أراده ، ولكن لم يفعل هذا الأنبياء ولا غيرهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[١]، ولا بد من طلب المعيشة»[٢].

التاجر الأمين:

وقال إبراهيم النخعي وقد سئل عن الرجل يترك التجارة ويقبل على الصلاة ورجل يشغل بالتجارة أيهما أفضل؟ قال: «التاجرُ الأمينُ»[٣].

صيانة الدين والحسب:

وترك سعيد بن المسيب دنانير فقال: «اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلاّ لأصون بها ديني وحسبي، لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه ويصل رحمه ويكف به وجهه»[٤].

طلب ما يصلح:

قال سفيان الثوري: «ليس مِن حُبِّك الدنيا أن تطلبَ فيها ما يُصلحُك»[٥].

باب ترك الطمع:

قال أحمد بن حنبل: «إذا جلس الرجل ولم يَحْتَرِفْ دعته نفسه إلى أن يأخذ ما في أيدي الناس، فإذا شغل نفسه بالعمل والاكتساب ترك الطمع». وقيل له: أي شيء يُظْهِرُ صدق المتوكل على الله عز وجل؟ قال: «أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلاً»[٦].

---

(١) الجمعة: ١٠.

(٢-٦) الآداب الشرعية لابن مفلح.

الحزم والعجز:

قال حكيمٌ لرجل يجلس إليه: «ما حرفتك؟ قال: التوكل على ربي والثقة بما عنده، فقال الحكيم: الثقة بربك تحرم عليك إصلاح معيشتك! أَوَ ما علمت أن طَلَبَ ما تعف به عن المسألة حزم، والعجز عنه فشل، والفقر مفسد للتقى متهم للبريء، ولا يرضى به إلاّ الدنيء»[١].

تحذير من التواني:

وقال حكيمٌ: «احذر كل الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في التوكل ويورثك الهوينا بحالتك على القدر، فإن الله أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل، والتسليم للقضاء بعد الإعذار فقال: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[٢]، وقال: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٣]، وقال النبي ﷺ: «**اعْقِلْهَا وتَوكَّلْ**»[٤]. وقال عمر لرجل: ما مَعِيشَتُكَ؟ قال: رزق الله. فقال: لكل رزق سبب فما سبب رزقك؟[٥].

نبرات وضيئة لطالبي الرزق [٦]

أجوع فأصبر وأشبع فأشكر:

قال ابن أبي الدنيا:

ومَنْ ظَنَّ أنَّ الرزقَ يأْتِي بِحيلةٍ فقد كَذَبَتهُ نفْسُهُ وهو آثِمُ
يفوتُ الغنِيَ مَنْ لا ينامُ عن السُّرَى وآخرُ يأتِي رزقُهُ وهو نائِمُ

(١) محاضرات الأدباء للأصبهاني.
(٢) النساء: ٧١.
(٣) البقرة: ١٩٥.
(٤) أخرجه الترمذي (٢٥١٧) وحسنه الألباني.
(٥) محاضرات الأدباء للأصبهاني.
(٦) انظر للزيادة: بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي- دار الجيل للطباعة، بدون تاريخ.

فَمَا الفقْرُ في ضَعْفِ احْتَيَـالٍ ولا الغِنَـى بكدٍّ ولِلأَرْزَاقِ في النَّـاسِ قَاسِـمُ
سَأصْـبِرُ إنْ دهـــــرٌ أَنَـاخَ بكَلْكَـلٍ وأَرْضَى بحُكْمِ الله مـا الله حَـاكِمُ
لَقَد عِشْتُ في ضِـيقٍ مـن الـدهْرِ مُـدةً وفي سَـعَةٍ والعِرْضُ مِنِّـى سَـالِمِ

إن مع العسر يسرا:

وقال ابن الأعرابي:

الحَمْـدُ لله لـيْسَ الـرِّزقُ بالطَّلَـبِ ولَا العَطَايَا بـذى عَقْـلٍ ولا أَدَبِ
إن قــدَّر الله شــيئًا أَنْــتَ طَالِبُــهُ يَوْمًا وجدتَ إليـه أقـرَب الـسَّبَبِ
وإنْ أَبَـى الله مـا تَهْـوى فَـلا طلـبٌ يُجْدِي عَليْكَ ولَوْ حَاوَلتَ مِنْ كَثبِ
وقَـدْ أقـولُ لِنَفْـسِي وهْـي ضَـيِّقَةٌ وقَدْ أناخَ عليْهَـا الـدهْرُ بالعَجَـبِ
صَـبْرًا عـلى ضِـيقَةِ الأَيَّـامِ إنَّ لهَـا فتْحَاً وما الصَّبْرُ إلاّ عِنْدَ ذِي الأدبِ
سَـيَفْتَح الله أبـوابَ العَطَـاءِ بِـهَا فِيه لِنَفْسِكَ رَاحَـاتٌ مِـنَ التَّعَـبِ
ولَـوْ يكـونُ كَلامِـي حِـينَ أَنْـشُرُهُ مِنَ اللُّجَيْنِ لكَانَ الصَّمْتُ مِن ذَهَبِ

استرزق الله واتخذ الأسباب ولا تتعلق بها:

قال سريج بن يونس:

يـا طَالِـبَ الـرِّزقِ فِي الآفَـاق مُجْتَهِـدًا أَتعبْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شـفَّكَ التَّعَـبُ
تَـسْعَى لـرِزْقٍ كَفَـاكَ الله مُؤْنَتَـهُ أَقْصِرْ فَرِزْقُكَ لا يَـأْتِي بـهِ الطَّلَـبُ
كَمْ مِنْ سَخيفٍ ضَعِيفِ العَقْلِ نَعْرِفُهُ لَـهُ الوِلايَـةُ والأَرْزَاقُ والـذَّهَبُ
ومِـنْ حَـصيفٍ لـه عَقْـلٌ ومعرفَـةٌ بَادِي الخَصَاصَةِ لَمْ يُعرفْ لَهُ نَشَبُ
فاسْـتَرْزِق الله مِمَّـا فِي خَزَائِنِـهِ فـالله يَـرْزُقُ لا عَقْـلٌ ولا حَـسَبُ

سعيٌ محمود:

قال الشاعر:

تَوَكَّـلْ عَـلَى الـرَّحمنِ في كُـلِّ حَاجـةٍ ولَا تُؤْثِرنَّ العَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبُ

أَلَمْ تَــــرَ أَنّ الله قَـــالَ لِمَـــرْيم إِلَيْكِ فَهزِّي الجِذْعَ يَسَّاقَطُ الرُّطَـبُ
ولَـوْ شَـاءَ أَنْ تَجْنِيَـهُ مِـنْ غَـيْرِ هَزِّهَـا جَنَتْهُ ولَكِـنْ كُـلُّ شَيْءٍ لَـهُ سَـبَبُ

الأرزاق تجري بالمقادير:

قال بكر بن حماد:

النَّاسُ حَرْصَى على الدُّنْيا وقَدْ فَسَدَتْ فَـصَفْوُهَا لَـكَ مَمْـزُوجٌ بِتَكْـدِيرِ
فَمِــنْ مُكِــبٍّ عَلَيْهَــا لَا تُـسَاعِدُهُ وَعَــاجِز نَــالَ دُنْيَــاهُ بِتَقْــصِيرِ
لَمْ يُـدْرِكُوهَا بِعَقْـلٍ عِنْـدَمَا قُـسِمَتْ وإِنَّــما أَدْرَكُوهَـــا بِالمَقَـــادِيرِ
لَـوْ كَـان عـنْ قُـدْرَةٍ أو عَـنْ مُغَالَبَـةٍ طَـارَ البَـزَاةُ بِـأَرْزَاقِ العَـصَافِيرِ

غرور الحريص على الدنيا:

وقال آخر:

سَـهِّلْ عَلَيْـكَ فـإِنَّ الـرِّزْقَ مَقْـدُورُ وكُلُّ مُسْتَأْنِفٍ فِي اللـوْحِ مَـسْطُورُ
أَتَــى القَــضَاءُ بِــمَا فِيــهِ لِمدَّتــه وكُـلُّ مـا لَمْ يَكُـنْ فِيـهِ لَمحْظُـورُ
لا تكــذبن فَخــيْرُ القَــوْلِ أَصْــدَقُهُ إِنَّ الحَرِيصَ عَلى الدُّنْيَا لَمَغْـرُورُ(١)

لا دخل للناس:

لَا تَعْتِــبَنَّ عَــلَى العِبَــادِ فــإِنَّمَا يَأْتِيكَ رِزْقُكَ حِينَ يُـؤْذنُ فِيـهِ(٢)

النفس أولا:

وقال آخر:

إِذَا ذَهَبَــتْ نَفْــسِي لِــدُنْيَا أَصَــبْتُهَا فَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِي وَقَدْ ذَهَبَ الـثَّمَنْ
لَهَـا تُطلَـبُ الـدُّنْيَا فَـإِنْ أَنَـا بِعْتُهَـا بِشَيءٍ مِن الدُّنْيَا فَـذَلِكُمُ الغَـبَنْ(٣)

---

(١) محاضرات الأدباء للأصبهاني.
(٢) المحاسن والأضداد للجاحظ.
(٣) الزهرة لأبي بكر الأصبهاني.

فامشوا في مناكبها:

قال يزيد بن حذاق:

ذَرِينِـــي أَسِـــيرُ فِي الـــبِلادِ لَعلَّنِـــي أُصِيبُ غِنًى فِيهِ لِذِي الحَـقِّ مَحْمَـلُ

فـإِنْ نَحْـنُ لَمْ نَمْلِـكْ دِفَاعًـا لِحَـادِثٍ تُلِـمُّ بِـهِ الأَيَّـامُ فالـصَّبْرُ أَجْمَـلُ

أَلَـــيْسَ كَبِـــيرًا أنْ تُلـــمَّ مُلِمَّـــةٌ ولَيْسَ عَلَيْنَا فِي الحُقُوقِ مُعـوَّلُ(١)

وقال نهيك بن أساف:

أمّ نَهِيــكِ ارْفَعِــي الظَّــنَّ صَــاعدًا ولا تَيْأَسِي أَنْ يَثْـرِىَ الْيَـوْمَ بَـائِسُ

سَـيَكْفِيك سَـيْرِي فِي الـبِلادِ وبُغْيَتِـي وبَعْلُ التِي لَمْ يَحْظَ فِي البَيْتِ جَـالِسُ

سَأَكْـــسبُ مَـــالًا أو تَبِيـــتِنَّ لَيْلَـــةً لِصَدْرِكِ منْ وجْدٍ عَـلَيَّ وسَـاوِسُ

ومَــنْ يَكْـسِبِ المَـالَ المُمنَّـعَ بالقَنَـا يَعِشْ مُثْرِيا أو يُودَ فِـيمَا يُـمَارِس(٢)

الضرب في الأرض:

وقال ابن الأعرابي:

إلى الله أَشْـــكُو بِالمَدِينَـــةِ حَاجَـــةً وبِالـشَّامِ أُخْـرَى كَيْـفَ يَلْتَقِيَـانِ

سَأَعْمَلُ نَـصَّ العَـيْشِ حَتَّـى يَكُفَّنِـي غِنَى المَالِ يَوْمًا أَو غِنَى الحَـدَثَانِ(٣)

الإعسار همٌّ ثقيل:

وقال النابغة:

إِذَا المَـرْءُ لَمْ يَطْلُـبْ مَعَاشًـا لِنَفْـسِهِ شَكَا الفَقْرَ أَو لامَ الصَّدِيقَ فَـأَكْثَرَا

وصَارَ عَلَى الأَدْنَيْنِ كَـلاً، وَأَوْشَـكَتْ صِلاتُ ذَوِي القُرْبَى لَهُ أَنْ تنكَّـرَا

فَـسِرْ فِي بِـلادِ الله والْـتَمِسْ الغِنَـى تَعِـشْ ذَا يَـسَار أَوْ تَمُـوتَ فَتُعْـذَرَا

ومَا طَالِبُ الحَاجَـاتِ فِي كُـلِّ وِجْهَـةٍ مِنَ النَّـاسِ إلا مَـنْ أَجَـدَّ وشَـمَّرَا

(١-٣) الزهرة لأبي بكر الأصبهاني.

ولا تَرضَ مِنْ عَـيْشٍ بـدونٍ ولا تَـنَمْ   وكيف ينام الليلَ من بات معسرًا [١]

الأخذ بالأسباب:

قال أبو الأسود الدؤلي:

فَـمَا طَلَـبُ المَعِيـشَةِ بـالتَّمَنِّي   ولَكِـنْ أَلْـقِ دَلْـوَكَ فِي الـدِّلَاءِ

تَجِـيءُ بِمِثْلِهَـا يَوْمـاً ويَوْمـاً   تَجِـيءُ بِحَمْـأَةٍ وقَلِيـلِ مَـاءِ

وقال آخر:

عَـلَى المَـرْءِ أَنْ يَـسْعَى ويَبْـذُلَ جُهْـدَهُ   ويَقْضِي إلهُ الحَق مَا كَان قَاضِـيًا[٢]

حسن الظنّ بالله

رحمة الله واسعة:

قال محمد بن المنكدر : «إنِّي لأستحي من الله أن يعلم من قلبي أنِّي ظننت أن رحمته عجزت عني»[٣].

أحسن الأشياء:

عن عمَّار بن سيف قال: «رأيت الحسنَ بن صالح في منامي فقلت: قد كنت متمنيًا لقاءك فماذا عندك فتخبرنا به؟ فقال: أبشرْ فلم أَرَ مثل حُسن الظنِّ بالله شيئًا»[٤].

سعى خائب:

وقال عونُ بن عبيد الله: «إن من أغر الغِرَّة انتظار تمام الأماني، وأنت أيها العبد

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ.

(٢) المستطرف للأبشيهي.

(٣،٤) حسن الظن بالله، لابن أبي الدنيا، ت/ عبد الحميد شانوحة- دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ ـ مكة المكرمة.

مقيم على المعاصي، ولقد خاب سعي المعرضين عن الله وما يؤمل إلا عفوه»(١).

حسن الظن يؤدي إلى حسن العمل:

وقال الحسن البصري: «إنَّ المؤمن أَحَسَنَ الظنَّ فأَحَسَنَ العمل، وإنَّ المنافق أَساءَ الظنَّ فأساءَ العمل، وما بسط الله الدنيا لأحد إلا اغتر، ولا زويت عنه إلا نظر»(٢).

شمِّر عن ساقك:

قال حذيفة بن اليمان: «من رجا شيئًا طلبه، ومن خَاف شيئًا هرب منه»(٣).

لا تقنطوا من رحمة الله:

قال عبدالله بن عمرو بن العاص: «لو أنَّ العباد لم يذنبوا لخلق الله عبادًا يذنبون فيغفر لهم، إنه هو الغفور الرحيم»(٤).

بقدر إجلالك لله يجلك الله

قال ابن الجوزي: «إنه بقدر إجلالكم لله عز وجل يجلكم، وبمقدار تعظيم قدره واحترامه يعظم أقداركم وحرمتكم».

احفظ الله يحفظك:

ولقد رأيت والله من أنفق عمره في العلم إلى أن كَبُرَ سِنُّه، ثم تعدى الحدود فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه، مع غزارة علمه وقوة مجاهدته.

ولقد رأيت من كان يراقب الله عز وجل في صبوته- مع قصوره بالقياس إلى ذلك العالم- فعظم الله قدره في القلوب حتى علقته النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير.

ورأيت من كان يرى الاستقامة إذا استقام، فإذا زاغ مالَ عنه اللطف.

(١،٢) حسن الظن بالله، لابن أبي الدنيا، ت/ عبد الحميد شانوحة- دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ ـ مكة المكرمة.

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

(٤) صيد الخاطر، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

ولولا عموم الستر وشمول رحمة الكريم لافتضح هؤلاء المذكورون.

غير أنَّه في الأغلب تأديب أو تلطف في العقاب كما قيل:

وَمَــنْ كَــانَ فِي سَــخطِهِ مُحْـسِنًا ... فَكَيْــفَ يَكُــونُ إِذَا مَــا رضِي

غير أنَّ العدل لا يحابي، وحاكم الجزاء لا يجور، وما يضيع عند الأمين شيء[1].

الرقة والبكاء

البكاء من خشية الله:

قال الحسن: «إنّ العينين لتبكيان، وإنَّ القلب ليشهد عليهما بالكذب، ولو بكى عبد من خشية الله لَرُحِم من حوله، ولو كانوا عشرين ألفًا»[2].

إطفاء:

وقال فرقد السبخي: «بلغنا أنَّ الأعمال كلها توزن إلا الدمعة، تخرج من عين العبد من خشية الله، فإنه ليس لها وزن ولا قدر، وإنَّه ليطفأ بالدمعة البحور من النار»[3].

أجر وفير:

وقال وهب بن منبه: «البكاء من خشية الله، مثقالُ بِر، ليس ثوابه وزنًا، إنما يُعْطَى الباكي من خشية الله والصابر على طاعة الله أجرهما بغير حساب»[4].

وجه لا يرى النار:

وقال خالد بن معدان: «إنَّ الدمعة لتطفئ البحور من النيران، فإن سالت على خدِّ باكيها لم ير ذلك الوجه النار، وما بكى عبد من خشية الله إلا خشعت لذلك جوارحه، وكان مكتوبًا في الملأ الأعلى باسمه واسم أبيه، منورًا قلبه

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية بدون تاريخ.

(٢-٤) كتاب الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ت/ محمد خير يوسف-ط١، ١٤١٦- نشر دار ابن حزم، بيروت- لبنان.

بذكر الله»[١].

محو وأمان:

وقال يزيد بن أبان الرقاشي: «بلغني أنه من بكى على ذنب من ذنوبه، نُسِّيَ حافظاه ذلك الذنب، ومن فاضت عيناه من خشية الله أُعْطِيَ الأمان يوم القيامة»[٢].

نور البكاء:

وقال المفضَّل بن مهلهل: «بلغني أنَّ العبد إذا بكى من خشية الله مُلئت جوارحه نورًا، واسْتَبْشرت ببكائه، وتَداعت بعضها بعضًا: ما هذا النور؟ فيُقال لها: هذا غَشِيَكُمْ من نورِ البكاء»[٣].

حقيقة ثابتة:

قال مكحول: «أرقُّ الناس قلوبًا أَقلُّهم ذنوبًا»[٤].

البكاء علامة:

قال أبو عبدالله البراشي: «لا تندى العين حتى يحترق القلب، فإذا احترق القلب، تلهَّب شعلة، فهاج إلى الرأس دخانه، فاستنزل الدموع من الشؤون إلى العين فأسالته»[٥].

وقال مالك الراسبي: «إنَّ كثرة الدموع وقلتها على قدر احتراق القلب، حتى إذا احترق القلب كله لم يشأ الحزين أن يبكي إلا بكى، والقليل من التذكرة يُجزئه»[٦].

وقال سفيان: «إذا فرح القلب نَدِيَتْ العينان»[٧].

(١-٢) كتاب الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ت/ محمد خير يوسف-ط١، ١٤١٦- نشر دار ابن حزم/ بيروت- لبنان.

(٣-٧) حلية الأولياء للأصبهاني.

دعاء المنكسرين

انكسار التقصير:

قال ابن الجوزي -رحمه الله: «عُرِضَ لي أمرٌ يحتاج إلى سؤال الله عـز وجـل ودعائه، فدعوت وسألت، فأخذ بعض أهل الخير يدعو معي، فرأيت نوعًا من أثر الإجابة:

فقالت لي نفسي: هذا بسؤال ذلك العبد لا بسؤالك، فقلت لها: أما أنا فـإني أعرف من نفسي من الذنوب والتقصير ما يوجب منع الجواب، غير أنَّـه يجـوز أن يكون أنا الذي أُجبت، لأن هذا الداعي الصالح سليم مما أظنه من نفسي، إذ معي انكسار تقصيري ومعه الفرج بمعاملته.

وربما كان الاعتراف بالتقصير أنجح في الحوائج، على أنني أنا وهـو نطلـب من الفضل لا بأعمالنا، فإذا وقفت أنا على قدم الانكسار معترفًا بذنوبي وقلت: أعطوني بفضلكم فما لي في سؤالي شيء أجبت به، وربما تلمح ذلك حُسنَ عمله وكان صادّا له، فلا تكسريني أيتها النفس فيكفينـي كـسر علمـي بي «لنفـسي» ومعي من العلم الموجب للأدب، والاعتراف بالتقـصير، وشـدة الفقـر إلى مـا سألت، ويقيني بفضل المطلوب عنه، ما لـيس مـع ذلـك العابـد فبـارك الله في عبادته، فربما كان اعترافي بتقصيري أوفى»[1].

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾

ابتدرك بالبلاء:

قال ابن الجوزي: «تأملت حالة عجيبة وهـي أنَّ المـؤمن تنـزل بـه النازلـة فيدعو ويبالغ فلا يرى أثرًا للإجابة، فإذا قارب اليأسَ، نُظِر حينئذٍ إلى قلبه، فإن كان راضيًا بالأقدار غير قَنـوطٍ مـن فـضل الله عـز وجـل، فالغالـبُ تعجيـل

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي.

الإجابة حينئذٍ؛ لأن هناك يقهر الإيمان الشيطان، وهناك تبين مقـادير الرجـال، وقـد أشـير إلى هـذا في قولـه تعـالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ﴾(١)، وكذلك جرى ليعقوب -عليه السلام- فإنه لما فقد ولده وطال الأمر عليه لم ييأس من الفرج فأخذ ولده الآخر ولم ينقطع أمله مـن فـضل ربـه ﴿أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ﴾(٢)، وكـذلك قـال زكريـا - عليـه الـسلام: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(٣)؛ فإياك أن تستطيل مدَّة الإجابـة نـاظرًا إلى أنَّـه المالـك، وإلى أنَّـه الحكـيم في التـدبير والعَـالمُ بالمـصالح وإلى أنَّـه يريـد اختبـارك ليبلـو أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك، وإلى أنه يريد أن يـأجرك بـصبرك إلى غير ذلك، وإلى أنه يبتليك بالتأخير لتحارب وسوسة إبليس، وكل واحدة مـن هذه الأشياء تقوى الظن في فـضله، وتوجـب الـشكر لـه، إذا ابتـدرك بـالبلاء للالتفات إلى سؤاله، وفقر المضطر إلى اللُّجُوء إليه غنى كله»(٤).

شكـر النعمـة

قال الشاعر:

أَوْلَيْتَنِـــي نِعَـــماً أَبُـــوحُ بِـــشُكْرِهَا وكَفَيْتَنِـي كُـلَّ الأُمُـورِ بِأَسْرِهَـا
فَلأَشْـكُرَنَّكَ مَـا حَيِيـتُ وإِنْ أَمُـتْ فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظُمِـي فِي قَبْرِهَـا(٥)

وقال آخر:

إِلَهِـي لَـكَ الحَمْـدُ الَّـذي أَنْـتَ أَهْلُـهُ عَلَى نِعَمٍ مَـا كُنْـتُ قَـطّ لَهَـا أَهْـلا

(١) البقرة: ٢١٤.
(٢) يوسف: ٨٣.
(٣) مريم: ٤.
(٤) صيد الخاطر لابن الجوزي.
(٥) المستطرف للأبشيهي.

إِنْ ازْدَدتُّ تَقْـصِيرًا تَـزِدْنِي تَفَـضُّلا كَأَنِّي بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ الفَضْلا[١]

وقال آخر:

سَأَشْـكُرُ لا إِنِّي أُجَازِيـكَ مُـنْعِمًا بِشُكْرِي وَلَكِنْ كَيْ يُزَادَ لَكَ الـشُّكْرُ

وَأَذْكُـرُ أَيَّامـاً لَـدَيَّ اصْـطَنَعْتُهَا وآخَرُ مَا يَبْقَى عَلَى الشَّاعِرِ الـذِّكْرُ[٢]

شكر المعروف:

قال يحيى الحارثي:

حَلَفْتُ بِرَبِّ العِيسِ تَهْوَى بِرَكْبِهَا إِلَى حَـرَمٍ مَـا عَنْـهُ لِلنَّـاسِ مَعْـدِلُ

لمـا يَبْلُـغُ الإِنْعَـامُ فِي النَّفْـعِ غَايَـةً عَـلَى المْـرْءِ إلا مَبْلَـغُ الـشُّكْرِ أَفْـضَلُ

وَلا بَلَغَـتْ أَيْـدِي الْمُنِيلِـينَ بَـسْطَةً مِن الطُّـوُلِ إِلا بَـسْطَةُ الـشُّكْرِ أَطْـوَلُ

ولا ثَقُلَـتْ فِي الـوَزْنِ أَعَبـاءُ مِنَّـةٍ عَـلَى المَـرْءِ إِلا مِنَّـة الـشُّكْرِ أَثْقَـلُ

فَمَنْ شَكَرَ المَعْرُوفَ يَوْمًا فَقَـدْ أَتَـى أَخَا العُرْفِ مِن حُسْنِ الْمُكَافَاةِ مِنْ عَلُ[٣]

نعمٌ لا تُحصى:

وقال آخر:

سَأَشْـكُرُ نُعـمَاكَ الَّتِـي انْبَـسَطتْ بِهَـا يَدِي وَلِسَانِي فَهـو بالحَمْـدِ يَنْطِقُ

وَأُثْنِـى بِـمَا أَوْلَيْتَنِـي مِـنْ صَـنِيعَةٍ ومِـن منَّـة تَغْـدُو عَـليَّ وتَطْـرُقُ

وَكُـلُّ امْـرِئٍ يَرْجُـو نَـدَاكَ مُوَفَّـقٌ وكُلُّ امْرِئٍ يُثْنِى عَلَيْكَ مُصَدَّقُ[٤]

(١،٢) المستطرف للأبشيهي.

(٣، ٤) نهاية الأرب للنويري.

حبل من التُّقَى:

قال أبو نخيلة:

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكَرَ حَبْـلٌ مِـن التُّقَـى وَمَا كُلُّ مَـنْ أَوْلَيْتَـهُ نِعْمَـةً يقْـضِى

وَأَحْبَبْتَ مِن ذِكْرِى وَمَا كُنتُ خـاملاً ولكنَّ بعضَ الذكْرِ أَنْبَه مِنْ بَعْضِ(١)

شكر الثقلين:

قال كلثوم بن عمرو:

فَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنِى عَـن الـشُّكْرِ مَاجِـدٌ لِعِــزَّةِ مُلْــكٍ أَو عُلُــوٍّ مَكَــانِ

لَمَــا نَــدَبَ الله العِبَــادَ لِــشُكْرِهِ فَقَالَ: اشْـكُرُونِي أَيُّهـا الـثَّقَلانِ(٢)

شكر غير مضيَّع:

وقال آخر:

إِنَّنِــي أُثْنِــى بِــمَا أَوْلَيْتَنِــي لَمْ يُـضِع حُـسْنَ بَـلاءِ مَـنْ شَـكَرْ

إِنَّنِــــي والله لا أَكْفُــــرُكُمْ أَبَدًا مَا صَاحَ دِيـكٌ فِي الـسَّحَرْ(٣)

الشكر طريق الزيـادة

لئن شكرتم لأزيدنكم:

قال الشاعر:

إِذَا أَنَا لَمْ أَعْرِفْ لِـذِي الفَـضْلِ فَـضْلَهُ وَلَمْ أَلُمِ الخِــبَّ اللَّئِــيمَ المُــذَمَّمَا

فَفِـيمَ عَرَفْـتُ الخَـيْرَ والـشَّرَّ بِاسْـمِهِ وشَــقَّ لِيَ الله المَـسَامِعَ والفَــمَا(٤)

(١) زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق القيرواني– الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، لبنان.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٣،٤) بهجة المجالس وأنس المُجالس، لابن عبد البر القرطبي ـ دار الجيل للطباعةـ بدون تاريخ.

وقال آخر:

لَوْ كُنْتُ أَعْـرِفُ فَـوْقَ الـشُّكْرِ مَنْزِلَـةً أعْلَى من الشُّكْرِ عِنْـدَ الله فِي الـثَّمَنِ

إِذا مَنَحْتُكَهَــــا مِنِّــــي مُهَنَّـــــدةً شُكْرًا عَلى صُنْعِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

وأنشد المبرد:

إِذَا كَــانَ شُــكْرِي نِعْمَــةَ الله نِعْمَــةً عَـلَيَّ لَـهُ فِي مِثْلِهَـا يَجِـبُ الـشُّكْرُ

فَكَيْــفَ بُلُــوغُ الــشَّكْرِ إلا بِفَــضْلِهِ وإِنْ طَالَتِ الأَيامُ واتَّـصَلَ العُمْـرُ

إِذَا سَرَّ بِالـــسَّرَاءِ عَـــمَّ سُرُورُهَـــا وإِنْ مَسَّ بِالضَّرَاءِ أَعْقَبَهَـا الأَجْـرُ

وَمَــا مِــنْهُمَا إِلاّ لَــهُ فِيــهِ نِعْمَــةٌ تَضِيقُ بِهَا الأَوْهَامُ والـبَرُّ والبَحْـرُ

قال أبو العباس: هذا معنى لطيف يقول: إن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيقه، فيجب أن يحمد على التوفيق، ثم يجب في الحمد الثاني ما يجب في الحمد الأول أبدًا إلى حيث ما لا نهاية. ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

إِذَا أَنْــتَ لَمْ تَــرْدُدْ عَــلَى كُــلِّ نِعْمَــةٍ قَدْ أَتَاكَهَـا شُـكْرًا فلَـسْتَ بِـشَاكِرِ

وقيل: مكتوب في التوراة: «اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعم إذا شكرت، ولا مقام لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير».

الصبـر وأنواعـه [1]

فضل الصبر:

اعلم أنَّ منْ حسنِ التّوفيقِ، وأماراتِ السّعادةِ، الصّبرُ على المُلـمّاتِ[2] والرّفق عند النّوازِل، وبه نزلَ الكتابُ، وجاءَتِ السّنةُ. قال الله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا

(١) أدب الدنيا والدين: ص ٢٧٦–٢٨٠.

(٢) الملمات: جمع ملمة، والملم الشديد من كل شيء.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[١] يعني: اصبروا على ما افترضَ الله عليكم، وصابروا عَدُوَكُمْ. ورابِطُوا: فيه تأويلان:

أحدهما: على الجهادِ.

والثاني: على انتظارِ الصلواتِ.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمحُو الله بِهِ الخَطَايَا، ويَرَفْعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رسول الله قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ**[٢] **عَلَى المكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[٣].

فنزلَ الكتابُ بتأكيدِ الصّبر، فيما أَمَرَ بِهِ، وَنَدَبَ إِليهِ، وجعلَهُ من عَزَائِم[٤] التّقوى، فيما افْتَرَضَهُ وحثَّ عليهِ. وكما قيل: «**الصَبْرُ سَتْرٌ مِنَ الْكُرُوبِ، وَعَوْنٌ عَلَى الخُطُوبِ**» وقال علي بن أبي طالب ﷺ: الصّبرُ مطيةٌ لا تكبُو[٥]، والقناعةُ سيفٌ لا ينْبُو[٦]. وقال عبدالحميد: لم أسمعْ أعجبَ من قول عمر بن الخطاب ﷺ: لَوْ أَنَّ الصَّبْرَ والشُّكْرَ بعيرانِ، ما باليْتُ أَيُّهما رَكِبْتُ. وقال عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما: أفضلُ العُدَّةِ الصّبرُ على الشدة. وقال بعض البلغاء: من خيرِ خلالِك، الصبّر على اختلالِكَ. وقيل في منثور الحكم: من أَحَبَّ البقاءَ، فلْيُعِدَّ للمصائِبِ قلبًا صَبورًا. وقال بعض الحكماء: بِالصَّبْرِ عَلَى مَوَاقِع الْكُرْهِ، تُدْرَكُ الْحُظُوظُ.

---

(١) آل عمران: ٢٠٠.

(٢) إسباغ الوضوء: إبلاغه مواضعه وتوفية كل عضو حقه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥١) والترمذي (٥١) والنسائي (١/ ٨٩) وابن ماجه (٤٢٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) عزائم التقوى: واجباتها.

(٥) كبا، وكبُوًا: انكبَّ على وجهه.

(٦) نبا السيف عن الضرب: كَلَّ.

وقال عبيد بن الأبرص:

صَــبِّرِ الــنَّفْسَ عِنْــدَ كُــلِّ مُلِــمٍّ إِنَّ فِي الــصَّبْرِ حِيلَــةَ المُحْتَــالِ

لاَ تَــضِيقَنَّ فِي الأُمُــورِ فَقَــدْ تُكْــ ـشَفُ غَمَّاؤُهَــا(١) بِغَـيْرِ احْتِيَـالِ

رُبَّــمَا تَجْــزَعُ النُّفُــوسُ مِــنَ الأَمْـ ـرِ لَــهُ فَرْجَــةٌ كَحَــلِّ الْعِقَــالِ

وقال ابن المقفع في كتاب اليتيمة: الصّبرُ صَـبرانِ، فاللِّئـامُ أَصْـبَرُ أجـسامًا، والكرامُ أَصْبرُ نفوسًا. وليس الصّبرُ المَمْدُوحُ صاحِبُهُ، أنْ يكونَ الرّجُـلُ قَـوِيَ الجسَدِ على الكَدِّ(٢) والعملِ لأَنَّ هـذا مـن صِـفَاتِ الحمـيرِ، ولكـن أنْ يكـونَ لِلنَّفْسِ غَلُوبًا، ولِلأُمُورِ مُتَحَمِّلًا، ولِجَأْشِهِ عِنْدَ الْحِفَاظِ مُرْتَبِطًا.

أقسام الصبر

وَاعْلَمْ أَنَّ الصبْرَ على ستَّةِ أقسامٍ، وهو في كلِّ قسمٍ منها محمودٌ.

فَأَوَّلُ أقسامِهِ وأولاهَا: الصَّبْرُ على امتِثالِ ما أمَرَ الله تعالى بِهِ، والانتهـاءُ عَـمَّا نَهَى الله عنهُ؛ لأنَّ بِهِ تخلصُ الطّاعة، وبخلوصِ الطّاعةِ يـصحُّ الـدّينُ، وتَـؤَدَّى الفروضُ، ويُسْتَحَقُّ الثّوابُ، كما قـال في محكـم الكتـاب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣)؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**الصَّبرُ منَ الإيمانِ، بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِـنَ الجَسَدِ**»(٤). وليس لمن قلَّ صبرُهُ على طَاعةٍ حَظٌّ من بِرٍّ، ولا نصيبٌ من صلاحٍ. ومن لم يرَ لِنَفْسِهِ صـبرًا، يكـسبها ثوابًـا، ويـدفعُ عنهـا عقابًـا، كـان مـع سـوءِ الاختِيارِ، بعيدًا من الرّشادِ، حقيقًا بالضّلالِ. وقد قال الحسن البصري- رحمـه

---

(١) غمّاؤها: كربها وحزنها.

(٢) الكدّ: الشدة والإلحاح في الطلب.

(٣) الزمر: ١٠.

(٤) أخرجه الديلمي (٢/ ٢٦٠) عن أنس ﷺ مرفوعًا، وقال الألباني: ضعيف جدًا، فيـه يزيـد الرقـاشي وهو واهٍ. ورواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» عن علي ﷺ موقوفًا وسـنده منقطـع (السلـسلة الـضعيفة) (٣٧٩٣).

الله تعالى: يا من يطلبُ من الدنيا ما لا يلحقُهُ، أَتَرْجُو أنْ تلحقَ من الآخِـرَةِ مَـا لا تَطْلُبُهُ؟

وقال أبو العتاهية – رحمه الله تعالى:

أَرَاكَ امْـرَأً تَرْجُـو مِـنَ الله عَفْـوَهُ   وَأَنْـتَ عَـلَى مَـا لاَ يُحِـبُّ مُقِـيمُ

تَـدُلُّ عَـلَى التَّقْـوَى وَأَنْـتَ مُقَـصِّرٌ   فَيَا مَنْ يُدَاوِي النَّاسَ وَهْـوَ سَـقِيمُ

وهذا النّوعُ من الصّبرِ إنما يكون لِفَرْطِ الجَزَعِ، وشِدَّةِ الخوفِ، فإنَّ من خافَ الله عزَّ وجلَّ صَبَرَ على طاعَتِهِ، ومن جَزِعَ من عِقابِهِ، وقفَ عندَ أوامِرِه.

والقسم الثاني: الصّبرُ على ما تقتضيهِ أوْقاتُهُ، من رَزَيَّـةٍ قـدْ أَجْهَـدَهُ الحـزنُ عليها، أو حَادِثَةٍ قدْ أَكَدَّهُ[1] الهَمُّ بها، فـإِنَّ الـصَّبرَ عليهـا يُعْقِبُـهُ الرّاحـةَ منهـا، وَيُكْسِبُهُ المَثُوبَةَ عنها، فإنْ صبرَ طائِعًا، وإلاَّ احتمَلَ هَمًّا لازِمًا، وصبرَ كارِهًا آثمًا. وَرُوِي عن النبي ﷺ أنّه قال: «**يَقُولُ الله تَعَالَى: مَنْ لَمْ يَـرْضَ بِقَـضَائِي، وَيَـصْبِرْ عَلَى بَلاَئِي، فَلْيَخْتَرْ رَبًّا سِوَايَ**»[2].

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه للأشعَثِ بـنِ قـيسٍ: إنْـك إنْ صَـبَرْتَ، جَـرَى عليكَ القلمُ وأنتَ مأْجُورٌ، وإنْ جَزَعْتَ، جَرَى عليكَ القلمُ وأنتَ مأزورٌ[3].

وقد ذكر ذلك أبو تمام في شعره، فقال:

وَقَـالَ عَـلِيٌّ فِي التَّعَـازِي لأَشْـعَثٍ   وَخَافَ عَلَيْـهِ بَعْـضَ تِلْـكَ المَـآثِمِ

أَتَـصْبِرُ لِلْبَلْـوَى عَـزَاءً وَخَـشْيَةً   فَتُـؤْجَرُ أَوْ تَـسْلُو سُـلُوَّ الْبَهَـائِمِ؟

وقال شبيبُ بن شَبة للمهديِّ: إنَّ أحقّ ما تصبرُ عليه، مـا لم تجـدْ إلى دفعِـهِ

---

(١) أكدَّه: طلب منه الكدَّ.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٣٢٠) (٨٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائـد (٧/ ١٣٠): «رواه الطبراني وفيه سعيد بن زياد بن هند وهو متروك».

(٣) المأزور: الآثم.

سبيلاً. وأنشد:

وَلَـئِنْ تُـصِبْكَ مُـصِيبَةٌ فَاصْـبِرْ لَهَـا ... عَظُمَـتْ مُـصِيبَةُ مُبْـتَلًى لا يَـصْبِرُ

وقال آخر:

تَـــصَبَّرْتُ مَغْلُوبًــا وَإِنِّي لَموجَــعٌ ... كَمَا صَـبَرَ الظَّمْـآنُ فِي الْبَلَـدِ الْقَفْـرِ

وَلَيْسَ اصْطِبَارِي عَنْكَ صَبْرَ اسْتِطَاعَةٍ ... وَلَكِنَّــهُ صَــبْرٌ أَمَــرُّ مِــنَ الــصَّبْرِ

والقسم الثالث: الصَّبرُ على ما فات إِدْراكُه من رَغْبَةٍ مرجُوَّةٍ، وَأَعْوَزَ[1] نَيْلُهُ من مَسَرَّةٍ مأمولَةٍ، فإِنَّ الصَّبرَ عنها يُعْقِبُ السّلوَّ منهـا، والأسـفُ بعـد اليـأس خُرْقٌ[2]. وَرُوِيَ عن النبي أنه قال: «**مَنْ أُعْطِيَ فَـشَكَرَ، وَمُنِـعَ فَـصَبَرَ، وَظُلِـمَ فَغَفَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ، فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُون**»[3].

وقال بعض الحكماء: اجعلْ ما طلبتَهُ من الدُّنيا فلم تَنَلْهُ، مثـلَ مـا لا يخطُـرُ ببَالِك فلمْ تَقُلْهُ.

وقال بعض الشعراء:

إِذَا مَلَــكَ الْقَــضَاءُ عَلَيْــكَ أَمْــرًا ... فَلَــيْسَ يَحُلُّــهُ غَــيْرُ الْقَــضَاءِ

فَمَالَــــكَ وَالْمُقَـــامَ بِـــدَارِ ذُلٍّ ... وَدَارُ الْعِــزِّ وَاسِــعَةُ الْفَــضَاءِ

وقال بعض الحكماء: إِنْ كنتَ تجزعُ على ما فاتَ من يدِكَ، فاجزعْ علَى مـا لا يصلُ إِلَيْكَ، فأخذه بعض الشعراء فقال:

لا تُطِــلِ الْحُــزْنَ عَــلَى فَائِــتٍ ... فَقَلَّــمَا يُجْــدِي عَلَيْــكَ الْحَــزَنْ

سِــيَّانِ مَحْــزونٌ عَــلَى فَائِــتٍ ... وَمُــضْمِرٍ حُزْنًــا لِمَــا يَكُــنْ

---

(١) وأعوزه: لم يقدر عليه.

(٢) الخرق: الحمق.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٣٨) (٦٦١٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٤): «رواه الطبراني، وفيه أبو داود الأعمي وهو متروك».

والقسم الرابع: الصّبرُ فيما يُخْشَى حُدوثُهُ، من رَهْبَةٍ يخافُها، أوْ يحْذَرُ حلولَـهُ من نكبةٍ يخشاها، فلا يتعجلْ هَـمَّ مـا لم يـأتِ، فـإنَّ أكثـرَ الهمـومِ كاذِبَـةٌ، وإنَّ الأَغْلَبَ منَ الخوفِ مدْفُوعٌ.

وقد قيل: «بالصَّبْرِ يُتَوَقَّعُ الْفَرَجُ، وَمَنْ يُـدْمِنْ قَـرْعَ بَـابٍ يَلِـجْ». وقـال الحسن البصريّ – رحمه الله: لا تحملنَّ على يومك هَمَّ غدِكَ، فحسبُ كلّ يوم همُّهُ.

وأنشد الجاحظ لحارثة بن زيد:

إِذَا الْهَـمُّ أَمْـسَى وَهْـوَ دَاءٌ فَأَمْـضِهِ ... وَلَـسْتَ بِمُمْـضِيهِ وَأَنْـتَ تُعَادِلُـهْ

وَلاَ يَنْـزِلَنْ أَمْـرُ الـشَّدِيدَةِ بـامْرِئٍ ... إِذَا هَـمَّ أَمْـرٌ أَعْوَقَتْـهُ عَوَاذِلُـهُ

وَقُـلْ لِلْفُـؤَادِ إِنْ تَجِـدْ بِـكَ ثَـوْرَةً ... مِنَ الرَّوْعِ فَافْرَحْ أَكْثَرُ الْهَـمِّ بَاطِلُـهْ

والقسم الخامس: الصّبر فيما يتوقّعُهُ مـن رغبـةٍ يرجوهـا، وينتظـرُ مـن نعمةٍ يَأْمُلُهَا، فإنّه إنْ أدهشَهُ التوقُّعُ لهـا، وأذهلَـهُ التطلُّـعُ إليهـا، انـسدَّتْ عليه سُبُلُ المطالبِ، واستفزّهُ تسويلُ المطامعِ، فكانَ أبعدَ لرجائِهِ، وأعظـمَ لبلائِهِ؛ وإذا كانَ مع الرّغبةِ وَقُورًا، وعندَ الطّلب ثبورًا، انجلتْ عنه عَمايَةُ الدَّهَشِ، وانجابَتْ[1] عنهُ حَيْرَةُ الْوَلَهِ[2]، فأبصر رُشْدَهُ، وعَـرَفَ قـصْدَهُ. وقد روي عن النبي أنه قال: «**الصّبْرُ ضِياءٌ**»[3]: يعنـي – والله أعلـم: أنـه يكشف ظُلَمَ الحيرَةِ، ويوضِّحُ حقائِقَ الأمورِ. وقال أكثم بـن صـيفي: مـن صبر ظَفَرْ. وقال ابن المقفع: كان مكتوبًا في قـصر أردشـير: الـصّبرُ مفتـاحُ الدَّرَكِ.

---

(١) انجابت الناقة: مدت عنقها للحلب.

(٢) الوله: الحزن والخوف والحيرة.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣) (٢٧٠٩).

وقال بعض الحكماء: بِحُسْنِ التّأنّي تسهلُ المطالب. وقال بعض البلغاء: مَنْ صَبَرَ نَالَ الْمُنَى، ومنْ شَكَرَ حَصَّنَ النُعْمَى.

وقال محمدبن بشير:

إِنَّ الأمُـورَ إِذَا سُـدَّتْ مَطَالِبُهَـا   فَالصَّبْرُ يَفْتِقُ مِنْهَا كُلَّ مَـا ارْتَتَجَـا[١]

لا تيَاسَـــنّ وَإِن طالـــت مُطالبَـــة   إِذا اسْتَعَنتَ بصَبْرٍ ان تَـرَى فرَجَـا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَـى بِحَاجَتِـهِ   وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلأَبْـوَابِ أَنْ يَلِجَـا

والقسم السادس: الصبْرُ على ما نزلَ من مكروهٍ، أو حلَّ مـن أمـرٍ مَخُـوفٍ، فبالصبرِ في هذا تَنْفَتِحُ وجوهُ الآراءِ، وَتُسْتَدْفَعُ مكايـدُ الأعـداءِ، فـإِنَّ مَـن قـلَّ صبره، عَزَبَ[٢] رأيه، واشتدّ جزعه، فصارَ صريع همومه، وفريسةَ غُمُومِهِ.

وقد قال الله تعـالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[٣]. وَرُوِي عن ابن عباس -رضي الله عنهما، عن النبي أنه قال: «**إِن اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ لله بِالرِّضَا فِي الْيَقِينِ فَافْعَلْ، وإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ، فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّـصْرَ مـعَ الـصَّبْرِ، وَالْفـرَج مـعَ الْكـرْبَ[٤] وَالْيُسْرَ مَعَ الْعسْرِ**»[٥]. وقـال عـلي بـن أبي طالـب ﷺ: الـصّبر مـسْتَأَصِلُ الحَدَثَانِ، والجَزَعُ من أعوانِ الزّمانِ. وقال: بعضُ الحكـماءِ: بمفتـاح عزيمـة الصّبرِ، تُعَالَجُ مَغَالِيقُ الأُمورِ. وقال بعض البلغاء: عندَ انـسدادِ الفـرَجِ[٦]، تبدُو مطالعُ الفَرَجِ. وَرَوَى ابن عباس -رضي الله عنهما، أنَّ سليمان بـن داود

---

(١) ارتتج: أغلق.
(٢) عزب: ذهب.
(٣) لقمان: ١٧.
(٤) الكرب: الحزن يأخذ بالنفس.
(٥) أخرجه هناد في الزهد (٥٣٦) عن ابن عباس -رضي الله عنهما.
(٦) الفُرَج بالضم: جمع فُرجة وهو ما يكون في الحائط، أما الفَرَج بالفتح فهو كشف الغم.

-عليهما السلام، لما استكَدَّ[١] شياطينه في البناءِ، شـكَوْا ذلـك إلى إبلـيس - لعنه الله- فقال: ألستمْ تذهبون فُرَّغًا وترجعون مشاغيل؟ قالوا: بلى. قـال: ففي ذلك راحة. فبلغ ذلك سـليمان -عـلى نبينـا وعليـه الـسلام، فـشغلهم ذاهبين وراجعين، فشَكَوْا ذلك إلى إبليس- لعنه الله، فقال: ألستم تستريحون بالليل؟ قالوا: بلى. قال: ففي هذا راحة لكـم، نـصف دهـركم. فبلـغ ذلـك سليمان - عليه السلام، فشغلهم بالليل والنهار، فـشكوا ذلـك إلى إبلـيس- لعنه الله - فقال: الآن جاءكم الفرَجُ. فـما لبثـوا أن أصـيب سـليمان - عليـه السلام- ميتًا على عصاه.

فإذا كان هذا في نبي من أنبياء الله، يعملُ بأمرهِ، ويقفُ على حدّه، فكيف بما جرت به الأقدارُ من يدٍ عاديةٍ، وساقهُ القضاءُ من حوادثَ نازلةٍ، هل تكون مع التناهي إلاَّ منقرضةً، وعند بلوغِ الغايةِ إلا منحسرةً.

وأنشد بعض الأدباءِ لعثمان بن عفان ﷺ:

خَلِـــيلِيَّ لاَ وَالله مَـــا مِـــنْ مُلِمَّـــةٍ ... تَدُومُ عَـلَى حَـيٍّ وَإِنْ هِـيَّ جَلَّـتِ
فَـإِنْ نَزَلَـتْ يَوْمًـا فَـلاَ تَخْـضَعَنْ لَهَـا ... وَلا تُكْثِرِ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
فَكَـمْ مِـنْ كَـرِيمٍ قَـدْ بُـلِي بِنَوائِـبٍ ... فَصَابَرَها حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحَلَّتِ[٢]

وَكَمْ غَمْرَةٍ[٣] هَاجَتْ بِـأَمْوَاجِ غَمْـرَةٍ ... تَلَقَّيْتُهَــا بِالــصَّبْرِ حَتَّــى تَجَلَّــتِ
وَكَانَــتْ عــلَى الأَيَّـامِ نَفْـسِي عَزِيـزَةً ... فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الـذُّلِّ ذَلَّـتِ
فَقُلْـتُ لَهَـا يَـا نَفْـسُ مُـوتِي كَرِيمَـةً ... فَقَـدْ كَانَـتِ الـدُّنْيَا لَنَـا ثُـمَّ وَلَّـتِ

---

(١) استكدَّه: طلب منه الكد.
(٢) اضمحل: ذهب وانحل.
(٣) غمرة الشيء: شدته ومزدحمه.

أسبابٌ تـُعين على الصبر[١]:

ولتسهيلِ المصائِبِ، وتخفيفِ الشّدائِدِ أسْبابٌ، إذا قارَنَتْ حَزْمًا، وصادَفَتْ عزْمًا، هَانَ وقْعُهَا، وقَلَّ تَأثِيُرهَا وضَرَرُهَا.

فمنْهَا استِشْعَارُ النّفْسِ بما تَعْلَمُهُ من نُزُولِ الفَنَاءِ، وتَقَـضِّي المُـسَار، وأنَّ لهـا آجالًا مُنصَرِمَةً، ومُدَدًا مُنقضية، إذ ليس للدّنيا حال تـدومُ، ولا لمخلـوقٍ فيهـا بقاءٌ. ورَوى ابن مسعود ﷺ، عن النبي أنّه قال: «**مَا مَثِلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إلا كَمَثَـلِ رَاكِبٍ، مَالَ إلى ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»[٢].

وسُئِلَ عليّ بن أبي طالب ﷺ عن الدّنيا، فقـال: تَغُـرُّ وتَـضُرُّ وتَمُرُّ. وسَـأَلَ بعضُ خلفاءِ بني العبّاسِ جليسًا لهُ عن الدّنيا، فقال: إِذَا أَقْبَلَتْ أَدْبَرَتْ. وقـال عمروبن عبيد: الدّنيا أمَدٌ، والآخرة أبَدٌ. وقـال «أنـوشروان: إن أحببـتَ أنْ لا تَغْتَمَّ، فلا تَقْتَنِ ما بهِ تَهْتَمّ، فأخذه بعض الشعراء، فقال:

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ الـدَّهْرَ مِـنْ سُـوءِ فِعْلِـهِ ... يُكَدِّرُ[٣] مَا أَعْطَى وَيَسْلُبُ مَا أَسْدَى

فَمَـنْ سَرَّهُ أَلاَّ يَـرَى مَـا يَـسُوؤُهُ ... فَـلا يَتَّخِـذْ شَـيْئًا يَخَـافُ لَـهُ فَقْـدَا

وأنشد بعض الحكماء:

لِحَكِيمِنَـا بِقْـرَاطُ خَـيْرُ فَـضِيلَةٍ ... وَوَصِيَّةٍ تَنْفِـي الْهُمُـومَ الرُّكَّـدَا[٤]

قَالَ الْهُمُومُ تَكُـونُ مِـنْ طبع الْـوَرَى ... فِي لُبْـثِ مَـا فِي طَبْعِـهِ أَنْ يَنْفَـدَا

---

(١) أدب الدنيا والدين من ص ٢٨١–٢٨٨.

(٢) أخرجـه ابن ماجـه (٤١٠٩)، والترمـذي (٢٣٧٧)، وأحمد (١/ ٣٩١)، والحاكـم (٤/ ٣١٠)، وأبو يعلى (٥٢٩٢)، وقـال الترمـذي: «حـديث حسن صحيح»، وقـال الحـاكم: «صـحيح عـلى شرط البخاري ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «على شرط البخاري ومسلم».

(٣) كدّر وتكدّر: نقيض صفا.

(٤) الركود: السكون والثبات.

فَــإِذَا افْتَنَيْــتَ مِــنَ الزُّجَاجَــةِ قَــابِلًا ... لِلْكَسْرِ فَانْكَسَرَتْ فَلاَ تَكُ مُكْمَدَا(١)

وأنشدني بعض أهل العلم لسعيدبن مسلم:

إِنَّـــمَا الـــدُّنْيَا هِبَـــاتٌ ... وَعَـــوَارٍ مُـــسْتَرَدَّهْ

شِـــدَّةٌ بَعْـــدَ رَخَـــاءٍ ... وَرَخَـــاءٌ بَعْـــدَ شِـــدَّةْ

عزاء النفس:

ولما قُتِلَ بُزُرْجَمْهَرُ وُجِد في جيبِ قميصِهِ رقعةٌ مكتوبٌ فيها: إذا لم يكن جدّ(٢) فَفِيمَ الكدّ(٣)؟، وإن لم يكن للأمرِ دوامٌ، ففيمَ السّرورُ؟ وإذا لم يرد الله دوامَ مُلكٍ ففيمَ الحيلة؟

وقال ابن الرومي:

رَأَيْــتُ حَيَــاةَ الْمَــرْءِ رَهْنًــا بِمَوْتِــهِ ... وَصِــحَّتَهُ رَهْنًــا كَــذَلِكَ بِالــسَّقْمِ

إِذَا طَابَ لِي عَـيْشٌ تَـنَغَّص(٤) طِيبـهُ ... بِصِدْق يَقَينِي(٥) أَنْ سيَذْهَبُ كَالْحُلْمِ

وَمَــنْ كَــانَ فِي عَــيْشٍ يُرَاعِــي زَوَالَــهُ ... فَذَلِكَ فِي بُـؤْسٍ وَإِنْ كَـانَ فِي نُعْـمِ

ومنها: أن يتصوّرَ انْجِلاءُ الشدائدِ، وانكشافَ الهمومِ، وأنها تَتَقَدَّرُ بأوقاتٍ لا تنصرمُ قبلها، ولا تستديمُ بعدها، فلا تَقْصُرُ بِجَزَعٍ، ولا تطولُ بصبرٍ، وأنَّ كلَّ يومٍ يمرُّ بها، يذهب منها بِشَطْرٍ ويأخذُ منها بنصيبٍ، حتى تنجليَ وهو عنها غافل.

---

(١) الكمد: الحزن الشديد.
(٢) الجدّ: الحظ.
(٣) الكد: الشدة والإلحاح في الطلب.
(٤) تنغص: تكدّر: وهي نقيض صفا.
(٥) في الأصل يقييني وهي تصحيف.

وحُكِيَ أنَّ الرشيد حبسَ رجلاً، ثم سألَ عنه بعد زمان، فقال للموكَّلِ بهِ: قُلْ لَهُ «أي للرشيد»: كُلُّ يومٍ يمضِي من نَعِيمِكَ، يمضي من بُؤسِي مِثْلُهُ، والأمرُ قريبٌ، والحكمُ لله تعالى. فأخذَ هذا المعنى بعضُ الشّعراءِ، فقالَ:

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمُ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ... ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دائِمًا أَبَدًا
لَكِنَّنِي عَالِمٌ أَنِّي وَأَنَّكُمُ ... سَنَسْتَجِدُّ خِلافَ الحَالَتَيْنِ غَدَا

وأُنشدت لبعض الشعراء:

عَوَاقِبُ مَكْرُوهِ الأُمُورِ خِيارُ ... وَأَيَّام ضُرٍّ لا تَدُومُ قِصَارُ
وَلَيْسَ بِبَاقٍ بُؤْسُهَا وَنَعِيمُهَا ... إِذَا كَرَّ لَيْلٌ ثُمَّ كَرَّ نَهَارُ

وأنشد عمر بن الخطاب ﵁ حين حضرته الوفاة:

أَلَمْ تَرَ أَنْ رَبَّكَ لَيْس تُحْصَى ... أَيَادِيهِ الحَدِيثَةُ وَالْقَدِيمَهْ
تَسَلَّ عَنِ الهُمُومِ فَلَيْسَ شَيءٌ ... يَقُومُ وَلاَ هُمُومُك بِالمُقِيمَهْ
لَعَلَّ الله يَنْظُرُ بَعْدَ هَذَا ... إِلَيْكَ بِنظْرَةٍ مِنْهُ رَحِيمَهْ

ومنها: أنْ يعْلَمَ أنّ فيما وُقِيَ من الرّزايا، وكُفِيَ من الحوادِثِ، ما هو أعظمُ من رزيته، وأشدّ من حادثَتِهِ، ليعلم أنه ممنوح بحسن الدفاع، ولذلك قال النبي ﷺ: «**إِنَّ لله تَعَالَى فِي أَثْنَاءِ كُلِّ مِحْنَةٍ مِنْحَة**». وقيل للشعبي في نائبة: كيف أصبحت؟ قال: بين نعمتين: خيرٍ منشورٍ، وشرٍّ مستُورٍ.

وقال بعض الشعراء:

لاَ تَكْرَهِ المَكْرُوهَ عِنْدَ حُلُولِهِ ... إِنَّ الْعَوَاقِبَ لَمْ تَزَلْ مُتَبَايِنَهْ
كَمْ نِعْمَةٍ لاَ تَسْتَقِلُّ بِشُكْرِهَا ... لله فِي طِيِّ المَكَارِهِ كَامِنَهْ

ومنها: أن يتأسَّى بِذَوي الغِيَرِ[1]، ويَتَسَلَّى بأُولى العِبَرِ، ويعلمَ أنّهمُ

(١) غِيَرُ الدهر: أحداثه المغيّرة، وذوي الغِيَرِ: أصحاب الأحداث الذين تبدلت حالهم.

الأكثرون عَدَدًا، والأسرعون مَدَدًا، فيستجدَّ مـن سَـلوة الأسَـى[١]، وحـسنِ العَزَاء، ما يخفِّفُ شَجْوَهُ[٢]، ويُقِلُّ هَلَعَهُ[٣].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: الصَقُوا بِذَوِي الْغِيَرِ، تَتَّسِعْ قُلُوبُكُمْ. وعلى ذلك كانت مراثي الشعراء، قال البحتري:

فَـلاَ عَجَـبٌ لِلأُسْـدِ إِنْ ظَفِـرَتْ بِهَـا   كِلاَبُ الأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَـمِ

فَحَرْبَةُ وَحْـشِيٍّ سَـقَتْ حَمْـزَةَ الـرَّدَى   ومَوَتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْن مُلْجَـمِ

وقال أبو نواس:

الْمَـــرْءُ مِـــنْ مَـــصَائِب لا تَنْقَـــضِي   حَتَّـى يُـوَارَى جِـسْمُهُ فِي رَمْـسِهِ

فَمُؤَجَّـــلٌ يَلْقَـــى الـــرَّدَى فِي أَهْلِـــهِ   وَمُعَجَّـلٌ يَلْقَـى الـرَّدَى فِي نَفْـسِهِ

ومنها: أنْ يعلمَ أنّ النعمَ زائِرَةٌ، وأنّها لا محالـةَ زائِلَـةٌ، وأنّ الـسّرورَ بهـا إذا أقبلَتْ، مَشُوبٌ بالحذَرِ من فراقِها إذا أدْبَرَتْ، وأنّها لا تُفْرِحُ بإقْبالِها فَرَحًا، حتّى تُعْقِبَ بفِراقها تَرَحًا[٤]؛ فَعَلَى قدرِ السّرورِ يكـونُ الحُـزْنُ. وقـد قيـل في منثـور الحكم: المفروحُ به، هو المحزونُ عليه.

وقيل من بلغَ غايةَ ما يحبُّ، فليتوقَّعْ غايةَ ما يكرَهُ. وقال بعض الحكماء: من علم أنَّ كُلَّ نائِبَةٍ إلى انقضاءٍ، حَسُنَ عزاؤُهُ عند نـزولِ الـبلاء. وقيـل للحـسن البصري -رحمه الله: كيف ترى الدنيا؟ قال: شغَلَنِي تَوَقُّعُ بلائِهَـا، عَـنِ الفَـرَحِ بِرَخائِهَا. فأخذه أبو العتاهية، فقال:

تَزِيـــــدُهُ الأَيَّـــــامُ إِنْ أَقْبَلَـــــتْ   شِــــدَّةُ خَــــوْفٍ لِتَــــصَارِيفِهَا

(١) أساه تأسية: عزّاه فتعزّى، والأسى: الحزن.
(٢) شجاه: حزنه، والشجو: الحاجة.
(٣) الهلع: أفحش الجزع.
(٤) الترح: الهم.

كَأَنَّهَا فِي حَالِ إِسْعَافِهَا تُسْمِعُهُ وَقْعَةَ تَخْوِيفِهَا

ومنها: أنْ يعلمَ أنّ سروره مقرون بمُساءة غيره، وكذلك حزنه مقرون بسرور غيره، إذ كانت الدنيا تنتقلُ من صاحب إلى صاحبٍ، وتصلُ صاحبًا بفراقِ صاحبٍ، فتكونُ سرورًا لمن وصلتْه، وحزنًا لمن فارقتهُ، وقد قال النبي ﷺ: «**مَا قُرِعَتْ عَصًا عَلَى عَصًا إِلاَّ فَرِحَ لَهَا قَوْمٌ، وَحَزِنَ آخَرُونَ**».

وقال البحتري:

مَتَى أَرَتِ الدُّنْيَا نَبَاهَةَ خَامِلٍ[(١)] فَلاَ تَرْتَقِبْ إِلاَّ خُمُولَ نَبِيهِ

وقال المتنبي:

بِذا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

وأنشد بعض أهل الأدب:

أَلاَ إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةُ[(٢)] أَيْكَةٍ إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جانِبٌ جَف جَانِبُ

فَلاَ تَفْرَحَنْ مِنْهَا لِشَيءٍ تُفِيدُهُ سَيَذْهَبُ يَوْمًا مِثْلَ مَا أَنْتَ ذَاهِبُ

وَمَا هِذِهِ الأَيَّامُ إِلاَّ فَجَائِعٌ وَمَا الْعَيْشُ وَاللَّذَاتُ إِلاَّ مَصَائِبُ

ومنها: أنْ يعلمَ أنّ طوارقَ الإنسان من دلائِلِ فضلِهِ، ومِحَنَهُ من شواهدِ نُبْلِهِ[(٣)]؛ وذلك لإحدى عِلَّتَيْنِ: إمّا لأنَّ الكمالَ مُعْوِزٌ[(٤)]، والنقص لازِمٌ، فإذا تواتَرَ الفضْلُ عليهِ صارَ النّقصُ فيما سِواهُ. وقد قيل: من زادَ في عقلِهِ، نَقَصَ من رِزْقِهِ. وَرُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا انْتُقِصَتْ جَارِحَةٌ مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا كَانَتْ ذَكَاءً فِي عَقْلِهِ**».

---

(١) خمل: خفي، وخامل ساقط لا نباهة له.

(٢) الغضارة: الطين اللازب الأخضر الحر، والأرض الطيبة الخضراء.

(٣) النبل: الذكاء والنجابة.

(٤) عوز الشيء: لم يوجد.

وقال أبو العتاهية:

مَـا جَـاوَزَ الْمَـرْءُ مِـنْ أَطْرَافِـهِ طَرَفًـا   إِلاَّ تَخَوَّنَـهُ النُّقْـصَانُ مِـنْ طَـرَفِ

وأنشدني بعض أهل الأدب لإبراهيم بن هلال الكاتب:

إِذَا جَمَعَـتْ بَـيْنَ امْـرَأَيْنِ صِـنَاعَةٌ   فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِي الذِي هُوَ أَحْـذَقُ

فَـلاَ تَتَفَقَّـدْ مِـنْهُمَا[1] غَـيْرَ مَـا جَـرَتْ   بِـهِ لَهُـمَا الأَرْزَاقُ حِـينَ تَفَرَّقُـوا

فَحَيْثُ يَكُونُ النَّقْصُ فَـالرِّزْقُ وَاسِـعٌ   وَحَيْثُ يَكُونُ الْفَضْلُ فَالرِّزْقُ ضَـيِّق

وإما لأن ذا الفضل محسود، وبالأذى مقصود، فلا يسلم في برّه مـن مُعـادٍ، واشتطاط[2] مناوٍ. وقال الصنوبري:

مِحَنُ الْفَتَى يُخْـبِرْنَ عَـنْ فَـضْلِ الْفَتَـى   كَالنَّـارِ مُخْـبِرَةً بِفَـضْلِ الْعَنْـبَرِ

وقلّما تكونُ مِحْنَةُ فاضلٍ إلاّ من جهةِ ناقصٍ، وبَلْوَى عالمٍ إلاّ على يد جاهِلٍ، وذلك لاستحكام العداوةِ بينهُمَا بالمبايَنَةِ، وحدوث الانتقام لأجلِ التقدم، وقد قال الشاعر:

فَـلاَ غَـرْوَ أَنْ يُمْنَـى عَلِـيمٌ بِجَاهِـلٍ   فَمِنْ ذَنَبِ التِّنِّينِ[3] تَنكَسِفُ الشَّمْسُ[4]

ومنها: ما يعتاضُه من الارْتياضِ بنوائبِ عصْرِهِ، ويستفيدُهُ من الحنكة ببلاءِ دهرِهِ، فَيَصْلُبُ عُودُهُ، ويستقيمُ عمودُهُ، ويكمل بأدنى شدته ورخائه، ويـتعظ بحالة عَفوِهِ وبلائِهِ. حُكِيَ عن ثعلبٍ قال: دخلت على عبيدالله بن سـليمان بـن وهب وعليه خِلَعُ الرضا بعد النكبة؟ فلما مَثَلْتُ بين يديه قال لي: يا أبا العباس،

(١) في الأصل منها وهي تحريف.

(٢) اشتطّ: تجاوز القدر المحدود، وتباعد عن الحق.

(٣) أصل التنين: الحية العظيمة. وهو هنا: نجم من نجوم السماء ولـيس بكوكـب. ولكنـه بيـاض خفـي يكون جسده في ستة بروج، وذنبه في السابع، دقيق أسـود فيـه التـواء، وهـو يتنقـل تنقـل الكواكـب الجواري. (عن تاج العروس).

(٤) انكسفت الشمس: احتجبت.

اسمع ما أقول:

نَوَائِبُ الدَّهْرِ أَدَّبَتْنِي ... وَإِنَّمَا يُوعَظُ الأَدِيبُ
قَدْ ذُقْتُ حُلْوًا وَذُقْتُ مُرًّا ... كَذَاكَ عَيْشُ الْفَتَى ضُرُوبُ
لَمْ يَمْضِ بُؤْسٌ وَلاَ نَعِيمٌ ... إِلاَّ وَلِي فِيهِمَا نَصِيبُ
كَذَاكَ مَنْ صَاحَبَ اللَّيَالِي ... تَغْذُوهُ مِنْ دَرِّهَا[١] الْخُطُوبُ

فقلت: لمن هذه الأبيات؟ قال: لي.

ومنها: أنْ يختبرَ أمور زمانه، ويتنبّه على صلاح شانِه، فلا يغتَّر برخاء، ولا يطمَعَ في استواء، ولا يؤملَ أن تبقى الدّنيا على حالة، أو تخلوَ من تقلب واستحالةٍ، فإنَّ من عرف الدنيا، وخبر أحوالها، هانَ[٢]عليه بؤْسُها ونعيمها. وأنشد بعض الأدباء:

إِنِّي رَأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا ... فَتَرَكْتُ مَا أَهْوَى لِمَا أَخْشَى
فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَعَالَمِهَا ... فَإِذَا جَمِيعُ أُمُورِهَا تَفْنَى
وَبَلَوْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا فَإِذَا ... كُلُّ امرِئٍ فِي شَأْنِهِ يَسْعَى
أَسْنَى مَنَازِلِهَا وَأَرْفَعُهَا ... فِي الْعِزِّ أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَهْوَى
تَعْفُو مَسَاوِيهَا مَحَاسِنَهَا ... لاَ فَرْقَ بَيْنَ النَّعْيِ وَالْبُشْرَى
وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ فَمَا ... مَيَّزْتُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْمَوْلَى
أَتَرَاكَ تَدْرِي كَمْ رَأَيْتَ مِنَ الأَحْـ ... ـيَاءِ ثُمَّ رَأَيْتَهُمْ مَوْتَى

فإذا ظفر المصابُ، بأحد هذه الأسباب، تخففت عنه أحزانه، وتَسَهَّلَتْ عليه أشجانُه[٣]فصارَ وَشِيكَ السَّلْوَةِ، قَلِيلَ الجَزعِ، حسنَ العزاءِ. وقال بعض

---

(١) الدَّرّ: اللبن.
(٢) هان: سهل.
(٣) الشجن: الهم والحزن.

الحكماء: من حاذرَ لم يَهْلَعْ ومنْ راقَبَ لم يَجْزَعْ، ومن كان متوقِّعًا، لم يكنْ متوجِّعًا. وقال بعض الشعراء:

إِنَّمَا الدُّنْيَا سُرُورٌ وَحُزُونُ ... مَا يَكُونُ الأَمْرُ مَهْلًا كُلُّهُ

قَلَّ مَا هَوَّنْتَ إِلا سَيَهُونُ ... هَوِّنِ الأَمْرَ تَعِشْ فِي رَاحَةٍ

ضَلَّ مَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا لاَ يَكُونُ ... تَطْلُبُ الرَّاحَةَ فِي دَارِ الْعَنَا

فإن أغفل نفسه عن دواعي السلوة، ومنعها من أسباب الصبر، تضاعف عليه من شدة الأسىَ، وهمّ الجزعِ، ما لا يُطيقُ عليه صبرًا، ولا يجدُ عنه سُلُوًا. وقال ابن الرومي:

إِنَّ الْبَلاَءَ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ ... فَإِذَا تَضَاعَفَ صَارَ غَيْرَ مُطَاقِ

فإذا ساعده جزعه بالأسباب الباعثة عليه، وأمده هلعه[١] بالذرائع الداعية إليه، فقد سعى في حَتْفِهِ، وأعانَ عَلَى تَلَفِهِ.

أسباب الجزع:

فمن أسبابِ ذلك: تَذَكُّرُ المصابِ حتى لا يتناساه، وتصوُّرُهُ حتّى لا يَعْزُبُ عنه، ولا يجدُ من التذكار سَلْوَةً، ولا يخلطُ مع التصوّر تعزية.

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تستفزُّوا الدّموع بالتذكّر.

وقال الشاعر:

* وَلاَ يَبْعَثُ الأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ *

ومنها: الأسَف وشدة الحسرة، فلا يَرَى من مصابه خَلَفًا، ولا يجد لمفقوده بدلًا، فيزادُ بالأسف وَلَهًا، وبالحسرةِ هَلَعًا. ولذلك قال الله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا

---

(١) الهلع: أفحش الجزع.

تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[١].

وقال بعض الشعراء:

إِذَا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الذِي يَكشِفَ الْبَلْوى هُو الله

إِذَا قَضَى الله فَاسْتَسْلِمْ لِقُدْرتِهِ ... مَا لِامْرِئٍ حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى الله

الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ ... لاَ تَيْأَسَنَّ فَإِنَّ الصَّانِعَ الله

ومنها: كثرة الشكوَى، وبثُّ الجزَعِ، فقد قيل في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[٢] : إنه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بثّ. رَوى أنسُ بن مالك أنّ النبي ﷺ قال: «**مَا صَبَرَ مَنْ بَثَّ**»[٣]. وحَكَى كعبُ الأحبارِ، أنّه مكتوبٌ في التوراة: من أصابتهُ مصيبةٌ فشكا إلى النّاس، فإنما يشكو ربه. وحُكِيَ أنَّ أعرابية جاءت من البادية إلى مدينةٍ، فسمعت صراخًا في دار، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان. فقالت: ما أراهم إلاّ من ربهم يَستغيثون، وبقضائه يتبرَّمون، وعن ثوابه يرغبون. وقد قيل في منثور الحكم: من ضاق قلبه اتسع لسانه. وأنشد بعض أهل العلم:

لاَ تُكْثِرِ الشَّكْوَى إِلَى الصَّدِيقِ ... وَارْجَعْ إِلَى الْخَالِقِ لاَ الْمُخْلُوقِ

* لاَ يَخْرُجُ الْغَرِيقُ بِالْغَرِيقِ *

وقال بعض الشعراء:

لاَ تَشْكُ دَهْرَكَ مَا صَحَحْتَ بِهِ ... إِنَّ الْغِنى هُوَ صِحَّةُ الْجِسْمِ

---

(١) الحديد: ٢٣.

(٢) المعارج: ٥ .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٤٧، ١٠٠٥٠) عن ابن عمر –رضي الله عنهما، وقال أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٩٧) : «غريب».

هَبْكَ الْخَلِيفَةَ كُنْتَ مُنْتَفِعًا ... بِغَضَارَةِ[1] الدُّنْيَا مَعَ السُّقْمِ

ومنها: اليأس من جَبْرِ مُصَابِهِ، ودَرْكَ طِرِبه، فيقترن بحزن الحادثة قنوط الإِياس، فلا يبقى معهما صبر، ولا يتسع لهما صَدْرٌ. قد قيل: المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين.

وقال ابن الرومي:

اصْبِرِي أَيَّتُهَا النَّفْـ ... ـسُ فَإِنَّ الصَّبْرَ أَحْجَى[2]

رُبَّمَا خَابَ رَجَاءٌ ... وَأَتَى مَا لَيْسَ يُرْجَى

وأنشدني بعض أهل العلم:

أَتَحْسَبُ أَنَّ الْبُؤْسَ لِلْحُرِّ دَائِمٌ ... وَلَوْ دَامَ شَيءٌ عَدَّهُ النَّاسُ فِي الْعَجَبْ

لَقَدْ عَرَّفَتْكَ الْحَادِثَاتُ بِبُؤْسِهَا ... وَقَدْ أَدَّبَتْ إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الأَدَبْ

وَلَوْ طَلَبَ الإِنْسَانُ مِنْ صَرْفِ دَهْرِهِ ... دَوَامَ الذِي يَخْشَى لأَعْيَاهُ مَا طَلَبْ

ومنها: أن يُعْزَى بملاحظة من حِيطَتْ سَلاَمَتُهُ، وحُرِسَتْ نعمتهُ، حتى التحفَ بالأمنِ والدَّعَةِ، واستمتعَ بالثروةِ والسَّعَةِ، ويرى أنّه قد خُصَّ من بينهم بالرزية، بعد أن كان مساويًا، وأفرد بالحادثة بعد أن كان مكافيًا، فلا يستطيعُ صَبْرًا على بَلْوَى، ولا يلزم شكرًا على نُعْمَى، ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في الرّزية، وساواه في الحادثة، لتكافأ الأمرانِ، فهانَ عليه الصّبرُ، وحانَ منه الفرجُ.

وأُنْشِدْتُ لامرأة من العرب:

أَيُّهَا الإِنْسَانُ صَبْرًا ... إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا

كَمْ رَأَيْنَا الْيَوْمَ حُرًّا ... لَمْ يَكُنْ بِالأَمْسِ حُرًّا

---

(١) غضارة الدنيا: النعمة والسعة والخصب.

(٢) الحجا: العقل والفطنة.

مَلَـــكَ الــــصَّبْرَ فَأَضْـــحَى ... مَالِكًـــا خَـــيْرًا وَشَرًّا
اشْرِبِ الــــصَّبْرَ وَإِنْ كَـــا ... نَ مِـــنَ الـــصَّبْرِ أَمَـــرًّا

وأُنشدت لبعض أهل الأدب:

يُرَاعُ الْفَتَـى لِلْخَطْـبِ تَبْـدُو صُـدُورُهُ ... فَيَأْسَـى وَفِي عُقْبَـاهُ يَـأْتِي سُرُورُهُ
أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللَّيْـلَ لَمَّـا تَرَاكَمَـتْ ... دُجَاهُ بَـدَا وَجْـهُ الـصَّبَاحِ وَنُـورُهُ
فَـلاَ تَـصْحَبَنَّ الْيَـأْسَ إِنْ كُنْـتَ عَالِمًـا ... لَبِيبًـا فَـإِنَّ الـدَّهْرَ شَـتَّى أُمُـورُهُ

الصبر على المصائب:

واعلم أنه قَلَّ من صبر على حادثة، وتماسك في نكبة، إلاّ كان انكشافها وشيكًا، وكان الفرج منه قريبًا.

أخبرني بعض أهل الأدب أن أبا أيوب الكاتب حُبِس في السجن خمس عشرة سنة حتى ضاقت حِيلتُه، وقلَّ صبرُهُ، فكتب إلى بعض إخوانه، يشكو له طول حبسه، فرد عليه جواب رقعته بهذا:

صَـبْرًا أَبَـا أَيُّـوبَ صَـبْرَ مُـبَرَّحِ ... فَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْخُطُوبِ فَمَنْ لَهَا؟
إِنَّ الـذِي عقَـدَ الـذِي انْعَقَـدَتْ لَـهُ ... عُقَـدُ الْمَكَـارِهِ فَهْـوَ يَمْلِـكُ حَلَّهَـا
صَـبْرًا فَـإِنَّ الـصَّبْرَ يَعْقُـبُ رَاحَـةً ... وَلَعَلَّهَـا أَنْ تَـنْجَلِي وَلَعَلَّهَـا

فأجابه أبو أيوب يقول:

صَـبَّرْتَنِي وَوَعَظْتَنِـي وَأَنَـا لَهَـا ... وَسَـتَنْجَلِي بَـلْ لاَ أَقُـولُ لَعَلَّهَـا
وَيَحُلُّهَـا مَـنْ كَـانَ صَـاحِبَ عَقْـدِهَا ... كَرَمًـا بِـهِ إِذْ كَـانَ يَمْلِـكُ حَلَّهَـا

فلم يلبث بعد ذلك في السجن إلاّ أيامًا، حتى أطلق مكرمًا.

وأنشد ابن دريد عن أبي حاتم:

إِذَا اشْـتَمَلَتْ عَـلَى الْيَـأْسِ الْقُلُـوبُ ... وضَـاقَ لِمَـا بِـهِ الـصَّدْرُ الرَّحِيـبُ

وَأَوْطَنَــتِ المَكَـــارِهُ وَاطْمَأَنَّـــتْ وَأَرْسَــتْ فِي مَكَامِنِهَــا الخُطُــوبُ
وَلَمْ تَــرَ لِانْكِــشَافِ الــضُّرِّ وَجْهًــا وَلاَ أَغْنَــى بِحِيلَتِـــهِ الأَرِيـــبُ
أَتَــاكَ عَــلَى قُنُــوطٍ مِنْــكَ غَــوْثٌ يَمُــنُّ بِــهِ اللَّطِيــفُ المُــسْتَجِيبُ
وَكُـــلُّ الحَادِثَـــاتِ إِذَا تَنَاهَـــتْ فَمَوْصُــول بِهَــا الْفَــرَجُ الْقَرِيــبُ

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله[1]:

دَعِ الأَيَّـــامَ تَفْعَـــلُ مَـــا تَـــشَاءُ وَطِـبْ نَفْـسًا إِذَا حَكَـمَ الْقَـضَاءُ
وَلاَ تَجْــــزَعْ لِحَادِثَــــةِ اللَّيَــــالِي فَــــمَا لِحَــوَادِثِ الــدُّنْيَا بَقَــاءُ
وَكُــنْ رَجُــلاً عَــلَى الأَهْــوَالِ جَلْــدًا وَشِــيمَتُكَ الــسَّمَاحَةُ وَالْوَفَــاءُ
تَــسَتَّرْ بِالــسَّخَاءِ فَكُــلُّ عَيْــبٍ يُغَطِّيـــهِ كَـــمَا قِيـــلَ الـــسَّخَاءُ
وَرِزْقُـــكَ لَـــيسَ يُنْقِــصُهُ التَّــأَنِّي وَلَــيْسَ يَزِيــدُ فِي الــرِّزقِ الْعَنَــاءُ
وَلاَ حُـــــزْنٌ يَــــدُومُ وَلاَ سُرُورٌ وَلاَ بُـــؤْسٌ عَلَيْــكَ وَلاَ رَخَـــاءُ

وقال الشاعر:

هِــي القَنَاعَــةُ فَالْزَمْهَــا تَعِــشْ مَلِكًــا لَوْ لَمْ يَكُــنْ مِنْهَــا إلاّ رَاحَــةُ البَــدَنِ
وانَظُــرْ لِمَــنْ مَلَــكَ الــدُّنْيَا بِأَكْمَلِهَــا هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَـيْرِ القُطْـنِ والْكَفَـنِ[2]

عسر اليوم ويسر الغد:

قال ابن زنجي البغدادي:

أَقُــولُ للــنَّفْسِ: صَــبْرًا عِنْــدَ نَائِبَــةٍ فَعُسْرُ يَوْمِكَ مَوْصُـولٌ بِيُسْرِ غَـدِ

---

(١) ديوان الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله ص: ١٥، ١٦ الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
(٢) المستطرف للأبشيهي.

مَـــا سَرَّنِي أنَّ نَفْــسِي غَـــيرُ قانعـــةٍ وأن أرْزَاقَ هَذا الخَلْقِ تَحْتَ يَـدِي(١)

الراحة في القناعة:

إنَّ القَنَاعَــة مَــنْ يَحْلُــلْ بِـسَاحَتِهَا لَمْ يَلْـقَ فِي ظِلِّهَـا مِمَّـا يُؤَرِّقُـهُ(٢)

كلمات مضيئة في الصبر

١ـ الأحرار هم الذين يصبرون على البلاء والشدائد في كل حين.

يقول أبو فراس:

الحُـرُّ يَــصْبِرُ مـا أَطَــاقَ تَــصَبُّرًا فِي كُـــلِّ آوِنَـــةٍ وَكُـــلِّ زَمَـــانِ

٢ ـ والإنسان عليه بالصبر في كل مصيبة وكل نازلة مهما ناله من تعب.

يقول أبو العتاهية:

اصْـــبِرْ لِكُـــلِّ مُــصِيبَةٍ وتَجَلَّـــدِ واعْلَــمْ بــأَنَّ المَـرءَ غَـيْرُ مُخَلَّـدِ

٣ ـ والصبر شيمة العظماء ذوي الهمم العالية.

يقول المتنبي:

صَــبْرًا بَنِــي إسْــحَاقَ عَنْـهُ تَكَرُّمًــا إنَّ العَظـيمَ عَـلَىَ العَظِـيمِ صَـبُور

٤ ـ الأمور تجري بالمقادير، فماذا يفعل غير الصابرين إن اعتسفهم الألم وأمضتهم الأحزان نتيجة الحرمان والشدائد؟ لا شيء غير الصبر.

وهذا ما قاله البارودي:

إِذَا المَـرءُ لمْ يَـصْبِرْ عَـلَى مَـا أَصَــابَهُ فَــمَاذَا تُــرَاهُ فِي المُقَــدَّر يَــصْنَعُ

ومثلُــكَ مَــنْ دارَ الأمــورَ بعقلِــهِ وأَدْرَكَ مِنَهــا مَــا يَــضُرُّ ويَنْفَــعُ

(١) روضة العقلاء لأبي حاتم البستي.

(٢) المستطرف للأبشيهي.

فـلا تُعْطِـينَّ الحُـزنَ قلبَـكَ واسْـتَعِنْ عَلَيْهِ بِصَبْرٍ فَهْـوَ في الحُـزنِ أَنْجَـعُ

٥ ـ وأصحاب الصبر لا تنال منهم الشدائد، بـل هـم يظلـون عـلى قـوتهم وعلى صفاتهم، متمسكين بمبادئهم.

يقول أحمد شوقي:

الـصَّابِرِينَ إذا حَـلَّ الـبَلاءُ بِهِـمْ كَاللَّيْثِ عَضَّ عَلَى نَابَيْهِ فِي الثُّـوَبِ

٦ ـ والإنسان من قديم يعتز بكفاحه ويفتخرُ بصبره، إذ هو علامة الشهامة والإباء والشمم.

يقول عنترة:

فَلَـمْ أَرَ حَيًّـا صَـابَرُوا مِثْـلَ صَـبْرِنَا ولا كَافَحُوا مِثْلَ الذِينَ... نُكَـافِحُ

٧ ـ وعلى المرء أن يتزود من الصبر كثيرًا؛ لأن النائبات كثـيرات والـشدائد ليست قليلة، يقول الحطيئة:

عُـدّي الـسِّنِينَ لِغَيْبَتِـي وتَـصَبَّرِي ودَعِـي الـشُّهُورَ فَـإنَّهُنَّ قِـصَارُ

٨ ـ والزمن شديد التحوّل والتغير، والإنـسان إن سـلم فيـه حينًـا فهـو لا يسلم في كل حين، والصبر علاج ذلك:

وقد جاء في مجمع الأمثال:

* دَواءُ الـدَّهْرِ الـصَّبْرُ عَلَيْـهِ *

وجاء أيضًا:

* هُـوَ الـدَّهْرُ وعِلاجُـهُ الـصَّبْرُ *

٩ ـ واعتبر الصبر على المحنة إيذانًا بزوالها وانقشاع غمتها فقالوا:

* الـصَّبْرُ مِفْتَـاحُ الفَـرَجِ *

١٠ ـ والصبر على الوقوع في الحرمات أخف وطأة مـن الوقـوع في عـذاب

الله.

وقد جاء في مجمع الأمثال:

صَبْرُكُ على محارم الله أيسرُ مِن صَبْرك على عذاب الله.

١١ ـ إن المسلم في سبيل إظهار الحق وإخراج الإسلام مـن دائـرة الكـتمان والتحريف يقبل السجن والتعذيب وشتى صنوف الابـتلاء، وهـو بهـذا يعيـد للأذهان منطق ابن آدم الأول في أن يعرض دعوة الله على الناس ولا يقبل منهم دعاواهم الباطلة، وغايته في هذا ألا يعـرض رأيـه ويبلـغ دعوتـه بـالقوة، ولا يتنازل عن رأي أو فكر خوفًا من القوة، وأن يتحمل المصاعب من أجل المبـدأ دون فرض لهذه المصاعب والآلام على الآخرين[1].

١٢ ـ وتكاد ضروب الخير تقتصر على الذين يصبرون في الشدائد.

ولاَ خَـيْرَ فِي مَـنْ لَمْ يُـوطِّنْ نَفْـسَهُ ... عَلَى نَائِبَـاتِ الـدَّهْرِ حِينَ تَنُـوبُ

***

ورأسُ مالِـكَ وهـيَ الـروحُ إنْ سـلمتْ ... لا تَأْسَـفَنَّ لِـشَيءٍ بعـدَهَا ذهَبَـا

مـا كنـتَ أوَّلَ مَفْجُـوعٍ بحادثـةٍ ... كَذَا مَضَى الدَّهْرُ لا بِـدْعًا ولا عَجَبـا

الثبات:

لأبي تمام (حبيب بن أوس):

فَأَثْبَـتَ فِي مُـسْتَنْقَعِ المَـوْتِ رجلَـهُ ... وَقَالَ لَهَا مِـنْ تَحْـتِ أَخْمُـصِكَ الحَـشْرُ

تَـردَّى ثِيَـابَ المَـوْتِ حُمْـرًا فَـمَا أَتَـى ... لَهَا اللَّيْلُ إِلاّ وَهْي مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

بلاء شديد:

وقال الشاعر:

---

(١) مذهب ابن آدم الأول، جودت سعيد ـ المركز العربي للكتاب «الإمارات».

بَـــلاَءٌ لَـــيْسَ يُــــشْبِهُهُ بَـــلاَءٌ عَـدَاوُة غَـيْرِ ذِي حَـسَب ودِيـنِ
يُبِيحُـــكَ مِنْـــهُ عِرْضًـــا لَمْ يَــصُنْهُ ويَرْتَعُ مِنْكَ فِي عِرْضٍ مَـصُونِ(١)

مختارات من الشعر في الصبر على البلاء

ثبات وتجلد:

قال الشاعر:

قَدْ عِشْتُ فِي الدَّهْرِ أَلْوَانًا عـلى خُلُـقٍ شَتَّى وقَاسَيْتُ فِيهِ اللِّـينَ والطَّبْعَـا
كُـلاًّ لَبِـسْتُ فَـلا الـنَّعْماءُ تُبطِـرُني ولاَ تَعوَّدْتُ مِنْ مَكْرُوهِهَا جَـشَعَا
لاَ يَمْلأُ الأَمْـرُ صَـدْرِي قَبْـلَ مَوْقِعِـهِ ولاَ أَضِـيقُ بِـهِ ذَرْعَـاً إِذَا وَقَعَـا(٢)

في الإحجام ضياع:

قال ابن عرفة:

خَـاطِرْ بِنَفْـسِكَ لاَ تَقْعُـدْ بِمعْجِـزَةٍ فَلَـيْسَ حُـرٌ عَـلَى عَجْـزٍ بِمَعْـذُورِ
إِنْ لَمْ تَنَـــلْ فِي مَقَـــامٍ مَـــا تُطَالِبُـــهُ فَأَبْـــلِ عُـــذْرًا بِـــإِدْلاَجٍ وتَهْجِـــيرِ
لَــنْ يَبْلُــغَ المَــرءُ بالإحْجَــامِ هِمَّتَــهُ حَتَّـــى يُبَاشِرَهَـــا مِنْـــهُ بِتَغْرِيـــرِ
حَتَّــى يُواصِــلَ فِي أَنْحَــاء مَطْلَبِهَــا سَهْلاً بِحَـزنٍ وانْجَـادًا بِتَغْـوِيرِ(٣)

عزاء:

قال الشاعر:

اصْــــبِرْ لِكُــــلِّ مُــــصِيبَةٍ وتجلَّــــدِ واعْلَــمْ بِــأَنَّ المَــرءَ غَــيرُ مُخَلَّــدِ
وإِذَا ذَكَــــرْتَ مُحَمَّــــدًا ومُــــصَابه فـاذْكُرْ مُـصَابَك بـالنَّبِيِّ مُحَمَّـدِ(٤)

أهمية التجمل:

قال علي بن الجهم:

---

(١) العقد الفريد .
(٢) الأمالي لأبي علي القالي.
(٣،٢) الأمالي لأبي علي القالي.

وعَاقِبَــةُ الــصَّبْرِ الجَمِيــل جَمِيلَــةٌ وأَفْضَلُ أَخْلاَقِ الرِّجَالِ التَّفَـضُّلُ
وَلاَ عَـارَ إِنْ زَالَـتْ عَـن المَـرءِ نِعْمَـةٌ ولَكِنَّ عَارًا أنْ يَـزُولَ التَّجمُّـلُ[1]

يوم يسر ويوم عسر:

قال الشاعر:

إِذَا مَــا أَتَــاكَ الــدَّهْرُ يَوْمًــا بِنَكْبَــةٍ فَأَفْرِغْ لَهَا صَبْرًا ووسِّع لَهَـا صَـدْرًا
فَــإِنَّ تَــصَارِيفَ الزَّمَــانِ عَجِيبَــةٌ فَيَوْمًا تَرى يُسْرًا وَيَوماً تَرَى عُسْرًا[2]

لا تأسَ على شيء:

قال الشاعر:

دَعِ المَقَــادِيرَ تَجْــرِي فِي أَعِنَّتِهَــا وَلاَ تَبِيــتَنَّ إِلاَّ خَــالِيَ البَــالِ
مَـا بَـيْنَ غَمْـضَةِ عَـيْنٍ وانْتِبَاهَتِهَـا يُغَـيِّرُ الله مِـنْ حَـالٍ إِلَى حَـالِ[3]

تجلُّد:

فَــإِنْ تَــكُ الأَيَّــامُ فِينَــا تَبــدَلتْ بِنُعمي وَبُؤْسِيَ والحَـوادِثُ تَفْعَـلُ
فَــمَا لَيَّنَــتَ مِنَّــا قَنَــاةً صَــلِيبَةً ولاَ ذَلَّلْتَنَــا لِلَّتِــي لَــيْسَ تَجْمُــلُ

يُبتلى الرجل على قدر دينه:

عَـلَى قَـدْرِ فَـضْلِ المَـرءِ تَـأْتِي خُطُوبُـهُ ويُعْـرفُ عَنْـهُ الـصَّبْرُ فِـيمَا يُـصِيبُهُ
ومَــنْ قَــلّ فِــيمَا يَتَّقِيــهِ اصْــطِبَارُهُ فَقَــدْ قَــلَّ مِمَّــا يَرْتَجِيــهِ نَــصِيبُهُ

وسيلة ناجحة:

إِنِّي رَأَيْــتُ وفِي الأَيَّــامِ تَجْرِبَــةٌ لِلصَّبْرِ إن عُملت مَحْمُـودةُ الأَثَـرِ
وقَــلَّ مَــنْ جَــدَّ فِي أَمْــرٍ تَطَلَّبَــهُ واستَّصْحَبَ الصَبْرَ إلاَّ فَازَ بالظَفَرِ

---

(١) نهاية الأرب للنويري.

(٢،٥) المستطرف للأبشيهي.

التحدي:

تَنكَّــرَ لِي دَهْــرِي ولَمْ يَــدْرِ أَنَّنِــي أَعِــزُّ وأَحْــدَاثُ الزَّمَــانِ تَهُــونُ
وبَاتَ يُرِينِي الخَطْبَ كَيْفَ اعْتِداؤُهُ! وبِـتُّ أُرِيـهِ الـصَّبْرَ كَيْـفَ يَكُـونُ

صبر لا ملامة:

وإنْ جَــاءَ أَمْــرٌ لا تُطِيقَــانِ دَفْعَــهُ فَلا تَجْزَعَـا مِمَّا قَـضَى الله واصْـبِرَا
أَلَمْ تَرَيَـــا أنْ المَلاَمَـــةَ نَفْعُهَـــا قَلِيــلٌ إذَا مَــا الــشَّيءُ ولَّى وأَدْبَــر
تهِــيجُ البُكَــاءَ والندامــةَ ثُــمَّ لاَ تُغـيِّرُ شَـيْئًا غَـيْرَ مَـا كَـانَ قُـدِّرا

طريق الفضلاء:

ومَا فَـازَ أَهْـلُ الفَـضْلِ إلا بِـصَبِّرِهِمُ عَـن الـشَّهَواتِ واحْـتِمَالِ المَكَـارِهِ

صبر على الجد والمثابرة:

لا تَحْـسَبِ المَجْـدَ تَمْـرًا أَنْـتَ آكِلُـهُ لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الـصَّبَرا

انتظار الفرج بعد الشدَّة

إن مع العسر يسرا:

قال إبراهيم الحولي:

ولَــرُبَّ نَازِلَــةٍ يَــضِيقُ بِهَــا الفَتَــى ذَرْعًــا وعِنْــدَ الله مِنْهَــا المَخْــرَجُ
ضَــاقَتْ فلـمَّا اسْـتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَـا فُرِجَتْ وكَانَ يَظُنُّهَـا لاَ تُفْـرَجُ(١)

أمل:

قال عبد الله بن الزبير الأسدي:

لاَ أَحْـسَبُ الـشَّرَّ جَـارًا لا يُفَـارِقُنِي وَلاَ أَحـزُّ عَـلى مَـا فَـاتَنِي الوَدَجَـا
وَمَــا نَزَلْــتُ مِــن المَكْــرُوهِ مَنْزِلَــةً إلاّ وَثِقْتُ بِأَن للفتى لها فَرَجًا(١)

(١-٤) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

فَرَجًــــــــــــــــــــــــا[١]

هكذا الحياة:

قال أبو الحسن بن فارس:

وقَـالُوا كَيْـفَ حَالُـكَ قُلْـتُ خَـيْرٌ تُقَـضَّي حَاجَـةٌ ويَفُـوتُ حَـاجُ
إِذَا ازْدَحَمَــتْ هُمُــومُ الــصَّدْرِ قُلْنَــا عَسَى يَـومٌ يَكُـونُ لَهَـا انْفِـرَاجُ[٢]

ضراعة:

قال أعرابي:

وإِنِّي لأُغْـضِي مُقْلَتَـيَّ عَـلَى القَـذَى وأَلْبَسُ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَبْـيَضَ أَبْلَجَـا
وإِنِّي لأَدْعُــو الله والأَمْــرُ ضَـيِّقٌ عَــلَيَّ فَــمَا يَنْفَــكُّ أَنْ يَتَفَرَّجَــا
وَكَمْ مِنْ فَتًى ضَـاقَتْ عَلَيْـهِ وُجُوهُـهُ أَصَابَ لَهَـا فِي دَعْـوَةِ الله مَخْرَجَـا[٣]

أمل:

وقال الشاعر:

عَـسَى الهَـمُّ الَّـذِي أَمْـسَيْتَ فِيـهِ يَكُــونُ وَرَاءَهُ فَــرَجٌ قَرِيــبُ
فَيَــأْمَنُ خَــائِفٌ، ويُغَــاثُ عَــانٍ ويَـأْتِي أَهْلَـهُ النَّـائِي الغَرِيـبُ[٤]

وقال علي بن أبي طالب:

إِنِّي أَقُولُ لِنَفْسِي وَهْـي ضَـيِّقَةٌ وَقَـدْ أَنَـاخَ عَلَيْهَـا الـدَّهْرُ بِالعَجَـبِ
صَـبْرًا عَـلَى شِـدَّةِ الأَيَّـامِ إِنَّ لَهَا تُحْصِى ومَـا الـصَّبْرِ إلاّ عِنـدَ ذِي الحَسَبِ
سَيَفْتَحُ الله عَنَ قُـرْبٍ بِنَافِعَـةٍ فِيهَــا لِمِثْلِـكَ رَاحَـاتٌ مِـن التَّعَـبِ[٥]

وقال الشاعر:

إِذَا الحَادِثَـــاتُ بَلَغْــــنَ المَــــدَى وكَــادَتْ تَــذُوبُ لَهُــنَّ المُهَــجْ

---

(٤) المستطرف للأبشيهي.

(٥-٣) الفرج بعد الشدة للتنوخي.

وجَـلَّ الـبَلاءُ وقَـلَّ العَـزَاءُ فَعِنْدَ التَنَـاهِي يَكُـونُ الفَـرَجْ[(١)]

هكذا الحياة:

إنْ سَـاءَ يَـوْمُ مِـن الأَيَّـامِ سَرَّ غَـدٌ أو سُدَّ بـابُ سَبِيلٍ فُتِّحَتْ سُبُلُ
وهَكَـذَا الـدَّهْرُ أَلوانَـاً تُـصرِّفُهُ بالشَّرِّ والخَيْرِ يَجْرِي حِين يُنْتَقَلُ[(٢)]

أمل:

قال المنتصر بن بلال الأنصاري:

عَـسَى فَـرَجٌ يَـأْتِي بِـه الله إنَّـه لَـهُ كـلُ يَـوْمٍ فِي خَلِيقَتِـهِ أَمْـرُ
عَسَى مَا تَـرَى أَنْ لاَ يَـدُومَ وأَنْ تَـرَى لَـهُ فَرَجـًا مِمَّـا أَلَـحَّ بِـهِ العُـسْرُ
إِذَا اشْـتَدَّ عُـسْرٌ فَـارْجُ يُـسْرًا، فإِنَّـه قَضَى الله أنَّ العُـسْرَ يَتْبَعُـهُ اليُـسْرُ[(٣)]

وقال آخر:

اصْـبِرْ عَـلَى زَمَـنٍ جَـمٍّ نَوائِبُـهُ فَلَـيْسَ مِـنْ شِـدَّة إلاّ لَهَـا فَـرَجُ
تَلْقَـاهُ بـالأَمْسِ فِي عَمْيَـاءَ مُظْلِمَـةٍ ويُصْبِحُ اليَوْمُ قَدْ لاَحَتْ لَـهُ الـسُّرُجُ[(٤)]

ضراعة ودعاء:

وقال الشاعر:

فَلَـمَّا أَنْ عَنَيْـتُ بِـمَا أُلاَقِـى وأَعْيَتْنِـي المَـسَائِلُ بـالقُرُوضِ
دَعَـوْتُ الله لاَ أَرْجُـو سِـوَاهُ ورَبُّ العَرْشِ ذُو فَـرَجٍ عـريضِ[(٥)]

وقال آخر:

---

(٣) روضة العقلاء للبستي.
(٤) المحاسن والأضداد للجاحظ.
(٢،٥) المحاسن والأضداد للجاحظ.

يَـا صَـاحِبَ الهـمَّ إنّ الهـمَّ مُنْفَـرِجٌ أَبْـشِر بِخَـيْرٍ فـإنْ الفَـارِجَ الله
اليَـأْسُ يَقْطَـعُ أَحْيَانًـا بِـصَاحِبِهِ لاَ تَيْأَسَـنَّ فَـإنَّ الـصَّانِعَ الله
إِذَا ابْتُلِيـتَ فَثِـقْ بِـالله وارْضَ بِـهِ إنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوَى هُـو الله(١)

نهاية البـلاء:

وقال محمد بن حازم الباهلي:

هَـوِّنْ عَلَيْـكَ فَكُـلُّ الأَمْـرِ يَنْقَطِـعُ وَخَـلِّ عَنْـكَ عَنَـان الهَـمِّ يَنْـدَفِعُ
فَكُـلُّ هَـمٍّ لَـهُ مِـنْ بَعْـدِهِ فَـرَجُ وكُـلُّ أَمْـرٍ إِذَا مَـا ضَـاقَ يَتَّـسِعُ
إنَّ الـبَلاَءَ وإنْ طَـالَ الزَّمَـانُ بِـهِ فَالمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَـوْفَ يَنْقَطِـعُ(٢)

حسن عاقبة الرضا والقناعة (٣)

القناعة كنز:

«من قنع بالرزق استغنى عن الخلق».

الرضا بالمقدور:

«من رضي بالمقدور قنع بالميسور».

البعد عن الهموم:

«من رضي بما أتاه الله من خيره لم يغمه ما يراه في يد غيره».

أمان:

«من استغنى بالله تعالى عن الناس أمن عوارض الإفلاس»(٤).

التسليم للأقدار:

لا يغني حذر من قدر.

(٢،١) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٤) فرائد الخرائد في الأمثال، لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويني ـ نشر الرئاسة العامة لرعاية الشباب الدمام ـ السعودية.

إذا جاء القدر غشى البصر.

إذا جاء الحين حارت العين.

إذا جاء القضاء ضاق الفضاء[١].

شفاء الصدور في التسليم بالمقدور.

ليس التحفظ في الأمور يسلم من المقدور.

المقادير تبطل التقدير وتنقض التدبير[٢].

العافية والبلاء

كلاهما في الاحتياج سواء:

قال علي بن الحسن: «ما صاحب البلاء الذي قد طال به أحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء» [٣].

بلاء وبلاء:

قال سليمان التيمي: «إنَّ المؤمن ليبتلى ويعافى، فيكون بلاؤه كفارة واستعتابًا، وإن الكافر ليبتلى ويعافى فيكون مثل بعير عُقل، لا يدري فيما عُقل ولا لم أرسل»[٤].

العافية:

وقال مطرف بن الشخير: «لئن أعافى فأشكر، أحبَّ إليَّ من أن أبتلى فأصبر، ونظرت في النعمة التي لا يشوبها كدر فإذا هي العافية»[٥].

فضل مجهول:

---

(١) فرائد الخرائد في الأمثال، لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويني ـ نشر الرئاسة العامة لرعاية الشباب الدمام ـ السعودية.

(٢-٥) بهجة المجالس، لابن عبد البر.

قيل: «شيئان لا يعرف فضلهما إلاّ من فقدهما: الشباب والعافية»[١].

معرفة عن تجربة:

وقيل: «لا يعرف طعم العافية إلاّ من نالته يد العلة، ولا طعم الرخاء إلا من مسته يد البلاء»[٢].

العافية غنى:

وقيل: «الدنيا بحذافيرها: الأمن والعافية، لا تزال غنيًا ما دمت سويًّا»[٣].

نِعمٌ مجهولة:

وقال الفضل بن سهل: «إنَّ في العلل نعمًا ينبغي للعاقل أن يعرفها: تمحيص الذنب، والتعرض للثواب، والإيقاظ من الغفلة، والإذكار بالنعمة في حال الصحة، والاستدعاء للتوبة، والحض على الصدقة، وفي قضاء الله وقدره الخيار»[٤].

العفو والعافية:

قالت عائشة -رضي الله عنها: «لو رأيتُ ليلةَ القدرِ ما سألتُ الله إلاّ العفْوَ والعافية»[٥].

وقال قبيصة بن ذُؤيب: «كنا نسمعُ نداء عبدِالملك بن مروان من وراء الحجرة في مرضه: يا أهلَ النعمِ لا تستقلوا شيئًا من النعمِ مع العافية»[٦].

ويقال: «البحرُ لا جوار له، والملكُ لا صديق له، والعافيةُ لا ثمنَ لها»[٧].

وقال علي ﷺ «ما المبتلَى الذي اشتد به البلاءُ بأحوجَ إلى الدعاء، من المعافَى

(١، ٢) محاضرات الأدباء للأصفهاني.

(٣-٧) المستطرف للأبشيهي.

الذي لا يأمن البلاء»[١].

العافية خير نعمة:

قال سليمان بن الضحاك:

مَـــا أَنْعَـــمَ الله عَـــلَى عَبَـــدِهِ بِنَعْمَـــةٍ أَوْفَى مِـــنْ العَافِيَـــه

وكُـــلُّ مَـــنْ عُـــوفِيَ فِي جِـــسْمِهِ فَإِنَّـــه فِي عِيـــشَةٍ رَاضِـــيه

والمَـــالُ حُلْـــوٌ حَـــسَنٌ جَيِّـــدٌ عـــلى الفَتَـــى لكِنَّـــه عَارِيَـــه

مَـــا أَحـــسَنَ الـــدُّنْيا ولكنَّهـــا مَـــع حُـــسْنِهَا غَـــدَّارة فَانِيَـــه[٢]



(١) المستطرف للأبشيهي.

(٢) حدائق الأزاهر.



البَابُ الثَّانِي

بين العلـم والعمـل



فضل العلم[١]

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[٢].

وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

وقال ﷺ: «**تَعَلَّموا الْعِلمَ فإنَّ تَعَلُّمهُ للهِ خشْيَةٌ، ودِرَاستَه تسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وطلبَه عبادَةٌ، وتَعليمَه صَدَقَةٌ، وبَذْلَه قُرْبةٌ، لأَنهُ مَعالِمُ الحلالِ والحرامِ، وبَيانُ سبيلِ الجنة، والمؤنسُ في الوحشَةِ، والمحدِّثُ في الخُلْوَةِ، والجليسُ في الوحدةِ، والصاحبُ في الغربة، والدليلُ على السرَّاءِ، والمعينُ على الضَّرَّاءِ، والزَّيْنُ عِندَ الأَخِلاَّءِ[٤]، والسِّلاحُ على الأَعْداءِ، يرفعُ اللهَّ به أقوامًا فيجعلُهم في الخير قادةً، وفي الهدى أَئِمةً، يُقْتَفى[٥] آثارُهم، ويُقْتدى بأفعالهم، ويُنْتَهى إلى رَأْيِهمْ، وترغب الملائكةُ في خُلتِهِم[٦]، وبأجنحتِها تمسحُهم، وفي صلاتِها تستغفِرُ لهم، ويصلي عليهم كل رطبٍ ويابسٍ حتى حيتانِ البحرِ وهَوَامه[٧]، وسباع البرِّ وأنعامهِ، والسماءِ ونجومِها، والأرضِ وخزَّانِها**»[٨].

---

(١) المستطرف من الآداب والحكم المأثورة،تحقيق وشرح محمد سيد كيلاني.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) الزمر:٩.

(٤) الأخلاء: الأصدقاء، جمع خليل.

(٥) يقتفى: يتبع.

(٦) خلتهم: صداقتهم.

(٧) الهوام: الحشرات والزواحف السامة التي تقتل، جمع هامة بتشديد الميم.

(٨) خزانها: حراسها. والحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٣٩) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفًا، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١٠٧) عن معاذ رضي الله عنه مرفوعًا، وعزاه لابن عبد البر النمري في كتاب العلم، وقال: «هو حديث حسن ولكن ليس له إسناد قوي، وقد رويناه من طرق شتى موقوفًا»، وكذا قال – يعني: ابن عبد البر– رحمه الله، ورفعه غريب جدًا والله أعلم. وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٤٧): «موضوع».

وقيلَ: العلمُ أَشْرَفُ ما رَغِبَ فيه الرَّاغِـبُ، وأفـضلُ مـا طلـبَ وجـدَّ فيـه الطالبُ، وأنفعُ ما كسَبَهُ واقتنـاهُ الكاسِـبُ، لأَنَّ شَرَفـهُ يَـنِمُّ[١] عـلى صـاحِبِهِ، وفَضْلِهِ يَنْمِي[٢] عندَ طالِبِهِ. وقد مَنعَ اللهُ المساواةَ بين العالِمِ والجاهلِ، لِما خُصَّ به العالِمُ من فَضِيلَةِ العلم.

وقال الإمام علي – كرم الله وجهه: أَقَلُّ الناسِ قِيمَةً أَقَلُّهُمْ عِلْمًا، وقال: كَفَى بالعِلْمِ شَرَفا أَنَّهُ يَدَّعِيهِ من لا يُحسِنُهُ ويَفرحُ به إذا نُـسِبَ إِلَيْـهِ، وكفـى بالجَهْـلِ ضَعَةً أن يَتبرَّأَ منه من هو فيه، ويَغْضَبَ إذا نُسِبَ إِليهِ.

وقال مصعب بن الزبير: تَعَلَّمِ العِلْمَ فإِنْ يكُن لك مالٌ كان لك جمالًا. وإن لم يكُن لك مالٌ كان لك مالًا.

وقال عبد الملك بن مروان لِبَنِيهِ: يا بني تَعلَّمُوا العلم فَإِن كُنتُمْ سَادَةً فُقْـتُمْ، وإن كُنْتُمْ وسَطًا[٣]سُدْتُمْ، وإِن كُنتُمْ سُوقَةً[٤]عِشْتُمْ.

وقيل: الْعِلْمُ حَياةُ القَلْبِ من الجهلِ، ونورُ الأبصارِ ومصابيحُها في الظُّلْمَةِ، وقُوَّةُ الأَبدانِ من الضَّعفِ. وبالعلم يبلغُ العبـدُ منـازلَ الأخيـارِ في الـدرجاتِ ومجالسَةِ الملوكِ في الـدُّنيا، ومرافقَـةَ الأبْـرارِ[٥] في الآخِـرَة. والفِكْـرُ في العلـم يَعْدِلُ[٦] الصيِّام، ومُذاكَرَتُهُ تَعْـدِلُ القِيـامَ[٧]. وبـالعلم توصَـلُ الأرحْـامُ[٨] وتُفْصَلُ الأحكامُ، وبه يُعْرَفُ الحلالُ والحـرامُ. وبـالعلم يُوَحَّـدُ الله ويعـرفُ،

---

(١) ينم، بكسر النون وضمها: يدل ويبين.

(٢) يُنْمِي: يزيد.

(٣) وسطًا: من الطبقة الوسطى.

(٤) سوقة: العامة أو الطبقة الدنيا.

(٥) الأبرار: الأنقياء.

(٦) يعدل: يساوي.

(٧) القيام: الصلاة.

(٨) الأرحام، جمع رحم، بكسر فسكون، أو عَلَى وزن كتف ومعناها: القرابة أو صلة القرابة.

وبالعلم يطاعُ ويعبدُ. والعلمُ إمـامٌ لِلْعَقْـل، وهـو قائِـدُهُ، يرزُقُـهُ اللهُ الـسُّعَدَاءَ ويحرِمُهُ الأشْقِيَاءَ.

وما أحسن قول القائل(١):

عِلـمُ العَلِـيمِ وعقـلُ العَاقِـلِ اخْتَلَفَـا ... مَنْ ذَا الذي منهُما قَدْ أحرَزَ الـشَّرفَا

فـالعِلْمُ قـالَ: أَنَـا أحْـرَزْتُ غايَتَـهُ ... والعَقْلُ قَال: أَنا الرَّحمنُ بي عُرِفَـا

فَأَفْـصَحَ العِلْـمُ إفـصَاحًا وقـالَ لَـهُ ... بِأَيِّنـا الله في فُرْقانِـه اتَّـصَفَا

فَبَـانَ لِلْعَقْـلِ أنَّ العِلـمَ سـيِّدُهُ ... فقبَّلَ العَقْلُ رأسَ العِلْـمِ وانـصرَفَا

العلم شرف الإنسان(٢):

وشرف العلم لا يخفى عـلى أحـد، إذ هـو المختص بالإِنـسانية، لأن جميـع الخصال سوى العلـم يـشترك فيهـا الإِنـسان وسـائر الحيوانـات، كالـشجاعة والجرأة والقوة، والشفقة وغيرها، سوى العلم، وبه أظهر الله -تعـالى- فـضل آدم -عليه السلام- على الملائكة وأمرهم بالسجود له.

العلم: به يتميز الإِنسان عن جميع أنواع الحيوان: بل يتمايز أفراد الناس فـيما بينهم بجـودة الفهـم، وتحـصيل المعرفـة والفهـم، وبـالعلم يتفاضـل الرجـال ويرتفعون من حال إلى حال، وبه تسمو الهمـم وتـصفو القـرائح... وبـه ينـال التقوى والذكر وبه يحصل الصيت والقـدر، وصـفوة القـول: أن العلـم قيمـة إنسانية خالدة، بها حياة العقول وإدراك المـأمول. وهـذه شـذرات مـن أقـوال الشعراء والعلماء في ذلك:

(١) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ٣/ ١٩٤ ، الطبعة الرابعة.

(٢) العلم بين يدي العالم والمتعلم، جاسم محمد مهلهل: سلسلة حقائق الإسـلام، الرسـالة الخامـسة ص: ١٦٧، دولة الإمارات العربية المتحدة.

قال الشافعي -رحمه الله:

١ ـ تَعَلَّمْ فَلَيْسَ المُرْءُ يُولَدُ عالِمًا وليْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَن هُو جَاهِلُ

وإِنَّ كَبيرَ الْقَوْمِ لاَ عِلْمَ عِندَهُ صَغِيرٌ إِذا الْتَفَّتْ عليه الجَحافِلُ

وإِنَّ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كانَ عالِمًا كَبيرٌ إذا رُدَّتْ إِلْيهِ المَحافِلُ

٢ ـ رأيتُ العلمَ صاحبُهُ كَريمٌ ولوْ ولَدَتْهُ آباءٌ لِئَامُ

وسوف يظل يَرفَعُهُ إِلىَ أَنْ يُعَظِّمَ أمْرَهُ القَوْمُ الكِرَامُ

ويتَّبِعونَهُ فِي كُلِّ حَالٍ كَرَاعِي الضَّأْنِ تَتْبَعُه السَّوامُ

فَلْولاَ العِلْمُ مَا سَعِدَتْ رجالٌ ولا عُرِفَ الحَلالُ ولا الحَرامُ

٣ ـ العلمُ من فَضْلِه، لِمَن خَدَمَهْ أن يجعلَ النَاسَ كُلُّهُم خَدَمَهْ

فَواجِبٌ صونُهُ عَلَيْه كَمَا يَصُونُ فِي النَّاسِ عِرْضَه ودَمَهْ

فَمَنْ حَوى العِلْمَ ثم أودَعَه بجهلِه غيرَ أَهْلِهِ ظلَمَهْ

٤ ـ أخِي لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إلاّ بِستَةٍ سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيانِ

ذَكَاءٌ، وحرصٌ، واجتهادٌ وبُلْغةٌ وصُحبةُ أُسْتاذٍ، وطولُ زَمَانِ

٥ ـ كُلُّ العلومِ سِوى القرآنِ مُشْغَلَةٌ إلاّ الحديثَ وعلمَ الفقهِ في الدِّينِ

العلمُ ما كان فيه قالَ حدَّثنا وما سِوى ذاكَ وسْواسُ الشَّياطين(١)

وقال علي بن أبي طالب ﷺ:

٦ ـ الناس من جهة التمثيلِ أكفاءُ أبوهمُ آدمُ والأمُّ حواءُ

نفسٌ كنفسٍ وأرواحٌ مشاكِلَةٌ وأَعْظُمٌ خُلِقَتْ فِيهم وأَعضَاءُ

(١) ديوان الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، جمع وتحقيق عفيف الزغبي.

فــإن يكــن لهــمُ في أصْـلِهم حـسبٌ ... يُفَــاخِرون بــه فــالطِّينُ والمــاءُ
مــا الفــضل إلاَّ لأهــل العلــم إنهــمُ ... عَـلى الهُـدَى لِمَـنْ اسْـتَهْدَى أدلاَّءُ
وقيمــةُ المــرءِ مــا قَــدْ كَــان يُحْـسِنُهُ ... والجَاهِلُونَ لأَهْـلِ العِلْـمِ أعـداءُ
فَقُــمْ بعِلْــمٍ ولا تَطْلُــبْ بِــهِ بــدَلًا ... فالناسُ مَوْتَى وأهلُ العِلْمِ أحياءُ[١]

وقال سابق البلوي:

والعِلْمُ يَجْلُو العَمَى عَنْ قَلْبِ صَـاحبِهِ ... كَمَا يُجَلِّي[٢] سَوادَ الظُّلْمَـةِ القَمَـرُ
وَلَـيْسَ ذُو العِلْـمِ بـالتَّقْوى كَجَاهِلِهَـا ... ولا البَصِيرُ كَأَعْمَى مَـا لَـهُ بَـصَرُ

وقال أبو بكر الوراق:

العِلْــمُ زَيْــنٌ وتَــشْرِيفٌ لِــصَاحِبِهِ ... أَتَتْ إِلِيْنَـا بِـذَا الأَنْبَـاءُ والكُتُـبُ
والعِلْــمُ يَرْفَــعُ أَقْوَامًــا بِــلاَ حَــسَبٍ ... فَكَيْفَ مَنْ كَانَ ذَا علمٍ لَهُ حَسَبُ
فاطْلُــبْ بِعِلْمِــك وجــهَ الله محتَــسِبَا ... فَمَا سِوَى العِلمِ فَهْو اللَّهْوُ واللَّعِـبُ

قال الجاحظ:

يَطِيــبُ العَــيْشُ إذْ تَلْقَــى لَبِيبًــا ... غَـذَاهُ العِلْـمُ والـرَأْيُ المُـصِيبُ
فَيَكْـشِفُ عنــك حَـيْرَةَ كـلِّ جَهْـلٍ ... ففضلُ العِلمِ يَعْرفُـه الأرِيـبُ[٣]

قال علي البستي:

دَعــونِي وأَمْــرِي واخْتِيــاري فــإِنَّني ... بَصيرٌ لِمَا أفْرِى[٤] وأُبْرِمُ مِنْ أمرِي
إذَا مَــا مَــضَى يــومٌ ولمْ أصْــطَنِعْ يــدا ... ولمْ أقْتَبِسْ عِلْمًا فَمَا هُـوَ مِـنْ عُمْـرِي

---

(١) ديوان الإمام علي -كرم الله وجهه- ص ٢٥ تحقيق د.محمد عبد المنعم الخفاجي، ط دار ابن زيدون- بيروت.
(٢) يُجَلِّي: يُوضِّح ويُظْهِرْ.
(٣) الأريب: العاقل.
(٤) أفرى: أقطع.

وقال سابق:

والعِلمُ يشْفِي إِذا اسْتَشْفَى الجَهولُ بِـهِ ... وبالــدَّواءِ قَـدِيماً يُحْـسَمُ الـدَّاءُ

قال أحمد شوقي:

بـالعِلمِ والمَـالِ يَبْنِـي النـاسُ مُلْكَهُـمُ ... لم يُبْنَ ملكٌ عَـلَى جَهْـلٍ وإقْـلاَلِ

وقال أيضًا:

قُـــم للمعلـــمِ وفِّـــهِ التَّبْجِـــيلا ... كـادَ المُعَلِّـمُ أنْ يَكُـونَ رَسُـولا

أعَلِمْـتَ أشرَفَ أمْ أجَـلَّ مِـنَ الَّـذِي ... يَبْنِـي ويُنْـشِئُ أَنْفُـسًا وعُقُـولا؟

سُـــبحَانَكَ اللَّهـــمَّ خَـــيرَ مُعلِّـــمٍ ... علَّمـتَ بـالقَلَمِ القُـرُونِ الأُولى

قال محمد بن حنبل الحسني الشنقيطي:

إِنَّ خـــيرَ الـــزَّاد يـــا صَـاحِ التُّقَـــى ... فَبِـه المَجْـدَ الـتمسْ لاَ بالنَّـسَبْ

في التُّقَـــى عِـــزٌّ وكُثـــرٌ وغِنـــًى ... دُونَ سُـلْطَانٍ وجُنْـدٍ ونَـشَبْ[١]

هُـــو دَون العِلْـــمِ عَنْقَـــا مُغْـــرِب[٢] ... فَاطْلبنـــهُ فَلَـــنِعْمَ المُطَّلَـــبْ

جَـــرِّعِ الـــنَّفْسَ عـــلى تحـــصيله ... مَضْمِضْ[٣] المُـرَّيْنِ ذُلًا وسَـغَبْ

هـــو حُـــلْيُ المَـــرْءِ في أقْرانِـــهِ ... وهو عندَ الموتِ زَحْـزاحُ الْكُـرَبْ[٤]

---

(١) النشب: المال.

(٢) عنقا مغرب: العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم.

(٣) المضمض: وجع المصيبة.

(٤) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، تأليف أحمد بن الأمين الشنقيطي، ط: الثالثة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، مكتبة: الخانجي بمصر ومكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء.

آداب المتعلم [١]

قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾[٢].

وقال ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**»[٣].

وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: يروى عن علي بن أبي طالب أنه قال: من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة، وتجلس قدامه، ولا تشر بيديك ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلان خلاف قوله، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال، فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شيء.

وقال اليوسي: من آداب المتعلم أن يعظم شيخه ولا يزال ناظرًا إليه بعين الإجلال، ويعتقد فيه درجة الكمال، ويتواضع له، ويخضع بين يديه، ويهابه غاية الهيبة، ويعلم أن خضوعه له عز، وذلته له بين يديه رفعة.

أقوال مأثورة:

ويقال: إن الشافعي عوتب على ذلك فقال:

أهِينُ لَهُم نَفْسِي وهُمْ يُكرِمُونَهَا ... ولَنْ تُكْرَمَ النَّفْسُ الَّتِي لاَ تُهِينُهَا

وأمسك ابن عباس – على جلالة قدره – بركاب زيد بن ثابت ﷺ وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. وذكر اليوسي من آداب المتعلم: أن يبالغ في الاجتهاد جهد الطاقة وهو جماع الأمر، فقد قيل: العلم إن أعطيته كلك أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئًا. وقيل: لا يستطاع العلم براحة الجسم.

---

(١) إعانة المتفهم في آداب المتعلم، محمد الحسن بن أحمد الخديم، ط: الأولى ١٥/ ٩٤ مطبعة النجاح ـ الدار البيضاء. ص: ٤٨، ٤٩.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢١١) (٤٢١).

وقال الماوردي(١): قال عمر بن عبد العزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم، فالمذاكرة تعين على حفظ العلم وزيادته، قال ابن مسعود ﵁: تذاكروا الحديث فإن حياته مذاكرته.

وذكر محمد علي الصابوني(٢): العلم نوعان: كسبي ووهبي، أما الأول فيكون تحصيله بالاجتهاد والمذاكرة، وأما الثاني فطريقه تقوى الله والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾(٣)، وهذا العلم يسمى العلم اللدني ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾(٤)، وهو العلم النافع الذي يهبه الله لمن شاء من عباده المتقين وإليه أشار الإمام الشافعي بقوله:

شَكَوتُ إِلَى وكيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إلى تَرْكِ المَعَاصِي
وأَخْبَرَنِي بأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونُورُ الله لا يُهْدَى لِعَاصِي

وقال ابن مسعود ﵁(٥): كونوا للعلم رعاة، ولا تكونوا له رواة، فقد يرعوي(٦) من لا يروي، ويروي من لا يرعوي.

لن يدرك العلم من لا يطيل درسه، ويكد(٧) نفسه، وكثرة الدرس كدٌّ لا يصبر عليه إلاّ من يرى العلم مغنما والجهالة مغرما(٨)، فَيَتَحَمَّلَ تعب الدرس ليدرك راحة العلم وينفى عنه معرة الجَهْل، فإن نَيْلَ العظيم بأمر عظيم، وعلى

(١) الإعانة، ص: ٨١.
(٢) صفوة التفاسير ٣/ ١٧٩.
(٣) البقرة: ٢٨٢.
(٤) الكهف: ٦٥.
(٥) المستطرف من الآداب والحكم المأثورة. شرح محمد سيد كيلاني. ط: الأولى ٧٩/ ٦٠ مطبعة مصطفى البابي بمصر. ص: ١٤.
(٦) يرعوي: يرجع عن الجهل.
(٧) كد: تعب.
(٨) مغرمًا: غرامة.

قدر الرغبة يكون الطلب، وبحسب الراحة يكون التعب، وقد قيل: علة الراحة قلة الاستراحة.

وقال بعضُ الحكماء: أكمل الراحة ما كانت من كد التعب، وأعز العلم ما كان عن ذل الطلب، وإذا كان المتعلم[١] معتدل الرأي فيمن يأخذ عنه، متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه حتى لا يحمله الإعنات[٢] على اعتراض المبكتين[٣]، ولا يبعثه الغلو على تسليم المقلدين، بَرِئ المتعلم من المذمتين، وسلم العالم من الهجنتين[٤] وليس كثرة السؤال فيما التبس إعناتًا، ولا قبول ما صح في النفس تقليدًا.

من الإرشادات النبوية:

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**العِلمُ خَزائنٌ ومفْتَاحُها السؤالُ، فاسْألوا رَحمَكُم الله، فإنَّما يؤجَرُ في العِلم ثَلاثَةٌ: القائلُ، والمستَمِعُ، والآخِذُ**»[٥]. وقال ﷺ: «**هَلاَّ سألُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّما شِفَاءُ العِيِّ السُّؤالُ**»[٦]. فأمر بالسؤال وحث عليه.

ونهى آخرين عن السؤال وزجر عنه. فقال: «**أَنْهَاكُم عَنْ قِيلَ وقَالَ، وكَثْرَةِ السُّؤالِ، وإضَاعَةِ المَالِ**»[٧]، وقال: «**إيَّاكُم وكَثْرَة السُؤالِ فإنَّما هَلَكَ مَنْ قَبْلَكمُ بِكَثْرَةِ السُّؤالِ**»[٨]. وليس هذا مخالفًا للأول، وإنما أمر بالسؤال من قصد به

(١) المستطرف ص: ١٦، ١٧.

(٢) الإعنات: أعنته: أتعبه وألزمه ما يصعب عليه أداؤه.

(٣) المبكت: الذي يغلب بالحجة.

(٤) الهجنة: من الكلام ما يعيبه، وفي العلم إضاعته.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٩٢)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لم نكتبه إلا بهذا الإسناد».

(٦) أخرجه أبو داود (٣٣٦) عن جابر ﷺ، وقال البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٢٧): «وهذه الرواية موصولة».

(٧) أخرجه البخاري (٦٤٧٣)، ومسلم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة ﷺ.

(٨) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٥٥٠) عن الحجاج بن عامر الثمالى، دون جملة: «فإنما هلك...».

علم ما جهل، ونهى عنه من قصد به إعنـات مـا سـمع، وإذا كـان الـسؤال في موضعه أزال الشكوك، ونفى الشبهة.

وقد قيل لابن عباس -رضي الله عنهما: بم نلت هذا العلـم؟ قـال: بلـسان سَؤُولٍ، وقَلْبٍ عَقُولٍ.

آداب المتعلم في الشعر العربي:

قال أبو عمرو الداني[١]:

فـــالتَزِم الإِجـــلالَ والتَّـــوقِيرَا   لِمَـــنْ يُريـــكَ العِلـــمَ مُـــسْتَنيرَا
وكُــــنْ لَــــهُ مُــــبَجِّلًا مُعَظِّــــمًا   مُرَفِّعًـــا لِقَـــدْرِهِ مُكَرِّمـــا
واخْفِـضْ لـه الـصَّوتَ وَلا تـضْجرْهُ   ومــا جَنــى عَلَيْــكَ فــاغْتَفِرْهُ
فَحقُّـــه مِـــنْ أَعْظَـــمِ الحُقُـــوقِ   وهَجْـرُهُ مِـنْ أعظَـمِ العُقـوقِ

وقال محمد الحسن بن أحمد الخديم الشنقيطي اليعقوبي[٢]:

مِــنْ أربــعٍ لا يــأْنَفُ الــشَّريفُ   ولـــوْ أَمـــيرًا قَـــدْرُهُ مَنيـــفُ
مَجلـــسٌ يقـــوم منـــه لا بِـــهِ   وخدمـةٌ للـضَّيْفِ إنْ نَـزَلْ بِـهِ
وخدمـــــةٌ لِعـــــالمٍ يُعَلِّمُــــــهْ   وسُــؤْلُهُ عــن الَّــذِي لاَ يَعْلَمُــهْ

وقال الإمام الشافعي[٣]:

الجِـــدُّ يُـــدْني كُـــلَّ أمـــرٍ شاسِـــعِ   والجِـدُّ يفـتحُ كُـلَّ بَـابٍ مُغْلَـقِ
وأَحــقُّ خَلْــقِ اللهَّ في النَّــاسِ امــرُؤٌ   ذُو هِمَّــةٍ يُــبْلى بِعَــيْشٍ ضَــيِّقِ
ومــن الــدَّلِيلِ عَـلى القَـضَاءِ وحُكْمِـهِ   بُؤسُ اللَّبيبِ وطيبُ عيشِ الأحْمَقِ
لَكــنَّ مَــنْ رُزِقِ الحِجَـا حُـرِمَ الغِنَـى   ضِـــدَّانِ يفترقَـــانِ أَيَّ تَفَـــرُّقِ

---

(١) الإعانة ص: ٥٢.
(٢،٣) إعانة المتفهم ص: ٦٥،٥٣.

وقال أيضًا[١]:

بِقَــدْرِ الكَــدِّ[٢] تُكْتَــسَبُ المَعَــالي ... ومَنْ طَلَبَ العُـلاَ سَـهِرَ اللَّيـالِي

ومَــنْ رامَ العُــلاَ مِــنْ غــيرِ كَــدٍّ ... أَضـاعَ العُمْـرَ في طَلَـبِ المُحـالِ

تَــرومُ العِــزَّ ثُــمَّ تنــامُ لَــيْلًا ... يَغُوصُ البَحْرَ مَـنْ طَلَـبَ الـلآلِي

وقال الزرنوجي[٣]:

مَــنْ شَــاءَ أن يَحْتَــوي آمالَــه جُمَــلاَ ... فَليتَّخِـذْ لَيْلَـه في دَرْكِهـا[٤] جَمَـلا

أَقْلِـلْ طَعَامَـكَ كـيْ تحْظَـى بِـهِ سَـهَرا ... إنْ شِئْتَ يا صاحِبِي أن تَبْلُغَ الكَمَلاَ

وقال آخر[٥]:

تَمَنَّيْــتَ أنْ تُمْــسي فقيهًــا مُنــاظِرًا ... بغَـيْرِ عَنـاءٍ[٦] والجُنُـونُ فُنُـونُ

ولَـيْسَ اكتــسابُ المـالِ دونَ مــشقَّةٍ ... تَحَمَّلُهـا فـالعِلمُ كيَـف يكُـونُ؟

وقال آخر[٧]:

بقــدرِ الكَــدِّ تُعْطَــى مــا تَــرُومُ ... فمــن رَامَ المنــى لَــيْلًا يقــومُ

وأَيَّــــامَ الحَدَاثــــةِ فاغْتَنِمْهَــــا ... أَلاَ إِنَّ الحَداثَــــةَ لاَ تَــــدومُ

وقال المتنبي[٨]:

عَـلى قَـدْرِ أَهْـلِ العَـزْمِ تَـأْتِي العَـزائِمُ ... وتَأْتِي عَـلَى قَـدْرِ الكِـرَامِ المَكَـارِمُ

وتَعْظُـمُ فِي عَـيْنِ الـصَّغِيرِ صِـغَارُها ... وتَصْغُرُ في عين العَظيمِ العظـائِمُ

(١،٣) إعانة المتفهم ص: ٦٦.

(٢) الكد: الشدة في العمل.

(٤) درك: لحق والإدراك: اللحاق.

(٥،٧،٨) إعانة المتفهم ص: ٦٥،٦٨،٧٠.

(٦) عناء: تعب.

وقال آخر(١):

إِذْا لمْ يُـــذْاكِرْ ذو العلـــومِ بِعِلْمِـــهِ ولم يَـسْتَزِدْ عِلْـمًا نَـسِي مـا تَعلَّـمَا
فَكَـمْ جَـامِعٍ للعِلْـمِ في كُـلِّ مـذْهَبٍ يَزيدُ عـلى الأيَّـامِ في جَمْعِـهِ عَمَـى

وقال بشار بن برد(٢):

شِـفَاءُ العَمَـى طُـولُ الـسُّؤَالِ وإنَّـمَا يُدِيمُ العَمَى طُولُ السُّكوتِ عَلى الجَهْـلِ
فَكُـــنْ ســـائِلًا عَـــمَّا عنَـــاكَ فـــإِنَّما دُعيتَ أخا عَقْلٍ لتبْحثَ بالعَقْـلِ

قيمة العلم:

قال معاذ بن جبل: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، وبذله لأهله قربة، والعلم منار سبيل أهل الجنة، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به قومًا فيجعلهم قادة أئمة، تقتفى آثارهم، ويقتدى بفعالهم، والعلم حياة القلب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، الفكر فيه يعدل الصيام، ومذاكرته القيام، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام(٣).

العلم والتقى:

اصْـبِرْ عَـلى مُـرِّ الجَفَـا مِـنْ مُعلِّـمٍ فـإِنَّ رُسُـوبَ العِلْـمِ مِـن نَفَرَاتِـهِ
ومَـنْ لَـمْ يَـذُقْ مُـرَّ الـتعلُّم سَـاعَةً تَجرَّعَ كَأْسَ الجَهْلِ طُولَ حَيَاتِـهِ
ومَـنْ فَاتَـهُ التَّعْلِـيمُ وقْـتَ شَـبَابِهِ فَكَبِّـرْ عَلَيْـهِ أَرْبَعًـا لِوَفَاتِـهِ
وذَاتُ الفَتَـى واللَّـهِ بِـالعِلْمِ والتُّقَـى إِذَا لَـمْ يَكُونَـا لاَ اعْتِبَـارَ لِذَاتِـهِ

(١، ٢) إعانة المتفهم ص: ٨١.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ٨٤.

آداب العلمـاء [١]

من أخلاق العلماء:

فأما ما يجبُ أن يكون عليه العلماءُ من الأخلاقِ التي بهم أليقُ، ولهم ألـزمُ: فالتواضعُ ومجانبةُ العجبِ، لأنَّ التواضعَ عَطُوفٌ، والعجب منفرٌ، وهـوَ بكـلِّ أحدٍ قبيحٌ، وبـالعلماء أقـبحُ، لأنَّ النـاسَ بهـم يقتـدون، وكثـيرًا مـا يـداخلهم الإعجابُ لتوحّدِهمْ بفضيلةِ العلـم. ولـو أنهـم نظـروا حـقَّ النظـرِ، وعملـوا بموجبِ العلمِ، لكان التواضعُ بهـم أوْلَى، ومجانبـة العُجْـبِ بهـم أحـرى؛ لأنَّ العجبَ نقصٌ ينافي الفضلَ، لاسيّما مـعَ قـولِ النبـي ﷺ: «**إنَّ العُجْـبَ ليأكـلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحَطبَ**»[٢]. فلا يفي ما أدركوهُ من فضيلةِ العلم، بـما لحقَهُمْ من نقصِ العُجْبِ. وقال عمر بـن الخطـاب: تعلَّمـوا العلـمَ، وتعلَّمـوا للعلمِ السَّكينَةَ والحِلَم، وتواضعوا لمن تَتَعَلَّمونَ منهُ ليتواضَعَ لكم من تُعلِّمونَهُ، ولا تكونوا من جبابرَةِ العلماءِ فلا يقومُ علمُكُمْ بجهلِكُمْ.

من تواضع رفعه الله:

وقال بعض السلف: من تكبَّر بعلمه وترفَّع وضـعهُ الله بـه، ومـن تواضـعَ بعلمه رفعَهُ اللهُ به.

وقيل في منثور الحكـم: إذا علمـت فـلا تفكـرْ في كثـرة مـن دونـك مـن الجهَّالِ، ولكن انظرْ إلى من فوقكَ من العلماءِ. وقال الـشعبيّ: العلـم ثلاثـة أشبارٍ، فمن نالَ منه شبرًا شمخَ[٣] بأنفِهِ، وظنَّ أنَّـهُ نالـهُ، ومـن نـالَ الـشبْرَ الثاني صغرَت إليه نفسُهُ، وعلِمَ أنَّهُ لم ينلْهُ؛ وأمَّا الشبرُ الثالـثُ فهيهـات[٤]، لا ينالهُ أحدٌ أبدًا.

---

(١) أدب الدنيا والدين،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البـصري المـاوردي، حققـه وعلـق عليـه مصطفي السقا، ط: الرابعة ص: ٨٠-٩٣.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٤٨) من قول يحيى بن معاذ.

(٣) شمخ: تكبَّر.

(٤) هيهات: كلمة تبعيد.

وقال حكيم: من العلم أن لا تتكلَّمَ فيما لا تعلمُ بكلامِ من يعلمُ، فحسبُكَ جهلًا من عقلِكَ أن تنطقَ بما لا تفهمُ.

ليس في جهل بعض العلم عارٌ:

فإذا لم يكن إلى الإحاطةِ بالعلم سبيلٌ، فلا عارَ أن يجهلَ بعضَهُ، وإذا لم يكنْ في جهلِ بعض عارٌ لم يقبحْ به أن يقولَ: لا أعلمُ فيما ليسَ يعلمُ. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: وما أبرَدَها على القلب! إذا سُئِلَ أحدُكم فيما لا يعلمُ أن يقولَ: الله أعلمُ، وإنَّ العالمَ من عرفَ أن ما يعلمُ فيما لا يعلمُ قليلٌ.

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: إذا ترك العالمُ قولَ لا أدري، أصيبت مقاتِلُه.

وقال بعض الحكماء: ليس لِي من فضيلة العلمِ إلاَّ علمي بأني لستُ أعلمُ.

وقد قال عيسى ابن مريم -على نبينا وعليه السلام: يا صاحبَ العلمِ تعلَّمْ من العلم ما جهلتَ، وعلِّم الجهَّال ما علمتَ، وقيل[(١)]: لا يقنعُ الإنسانُ من العلم بما أدركَ؛ لأَنَّ القناعَةَ فيهِ زُهدٌ، والزُّهْدَ فيهِ تركٌ، والتَّرْكَ لَهُ جَهْلٌ.

بذل العلم لطالبه:

ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنونَ ولا يمتنعُوا من إفادَةِ ما يَعْلَمونَ، فإن البخلَ به لُؤْمٌ وظُلْمٌ، والمنعَ منهُ حسدٌ وإثْمٌ، وكيفَ يسوغُ لهم البخلُ بما منَحوهُ جودًا من غيْرِ بُخلٍ وَأُوتوهُ عفوا من غَيرِ بَذْلٍ؟ أم كيفَ يجوزُ لهم الشُّحُّ[(٢)] بما إن بَذْلَوهُ زادَ وَنَما[(٣)]، وإن كَتَموهُ تَناقَصَ وَوَهَى[(٤)]؟ ولو اسْتَنَّ بذلك من تقدَّمهُمْ لما وصلَ العلمُ إليهم ولا انْقَرَضَ عنهُم بانقِراضِهم، ولصاروا على مرورِ الأيامِ جهالًا وبتقلبِ الأحوال وتناقصِها أرذالًا[(٥)].

---

(١) المستطرف من الآداب والحكم ص: ١٩.

(٢) الشح: البخل مع حرص.

(٣) نما: زاد.

(٤) وَهَى: ضعف وهمَّ بالسقوط.

(٥) الرذل: الخسيس الرديء.

وقـد قـال الله تعـالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[١]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كتمَ علـمًا عِنْـدَهُ، أَلْجَمَـهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجام مِن نَّارٍ**»[٢]. وروي عن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- أنه قال: ما أخذَ الله العهدَ على أهلِ الجهلِ أن يتعلموا، حتى أخـذَ العهـدَ عـلى أهلِ العلمِ أن يعلِّموا.

وقال بعضُ الحكماءِ: إذا كان من قواعـدِ الحكمـةِ بـذلُ مـا ينقـصُهُ البـذْلُ، فأحرى أن يكون من قواعدِها بذلُ ما يزيدُهُ البذلُ، وقال ابـن المعتـزّ في منثـور الحكم: النارُ لا ينقصُها ما أُخِذَ منها، ولكن يُخْمِدُها أن لا تَجِـدَ حَطبًـا، كـذلك العلمُ لا ينفيهِ الاقتباسُ ولكنَّ فقدَ العاملينَ لهُ سبَبُ عدَمِهِ، فإياكَ والبخلَ بـما تعلمُ، وقال بعض العلماء: علِّم عِلْمَكَ، وتعلَّم علمَ غيرِك، فإذا أنتَ قد علمتَ ما جهِلْتَ، وحفظت ما علمت.

تنزه العلماء عن شبه المكاسب:

ومن آدابهم نزاهةُ النفسِ عن شُبَهِ المكاسبِ، والقناعةُ بالميسورِ عن كـدِّ[٣] المطالبِ، فإنَّ شُبَهَ المكتسبِ إثمٌ، وكدَّ الطَّالبِ ذُلٌّ، والأجرَ أجدرُ بِهِ من الإِثْمِ، والعِزَّ أليقُ بِهِ مِنَ الذُّلِّ.

الطمع مناف لأخلاق العلماء:

وأنشد علي بن عبد العزيز القاضي:

يَقُولـونَ لِي فيـكَ انقبـاضٌ[٤] وإنَّـما ... رأوْا رجُلًا عن مَوقِفِ الـذلِّ أحْجَـما[٥]

---

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١٦) (٢٦٤٥٤).

(٣) الكد: الشدة في العمل.

(٤) الانقباض: ضد الانبساط.

(٥) أحجم: كف.

أَرَى النَّاسَ من داناهُمُ هانَ[١] عِنْدَهم ... ومَنْ أَكْرَمتْهُ عـزّةُ الـنفسِ أُكْرِمَـا
ولَمْ أَقْـضِ حـقَّ العِلْـمِ إنْ كـانَ كلَّـما ... بَــدا طَمَــعٌ صَــيَّرْتُه لِيَ سُــلَّما
ومَــا كـــلُّ بـــرقٍ لاحَ لِي يَـــسْتَفِزُّنِي ... ولا كلُّ من لاقَيْتُ أَرضـاه مُـنعِما
إذَا قِيـلَ هَـذا مَنْهَـلٌ قلـتُ قَـدْ أَرَى ... ولكنَّ نفسَ الحـرِّ تَحتَمِـلُ الظَّـما
أُنَهْنِهُهَـا[٢] عـن بعـضِ مـا لا يَـشِينُها ... مَخَافَـةَ أقـوالِ العِـدَا فـيمَ أولِمَـا؟
ولَمْ أبتـذلْ فِي خِدمـةِ العِلْـمِ مُهْجَتِـي ... لأَخْدُمَ مَنْ لاَقَيْتُ، لَكن لأُخْدَمَا
أأشـقَى بـه غَرْسـًا وأجنيـهِ[٣] ذِلـةً ... إذنْ فاتباعُ الجهلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمـا
ولـوْ أنَّ أهـلَ العلـمِ صَـانُوهُ صـانَهُمُ ... ولَـوْ عَظَّمُـوه في النُّفـوس لَعُظّـَما
ولَكـــنْ أَهَـــانُوه فَهَـــانَ ودَنَّـــسُوا ... مُحَيَّـاهُ بـالأَطْماعِ حَتَّـى تَجَهَّـمَا[٤]

نصح العالم للمتعلم:

ومن آدابِهِمْ: نصحُ من علّموهُ، والرِّفقُ بهم، وتَسهيلُ السَّبيلِ عليهم، وبَذْلُ المجهـودِ في رِفْـدِهِمْ[٥] ومعـونتِهِم؛ فـإنَّ ذلـك أعظـمُ لأَجْـرِهِم، وأسـنَى[٦] لذكرِهِم، وأنشرُ لِعُلومِهِم، وأرسَخُ لِعلُومِهِمْ. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي -كرم الله وجهه: «**يا علي لأَنْ يَهدي الله بك رجلًا، خيرٌ ممَّـا طلعـتْ عليـهِ الشَّمسُ**»[٧].

الرفق بالمتعلمين:

(١) هان: خف. وأهانه: استخف به.
(٢) أنهنهها: أكفها وأزجرها.
(٣) جنى: التقط.
(٤) تجهما، جهم: كالح الوجه.
(٥) الرفد: العطاء.
(٦) السناء: الرفعة.
(٧) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد، ولفظه: «لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم».

ومن آدابهم: أن لا يُعَنِّفوا[١] مُتعلِّمًا، ولا يحقروا ناشئًا، ولا يستصغروا مبتدئًا، فإن ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**عَلِّمُوا ولا تُعنِّفُوا، فإنَّ المُعلِّمَ خَيْرٌ مِنْ المُعنِّف**»[٢].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَقِّروا مَنْ تَتَعلمُون مِنه، ووقِّرُوا مَنْ تُعلِّمُونه**»[٣].

تحبيب المتعلم:

ومن آدابهم ألا يمنعوا طالبًا، ولا ينفروا راغبًا، ولا يؤيسوا متعلمًا، لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهد فيما لديهم، واستِمْرار ذلك مفضٍ إلى انقراضِ العلمِ بانقراضِهِمْ. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَلاَ أُنبِّئُكُم بالفَقِيهِ كُلِّ الفقيهِ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قَالَ: مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ**[٤] **النّاسَ من رحمةِ اللهِ تَعالى، ولاَ يُؤْيِسهُمْ مِّن رَوْحِ اللهِ، وَلا يَدعُ القرآن، لا رَغْبةً إلى ما سواهُ، أَلاَ لاَ خَيْرَ فِي عبادةٍ ليسَ فيها تَفقُّهٌ، ولاَ عِلْمٍ ليسَ فيهِ تَفهُّمٌ، ولاَ قراءةٍ ليسَ فيها تَدَبُّرٌ**»[٥].

---

(١) التعنيف: التعيير واللوم.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٥٣٦) والحارث في مسنده (٤٣ زوائد الهيثمي) عن أبي هريرة، وقال الفتني في تذكرة الموضوعات ص (٢١) «فيه حميد -يعني ابن أبي سويد- منكر الحديث، لكن من شواهده «علموا ويسروا ولا تعسروا»».

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٢٩٣٣٨) وعزاه لابن النجار عن ابن عمر، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٦١٢٦) «موضوع».

(٤) القنوط: اليأس.

(٥) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٧٩٠) عن عليّ ﷺ مرفوعًا، والدارمي في سننه (٢٩٧) عن علي بن أبي طالب ﷺ موقوفًا، وقال الجاحظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٨٥) «أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السني في رياضة المتعلمين وابن عبد البر من حديث علي، وقال ابن عبد البر: أكثرهم يوقفونه عن علي».

اقتضاء العلم العمل

علم وعمل:

قال بعض الحكماء: «لولا العقل لم يكن علم، ولولا العلـم لم يكـن عمـل، ولئن أدع الحق جهلًا به خيرًا من أن أدعه زهدًا فيه»(١).

وقال أُبَيٌّ بن كعب: «تعلموا العلم واعملوا به، ولا تتعلموه لتتجملـوا بـه، فإنَّه يوشك إن طال بكم زمان أن يُتَجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه»(٢).

وقال معاذ بن جبل: «اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلـن يـأجركم الله بعلمـه حتى تعملوا»(٣).

وعن إبراهيم بن أدهم قال: «مررت بحجر ، فقلبتـه فـإذا عليـه مكتـوب: أنت بما تعلم لا تعمل، فكيف تطلب علم ما لم تعمل»(٤).

وعن الحسن قال: «اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم، فـإن الله لم يـدع قولًا إلاّ جعل عليه دليلًا من عمل يصدقه أو يكذبه، فإذا سمعت قـولًا حـسنًا فرويدًا بصاحبه، فإن وافق قوله عمله فنعم، ونعمة عين»(٥).

العلم الجميل:

قال أبو الدرداء: «لا تكون تقيا حتى تكون عالمًا، ولا تكون بـالعلم جمـيلًا حتى تكون به عاملًا»(٦).

وقال علي بن أبي طالب: «يا حملة العلم اعملوا به، فإنَّ العَالِمَ من عَلِـم، ثـم عمل، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلـم، لا يجـاوز تـراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهـم، يقعـدون حلقًـا فيبـاهي بعضهم بعـضًا، حتـى إنَّ الرجـل ليغـضب عـلى جليـسه أن يجلـس إلى غـيره ويدعه-أولئك-لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله -عز وجل- »(٧).

(١ – ٧) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

وقال ابن مسعود: «إنَّ الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق قوله فعلـه، فذلك الذي أصاب حظَه، ومن خالف قوله فعله فإنَّما يوبخ نفسه»(١).

وقال بشر بن الحارث: «إنَّما أنت متلذذ تسمع وتحكي، إنَّما يراد مـن العلـم العمل، اسمع وتعلَّم واعلم وعلِّم واهرب، ألم تر إلى سفيان كيف طلب العلم، فعلم، وعلِّم وعمل وهرب، وهكذا العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا لـيس على طلبها»(٢).

العبرة بالأعمال:

أَأُخَـــي إن المَـــرءَ حَيْـــثُ فِعَالُـــهُ فانْظُرْ لِأَحْسَن مَنْ يَكُـونُ فعـالًا

حسن القول متوقف على حسن العمل:

والمَـــرءُ لَـــيْسَ بِكَامِـــلٍ فِي قَوْلِـــهِ حَتَّـــى يُـــزيْنَ قَولَـــهُ بِفِعَالِـــهِ

ولَـــربَّما ارْتَفَـــعَ الوضِـــيعُ بِفِعْلِـــهِ ولَـــرُبَّما سَـــفَلَ الرفِيـــعُ العَـــالِي

سيماهم في وجوههم:

إِذَا قُلـتُ قَـولًا كُنْـتُ لِلْقَـولِ فَـاعِلًا وكَـانَ حَيـائي كَـافِلِي وضَـمينِي

تُبَـــشِّرُ عَنِّـــي بِالوَفَـــاءِ بَـــشَاشَتِي وَيَنْطِقُ نُورُ الصِّدقِ فَوقَ جَبِينِي

السقوط:

سَـــمَّيْت نَفْـــسَكَ بـــالكلامِ حَكِـــيمًا ولَقَـدْ أَرَاكَ عَـلى القَبِـيحِ مُقِـيمًا

طبيب يداوي الناس وهو مريض:

إِيَّـــاكَ أَنْ تعِـــظَ الرِّجـــال وقَـــدْ أَصْـــبَحْتَ مُحْتَاجًـــا إلى الـــوَعْظِ

اختبار:

إن تَحَـــلَّى الفَتَـــى بِـــمَا لَـــيْسَ فِيـــهِ فَـضَحَ الامْتِحَـانُ مَـا يَدَّعِيـه

(١،٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

انتفاء الخيرية:

فَــلَا خَــيْرَ فِي وعْــدِ إِذَا كَــانَ كَاذِبًــا ولا خَيْرَ في قَولٍ إِذَا لَمْ يَكُنِ فِعْـلُ

لا تنه عن خلق وتأتي مثله :

إذا عِبـــتَ أَمـــرًا فَـــلا تَأتِـــهِ وذُو اللُّـبِّ مُجْتَنِـبٌ مَـا يَـسْتَعِيبُ

زهد مغشوش:

يَا واعـظَ النَّـاسِ قَـدْ أَصبْحتَ مُـتَّهَمًا إِذَ عِبتَ مِنْهُمْ أُمُورًا أَنْـتَ تَأْتِيهَـا

أَصـبَحْتَ تَنْـصحُهُمْ بـالوَعْظِ مُجْتَهِـدًا والُموبقَاتِ لَعَمْرِي أَنْـتَ جَانِيهَـا

تَعيــبُ دُنْيــا ونَاسًــا رَاغِبــينَ لهــا وأَنْــتَ أَكثْـرُ مِـنْهُمْ رَغْبَـةً فِيهَـا

حقيقة معاصرة:

غَاضَ الوَفَاءُ وفاضَ الغَدْرُ وانفَرَجَتْ مَسافَةُ الخُلفِ بَيْنَ القَـولِ والعَمَـلِ

قيد العلم:

قال حكيم: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلاّ ارتحل»(١).

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «اعقلوا الخير إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقـل رواية، فروايـة العلـم كثـيرة، ورعايتـه قليلـة، كثـرة العلـم في غـير طاعـة الله الذنوب»(٢).

بين العلم والعبادة

أهمية الورع:

قال مطرف بن عبدالله الشخير ﷺ: «فضل العلم أفضل من فضل العبـادة، وحر دينكم الورع»(٣).

(١، ٢) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

العافية:

وقال أيضًا: «حظ من علمٍ أحبُّ إليَّ من حظ من عبادة، ولئن أعافى فأشكر أحب إلي من أن ابتلى فأصبر، ونظرت في الخير الذي لا شر فيه فلم أر مثل المعافاة والشكر»(١).

أهمية العلم:

وقال ابن عباس: «تذاكر العلم بعض ليلة أحبَّ إليَّ من إحيائها»(٢).

وعن أبي هريرة قال: «لئن أجلس ساعة فأفقه في ديني، أحبَّ إليَّ من أن أحيي ليلة إلى الصباح»(٣).

وقال الزهري: «ما عبدالله بمثل الفقه»(٤).

وعن الحسن قال: «العالم خير من الزاهد في الدنيا، المجتهد في العبادة»(٥).

وقال الشافعي: «طلب العلم أفضل من صلاة النافلة»(٦).

وقال سفيان الثوري: «ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النيَّة»(٧).

وقال مطرف: «العلم أفضل من العمل، ألا ترى أن الراهب يقوم الليل فإذا أصبح أشرك»(٨).

وقال ابن عباس: «إن الشياطين قالوا لإبليس: يا سيدنا ما لنا نراك تفرح بموت العالم، ما لا تفرح بموت العابد، والعالم لا تصيب منه، والعابد تصيب منه؟ قال: انطلقوا، فانطلقوا إلى عابد فأتوه في عبادته، فقالوا، إنَّا نريد أن نسألك فانصرف، فقال له إبليس، هل يقدر ربُّك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ فقال: لا أدري، فقال: أترونه! كفر في الساعة، ثم جاؤوا إلى عالم في حلقته يضاحك

(١-٧) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

(٨) كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي.

أصحابه ويحدثهم، فقال: إنَّا نريد أن نسألك فقال: سل. فقال: هل يقدر ربُّك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ قال: نعم، قال: وكيف؟ قال يقول: كن فيكون. فقال: أترون لا يعدو نفسه، وهذا يفسد عليَّ عالمًا كثيرًا»(١).

وعن ابن عباس قال: «إذا كان يوم القيامة يؤتى بالعابد والفقيه فيقال – يعني للعابد: ادخل الجنَّة، ويقال للفقيه: اشفع»(٢).

وقال أبو ذر وأبو هريرة: «باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعًا، وباب من العلم نعلمه عُمل به أو لم يعمل أحبُ إلينا من مائة ركعة تطوعًا».

إحياء الشريعة وحفظ معالم الأمة:

قال ابن جماعة: «وقد ظهر بما ذكرناه أن الاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادات البدنية من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك، لأن نفع العلم يَعُم صاحبه والناس، والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها، ولأنَّ العلم مصحح لغيره من العبادات فهي تفتقر إليه وتتوقف عليه، ولا يتوقف هو عليها ولأن العلماء ورثة الأنبياء، وليس ذلك للمتعبدين، ولأن طاعة العالم واجبة على غيره فيه، ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه، ولأن في بقاء العلم إحياء الشريعة وحفظ معالم الملة»(٣).

مراتب العلماء في العمل والإخلاص

إنما الأعمال بالنيات:

قال الذهبي رحمه الله: «قال هشام الدستوائي: والله ما أستطيع أن أقول إنِّي ذهبت يومًا قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل».

قال الذهبي: «والله ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم فنبلوا وصاروا

(١،٢) كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة الكناني ـ ط دار الكتب العلمية ـ ١٣٥٤هـ.

أئمة يقتدى بهـم، وطلبـه قـوم أولًا لله، وحَـصَّلوه، ثـم اسـتفاقوا، وحاسـبوا أنفسهم، فجرَّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهـد وغـيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النيـة بعـد، وبعـضهم يقـول: طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاّ لله، فهذا أيضًا حسن، ثم نشروه بنيةٍ صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليُثْنَى عليهم، فلهـم مـا نـووا. قـال عليه السلام: «**مَنْ غَزا يَنْوي عِقَالًا فلُه مَا نَوى**»(1) إنـما العـالم مـن يخـشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم، وولوا بـه المناصـب، فظلمـوا، وتركـوا التقيـد بـالعلم. وركبوا الكبائر والفواحش، فتبًا لهم، فما هؤلاء بعلماء.

وبعضهم لم يتق الله في علمه، بـل ركـب الحيـل، وأفتـى بـالرخص وروى الشاذ من الأخبار.

وبعضهم اجترأ على الله ووضـع الأحاديـث، فهتكـه الله، وذهـب علمـه، وصار زاده إلى النار.

وهؤلاء الأقسام كلهـم رَوَوْا مـن العلـم شـيئًا كبـيرًا، وتـضلعوا منـه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بأن نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يَدُرْ في أَذهانهم قط أَنهم يتقربون به إلى الله، لأنَّهم مـا رأوا شـيخًا يقتدى به في العلم، فصاروا همجًا رعاعًا، غاية المدرس منهم أن يحصل كتبـًا

(1) أخرجه النسائي (٦/ ٢٤)، وأحمد (٥/ ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢٩)، والحاكم (٢/ ١٠٩) عن عبادة بن الصامت، قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

مثمنة يخزنها وينظر فيها يومًا ما فيصحف مـا يـورده ولا يقـرره، فنـسأل الله النجاة والعفو» [١].

نصائح لعلماء الأمـة [٢]

إنما العلم بالعمل:

قال ابن المبارك:

فَكَيْـفَ قَـرَّتْ لأهْـلِ العِلْـمِ أَعْيـنُهُم ... أَو استَلذُّوا لَذِيذَ النَّوْم أو هَجَعُوا

والنَّــارُ ضَــاحِيَةٌ لا بُــد مَوْرِدُهَــا ... وليْسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنْجُو ومَـنْ يَقَـعُ

وطَارت الصُّحْفُ فِي الأَيْـدِي مُنـشَّرةً ... فِيهَـا الـسَّرَائِرُ والجَبَّـارُ مُطَّلِـعُ

إِمَّـا نَعِـيمٌ وعَـيْشٌ لا انْقِـضَاءَ لَـهُ ... أو الجَحِـيمُ فَـلاَ تُبْقِـى ولاَ تَـدَعُ

تَهْــوى بِــسَاكِنِهَا طَــوْرًا وتَرْفَعُــهُ ... إِذَا رَجوْا مَخْرَجًا مِـنْ غمِّها قُمِعُـوا

لِيَنْفَــع العِلْــمُ قَبْــلَ المَــوتِ عَالِمَــه ... قَدْ سَأل قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَـمَا رَجَعُـوا

الحلم والعلم:

وقال أيضًا:

جَرَّبْــتُ نَفْــسِي فَـمَا وجَــدْتُ لَهَــا ... مِـنْ بَعْـدِ تَقْـوى الإلـهِ كَـالأَدَبِ

فِي كُــــلِّ حَالاَتِهــــا وإنْ كَرِهَــــتْ ... أَفْضَلَ من صَـمْتهَا عَـن الكَـذِبِ

أَو غَيْبَــــةِ النَّــــاسِ إنَّ غَيْبَــــتَهُم ... حَرَّمهــا ذُو الجَــلاَلِ في الكُتُــبِ

قُلْــــتُ لَهَــــا طَائِعَــــًا وأَكْرَهُهَــــا ... الحِلْمُ والعِلْمُ زَيْـنُ ذِي الحَـسَبِ

إِنْ كَــانَ مِــنْ فِــضَّةٍ كَلاَمُــكِ يَــا ... نَفْسُ، فِإِنَّ السُّكُوتَ مِـنْ ذَهَـبِ

(١،٢) سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين الذهبي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط.

العلم حياة:

لا تَأْخُــذ العِلْــمَ إلاَّ عَــن جَهَابِــذَةٍ بـالعِلْمِ نَحْيَـا وبِـالأَرْواح نَفْدِيـهِ
أَمَّا ذَوُو الجَهْلِ فَارْغَبْ عَـنْ مجَالِـسِهِمْ [قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتِ العُمْيانُ تَهْدِيهِ][(١)]

أمنيات:

مُنَــايَ مِــن الــدُّنْيَا عُلُــومٌ أَبُثُهَــا وأَنْـشُرُها فِي كُـلِّ بَـادٍ وحَـاضِرِ
وأَلْــزَمْ أَطْــرَافَ الثُّغُــورِ مُجَاهِــدًا إِذا هَيْعَــةٌ ثَــارَتْ فَــأَوَّلُ نَــافِرِ
لِأَلْقَــي حِمَــامِي مُقْــبِلًا غَــيْرَ مُــدْبِرِ بِسُمْرِ العَـوالِي والرِّقَـاقِ البَـواتِرِ
كِفَاحًـا مَـع الكُفَّـارِ فِي حَوْمَـةِ الـوَغَى وأَكْرَمُ مَـوتٍ لِلْفَتَـى قَتْـلُ كَـافِرِ
فَيَــا ربِّ لا تَجْعَــلْ حِمَــامِي بِغَيْرِهَــا وَلا تَجْعَلَنِّــي مِــنْ قَطِـينِ المَقَــابِرِ

التعليم في الصغر

المبادرة إلى التعليم:

قال الحسن: «قدموا إلينا أحداثكم، فإنهم أفرغ قلوبًا، وأحفظ لما سمعوا، فمن أراد الله أن يتمه أتمه».

وقال الحسن بن علي لبنيه: «تعلموا العلم، فإنكم صغار القوم وتكونون كبارهم غدًا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب».

وعن عروة بن الزبير أنه قال لبنيه: «يا بني إنَّ أزهد الناس في عالم أهله، فهلموا إليّ فتعلموا مني؛ فإنَّكم توشكون أن تكونوا كبار قوم، إنِّي كنت صغيرًا لا يُنظر إليّ، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يُسألوني، وما شيء أشد على امرئٍ من أن يسأل عن شيء من دينه فيجهله».

---

(١) هذا الشطر مأخوذ من قول الشاعر بشار بن برد:
أعمى يقود بصيرًا لا أبـا لـكم قد ضل من كانت العميان تهديه

لا عذر لكبير:

قال الشاعر:

فَهَبْنِــي عَــذَرْتُ الفَتَــى جَــاهِلًا فَـمَا العُـذْرُ فِيـهِ إِذَا المَـرءُ شَـاخَا

وقال آخر:

مَـا أَقْـبحَ الجَهْـلَ عَـلَى مَـنْ بَـدَا بِرَأْسِـهِ الـشَّيْبُ ومَـا أَشْـعثَهْ

وقال آخر:

يُقَـوِّم مِـنْ مَيْـلِ الغُـلاَمِ المُـؤدِّبُ ولا يَنْفَعُ التَأْدِيبُ والرَأْسُ أَشْيَبُ

وقال آخر:

قَـدْ يَنْفَـعُ الأَدَبُ الأَحَـدَاثَ فِي صِـغَرٍ ولا يَنْفَعُ التَأْدِيبُ والرَأْسُ أَشْيَبُ

إنَّ الغُـصُونَ إِذا قَوَّمْتَهـا اعْتَـدلتْ ولَـنْ يَلِـيَن إِذا قَوَّمْتَـهُ الخَـشَبُ

الفهم موزع:

قال الشاعر:

رأيـتُ الفَهْـمَ لَمْ يَكُـنِ انْتِهَابًـا ولَمْ يُقْـسَمْ عَـلى عَـدَدِ الـسِّنِينِ

ولَـوْ أنَّ الـسِّنِينَ تَقَاسَـمَته حَـوَى الآبَـاءُ أَنْـصِبَةَ البَنِـينِ

خير ميراث:

قال الشاعر:

خَـيْرُ مَـا وَرَّثَ الرِّجَـالُ بَنِـيهم أَدَبٌ صَـالِحٌ وحُـسْنُ ثَنَـاءِ

هُـو خَـيْرٌ مِـن الـدَّنَانِيرَ والأَوَرا قِ فِي يـومِ شِـدَّةٍ أو رَخَـاءِ

تلْـك تَفْنَـى والـدِّينُ والأَدَبُ الـ ـصَّالِحُ لا يفنيـانِ عنـد اللِّقَـاءِ

إذا تَأدَّبْـتَ يـا بُنَـي صَـغِيرًا كُنْـتَ يَوْمًـا تُعـدُّ عنـد الكُـبَرَاءِ

وإِذَا مَـا أَضَـعْتَ نَفْـسَكَ أُلْـ ـفِيتَ كَبِيرًا فِي زُمْـرةِ الغَوْغَـاءِ[1]

(١) جامع بيان العلم وفضله ـ اختصار أبو الأشبال الزهيري ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ ـ نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

سعي من العلم:

قال الشاعر:

ومَـــنْ لَمْ يَـــذُقْ ذُلَّ الـــتَّعلُّمِ سَـــاعَةً تَجَرَّعَ كَـأْسَ الـذُّلِ طُـولَ حَيَاتِـهِ

مرارة الجهـل

مِعْوَل:

قال المعري:

العِلْـــمُ يَرْفَـــعُ بيتًـــا لا عِـــمَادَ لَـــهُ والجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْـتَ العِـزِّ والـشَّرَفِ

الجهل والتجاهل:

وقال أيضًا:

ولَمَّـا رَأَيْـتُ الجَهْـلَ في النَّـاسِ فَاشِـيًا تَجَاهَلْـتُ حَتَّـى ظُـنَّ أَنِّيَ جَاهِـلُ

انقلاب الموازين:

قال المتنبي:

ذُو العَقْـــلِ يَـــشْقَى في النَّعِـــيمِ بِعَقْلِـــهِ وأَخُو الجَهَالَـةِ فِي الـشَّقَاوَةِ يَـنْعَمُ

الجهل مسخ وتشويه:

قال معروف الرصافي:

إِذَا مَـــا الجَهْـــلُ خَـــيَّمَ فِي بِـــلاَدٍ رَأَيْتُ أُسُـودَهَا مُـسِخَتْ قُـرُودَا

داء ولا دواء:

قال ابن المعتز:

سَـــقَامُ الحِـــرْصِ لَـــيْسَ لَـــهُ شِـــفاءٌ ودَاءُ الجَهْـــلِ لَـــيْسَ لَـــهُ دَواءٌ

ظلام ونور:

قال جميل الزهاوي:

ألا إِنَّ لَيْـــلَ الجَهْـــلِ أَســـودُ دامِـــسُ وإِنَّ نَهـارَ العِلْـمِ أَبْـيضُ شَـامِسُ

الجهل موت:

قال علي بن أبي طالب:

وفي الجَهْلِ قَبْل المَوْتِ مَوتٌ لأهْلِهِ وأجْسَادُهُم قَبْل القُبُورِ قُبُورُ

إن امرأً لَمْ يَحْيَى بالعِلْمِ صدْرُهُ فَلَيْس لَهُ حتى النّشُورِ نَشورُ

أبصر الطريق:

قال عبد الغني النابلسي:

إيَّاكَ والجَهْلَ فارْغَبْ في إزَالَتِهِ لاَ بُد يَعْثُرُ مَنْ فِي ظُلْمَةٍ سَارِي

مصائب الجهل:

قال عبدالله آل ثوري:

قَدْ كَفَانَا جَهَالَةً وشَقَاءً فَأَخُو الجَهْلِ لاَ يَزَالُ شَقِيًّا

وأَخُو الجَهْل خَيْرُه لِسِوَاهُ مِنْ ثَرَى أَرْضِهِ يَكُونُ ثَرِيًّا

وأَخُو الجَهْلِ طُعْمَةً لعِدَاهُ إذْ يُرَى فِي بِلادِهِ أَجْنَبِيًّا

وأَخْو الجَهْلِ لا يُهَابُ ولَوْ كَانَ مَحُوطًا بجُنْدِهِ وقَويًّا

وأَخُو الجَهْلِ حَييٌ فَهْوَ عَبدٌ مَلِكٌ مَنْ يَعْلَمُ الحَيَاةَ رُقيًّا

وأَخُو الجَهْلِ فِي المَذَلةِ ثَاوٍ سَلَبَ الجَهْلُ مِنه نَفَسًا عَليًّا(١)

استغلال الأوقات

أهمية استغلال الوقت:

يقول الشيخ القرضاوي في مقدمة كتابه: «الوقت في حياة المسلم» عن الدافع الذي دفعه إلى الكتابة: «... ما عايشته وأعايشه اليوم في دنيا المسلمين من إضاعة للأوقات، وتبذير للأعمار، جاوز حدّ السّفه إلى العته، حتى غدوا في

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ـ أحمد قبش ـ ط٢، ١٤٠٣هـ ـ دار الرشيد.

ذيل القافلة، وقد كانوا منها في مأخذ الزمام، فلا عملوا لعمارة دنياهم، شأن أهل الدنيا، ولا لعمارة آخرتهم شأن أهل الدين، بل خربوا الدارين، وحرموا الحسنيين، ولو فقهوا لعملوا للدنيا كأنهم يعيشون أبدًا، وعملوا للآخرة كأنهم يموتون غدًا، وجعلوا شعارهم الدعاء القرآني الجامع: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

السُنةُ تحضُ على الانتفاع بالوقت:

عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي قال: «**لَنْ تَزولَ قَدمَا عَبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربْعِ خصَال: عن عُمُرِهِ فيما أفْنَاه، وعن شَبَابِهِ فيما أبلاهُ، وعن مَالِهِ من أينْ اكتسَبَهُ وفيما أنْفَقه، وعن عِلْمِهِ ماذَا عَمِلَ به**». رواه الطبراني بإسناد صحيح[2].

انقضاء الوقت:

يقول أحد الشعراء معبرًا عن سرعة انقضاء الوقت:

مَرَّتْ سِنينٌ بِالوصَالِ وبِالهَنَا ... فَكَأنَّهَا مِنْ قِصْرِهَا أيَّامُ

ثُمَّ انْثَنَتْ أيامُ هَجْرٍ بَعْدَهَا ... فَكَأنَّها مِنْ طُولِهَا أَعْوَامُ

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْك السُّنون وأَهْلُهَا ... فَكَأنَّهَا وكأنَّهُم أحْلاَمُ

أقوال مأثورة في الاستفادة من الوقت:

(أ) «أدركت أقوام عمربن عبدالعزيز كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصًا

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٠) (١١١) عن معاذ بن جبل ﷺ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٦): «رواه الطبراني والبزار بنحوه، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير صامت بن معاذ وعدي بن عدي الكندي وهما ثقتان» وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٥٤٤٤): «رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح واللفظ له».

على دراهمكم ودنانيركم» الحسن البصري.

(ب) «إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما».

(جـ) «ما ندِمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي» عبد الله بن مسعود.

(د) «من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عقَّ يومه وظلم نفسه» حكيم.

الشباب والشيخوخة

أمران عظيمان:

قال علي:

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدِّمَاءَ عَلَيهِمَا ... عَيْنَاي حَتَّى تَأْذَنَا بِذَهَابِ

لَنْ تَبْلُغَ المِعْشَارَ مِنْ حَقَّيْهِمَا ... فَقْدُ الشَّبَابِ وفُرْقَةُ الأحبَابِ

أمنية:

وقال كعب بن زهير:

لَيْتَ الشَّبَابَ حَليفٌ لاَ يُزَايلُنَا ... بَلْ لَيْتَه ارتدَّ مِنْه بَعضُ ما سَلَفَا

تصبر:

قال دُعبل:

إنَّ المَشِيبَ رِدَاءُ الحِلْمِ والأَدَبِ ... كَمَا الشَّبَابُ رِدَاءُ اللَّهْوِ واللَّعِبِ

حقيقة تفرضها السنون:

قال عمرو بن زيد:

الشَّيْبُ حِلْمٌ رَاجِعٌ ورَزَانَةٌ ... فِيهِ، وتَجْرِبَةٌ لِمَنْ قَد جَرَّبَا

أسس الفساد:

قال أبو العتاهية:

إنَّ الـــشَّبَابَ والفَـــرَاغَ والجَـــدَهْ مَفْـــسَدَةٌ للمَـــرْء أَيُّ مَفْـــسَدَةْ

اغتنم شبابك:

قال محمد الأسمر:

إِذَا لَمْ تُحَـــاوِلْ في شَـــبَابِكَ غَايـــةً فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ وَقْتٍ تُحَـاوُلُ

وكَمْ مِن شَـبَابٍ ضَـاعَ فِي غَـيْرِ طَائِـلٍ فَشَابَ أَخُوهُ وهْوَ فِي النَّاس جَاهِـلُ

محاسن الشباب:

قال شوقي:

كَــرَمٌ وصَــفْحٌ فِي الــشَّبَابِ وطَالَمَـا كَـرُمَ الـشَّبَابُ شَـمَائلًا وميـولًا

قُومُوا اجْمَعُوا شَـعب الأبـوةِ وارْفَعُـوا صَـوتَ الـشَّبَابِ مُحَبَّـا مَقْبُـولًا

الشيب نذير:

قال يحيى بن زياد:

دَعْ التَّـصَابِي فـإنَّ الـشَيْبَ قَـدْ لاَحَـا أَوْ قَدْ أَرَاكَ قُبَيْلَ الـشَّيْبِ مِمْزَاحَـا

وقَـدْ يَعِيـبُ الفَتَـى خَـطُّ المَشِيب بِـهِ إِذَا غَـدَا مَـرّةً للَّهْـو أو رَاحَـا

والشَيْبُ يَقْطَـعُ مِـنْ ذِي اللَّهْـو شَرتَـهُ ويُذهبُ المُـزْحَ مِمَّـنْ كَـان مَزَّاحًـا

والــشيبُ سَــابِقَةٌ للمَــوْتِ قَدَّمــهُ ثُمَّ تَرى المَـوْتَ للأَقْـوَامِ فَـضَّاحًا

القرب من الموت:

قال أسامة بن منقذ:

لاَ تَحْـــسِدنَّ عَـــلَى البَقَـــاءِ مُعَمَّـــرًا فـالمَوْتُ أَيْـسَرُ مَـا يَـؤُولُ إليـهِ

وإذا دَعــوتَ بِطُــولِ عُمْــرٍ لامْــرِئٍ   فَاعْلَمْ بأَنَّكَ قَدْ دَعَـوْتَ عَلَيْـهِ[1]

محاسن الكتاب ومزاياه

قال الجاحظ: «الكتاب نعم الذخر والعُقْدَةُ، ونعم الجليس والعمدة، ونعم النشرة والنزهة، ونِعْم المَشْغَلُ والحرفة، ونعم الأنـيس سـاعة الوحـدة، ونِعـم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل والوزير والنَّزيل، والكتـاب وعـاءٌ ملئ علمًا، وظَرف حُشى ظُرفًا، وإناء شُحن مزاحًا وجدّا، إن شئت كـان أبـين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعيـا مـن باقـل، وإن شـئت ضـحكت مـن نوادره، وعجبت من غرائب فوائـده، وإنْ شـئت ألهتـك نـوادره. وإن شـئت شجتك مواعظه، ومن لك بواعظٍ مُلْهٍ، وبزاجر مُغْرٍ، وبناسك فاتـك، ونـاطق أخرس، وبيّار دحَّار، ومن لك بطبيب أعرابي، وبرومي هندي وفارسي يوناني، وبقديم مولَّـد، وبميـت ممتـع، ومـن لـك بـشيءٍ يجمـع لـك الأول والآخـر، والناقص والوافر والشاهد والغائب، والرفيع والوضـيع، والغـثَّ والـسمين، والشكل وخلافه والجنس وضدَّه»[2].

قال المؤيد: « وقال علي بن أبي طالب: «الأدب كنز عند الحاجة وعونٌ عـلى المروءة وصاحب في المجلس، أنيس في الوحدة، تعمر به القلوب الواهية وتحيـا به الألباب الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا»[3].

الكتابة والكُتَّاب:

قال المؤيد :

« كتاب الملـوك عيـونهم النـاظرة، وآذانهـم الواعيـة، وألـسنتهم الناطقـة،

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ـ أحمد قبش.

(٢) نهاية الأرب للنويري.

(٣) المستطرف للأبشيهي.

والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة وهي صناعة جليلة تحتـاج إلى آلات كثيرة»[1].

وقال سهل بن هارون:«الكتابة أول زينة الدنيا، التي إليها يتناهى الفـضل، وعندها تقف الرغبة»[2].

محاسن الكتب:

وقد أهدى بعض الكُتَّاب إلى صديق له دفـترًا وكتـب لـه: هـديتي هـذه – أعزك الله– تزْكو عن الإنفاق، وتربـو عـلى الكـد، لا تفـسدها العـواري، ولا تخلقها كثرة التقليب، وهي أنس في الليل والنهـار، والـسفر والحـضر، تـصلح للدنيا والآخرة، تؤنس في الخلوة وتمتع في الوحـدة مـسامر مـساعد، ومحـدث مطواع، ونديم صديق».

قال الشاعر:

نِعْـــمَ الحَـــدِيثُ والرَّفِيـــقُ كَتَـــابٌ ... تَلهُـو بِـهِ إِنْ خَانَـكَ الأَصْـحَابُ

لاَ مُفْـــــشيًا سِرًا إِذَا اســـــتَوْدَعْتَهُ ... وَتُنَـالُ مِنْـهُ حِكْمَـةٌ وَصَـوابٌ

جهاد القلم

القلم أقطع:

قال الشاعر:

قَـــوْمٌ إذا خَـــافُوا عَـــدَاوةَ مَعْـــشَرٍ ... سَـفَكُوا الـدِّمَا بأسـنَّةِ الأقْـلامِ

لمَـــشَقَةٌ مِـــن كَاتـــبٍ بِمِـــدَادِهِ ... أَمْضَى وأَقْطَعُ مِنْ صَـنِيعِ حُـسَامِ

القلم سلاح حاد:

قال آخر:

مـا الـسَّيْفُ والـسَّيْفُ سيف الكَمِـيِّ ... بِـأَخْوفَ مِـنْ قَلَـمِ الكَاتِـبِ

(١،٢) العقد الفريد.

لَـــــهُ غَايَــــــةٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهـــــــا ظَهَـرَتْ عَـلَى سَـوْءةِ الغَائِـبِ
آداةُ المَنِيَّــــــــةِ في جَانبَيْـــــــهِ فَمَـــنْ مِثْلُـه رَهْبَــةُ الرَّاهِـبِ
ســـــنَانُ المَنِيَّـــــةِ في جَانِــــبٍ وسَـــيْفُ المَنِيَّـــةِ فِي جَانِـــبِ
أَلَمْ تَـــــرَ فِي صَــــدْرِهِ كالــسِّنان وفِي الرِّدْفِ كـالمُرْهَفِ القَاضِـبِ
فَيجْـــرِي بِـــهِ الكـــفّ فِي حَالـــةٍ عَـلَى هَيْئَـةِ الطّـاعِنِ الـضَّارِبِ

وقال آخر:

لَـكَ القَلَـمُ الَّــذِي لَمْ يَجْـر لُؤمًـا بِغَايَــةِ مَنْطِــقٍ فَكَبَــا بِعِـــيِّ
ومُبْتَـــسِمٌ عَـــن القِرْطَــاسِ يَأْسُـــو ويَجْـرَحُ وهُـوَ ذو بَـالٍ رَخِــيِّ
فَــمَا المِقْــدَادُ أَغْــضَبَ مَــنْ نَــشَاهُ ولا الصَّمْـصَامُ سَيْفُ المُـدْحَجِيِّ[1]

القول منفذ ما لا تنفذ الإبر:

قال معقر بن حَمَار البارقي:

الـــشِّعْرُ لُـــبُّ المَـــرْءِ يَعْرِضُـــهُ والقَــوْلُ مِثْــلَ مَوَاقِــع النَّبْــلِ

وقال آخر:

والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر[2].

﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[3]:

قال الشاعر:

إِذَا أَقْـسَم الأبْطَـالُ يَوْمًـا بِـسْيفِهم وعَدُّوهُ مِمَّا يُكْسِبُ المَجْدَ والكَرَمْ

---

(١) المحاسن والمساوئ، للشيخ محمد بن إبراهيم البيهقي –ط ١/ ١٣٨٠ مطبعة دار بيروت للطباعة والنشر.
(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس –لابن عبد البر القرطبي.
(٣) القلم: ١.

كَفَـى قَلَـمُ الكُتَّـابِ مَجْـدًا ورِفْعَـةً مَدَى الدَّهْرَ أنَّ اللهَ أَقْسَمَ بـالقَلَم

السيوف خدم:

قال الشاعر:

إنْ يَخْدِمَ القَلَمُ السَّيْفَ الذي خَـضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ودَانَـتْ خَوْفَـهُ الأُمَـمُ

فـالمَوتُ - والمَـوتُ لا شَيءٌ يغَالِبُـهُ - مَا زَال يَتْبَعُ مَـا يَجْـرِي بِـهِ القَلَـمُ

بِـذَا قَـضَى اللهُ للأَقْـلاَمِ مُـذْ بُرِيَـتْ أنَّ السّيُوفَ لها - مُذْ أُرْهَفَتْ - خَدَمُ[1]



(١) زهر الآداب وثمر الألباب –لأبي إسحاق القيرواني.



الْبَابُ الثَّالِثُ

الزهد في الدنيا والعمل للآخرة



قيمة الدنيا

هموم كلها الدنيا:

قال رجل لعلي بن أبي طالب: «صِفْ لي الدنيا قال: ما أصفُ في دارٍ أولُها عناءٌ وآخرها فناءٌ، حلالُها حسابٌ، وحرامُها عذابٌ، من أمن فيها سقم، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حَزِن»(١).

وقال بعض الصالحين: «الدنيا دار عزمت فيها الأحزان، وذمها الرحمن وسلَّط عليها الشيطان يُضَلُّ به الإنسان»(٢).

وسئل عنها آخر فقال: «من نالها ماتَ عنها، ومنْ لم ينلها مات حسرة عليها»(٣).

المعرفة راحة:

وقال سفيان: «الدنيا دَارُ التواء لا استواء، مَنْ عرفها لم يفْرح فيها برخاء ولم يحزن بشقاء»(٤).

مزرعة إبليس:

وقال المسيح – عليه السلام: «الدنيا مزرعةُ إبليس وأهلها له حُرَّاث»(٥).

قتل وغرم:

وقيل: «كُلُّ قتيلٍ يُقتص له يوم القيامة إلا قتيل الدنيا يُقتص منه»(٦).

هوان الدنيا تكريم:

وقيل: «الدنيا تَضرُّ مُحبيهَا، ما كَرمت على أحد نفسه إلا هانَتْ عليه الدنيا»(٧).

أمن وحذر:

وقال عمربن عبدالعزيز: «الدنيا لا تضر إلا من أَمِنهَا، ولا تنفع إلا من حَذَرَها»(٨).

(١–٨) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

هموم:

وقال عمر بن الخطاب: «ما كانت الدنيا هَـمَّ امـرئ إلا لـزم قلبـه خـصالٌ أربع، فقرٌ لا يُدرك غناه، وهمٌّ لا ينقضي مداه، وشغلٌ لا ينفـد أولاه، وأمـل لا يدرك منتهاه»(١).

وضوح لغير الغافلين:

قال علي بن أبي طالب: «الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمـن فهـم عنها، ودار غنى لمن تزوَّد منها، مَهبِطُ وحي الله، ومـصلى ملائكتـه، ومـساجد أنبيائه، ومتاجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنَّة، فمن ذا يذمها، وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، فيا أيها الذام لها، بمَ خدعتك الدنيا؟ أم بماذا استذمت إليك، أبمصارع أمَّهاتك في الثرى، أم بمـضاجع آبائـك للـبلى. لقـد تطلـب علينـا الـشفاء واستوصـف الأطبـاء حـين لا يغنـى دواؤه ولا ينفعـه بكاؤه»(٢).

غنى كالعدم:

كتب أُبي بن كعب إلى أخ له: «أما بعد، فإن الدنيا دار فناء، ومنزل قطيعة، رغب عنها السعداء، وانتزعت من أيدي الأشقياء، فغناها فَقْدٌ، والعلم بها جهلٌ»(٣).

نصيبك يأتيك:

قال أبو حازم: «وجدت الدنيا شيئين: شيئًا لي، وشيئًا لغـيري، فـما كـان لي منها لم ينله غيري، ولو رامـه بحيلـة الـسموات والأرض ففـيم العنـاء والغـم والتعب»(٤).

متاع قليل:

قيل لعامر بن عبد قيس: «لقد رضيتَ من الدنيا باليسير. قال: ألا أخـبرك

---

(١) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٢- ٤) بهجة المجالس لابن عبد البر.

بمن رَضِيَ بدون ما رضيت. قيل مَنْ؟ قال: من رضي بالدنيا حظًا عن الآخرة»[١].

الدنيا بلاغ إلى حين:

قال عمر بن عبد العزيز: «أيها الناس إنَّما الدنيا أجل محتوم، وأمل منتقص، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم الله من فكَّر في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربَّه واستقال ذنبه»[٢].

عنجهية:

قال أفلاطون: «وإذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره، تنكَّرت أخلاقه للناس»[٣].

خديعة:

وقال علي بن أبي طالب: «من وُسِّعَ عليه في دنياه ولم يعلم أنه مُكِرَ به فهو مخدوع»[٤].

دواء ناجح:

وقال حكيم: «الدنيا تُطلب لثلاثة أشياء: للغنى والعز والراحة، فمن زهد فيها عز، ومن قنع استغنى، ومن قَلَّ سعيه استراح»[٥].

تشبيه:

وقال علي بن أبي طالب: «الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب، إذا قربت من أحدهما بَعْدَتَ من الآخر»[٦].

(١،٢) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٣) لباب الآداب لابن منقذ.

(٤-٦) ربيع الأبرار للزمخشري.

اشتداد الحريق:

وقال بكر المزني: «المستغنى عن الدنيا بالدنيا كَمُطْفِئِ النار بالتبن»[١].

عقوبة:

وقال إبراهيم بن إسماعيل: «العجب لمن يغتر بالدنيا، وإنما هي عقوبة ذنب»[٢].

كيف التي لم تطلبها؟:

وقال الحسن البصري لرجل: «كيف طلبك الدنيا؟ قال: شديد، قال: فهل أدركت منها ما تريد؟ قال: لا، قال: فهذه التي تطلبها لم تدرك منها ما تريد، فكيف التي لم تطلبها»[٣].

دنو:

قيل لحكيم: «ما مثل الدنيا؟ قال: هي أقل من أن يكون لها مثل»[٤].

صغير وأصغر:

قيل لزاهد: أي خلق الله أصغر؟ قال: الدنيا إذ كانت لا تعدل عنده جناح بعوضة. فقال السائل: «ومن عَظَّم هذا الجناح كان أصغر منه»[٥].

غنيمة العقلاء:

وقال وهب بن منبه: «الدنيا غنيمة الأكياس، وحسرة الحمقى»[٦].

احترس:

وقال يحيى بن معاذ: «الدنيا حانوت الشيطان، فلا تسرف من حانوته فيجئ في طلبك فيأخذك»[٧].

(١-٧) ربيع الأبرار للزمخشري.

خراب وعمران:

وقال يحيى بن معاذ أيضًا: «الـدنيا دار خـراب، وأخـرب منهـا قلـب مـن يعمرها،. والآخرة دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها»(١).

أضغاث:

وقال عـلي بـن الحـسين: «الـدنيا سـبات، والآخـرة يقظـة، ونحـن بيـنهما أضغاث»(٢).

سفينة محفوظة:

قال لقمان لابنه: يابني إنَّ الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيـه نـاس كثـيرون، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله -عـز وجـل-، وحمولتهـا الإيـمان بـالله تعـالى، وشراعها التوكل على الله -عز وجل-، لعلك تنجو وما أراك ناجيًا»(٣).

الهوى رأس مال الدنيا :

قال بعض الحكماء: إنك إن تصبح في شيءٍ من الدنيا، إلا وقد كان له أهـل قبلك، وسيكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم، فلا تهلك في أكله، وصم عن الدنيا، وأفطر على الآخرة، وإن رأس مـال الـدنيا الهوى، وربحها النار»(٤).

خزف يفنى:

قال الفضيل بن عياض: «لو كانت الدنيا من ذهـب يفْنـى، والآخـرة مـن خزف يبقى لكان لنا أن نختار خزفًا يبقى، على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفًا يفنى على ذهب يبقى»(٥).

---

(١) ربيع الأبرار للزمخشري.

(٢- ٥) إحياء علوم الدين للغزالي.

انج بنفسك:

قال أبو حازم: «إياكم والدنيا، فإنَّه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة، إذا كان معظِّمًا للدنْيا، فيقال: هذا عَظَّم ما حقَّره الله»(١).

موقف صعب:

وقال بشر: «من سأل الله الدنيا، فإنَّما يسأله طول الوقوف بين يديه»(٢).

غاية لا ينتهي طلبها:

وقال أبو سليمان الداراني: «من طلب الدنيا على المحبَّة لها، لم يعط شيئًا إلا أراد أكثر، ومن طلب الآخرة على المحبة لها، لم يعط منها شيء إلا أراد أكثر، وليس لهذا غاية»(٣).

القناعة كنز:

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَوَاهُ وهَمَّهُ ... سَبَتْهُ المُنَى واسْتَعْبَدَتُهُ المَطَامِعُ

وَمَنْ عَقِلَ اسْتَحْيَا وأَكْرَمَ نَفْسَهُ ... ومَنْ قَنَعَ اسْتغَنَى فَهلْ أنتَ قانِعُ؟

هكذا الدنيا:

نَبْكِي عَلى الدُّنْيا وَما مِنْ مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا

أَيْنَ الأكَاسِرةُ الجَبَابِرةُ الأُولَى ... كَنَزَوا الكُنُوزَ فَمَا بَقَيْنَ ولا بَقُوا

مِن كُلِّ مَنْ ضَاقَ الفَضَاءُ بِجَيْشِهِ ... حَتَّى ثَوَى فَحْوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ

خُرْسٌ إِذَا نُودُوا كَأنْ لَمْ يَعْلَمُوا ... أَنَّ الكَلاَمَ لَهُمْ حَلالٌ مُطْلَقُ

فَالمَوْتُ آتٍ والنُّفُوسُ نَفَائِسٌ ... والمُسْتَعِزُ بِمَا لَدَيهِ الأَحْمَقُ

والمَرءُ يَأْمَلُ والحَيَاةُ شَهِيةٌ ... والشَّيْبُ أَوْقَرُ والمشِيبَةُ أَنْزَقُ

(١، ٢) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٣) روض الأخيار لمحمد بن قاسم.

عدو متخفٍ:

قال أبو فراس الحمداني:

ومـا النـاسُ إلا هالِـكٌ وابـنُ هَالِـكٍ وذُو نَـسَب فِي الهَـالكِينَ عَرِيـقِ
إِذا امْـتَحَن الـدُّنَيا لبِيـبٌ تكـشَّفَتْ لَهُ عن عَدوٍ في ثِيَـابِ صَـدِيقِ[1]

مذموم مرغوب:

أَصـــبَحتِ الـــدُّنْيا لَنَـــا عِـــبْرَةً والحمْـــدُ للهِ عَـــلَى ذَلِكَـــا
قَـــد أجْمَـــعَ النَّـــاسُ عـــلى ذَمِّهَـــا ومَـــا نَـــرى مِـــنْهم لهَـــا تَارِكًـــا

حسرة في الإدبار وهم في الإقبال:

وقال إبراهيم بن أدهم:

ومَـــنْ يحمَـــدِ الـــدُّنيا لـــشيءٍ ينالـــهُ فَسوفَ لعَمْرِي عَنْ قَلِيل يَلُومُهَـا
إِذَا أَدْبرتْ كَانَتْ عَـلى النَّـاسِ حـسْرةً وإنْ أقبَلتْ كانَتْ كَثِـيرًا همُومُهَـا[2]

يكفيك زاد الراحل:

قال محمود الوراق:

هِـــي الـــدُّنْيا فَـــلا يَغْـــرُرْكَ منهَـــا مَخَايـــلُ تَـــسْتَفزُّ ذَوي العقُـــولِ
أَقَـــلُّ قَلِيلِهَـــا يكْفِيـــكَ مِنْهَـــا ولكـــنْ لَـــيْسَ تَقْنَـــعُ بالقَلِيـــلِ
تُـــشيدُ وتَبْتَنِـــي فِي كُـــلِّ يَـــوْمٍ وأَنْـــتَ عَـــلَى التَجهُّـــزِ والرَّحِيـــلِ
ومَـــنْ هَـــذا الـــذِي يُبقِـــى عَلَيْهَـــا مَـــضَارِبَهُ بِمَدْرَجَـــةِ الـــسُّيولِ[3]

---

(١) الآداب لجعفر شمس الخلافة.

(٢، ٣) المحاسن والمساوئ للبيهقي.

بناء تهدّم:

وقال آخر:

أَرى طَالِبَ الدُّنْيَا وإنْ طَالَ عُمْرُهُ ... ونَالَ من الدُّنيا سُرُورًا وأَنْعُمَا

كَبَانٍ بَنَى بُنْيَانَهُ فأَقَامَهُ ... فَلَمَّا اسْتَوَى مَا قَدْ بَنَاهُ تَهَدَّمَا[١]

تمزيق الدين:

قال إبراهيم بن أدهم:

نُرقِّعُ دُنيانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنا ... فَلا دِينُنَا يَبْقَى ولاَ ما نُرَقِّعُ

فَطُوبى لِعَبْدٍ آثَرَ الله ربَّه ... وجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يُتَوقَّعُ[٢]

سحابة صيف:

قال سفيان الثوري:

أَرَى أَشْقِياءَ النَّاسِ لا يَسْأَمُونَها ... على أنَّهم فِيهَا عُراةٌ وجُوَّعُ

أَرَاها وإِنْ كَانَتْ تُحَبُّ فإنَّها ... سَحَابَةُ صَيْفٍ عنْ قَليلٍ تَقشَّعُ[٣]

سفن جديدة:

قال الشافعي:

إنَّ لله عبادًا فُطَنَا ... طَلَّقُوا الدُّنْيا وخَافُوا الفِتَنَا

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ... أنها لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا

جَعَلُوهَا لُجَّةً واتَّخَذُوا ... صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا[٤]

ثوب اليأس:

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٣) بهجة المجالس لابن عبد ربه.

(٤) الكشكول للعاملي.

وقال علي بن القاسم السجستاني:

خَلِــيلَيَّ قُومــا فــاحْمِلا لِي رِسَــالةً وقُــولاَ لِــدُنْيَانَا الَّتِــي تَتَــصنَّعُ

عَرَفْنَــاكِ يــا خَدَّاعــةَ الخَلْــقِ فــاغْرُبِي أَلسنا نَرى مَـا تَـصْنَعِينَ ونَـسْمَعُ

نُغَطِّـي بثـوب اليَـأْس منـك عُيونَنـا إذا لَاحَ يومًا من مَخازِيك مَطْمَـعُ

رَتِعْنَــا وجُلْنَــا في مَراعِيــكِ كُلهــا فلـم يهننـا فـيما رعينـاه مرتَـعُ[1]

دنيا غرورة:

وقال علي بن أبي طالب:

فلــم أرَ كالــدُنْيا بهــا اغــترَّ أهلُهَــا ولا كاليقين استوحَشَ الدهرَ صـاحبُه

أمُــرُّ عــلَى رَســمِ الــدِّيارِ كــأَنَّما أمُرُّ على رَسـم امـرئٍ مَـا أُنَاسـبُه

فــوالله لــولَا أَنَّنِــي كــلَّ ســاعَةٍ إذَا شئتُ لاقيتُ امرأً ماتَ صـاحِبهُ[2]

نصيحة مجرب:

قال شاعر:

يــا مــنْ عَــلى الــدُّنْيا يجــاذبْ وعَــلى زَخَارِفِهــا يُغاضــبْ

تَرْجــو وتَطْلــبُ وصْــلَها ليْـسَتْ لِـصَاحِبها بـصَاحبْ

بينَــا تراهــا عنْــدَه إذْ فارَقتْــه ولمْ تُراقِــبْ

إنِّي خــبرْتُ حَــدِيثَهَا يا صاحِ من طُولِ التَّجـارب[3]

إضاعة العمر:

(١،٢) الكشكول للعاملي.

(٣) أدب الغرباء للأصبهاني.

وقال الشاعر:

عَجبــتُ للمــرءِ في دُنيــاه تُطْمعُــه فِي العَيْشِ والأَجَـلُ المَحْتُـومُ يَقْطَعُـهُ
يُمْـسِي ويُـصْبحُ فِي عَـشْواءَ يَخْطُبُهـا أَعْمَى البَـصِيرَةِ والآمـالُ تَخْدَعُـهُ
يَغْــترُّ بالــدَّهْرِ مــسْرورًا بــصُحْبَتِهِ وقَـدْ تَـيَقَّنَ أنَّ الـدَّهْرَ يَـصْرَعُه
ويَجْمَــعُ المَــالَ حِرْصًــا لا يُفَارِقُــه وقَــدْ دَرَى أنَّــه للغَــيْرِ يَجْمَعُــه
تُــراهُ يُــشْفِقُ مِــن تَــضْييعِ دِرْهَمِــهِ ولَيْسَ يُـشْفِقُ مِـن دِيـنٍ يُـضيِّعُهُ
وأســـوأُ النَّـــاسِ تَـــدْبِيرًا لعاقِبــةٍ مَنْ أَنْفَق العُمْرَ فِي مَا لـيْس ينْفَعُـه(١)

حقيقة الدنيا

اغتنم الفرصة قبل نفاد المدة:

قال حكيم: «إن الدنيا تُقبل إقبال الطالب، وتدبر إدبار الهارب، وتصل وصال الملول، وتفارق فراق العجول، فخيرها يسير، وعيشها قـصير، وإقبالهـا خديعـة، وإدبارها فجيعة، ولذاتها فانية، وتبعاتها باقية، فاغتنم غفوة الزمان، وانتهز فرصـة الإمكان، وخذ من نفسك لنفسك، وتزود في يومك لغدك قبل نفاد المـدة وزوال القدرة، فلكل امرىءٍ من دنياه ما ينفقه على عمارة أخراه».

* * *

تقلب الدنيا:

وقال آخر: «إنَّما الدنيا كالشبكة، تلتف على من يقع فيها، ولا تحوى على من أعرض عنها، فلا تَمِل بقلبك إليهـا، ولا تقبـل بوجهـك عليهـا، فإنَّهـا خلَّابـة سحَّارة غدَّارة مكَّارة تطيل الأمل، وتزيل الـدول، وتطـوي الآجـال، وتبـدل الأحوال، تخلط حلوها، بمر وتصل نفعها بضر»(٢).

---

(١) جواهر الأدب للهاشمي – دار الفكر – ١٤٠٣هـ.

(٢) فرائد الخرائد في الأمثال – لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخـوبي –نـشر الرئاسـة العامـة لرعايـة الشباب– الدمام –السعودية.

اشتر نفسك:

قال ابن السماك: «الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء، وغدًا تصير إلى دار الجزاء، فاشتر نفسك لعلك تنجو»(١).

قصر الأمل

الزهد الحقيقي:

قال سفيان الثوري: «الزهد في الدنيا وقصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء»(٢).

التوكل وقصر الأمل:

وقال صالح البراد: «رأيت زرارة بن أوفى بعد موته في منامي، فقلت: أي الأعمال أبلغ فيما عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل»(٣).

انقطاع الأمل في الدنيا:

وقال داود الطائي: «لو أمَّلتُ أن أعيش شهرًا، لرأيتني قد أتيت عظيمًا! كيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلق في ساعات الليل والنهار»(٤).

خطفات المنايا:

قال عمربن عبد العزيز: «.. ولا يطولن عليكم الشيطانُ الأملَ فتقسو قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم، فإنَّه و الله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه، ولا يُمسي بعد صباحه، وربّما كانت بين ذلك خطفات المنايا...»(٥).

---

(١) سير أعلام النبلاء – لشمس الدين الذهبي – الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة –تحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٢-٥) حلية الأولياء للأصبهاني.

في انتظار المسافر والحيّ:

قال شميط بن عجـلان: سـمعت أبي يقـول: «طالـت آمـالكم، فجـدَّدتم منازلكم من الدنيا، وطيَّبتم مِنْها معايشكم، وتلذذتم فيها بطيب الطعام، ولين اللباس، كأنَّكم للدنيا خلقتم، أولَا تعلمون أن الموت أمـامكم؟ أولا تعلمـون أن مَلك الموت موكل بآجالكم، لا يذهب عنـه مـن المـدَّة شيء؟ لا تكونـوا – رحمكم الله – أقل شيء بالموت اكتراثًا، وأعظم شيءٍ عن الموت غفلة، فما ينتظر الحي إلا الموت، وما ينتظر المسافر إلا الظعن»[١].

أمامك فرصة:

بينما سليمان بن عبدالملك في المسجد الحرام، إذ أتى بحجـر منقـور، فطلـب من يقرؤه، فَأُتِي بوهب بن منبه، فقرأه فإذا فيه: ابن آدم إنَّك لو رأيت قريب مـا بقي من أجلك لزهـدت في طـول أملـك، ولرغبـت في الزيـادة مـن عملـك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنَّما يلقـاك غـدًا نـدمك لـو قـد زَلَّـتْ بـك قدمك، وأسلمت أهلك وحشمك، فبان منك الولد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامـة قبل الحسرة والندامة»[٢].

سقوط الحجة:

قال الربيع بن عبد الرحمن: «قطعتنا غفلة الآمال عن مبادرة الآجال، فنحن في الدنيا حيارى لا ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أثرهـا غفلـة... إنْ تحـسن أيهـا المرء يحسن إليك، وإن تسئ فعلى نفسك بالعتـب، فـارجع فقـد تبـين وأعـذر وأنذر، فما للناس على الله حجَّةٌ بعد الرسل، وكان الله عزيزًا حكيمًا»[٣].

(١–٣) حلية الأولياء للأصبهاني.

الزهد والورع

أنواع الزهد:

قال إبراهيم بن أدهم: «الزهدُ ثلاثة أصناف: زهدُ فرض، وزهدُ فضل، وزهد سلامة. فَزُهْدُ الفرض هو الزهد في الحرام، وَزُهْدُ الفضل: هو الزهد في الحلال، وزهد السلامة هو الزهد في الشبهات»(١).

وقال أيضًا: «الورع ورعان: ورع فرض، وورع حذر. فورع الفرض: الورع عن معاصي الله تعالى، وورع الحذر: الورع عن الشبهات»(٢).

اتقِ المحارم:

وقال ابن المبارك: «ترك فلس من الحرام أفضل من مئة ألف فلس يُتَصدَّق بها»(٣).

ازهد في الدنيا:

وقال بعض السلف: «تابعنا الأعمال فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا»(٤).

راحة تامة:

وقال عمر: «الزهادة في الدنيا راحة للقلب والجسد»(٥).

الإثم الخفي:

وقال بلال بن سعد: «كفى به ذنبًا أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها»(٦).

(١-٣) تنبيه الغافلين للسمرقندي.

(٤-٦) إحياء علوم الدين.

عشق الجنة:

وقال وهب بن منبه: «إنَّ للجنَّة ثمانية أبواب، فإذا صار أهل الجنَّة إليها جعل البوابون يقولون: وعزَّة ربنا لا يدخلها أحَدٌ قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنَّة»(١).

تقاة زهاد:

قال الحسن البصري: «أدركت أقوامًا وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي في أعينهم أهون من التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطول ثَوْبًا، ولم ينصب قدرًا، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئًا، ولا أمر من بيته بصنْعة طعام قط، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربَّهم في فكاك رقابهم. كانوا إذا عملوا حسنة، دأبوا في شكرها، وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم، وسألوا الله أن يغفرها لهم، فلم يزالوا على ذلك. و الله ما سلموا من الذنوب ولا نجوْا إلا بالمغفرة ورحمة الله عليهم ورضوانه»(٢).

زهد البطون:

وقال قاسم الجوعي: «الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف، فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد»(٣).

أفضل الزهد:

وقال يوسف بن أسباط: «من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال، فقد أخذ بأصل الزهد»(٤).

وقال الفضيل: «الزهد في الدنيا هو القناعة»(٥).

(١-٥) إحياء علوم الدين.

حجاب عن النار:

وقال أبو الدرداء: «إنَّ من تمام التقوى أن يتقى العبد في مثقـال ذرة، حتـى يترك بعض ما يرى أنَّه حلال خشية أن يكون حرامًا، حتى يكون حجابًـا بينـه وبين النار» (١).

صبر وشكر:

قال علي بن أبي طالب: «الزاهدون في الدنيا قوم وُعِظُوا فـاتَّعظُوا، وأَيقَنُـوا فعملوا، إن نالهم يُسْر شكروا وإن نالهم عُسْر صبروا» (٢).

سئل ابن شهاب عن الزهد في الـدنيا فقـال: «الزهـد أن لا يغلـب الحـرام صبرك ولا الحلال شكرك»(٣).

الزهد الحقيقي:

قال الجنيد: «ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، بل عـن الجـوع، وتـرك الدنيا، وقطع المألوفات».

قال الذهبي: «هذا حسن، ومراده: قطع أكثر المألوفات وترك فضول الـدنيا، وجوع بلا إفراط. أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان ورفض سـائر الـدنيا، ومألوفات النفس، من الغذاء والنوم والأهل، فقد عَرَّض نفسه لـبلاء عـريض وربَّما خولط في عقله، وفاته بذلك كثير من الحنيفية السمحة وقد جعل الله لكل شيءٍ قدرًا، والسعادة في متابعة السنة، فزن الأمور بالعدل، وصـم وأفطـر، ونـم وقم، والزم الورع في القوت، وارضَ بما قسم الله لك، واصـمت إلا مـن خـير، فرحمة الله على الجنيد، وأين مثله في علمه وحاله؟»(٤).

---

(١) إحياء علوم الدين.

(٢، ٣) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٤) سير أعلام النبلاء –للذهبي– ط ٢–١٤٠٢هـ –مؤسسة الرسالة– تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

أحوال الإنسان مع الزمان والأيام

الدهر عجائبه لا تنقضي:

قال البحتري:

لاَ تَعْجَـــبَنَّ للزَّمَـــانِ إنْ كَثُـــرَتْ ... مِنْـــه أَعَاجِيبُــــهُ ولا دُرَبُـــه

فالــــدَّهْرُ لاَ تَنْقَــــضِي عَجَائِبُــــهُ ... أَو ينْقَــضِي مِــنْ أَهْلِــهِ أَرَبُــهْ

تسري بنا الأعوام:

قال الشريف الرَّضِي:

ومَتَــى تَأَمَّلْــتَ الزَّمَــانَ وجدتَّــهُ ... أَجَــلاً وأَيَّــامُ الحَيَــاةِ ســقَامُ

نُــضْحِي ونُمْــسِي ضَــاحِكينَ وإنَّــما ... لِبُكَائِنَــا الإصْــبَاحُ والإظْــلاَمُ

ونَــسيرُ بِالعَــامِ الجَدِيـــد وإنَّـــما ... تَسْرى بِنَا نَحْـو الـرَّدَى الأَعْـوامُ

في كــل يــوم زَوْرةٌ مــن صَــاحِبٍ ... منَّــا إِلى بَطْــنِ الثَّــرَى ومُقــامُ

الزمن يبلي الإنسان:

قال أرطأة بن سهية:

رَأَيْــــتُ المَــــرءَ تَأْكُلُـــهُ اللَّيـــالِي ... كَأَكْـل الأَرْضِ سَـاقِطَةَ الحَدِيـدِ

ومَــا تُبْقِــى المَنيــةُ حِــينَ تَــأْتِي ... عَـلَى نَفْسِ ابْـن آدمَ مِـنْ مَزِيـدِ

الأيام تكشف سرها:

قال طرفة بن العبد:

سَتُبْدِي لَـكَ الأيـامُ مـا كُنْـتَ جَـاهِلاً ... ويَأْتِيـكَ بالأَخْبَـارِ مَـنْ لَمْ تـزوَّدِ

ويَأْتِيــكَ بالأَنْبَــاءِ مَــنْ لَمْ تَبَــعْ لَــهُ ... بِتَاتًا ولمْ تَضْرِبْ لَهُ وقْـتَ مَوْعِـدِ

ماذا تلد:

قال الشاعر:

إنَّ اللَّيَـــالِي والأيـــــَّام حَامِلَــــة ولَـيْس غَـيْرُ الله يَعْلَـمُ مَـا تَلِـد

احذر الآخرين:

قال الشافعي:

كُـــنْ سَـــائِرًا في ذَا الزَّمـــانِ بِـــسْيرِه وعن الوَرَى كُـنْ راهِبَـاً في دِيـرِه

واغْـسل يَـدْيكَ مِـن الزَّمَـانِ وأهْلِـهِ واحْذَرْ مـودَّتَهم تَنْـل مِـن خَـيْرِهِ

الأيام يومان:

قال أبو العتاهية:

حَتَّـى مَتـى نَحْـنُ في الأَيـَّام نَحْـسبُها وإنَّـــا نَحْــنُ فِيهَــا بَـيْنَ يَــوْمَيْنِ

يَـــومٌ تَـــولَّى ويـــومٌ نَحْـــنُ نَأْمَلُـــهُ لَعلَّـه أَجْلـبَ اليَـوْمَيْنِ للحَـيْنِ

لا يغرنك الزمان:

قال هبة الله بن عرام:

كُـــنْ مُوقِنًـــا أنَّ الزَّمـــانَ وإنْ غَـــدَا لك رافعًا سَـيعُودُ يَوْمًـا واضِـعًا

والطَّـــيْرُ لَـــوْ بَلَـــغَ الـــسَّماءَ مَحلُّـــهُ لا بُـدَّ يَوْمًـا أنْ تَـرَاهُ واقعًـا[١]

وجوب الحذر على الدوام

صاحب الحية:

قال الحكماء: «إياك والثقة بعدوك إذا صالحك، وأظهر لك غاية النـصيحة، فإن صلح العدو لا يُسكن إليه، ولا يغتر به، فإنَّ الماء لو أسخن فأطيل إسخانه

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي –أحمد قبش.

لم يمنعه ذلك من إطفاء النار إذا صُبّ عليها، وإنَّما صاحب العدو المصالح كصاحب حيَّة يحملها في كمه».

لا تنم وإلا هلكت:

وقالوا أيضًا: «لا تنم عن عدُوِّك» فإنَّه غير نائمٍ عنك، ولا تتغافل عنه، فإنَّه غير متغافل عن تتبع عثراتك، وكيف لا يكون كذلك، وهو يرى أنَّ بحياتك يكون موته، وبغناك يكون فقره، وبقوتك يكون ضعفه».

وقالوا أيضاً: «إنْ أحدث لك عدوَّك صداقة – لعلة ألجأته إلى ذلك – فَبَعْدَ زوال تلك العلة ترجعُ العداوة إلى ما كانت عليه، كالماء الذي يطال إسخانه فإذا رُفِع عن النار عاد باردًا».

حاقد لا ينام:

قال العربي:

لله درُّك مَا تَظنُّ بِثَائِرٍ حَرانَ لَيْسَ عن التُّرَاثِ بِرَاقِدِ

أيْقَظْتَهُ – ورقَدْتَ عنه – ولَمْ ينم حنقًا عَليْكَ، وكَيْفَ نَومُ الحَاقِدِ

إن تمكنِ الأيامُ مِنْك – وعَلَّها يَوْمًا – يَكِلْ لَكَ بالصَّوَاعِ الزَّائِدِ

تربص:

وقال الشاعر:

إنَّ العَدُّو وإنْ أَبْدَى مُسالَمَةً إذا رَأى مِنْكَ يَوْمَاً غِرَّةً وثَبَا

اليقين:

وقال الحسن: «إنَّ المؤمن يصبح حزينًا ويمسي حزينًا، وينقلب باليقين في الحزن، ما يكفي العنيزة الكف من التمر، والشربة من الماء»(١).

---

(١) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل.

الآخرة خير وأبقى:

وقال: «غدًا كل امرئ فيما يهمه، ومنْ هـمَّ بـشيءٍ أكثـر مـن ذكـره، إنّـه لا عاجلة لمن لا آخرة له، ومن آثر دنياه على آخرته، فلا دنيا له، ولا آخـرة، ومـن أحسن القول وأساء الفعل كان منافقا»(١).

حزن باق:

وقال الفضيل بن عياض: «كل حزن يَبلى إلا حزن الذنوب»(٢).

حزن لك وحزن عليك:

وقال إبراهيم بن أدهم: «الحزن حزنان: فحزن لك، وحزن عليك، فالحزن الذي هو لك، حزنك على الآخرة وخيرها، والحزن الذي هـو عليـك حزنـك على الدنيا وزينتها»(٣).

مطاردة:

وقال مالك بن دينار: «إن لكل شيء لقاحًا، وإنَّ هذا الحزن، لَلِقَاحُ العمـل الصالح، إنَّه لا يصير أحد على هذا الأمر إلا حَـزِنَ، و الله مـا اجتمـع في قلـب عبد قط حزن الآخرة وفرح بالدنيا، إن أحدهما ليطرد صاحبه»(٤).

مِعْوَل المؤمن:

وقال رجل من العُبّاد: «ما جليت القلوب بمثـل الأحـزان، ولا اسـتنارت بمثل الذكر، وإنْ أَكَبَرَ أَمْرَ المؤمن في نفسه لهمه معاده، والمؤمن من ربَّهِ على كل خير، ولبئس معول المؤمن رجاء لا يشوبه بمخافة»(٥).

---

(١) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل.

(٢، ٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني.

(٤،٥) الهم والحزن للحافظ ابن أبي الدنيا.

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾

فَيَــا عَجَبًــا لِمَــنْ ربَّيــتُّ طِفــلاً أُلقِّمـــهُ بـــأطرافِ البَنَـــانِ

أُعلِّمُـــهُ الرِّمَايـــةَ كـــلَّ يـــومٍ فلــمَّا اشــتدَّ ســاعدُهُ رمَــانِي

وكــمْ علَّمتُــهُ نَظْــمَ القَــوَافِي فَلــمَّا قــالَ قَافِيــةً هَجَــانِي

أعلمُــه الفُتــوَّة كُــلَّ وقــتٍ فَلــمَّا طــرَّ شــاربُه جَفَــانِي

في الحث على الجد والعمل

عبادة:

سَــعْيُ الفتَــى في عَيْــشِهِ عِبَــادَة وقَائــدٌ يَهدِيــهِ للــسَّعَادة

لأن بالــسَّعْي نَمـــاءَ الكَـــون واللهُ للــساعينَ نِعْــم العَــون

همة عالية:

ونَحْــنُ في عَــيْنِ الوُجُــودِ أمّــهْ ذَاتَ اشْــتَهارٍ بِعُلــو الهِمّــهْ

كفاح وتحمل:

نفــسُ عِــصامٍ ســوّدَتْ عــصامًا وعَلَّمَتْــهُ الكَــرَّ والإقْــدَامَا

مَنْ لَمْ يركَبِ الأهْوَال لمَ ينَلْ الآمَالَ

لا بُدَّ من بذل الجهد

غير مُجد:

إذَا كــانَ الطِّبَــاعُ طِبَــاعَ سُــوءٍ فَــلاَ أدبٌ يُفِيــدُ ولا أَديــبُ

﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾:

إذَا لــزمَ النــاسُ البُيــوتَ وجــدتَّهُمْ عُماةً عنِ الأخبـارِ خُـرْقَ المَكَاسِـبِ

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ :

يُـــسَاقُ إلىَ ذَا رزقـــه وهــــوَ وادعٌ ويحُـرَمُ هـذَا رزقُـهُ وهـوَ طالبُـهْ
وإنــكَ لا تــدْرِي أرزقُــكَ في الــذِي تُطَالبُــهُ أمْ في الــذِي لا تطالبُــهْ

ليس لك غير الله:

إذا كـــان غَـــيرُ الله للمــــرءِ عـــدةً أَتَتْهُ الرزايَـا مِـنْ وجُـوهِ الفَوائِـدِ
إِذَا لم يَكُـــنْ عـــونُ مـــن الله للفتـــى فـأول مـا يَجْنِـى عليـه اجتِهَـادُهُ

الجفاء من البلاء:

ومـــــــن البَلِيَّـــــــةِ أَنْ تُحِـــــــــبَّ وَلاَ يُحِبُّــكَ مَــنْ تُحِبُّــهْ
ويَـــــــصُدُّ عَنْـــــــكَ بِوَجْهِـــــــهِ وتُلِـــحُّ أَنْـــتَ فَـــلاَ تُغِبُّـــهْ

دقائق وعظات في ذكرى الأموات

1- والمــرءُ يُــذكَرُ بالجَمائِــل بعــدَه فـارفَعْ لـذكْرِكَ بالجَمِيـلِ بِنَـاءَ
واعْلَــمْ بأنَّــك سَــوفَ تُــذْكرُ مــرَّةً فَيُقَـالُ أَحْـسَنَ أو يُقَـالُ أَسَـاءَ
2- وغدًا سيذكرُكَ الزمـانُ، ولمْ يـزلْ للـدَّهرِ إنْـصَافٌ وحُـسنُ جَـزاءِ
3- منَ النَّاسِ مَيِّتٌ وهوَ حَـيٌّ بـذكرهِ وحَيٌّ سليمٌ وهوَ في الناسِ ميـتُ
فأمـا الـذي قَـدْ مـاتَ والـذِّكْرُ نَـاشِر فميتٌ له دِينٌ، به الفَضْلُ يُنْعَـتُ

تقوى الله:

كتب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في غيبة غابها: أما بعد، فإن مـن اتقـى الله وقاه، ومن توكل عليه كفـاه، ومـن شـكر لـه زاده، ومـن اقترضـه جـزاه، فاجعل التقوى عمارة قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نيّة له، ولا خير لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خُلقَ له(١).

(١) العقد الفريد ٣/ ٩٩.

خوف يوم القيامة:

يقول ابن عبد ربه:

يَـا وَيْلَتَـا مِـنْ مَوْقِـفٍ مَـا بِـهِ أَخْـوفُ مِـنْ أَنْ يَعْـدِلَ الحَـاكِمُ
أُبَــارِزُ الله بِعِــصْيَانِهِ ولَـيْسَ لِي مِـنْ دُونِـهِ رَاحِـمُ
يـا رَبِّ غُفْرَانـك عَـنْ مُـذْنِبٍ أَسْرَف إلا أَنَّـه نَـادِمُ[1]

أين الطريق؟:

حاد قومٌ سُفُرٌ عن الطريق، فدفعوا إلى راهب متفرد في صومعته، فنادوه، فأشرف عليهم، فسألوه عن الطريق فقال: ها هنا، وأومأ بيده إلى السماء، فعلموا ما أراد، فقالوا: إنا سائلوك. قال: سلوا ولا تكثروا، فإن النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث. قالوا: علام الناس يوم القيامة؟ قال: على نياتهم وأعمالهم. قالوا: إلى أين الموئل؟ قال: إلى ما قدمتم. قالوا: أوصنا. قال: تزودوا على قدر سفركم، فخير الزاد ما بلغ المحل[2].

المنتهكون محارم الله في الخلوة:

قال نابغة بن شيبان:

إن مَـنْ يَرْكـب الفَـواحِشَ سِرًا حِـينَ يَخْلُـو بِـسرِّهِ غَـيْرُ خَـالِ
كَيْـفَ يَخْلُـو وعِنْـدَه كاتِبَـاهُ شَـاهِدَاهُ، وربُّـه ذُو الجَـلالِ[3]

الاستفادة من الدروس:

١- تُرَوِّعُنَـا الجنـائزُ مُقْـبِلاتٍ ونَلهـوُ حـينَ تـذهبُ مُـدْبِراتِ
كروْعـةِ هَجْمـةٍ لَمَغَـارِ ذِيـبٍ فَلَـمَّا غـابَ عَـادَتْ راتِعَـاتِ

---

(١) العقد الفريد ٣/ ١٣١.
(٢) العقد الفريد ٢/ ١١٢.
(٣) العقد الفريد ٣/ ١٢٨.

2- لقــد أسَــمْعتَ لــو ناديــتَ حيًّــا ولكـــنْ لا حَيـــاةَ لِمَـــنْ تُنَـــادِي
ولـــو نـــارًا نَفَخْـــتَ بهَـــا أضَـــاءتْ ولَكِـــنْ كُنـــتَ تَـــنْفُخُ في رمَـــادِ

محاسبة النفس:

إن لحظة المحاسبة للنفس لتعد مـن لحظـات الارتقـاء الإنـساني، حيـث يُجَـرِّدُ الإنسان من عقله حاكمًا على شهوته، ومن ضميره حاكمًا على هواه، ويجعل الإنسان المؤمن من إيمانه شرطيًا يراقب، ومفتـشًا يحاسـب، وقاضـيًا يحكـم، وبهـذا يرتقـى الإنسان من حالة (النفس الأمارة بالسوء) إلى حالة (الـنفس اللوامـة) التـي تلـوم صاحبها إذا أقدمت على محظور، أو قصرت في فعل مأمور.

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم».

ويقول التابعي الجليل ميمون بن مهران:

(التَّقِيُّ أشدُّ حسابًا لنفسه من سلطانٍ غاشمٍ ومن شريكٍ شحيح).

ويقول الحسن البصرى:

المؤمن قوام على نفسه، يحاسبها لله، وإنما خف الحساب عـلى قـوم حاسـبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر مـن غير محاسبة.

ثم فسر المحاسبة فقال: إن المؤمن يفجؤه الشيء يُعجبه، فيقـول: والله إنـك لتعجبني، وإنك من حاجتي، ولكن هيهات حِيلَ بيني وبينك، وهـذا حـسابٌ قبل العمل.

ثم قال: ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهـذا؟ و الله لا أعذر بهذا، و الله لا أَعـود إلى هـذا أبـدًا إن شـاء الله (وهـذا حـساب بعـد العمل).

نعمة المصيبة:

لما وقع الطاعون الجارف أطاف الناس بالحسين، فقال: ما أحسنَ مـا صـنع بكم ربكم، أقلع مذنب، وأنفق ممسك(١).

للغد رزقه:

قال البحتري:

إِذَا مَـا كَـانَ عِنْـدِي قُـوتُ يَـوْمِي ... طَرَحْـتُ الهَـمَّ عَنِّـي يـا سَـعِيدُ

ولَمْ تَخْطُـرْ هُمُـومُ غـدٍ بِبَـالِي ... لأنَّ غَـدًا لـه رِزْقٌ جَدِيـدُ(٢)

بكاء غزير:

مـا للمنـازلِ أصـبَحتْ لا أَهْلُها ... أَهْـلِي ولا جِيرَانُها جِـيرَانِي

أيـنَ الـذينَ عَهِـدتهم ولعـزِّهِمْ ... ذلًا تَخـرُّ معاقـدُ التيجَـانِ

كـانُوا نُجـومَ مَـنْ اهْتَـدى فعلـيهِمُ ... يبكـى الهُـدَى وشـعائِرُ الإيـمَانِ

أَفْنَـتْهُمُ غـيرُ الحـوادثِ مِـثْلَمَا ... أفْنَـتْ قَـديمًا صَـاحِب الإيـوانِ

لَّمـا رَأَيْـتُ الـدَّار بَعْـد فِـراقِهِم ... أَضـحَتْ مُعطَّلَـةً مـن السُّكَّانِ

مـا زِلـتُ أبكـيهم وأَلـثُم وحْـشَةً ... لجمالِهِـم متهـدِّمُ الأرْكَـانِ

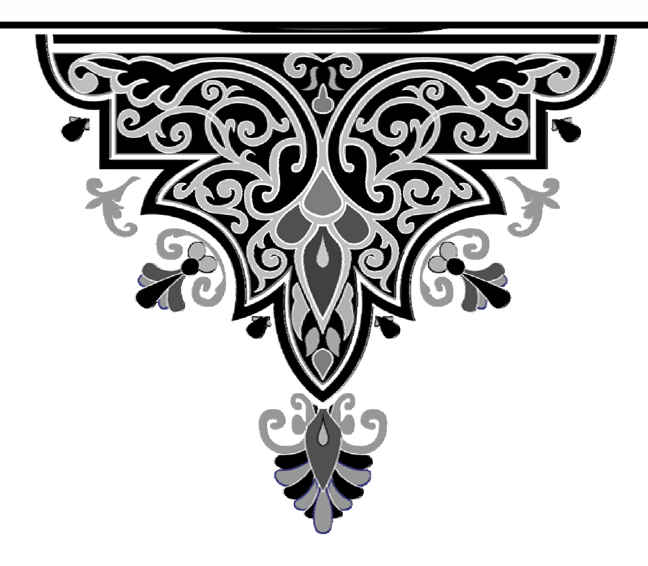


(٢،١) العقد الفريد ٣/ ١٣٤، ١٣٦، ١٥٦.



البَابُ الرَّابِعِ

الآداب والأخــلاق



أدب النفس[1]

حاجة النفس إلى التأديب والتهذيب:

اعلم أنَّ النفسَ مجبولةٌ على شيمٍ مهملة، وأخلاقٍ مرسَلَة، لاَ يستغنِي محمودُها عن التّأديبِ، ولا يكتفِي بالمرضيِّ منها عن التهذيبِ، لأنَّ لِمَحْمودِها أضدادًا مقابلةً، يُسْعِدُها هوىً مطاعٌ وشهوةٌ غالبةٌ، فإنْ أُغفلَ تأديبُها تفويضًا إلى العقلِ، أو توكلاً على أَن تنقادَ إلى الأحسَنِ بالطّبعِ، أعدَمَهُ التّفويضُ دَرْكَ المجتهدينَ، وأعقَبَهُ التّوكُّلُ نَدَمَ الخائبينَ، فصار من الأدبِ عاطلًا[2]، وفِي صورةِ الجهلِ داخلاً، لأنَّ الأدبَ مكتسبٌ بالتّجْرِبَةِ، أو مُستحسَنٌ بالعادَةِ، ولكلِّ قومٍ مواضعةٌ[3]. وكلُّ ذلك لا يُنالُ بتوقيفِ العقلِ، ولا بِالانقيادِ للطبعِ، حتى يُكتسَبَ بالتجرِبَةِ والمعاناةِ[4]، ويُستفادَ بالدُّرْبَةِ[5] والمُعاطاةِ، ثُمَّ يكونُ العقلُ عليه قيِّمًا، وزكيُّ الطَّبعِ إِليهِ مسلمًا.

لا غنى لأحد عن الأدب:

ولو كان العقلُ مغنيًا عن الأدبِ، لكان أنبياءُ الله – تعالى – عن أدبهِ مستغنين، وبعقولهم مكتفينَ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُعْثتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**»[6]. وقيل لعيسى ابن مريم – على نبينا وعليه السلامُ: من أدَّبَكَ؟ قال: ما أدّبنِي أحدٌ، ولكنّي رأيتُ جهلَ الجاهلِ فجانَبْتُهُ. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الله تعالى جعلَ مكارمَ الأخلاقِ ومحاسِنَها وصلًا بينَهُ وبَينكم، فَحَسْبُ الرّجلِ أن يتصلَ من الله تعالى بخلقٍ منها.

---

(١) أدب الدنيا والدين – ص٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) عاطلاً: خال من الأدب.

(٣) مواضعة: مراهنة.

(٤) المعاناة: المقاساة.

(٥) الدربة: التعود والجرعة.

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩١) (٢١٣٠١).

وقال أردشير بن بابك: من فضيلةِ الأدبِ أنَّهُ ممدوحٌ بكلِّ لسانٍ، ومتزينٌ به في كلِّ مكان، وباقٍ ذكرُهُ على أيّامِ الزّمان. وقال مهبود: شُبِّه العالمُ الشّريفُ العديمُ الأدبِ بالبنيانِ الخرابِ، الذي كُلَّما علاَ سُمكُهُ، كان أشدّ لوحشتِه، وبالنّهرِ اليابسِ الذي كلّما كان أعرضَ وأعمقَ، كان أشدّ لوعورَتِه وبالأرضِ الجيدَةِ المعطّلةِ التي كلّما طالَ خرابُها ازْدادَ نباتُها غيرَ المنتفعِ بِه التِفافًا، وصارَ للهوامِّ مسْكنًا.

الأدب غذاء العقل:

وقال ابن المقفع: ما نحن إلى ما نتقوّى به على حواسِّنا من المطعمِ والمشربِ، بأحوجَ منّا إلى الأدبِ، الذي هو لِقاحُ عقولِنا، فَإِنَّ الحبةَ المدفونةَ في الثّرى لا تقدرُ أن تطلعَ زهرتها ونضارتها إلا بالماءِ الذي يعودُ إليها من مستوْدَعِها.

وحكى الأصمعيّ -رحمه الله تعالى- أنَّ أعرابيًا قال لابنه: يا بنيّ، الأدبُ دعامةٌ، أيّد الله بها الألبابَ، وحليةٌ زَيَّنَ الله بها عواطلَ[1] الأحساب. فالعاقلُ لا يستغنى -وإن صحت غريزته[2] -عن الأدبِ المخرج زهرته، كما لا تَستغنى الأرضُ وإن عذبتْ تربتها عن الماءِ المخرج ثمرتها.

وقال بعض الحكماءِ: الأدبُ صورةُ العقلِ، فصورْ عقلَكَ كيف شِئْتَ.

وقال آخر: العقلُ بلا أدبٍ، كالشّجرِ العاقِرِ[3]، ومع الأدبِ كالشّجرِ المثمرِ.

وقيلَ: الأدبُ أحد المنصبين. وقالَ بعضُ البلغاءِ: الفضلُ بالعقلِ والأدبِ، لا بالأصلِ والحسبِ، لأنَّ مَنْ ساءَ أدبُهُ، ضاعَ نسبُه، ومن قلَّ عقلُه ضلَّ أصلُه.

وقال بعضُ الأدباءِ: ذَكِّ[4] قلبَكَ بالأدبِ، كما تُذَكَّى النارُ بالحطبِ،

---

(١) عواطل: جمع عاطل: خال من الحسب.

(٢) غريزته: طبيعته.

(٣) العاقر: الذي لا يلد.

(٤) ذك: أشعل، وتذكية النار رفعها. والمراد حدة الفؤاد وسرعة الفطنة.

واتّخذ الأدبَ غُنْمًا، والحرصَ عليه حظا، يرتجيكَ راغبٌ، ويخافُ صولتكَ راهبٌ، ويُؤمّلُ نفعُك، ويُرجى عدلُكَ. وقال بعضُ العلماءِ: الأدبُ وسيلةٌ إلى كلِّ فضيلةٍ، وذريعةٌ إلى كلِّ شريعةٍ. وقال بعض الفصحاء: الأدبُ يسترُ قبيحَ النّسبِ. وقال بعض الشعراء فيه:

فَمَا خَلَقَ الله مِثْلَ العُقُولِ ... ولاَ اكتَسبَ النّاسُ مِثْلَ الأدبْ

ومَا كَرَّمَ الْمرْءَ إلا التُّقَى ... ولاَ حَسَبُ المرءِ إلا النَّسَبْ

وفي العِلْمِ زينٌ لأهلِ الحِجَا ... وآفةُ ذِي الحِلْمِ طَيْشُ الغَضَبْ

وأنشد الأصمعي -رحمه الله:

وإن يكُن العقلُ موْلودًا فَلستُ أَرَى ... ذا الْعَقْلِ مُسْتَغْنِيًا عن حَادِثِ الأدَبِ

إنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالماءِ مُخْتَلِطًا ... بالتُّربِ تَظْهَرُ منه زَهرَةُ العُشبِ

وكُلُّ مَنْ أخطَأَتْهُ فِي مَوَالدِهِ ... غَرِيزَةُ الْعَقْلِ حَاكَى الْبُهْمَ[1] في الحسَبِ

محاسن الأخلاق:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، قال رسول الله فيما أدَّبَ به أمتَهُ وحضَّها عليهِ من مكارمِ الأخلاقِ وجميلِ المعاشرةِ وإصلاحِ ذاتِ البينِ وصلةِ الأرحامِ: «**أوْصاني ربِّي بتِسْعٍ [وأنا] أُوصيكُمْ بها: أوصَاني بالإِخْلاصِ في السّرِّ والعَلانيةِ، والعَدْلِ في الرِّضا والغَضَبِ، والقَصْدِ في الغِنَى والفَقْرِ، وأن أعْفُو عَمَّنْ ظَلَمني، وأُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وأَصِلَ من قَطَعنِي، وأن يكونَ صَمْتِي فِكْرًا، ونُطْقِي ذِكْرًا، ونَظَرِي عِبَرًا**»[3].

---

(١) البهم: ولد الضأن.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

(3) عبرا: من الاعتبار، والحديث ذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣٥٨) وقال: «رواه رزين».

ومن كلام علي ﷺ فيما يروى عنه أنـه قـال: مـن حَلـم سـاد ومـن سـاد استفاد، ومن استَحْيا حُرم، ومن هابَ خابَ، ومن طلبَ الرئاسة صَبر عـلى السِّيَّاسة؛ ومن أبصرَ عَيْبَ نفسه عَمِيَ عن عَيـبِ غـيره، ومـن سـلَّ سـيفَ البغي قُتِلَ به، ومن احْتَفَر لأخيهِ بِئرًا وقع فيها، ومن نَسِيَ زَلَّته استعظم زلّة غيره، ومن هَتَك حِجَابَ غيره انهتكتْ عوراتُ بيته، ومـن كـابرَ في الأمـور عطِب، ومن اقتحم اللُّججَ غَرِق، ومن أُعجب برأْيـهِ ضـلَّ، ومـن اسـتغنى بعقله زَلَّ، ومن تَجَـبَّرَ على النّـاسِ ذَلَّ، ومـن تعَمـقَ في العَمــلِ مـلَّ، ومـن صاحب الأنْذَالَ[1] حُقِّرَ، ومن جالسَ العلـماءَ وُقـرَ، ومـن دخـلَ مـداخلَ السوءِ اتُّهم، ومن حَسُنَ خُلُقُه سَهُلَتْ لَهُ طُرُقُه، ومن حـسَّن كلامـهُ كانـت الهَيْبة أمامَه؛ ومن خَشِي الله فازَ؛ ومن اسـتقادَ الجهـلَ تـرك طريـقَ العـدلِ؛ ومن عرف أجَلَه قَصَّرَ أمله[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَسَعُوهُمْ بِأَخْلاَقِكُمْ**»[3].

حسن الخلق أساس النجاح في الدنيا والآخرة:

وقال بعضُ السلفِ: الحَسنُ الخلقِ ذو قرابةٍ عندَ الأجانبِ، والسّيِّئ الخلـقِ أجنبيٌّ عند أهلِهِ. وقال حكيمٌ: لأَنْ يصْحبَني عاجزٌ حَسنُ الخلقِ أحبُّ إليَّ مـن أن يصحبني عابد سيئ الخلق؛ لأن العاجز إذا حسن خلقه خـف عـلى النـاس وأحبُّوهُ. والعابدَ إذا ساءَ خلقُه مقتوهُ. وقِيلَ: أبى الله لِسَيِّئ الخلقِ التَّوْبَة، لأَنَّـهُ لاَ يَخْرُجُ من ذَنْبٍ إلا دَخَلَ فِي ذَنْبٍ آخَرَ لِسُوءِ خُلُقِهِ.

---

(1) الأنذال: جمع نذل، والنذالة: السفالة والخسة.

(2) العقد الفريد: ٢/ ٤١٧، ٤٢٠.

(3) المستطرف من الآداب والحكم ص: ١٩٦، ١٩٧، والحديث أخرجه ابن أبـي شـيبة في المـصنف (٢٥٣٣٣) عن أبي هريرة ﷺ، وحسن سنده الحافظ ابن حجر في فتح البـاري (١٠/ ٤٥٩) بعـد أن عزاه للبزار.

وقال أحد الشعراء:

وإِنِّي لأَلْقَــى المــرء أَعلَــمُ أَنَّــهُ عَدُوٌّ وَفِي أَحْشَائِه الضِّغْنُ[1] كَـامِنُ
فَأَمْنَحُــه[2] بِــشْرًا فيَرْجِــعُ قَلْبُــهُ سَلِيمًا وقَدْ ماتَتْ لَدَيْـهِ الـضَّغَائِنُ

حسن الوجوه وحسن الخلق:

وقال آخر:

وهلْ ينفَـعُ الفتيـانَ حُـسْنُ وُجـوهِهِمْ إِذا كانَتِ الأَعْراضُ غَيْرَ حِـسانِ
فَلاَ تَجْعلِ الحُسْنَ الدَّليلَ علَى الفَتَـى فَما كُلُّ مَصْقُولِ الحَدِيـدِ يمَـانِي

محاسن الأدب

وراثة الآداب:

قال بزرجمهر: «ما ورَّثت الآبـاء الأبنـاء شـيئًا أفـضلَ مـن الأدب، إنَّهـا إذا ورَّثتها الآداب كسبت بـالآداب الأمـوال والجـاه والإخـوان والـدين والـدنيا والآخرة، وإذا ورثتها الأموال، تلفت الأمـوال وقعـدت عـدمًا مـن الأمـوال والآداب».

التدبر في الأدب:

وقال منذر بن الجارود لابنٍ له يوصيه: «أَعْمِلْ النظر في الأدب لـيلًا، فـإنّ القلب بالنهار طائر، وهو بالليل ساكن، فكلما أوعيت فيه شيئًا أعقله».

الأدب حسب:

قال بعض الحكماء: «أحسن الحلية الأدب، ولا حسب لمـن لا مـروءة لـه، ولا مروءة لمن لا أدب له، ومن تأدب من غير أهل الحسب، ألحقه الأدب بهم».

---

(1) الضغن: الحقد.

(2) أمنحه: أعطيه.

تنافس الشرفاء:

قال لقمان لابنه: «يا بني تنافس في طلب الأدب؛ فإنَّه ميراثٌ غير مسلوب، وقرينٌ غير مغلوب ونفيسٌ حظٍ في الناس مطلوب».

طلب الأدب:

وقيل: إذا سمعت أدبًا فاكتبه ولو في حائط. قال المنصور بن المهدي للمأمون: أيحسن بمثلي طلب الأدب؟ قال: لئن تموت طالبًا للأدب خير من أن تعيش قانعًا بالجهل، قال: فإلى متى يحسن بي ذلك؟ قال: ما حسنت بك الحياة».

فضل الأدباء:

قال الشاعر:

أَكَـرِمْ بِـذِي أَدَبٍ أَكْـرِم بـذي حَسَبٍ ... فإنّما العِزُّ في الأَحْسَابِ والأَدَبِ

والنَّـاسُ صِـنفان ذو عَقْـلٍ وذو أدَبِ ... كمعدن الفِضَّةِ البَيْضَاء والذَّهَبِ

وسائر النَّـاسِ مِـنْ بَـيْنِ الـوَرَى هَمَـجٌ ... كَانُوْا مَوالِي أو كَانُوا مِـنَ العَـرَبِ

محاسن الأدب:

قال أبو حاتم: الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل، وإزار يتزر به العاقل، والأدب صاحب في الغربة، ومؤنس في القلة، وزين في المحافل، وزيادة في العقل، ودليل على المروءة، ومن حرص على الأدب في حداثته انتفع به في كبره، لأنَّ من غرس فسيلا يوشك أن يأكل رطبها. وما يستوى عند أولى النهى، ولا يكون سيان عند ذوي الحجى رجلان: أحدهما يلحن، والآخر لا يلحن».

وقيل لبزرجمهر: أي الاكتساب أفضل؟ قال: العلم والأدب كنزان لا ينفدان وسِرَاجان لا يُطفآن وحُلتان لا تبليان، منْ نالهما نال أسباب الرشاد وعرف طريق المعاد وعاش رفيعًا بين العباد».

الأدب نسب:

إنَّ الفتَــى مَــنْ يقــول هَــا أَنَــا ذَا   ليسَ الفَتَـى مَـنْ يَقُـولُ كـانَ أَبِي

آداب الكلام [١]

١ـ اجتناب المغالاة:

اعلم أن للكلام آدابًا إن أغْفلَها المتكلم، أذهبَ رونقَ كلامِه، وطَمَسَ بهجَةَ بيانِهِ، ولَهَا النّاسَ عن محاسِنِ فضله بمساوئ أدبه، فعدلوا عن مناقبه، بذكر مَثالِبِهِ[٢]، فمن آدابه ألَّا يتجاوزَ في مدح، ولا يسرف في ذمٍّ، وإن كانت النزاهةُ عن الذَّم كرمًا والتجاوزُ في المدح مَلَقا[٣] يصدرُ عن مَهانة، والسَّرَف في الذّم انتقام يصدر عن شرٍّ، وكلاهما شَيْنٌ، وإن سَلِمَ من الكذب.

يُروَى أنه لما قَدِمَ على رسول الله وفدُ تميم، سأَلَ رسول الله عمرو بن الأهتمِ، عن قيس بن عاصم، فمدحه، فقال قيس: و الله يا رسول الله لقد عَلِمَ أنّي خيرٌ مما وصفَ، ولكن حَسدَنِي، فذمه عمرو، وقال: و الله يا رسول الله لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الأخرى لأني رضيت في الأولى فقلتُ أحسنَ ما علمتُ، وسخطْتُ في الأخْرى، فقلتُ أقبحَ ما عَلِمْتُ فقال رسول الله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»[٤].

على أنّ السلامة من الكذبِ في المدحِ والذّمِّ مُتَعَذِّرَةٌ؛ لاسيّما إذا مدحَ تَقرُّبًا، وذَمَّ تَحنُّقًا[٥] وحكي عن الأحنفِ بن قيسٍ، أنه قال: سهرْتُ ليلتي أفكّرُ في

---

(1) أدب الدنيا والدين ص ٢٧٢ وما بعدها.

(2) المثالب: العيوب.

(3) ملقًا: الملق: الود واللطف، ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه.

(4) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٦٧١) عن أبي بكرة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١١٧، ١١٨): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير عن محمد بن موسى الإصطخري عن الحسن بن كثير ابن يحيى بن أبي كثير ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات».

(5) حنق: أي اغتاظ.

كلمةٍ أُرْضِي بها سُلطانِي ولا أُسْخِطُ بهـا رَبِّي، فـما وجـدّتها. وقـال عبـدُالله بـن مسعودٍ: إن الرّجلَ لَيَدْخُلُ على السّلطانِ ومَعَهُ دينُهُ فَيخْرُجُ وما معه دينهُ. قيـلَ وكيفَ ذلك؟ قال: يرضيهِ بما يُسْخِطُ الله عزّ وجلَّ.

2ـ الاقتصاد في القول:

وسمعَ ابن الروميّ رجلًا يصفُ رجلاً، ويبالغُ في مدحهِ فأنشأ يقول:

إذا مـــا وَصَـــفْتَ امـــرأً لامـــرئٍ فَـلا تَغْـلُ في وصْـفِهِ واقْـصِدِ

فَيـــضْؤُلُ[1] مـــن حيـــثُ عَظَّمْتَـــهُ لِفَـضْلِ المَغِيـبِ عـلى المَـشْهَدِ

3ـالتزام ما يقول:

ومن آدابه: ألَّا تبعثهُ الرغبةُ والرّهبـةُ عـلى الاسترسـالِ في وعـدٍ أوْ وَعيـدٍ، يعجزُ عنهما، ولا يقدرُ على الوفاءِ بهما، فإنّ من أطلقَ بهما لسانَهُ، وأرسـلَ فـيهما عنانَه، ولم يستثقلْ من القولِ مـا يـستثقِلُه مـن العمـلِ، صـارَ وعـدُهُ نكْثًـا[2]، وَوَعيدُهُ عجْزًا.

وحكي أن سليمان بن داود -علـيهما الـسلام -مـرّ بعـصفورٍ يـدورُ حـول عصفورةٍ، فقال لأصحابه: هلْ تدرون ما يقولُ لها؟ قالوا: لا يا نبيِّ اللهَّ: قـال: إنّه يخطبُها لنفسِه، ويقولُ لهـا: زَوِّجينِـي نفـسَكِ، أُسْكِنُكِ أي غُـرف دمـشق شئت. قال سليمان: كذب العصفور، فإن غـرف دمـشق مبنيـة بالـصخور، لا يقدرُ أن يسكنها هناك، ولكن كل خاطب كاذب.

4ـ فعل ما به يقول:

ومن آدابهِ: أنّه إن قال قولًا حقَّقَهُ بفعلِهِ، وإذا تَكلّم بكـلامٍ صـدّقَهُ بعملِـهِ، فإنّ إرسالَ القولِ اختيارٌ، والعملَ به اضطِرارٌ، ولأَنْ يفعلَ ما لم يقلْ، أجمل من

---

(1) ضئيل الجسم: صغير الجسم نحيف، يضؤل: يصغر.

(2) نكثًا، من نكث: أي نقض.

أن يقولَ ما لم يفعلْ. وقال بعضُ الحكماءِ: أحسنُ الكلام ما لا يُحتاجُ فيه إلى الكلام؛ أي يكتفي بالفعلِ من القولِ.

وقال محمود الورَّاق:

القَوْلُ ما صَدَّقَهُ الفِعْلُ والفِعلُ ما أَكَّدَهُ العَقْلُ

لا يثبتُ القَوْلُ إذا لم يكُنْ يُقِلُّهُ من تحتِهِ الأَصْلُ

5ـ مراعاة الأحوال:

ومن آدابه: أن يراعي مخارجَ كلامه، بحسبِ مقاصِدِهِ وأغراضِهِ، فإنْ كانَ ترغيبًا قرنه باللين واللُّطفِ، وإن كان ترهيبًا خلطَه بالخُشُونة[1] والعُنْفِ، فإنَّ لينَ اللفظِ في الترهيب وخُشُونَتَهُ فِي الترغيبِ، خروجٌ عن موضِعِهما، وتعطيلٌ للمقصود بهما، فيصيرُ الكلام لغوًا، والغرض المقصودُ لهوًا. وقد قال أبو الأسود الدؤلي لابنهِ: يا بُنيَّ، إن كنتَ في قومٍ فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فَيَمْقُتوكَ[2]، ولا بكلامٍ من هو دونَكَ فَيَزْدَروكَ[3].

6ـ خفض الصوت:

ومن آدابه: ألا يرفع بكلامه صوتًا مستكرهًا، ولا ينزعج له انزعاجًا مستهجنًا[4] وليكفَّ عن حركة تكونُ طَيْشًا[5]، وعن حركة تكون عِيًّا[6].

7ـ طرح كل قبيح:

ومن آدابه: أن يتجافى هُجر القولِ، ومُستقَبح الكلام، ولْيَعْدِلْ إلى الكنايةِ عما يُسْتَقْبَحُ صريحُهُ، ويُسْتَهْجَنُ فَصيحُهُ، ليبلُغَ الغرضَ ولسانُه نَزِهٌ، وأَدَبُهُ مَصُونٌ.

---

(1) الخشونة: ضد اللين.

(2) يمقتوك: يبغضوك.

(3) يزدروك: يحتقروك.

(4) مستهجنًا: مستقبحًا.

(5) الطيش: النزق.

(6) العيُّ: ضدّ البيان.

وأنشد أبو الحسن بن الحارث الهاشمي:

تَحَـــرَّ مِـــن الطُّـــرُقِ أَوْســـاطَها وعَـــدِّ عـــنِ المَوْضِـــعِ المُـــشْتَبِهْ
وَسَـــمْعَكَ صُـــنْ عَـــن قَبِـــيحِ الْكَـــلامِ كَـــصَوْنِ اللِّـــسانِ عَـــنِ النّطْـــقِ بِـــهْ
فَإِنّـــــكَ عنـــــدَ الْقَبِـــــيحِ شَرِيـــــكٌ لِقَائِلِـــــهِ فَانْتَبِـــــهْ

كتمان السر[(١)]:

اعلم أنّ كتمانَ الأسرارِ من أقوى أسبابِ النّجاحِ، وأدوم لأحوالِ الصّلاحِ. رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**اسْتَعينوا عَلى الحاجـاتِ بـالكتْمان، فـإنَّ كـل ذي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**»[(٢)] وقال علي بن أبي طالب -كرّم الله وجهه: سِرُّكَ أَسِيرُكَ، فَـإِنْ تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ. وقال بعضُ الحكماءِ لابنه: يا بُنَيَّ، كنْ جوادًا بالمالِ في موضعِ الحقِّ، ضَنينًا[(٣)] بالأَسْرارِ عن جميعِ الخلقِ، فإن أحمدَ جودِ المْرءِ: الإنفاقُ في وجْهِ البِرِّ، والبخلُ بمكتومِ السرِّ. وقال بعضُ الأدبـاءِ: مَـنْ كَـتمَ سِرَّهُ كـان الخيارُ إِليهِ، ومن أفْشاهُ كان الخيارُ عليه. وقـال بعـض البلغـاء: مـا أَسَرَّكَ!!مـا كَتَمْتَ سِرَّكَ.

السر أمانة:

وقال بعضُ الفصحاء: ما لم تُغيّبْهُ الأضالِعُ، فهـوَ مكـشوفٌ ضـائِعٌ. وقـال الحكماء: صدرك أوسع لسرك من صدر غـيرك. وقـال بعـض الـشعراء، وهـو أنس بن أسيد:

ولا تُفـــــشِ سِرَّكَ إلا إِلَيـــــكَ فـــإنَّ لكـــلِّ نـــصيحٍ نَـــصيحَا

---

(1) أدب الدنيا والدين ص٢٩٥ وما بعدها. والعقد الفريد ١/ ٦٥.

(2) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٤) (١٨٣) والأوسط (٢٤٥٥) والصغير (١١٨٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٥٥) عن معاذ بن جبل ﷺ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٥): «رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه سعيد بن سلام العطار، قال العجلي: لا بأس به وكذبه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات، إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ» وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٣).

(3) ضنين: بخيل.

فـــإنِّي رأيـــتُ وُشـــاةَ[1] الرِّجـــا لِ لا يَترُكـونَ أَديـمًا[2] صَـحيحَا

وكم من إظهار سرٍّ أراقَ دمَ صاحبِهِ، ومنعَ من نيلِ مطالبِهِ، ولو كَتَمَهُ كـان من سَطْوتِه آمنًا، وفي عواقِبِه سالمًا، ولِنَجاحِ حوائِجِهِ راجِيًا.

وقال أنوشروان: من حصَّنَ سِرَّهُ، فله بتحصينه خَصلتانِ: الظَّفرُ بحاجتِـهِ، والسلامةُ من السَّطواتِ، وإظهارُ الرجلِ سِرَّ غيرِهِ أقبحُ من إظهـارِ سِرَّ نفـسِهِ، لأنّـهُ يبـوءُ بإحْـدى وَصْـمَتين[3]: الخيانـةُ إن كـان مُؤْتَمَنًـا، أو النّميمـةُ إن كـانَ مستودعًا. فأمّا الضّررُ فربما استويا فيه أو تفاضلا، وكلاهما مذمومٌ، وهو فـيهما ملومٌ.

مذام إفشاء السر:

وفي الاسترسالِ بإبداء السرِّ دلائلُ عـلى ثـلاثِ أحـوال مذمومـة إحـداها: ضيقُ الصدرِ، وقلةُ الصبرِ، حتى إنه لم يتَّسِعْ عن الأموال، ولم يقدِرْ على صـبرٍ. وقال الشاعر:

إذا المـــرءُ أفـــشى سِرَّهُ بلـــسانِهِ ولامَ عليـــهِ غَـــيرَهُ فَهْـــوَ أَحْمَـــقُ

إذا ضـاقَ صـدرُ المـرءِ عـن سِرِّ نفْـسِهِ فصدرُ الذي يُسْتَودَعُ السِّرَّ أضيقُ

والثانية: الغفلةُ عن تحذُّرِ العقلاءِ، والسهوُ عن يقظةِ الأذكياءِ. وقد قـال بعضُ الحكماءِ: انفردْ بسرِّك، ولا تودِعْهُ حازمًا فيزِلَّ، ولا جاهلاً فيخونَ.

والثالثة: ما ارتكبَهُ مـن الغَـرَرِ، واسـتعملَهُ مـن الخَطَـرِ. وقـد قـال بعـضُ الحكماءِ: سِرُّك من دمكَ، فإذا تكلّمت به فقد أَرَقْتَهُ.

---

(1) وشى به السلطان: سعى.

(2) الأديم: الجلد. يريد أن الوشاة يمزقون أعراض الناس. ويمكـن أن يكـون مـن الأدْم وهـو الألفـة والاتفاق.

(3) وصمتين: الوصم: العيب والعار.

من يستودع السر؟

وعُلِمَ أن من الأسرار ما لا يُسْتَغْنى فيهِ عن مطالعةِ صديق مُساهم واستشارَةِ ناصحٍ مُسالم، فليختر العاقل لسرّه أمينًا، إن لم يجد إلى كتمِهِ سَبيلًا، وليتحرَّ في اختيارِ مَن يأتمنه عليه، ويَستَودِعُه إيّاهُ، فليس كلُّ من كان على الأموالِ أمينًا، كان على الأسْرارِ مؤتمنًا، والعفّة عن الأموال، أيسرُ من العفّة عن إذاعةِ الأسرارِ، لأنَّ الإنسانَ قد يذيعُ سرَّ نفسه، بمبادرة لسانِه، وسقطِ كلامه، ويشِحُّ باليسير من ماله، حفظًا لهُ، وضَنًا به ولا يرى ما أضاعَ من سرّه كبيرًا، في جنب ما حفظه من يسير ماله، مع عِظَمِ الضّررِ الداخل عليه؛ فمن أجل ذلك كان أمناءُ الأسرارِ أشد تعذرًا، وأقل وجودًا من أمناء الأموال، وكان حفظُ المال أيسرَ من كتم الأسرار؛ لأنَّ أحرازَ الأموال منيعةٌ، وأحرازَ الأسرار بارزةٌ يذيعها لسانٌ ناطقٌ، ويشيعها كلامٌ سابقٌ.

وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ: القلوبُ أوعيةُ الأسرارِ، والشفاهُ أقفالها، والألسنُ مفاتيحُها، فليحفظْ كلُّ امرئ مِفتاحَ سرِّه.

ومن صفات أمين السرِّ: أن يكون ذا عقل صادٍّ، ودين حاجزٍ، ونصح مبذولٍ، ووُدٍّ موفورٍ، وكَتومًا بالطبع؛ فإنَّ هذه الأمورَ تمنعُ من الإذاعة، وتوجبُ حفظَ الأمانة. وقيلَ في منثور الحكم: قُلوبُ العُقَلاءِ حُصونُ الأسْرارِ. وليحذَرْ صاحِبُ السرِّ أنْ يودِعَ سرَّه من يَتَطَلَّعُ إليهِ، ويؤثِرُ الوقوف عليهِ، فإنَّ طالبَ الوديعَةِ خائنٌ.

الصمت(١)

قال الله تبارك وتعالى في سورة النساء: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢).

---

(1) المستطرف: ص٤٧-٥٠.

(2) النساء: ١١٤.

وقال رسول الله ﷺ[1]: «**لِسَان العَاقِل مِنْ وراءِ قَلْبِهِ، فإذَا أرادَ الكَلامَ رَجعَ إلى قَلْبِهِ، فإنْ كَان لَه تَكلم، وإنْ كَانَ علَيْهِ سَكَتَ**»[2] وقال عليه الصلاة والسلامُ: «**أكثْرُ النَّاسِ ذُنُوبًا أكثرُهُم كَلامًا فِيمَا لا يَعْنِيهْم**»[3]. وقال: «**رَحِمَ الله أمرأً قالَ فغَنِمَ، أو سَكَت فسَلِمَ**»[4].

وقيل: الكلام ترجمانٌ يعبِّرُ عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائرِ، لا يمكنُ استرجاعُ بوادِرِهِ ولا يُقدرُ على ردِّ شوارده. فحقَّ على العاقل أن يحترزَ من زَلَلهِ بالإمساك عنه أو بالإقلال منه. وقال الإمام علي -كرم الله وجهه: اللسان مَعيار أطاشه[5] الجهلُ، وأرجحه العقلُ. وقال بعض الحكماء: الزم الصمتَ تُعدّ حكيمًا، جاهلًا كنت أو عالمًا. وقال بعض الأدباء: سَعِدَ مَنْ لِسانُهُ صموتٌ وكلامه قوتٌ. وقال أحد البلغاء: الزمِ الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مَؤُونَةَ الاعتذار. وقال بعض الفصحاء: أعقل لسانك إلا عن حقٍ تُوَضِّحَهُ، أو باطلٍ تَدْحَضُهُ، أو حكمة تنشرُها، أو نعمةٍ تذكرها.

شروط الكلام:

وقيل: للكلام شروط لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها؛ وهي أربعة:

---

(1) المستطرف: ص٤٧-٥٠.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٦٩٤) من كلام الحسن، وكذا ذكره ابن عبد البر في أدب المجالسة ص (٨٩).

(3) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٢٤) عن أبي هريرة، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٠٩٤).

(4) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٩٣٨) والقضاعي في مسند الشهاب (٥٨٢) عن أنس بن مالك، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٢).

(5) أطاشه: أي عدل به عن الصواب.

فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضر.

والشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخَّى به إِصابةَ فُرْصَتِهِ.

والشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.

والشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم له.

وقال أحدهم: من لم يَعـدَّ كلامه من عملـهِ كَثـرَتْ خطاياهُ. وقال حكيم: عقل المرء مخبوء[1] تحت لسانه. وقال أحد البلغاء: احبس لسانك قبل أن يطيل حبسك، أو يتلف نفسك فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يُقَصّر عن الصواب، ويسرعُ إلى الجواب. وقال بعض الحكماء: إذا جالست الجهال فأنصت لهم، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم، فإن في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم. وقال سليمان بن عبد الملك وقد ذمَّ الكلامَ في مجلسه: كلَّا إنَّ من تكلم فأَحْسَنَ قَدَرَ أن يسكتَ فَيُحْسِنَ، وليس من سكتَ فأَحْسَنَ قَدَرَ على أن يتكلمَ فَيُحْسِنَ.

وقال أبو الفتح البستي[2]:

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا استَطَعْتَ فإِنَّمَا ... كَلاَمُكَ حيٌّ والسُّكوتُ جَمادُ

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَولًا سَديدا تَقولُهُ ... فَصَمْتُكَ عَن غَيْرِ السَّدادِ سَدادُ

وقال الجاحظ: للكلام غايةٌ، ولِنشاطِ السامِعينَ نِهايةٌ، وما فضل عن الاحتمالِ ودعا إلى الاِستثْقالِ والملالِ، فَذَلِكَ الفاضْلُ هو الهَذرُ[3].

---

(1) اختبأ: استتر.

(2) إعانة المتفهم ص: ٨٥.

(3) الهذر: الهذيان، وأهذر في كلامه أكثر.

وقال أبو العتاهية[1]:

والصَّمْتُ أجملُ بالفَتَى ... من منْطِقٍ في غَيْرِ حينِهْ
لا خَيْرَ في حَشْوِ الكَلا ... مِ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلى عُيونِهْ

الصمت خير وقليل فاعله

الصمت خير:

قال ﷺ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»[2].

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فَلْيقُلْ خَيْرًا أو لِيصْمُتْ**»[3].

ليس من فضول الكلام:

وعن عطاء قال: «فضولُ الكلام ما عدا تلاوة القرآن والقول بالسنة عند الحاجة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تنطق بأمر لا بُد لك منه في معيشتك».

فضيلة الصمت:

وعن الأصمعي قال: قال أعرابي: «**السكوت صيانة للِّسان وشر للعي**».

لساني سَبُعٌ:

قيل لبكر بن عبد الله المزني: إنَّك تطيل الصمت؟ فقال: إنَّ لسانيِّ سَبعٌ إن تركته أكلني».

وقال أبو الدرداء: «من فقه الرجل قلة الكلام فيما لا يعنيه».

تورع:

سئل عمر بن عبد العزيز -رحمه الله -عن قتلة عثمان، فقال: «تلك دماء كَفَّ الله عنها يدي، فأنا أكره أن أغمس فيها لساني».

---

(1) شرح ديوان أبي العتاهية: ص٢٣٨، ط: الأولى ٥/ ٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) أخرجه الترمذي (٢٥٠١) وأحمد (٢/ ١٥٩) عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال الترمذي: «غريب»، وصححه الألباني.

(3) أخرجه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) وأبو داود (٥١٥٤) والترمذي (٢٥٠٠) وابن ماجه (٣٩٧١) وأحمد (٢/ ٢٦٧) عن أبي هريرة ﷺ.

العاقل والجاهل:

قال الحسن: «لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم فكَّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الجاهل من وراء لسانه».

زلتان:

قال عمرو بن العاص ﷺ:

زلـــــة الرِجْـــــلِ عَظْـــــمٌ يُجْـــــبَرُ وزَلـةُ اللـسانِ لا تُبقـى ولا تـذرُ

الصمت خير:

قال الشاعر:

أرَى الصَمْتَ خَـيرًا مِـنَ كَـلاَمٍ بَمـأْثَمٍ فَكُنْ صَامِتًا تَسَلْمَ وَإِنَ قُلْتَ فاعدِلِ

ما قل ودل:

قال صالح بن جناح:

أَقْلِـلْ كَلاَمَـك واسْـتَعِذْ مِـنْ شَرِّهِ إنَّ الـبَلاَء بِبَعْـضِهِ مَقْـرُونُ

واحْفَـظْ لِـسَانَكَ واحْـتَفِظْ مِـن غَيِّـهِ حَتَّـى يَكُـونَ كَأَنَّـهُ مَـسْجُونُ

وَكِّـلْ فُـؤَادَك باللِّـسَانِ وقُـلْ لَـهُ إنَّ الكَـلاَمَ عَلَـيْكُمَا مَـوْزُونُ

السلامة:

قال عمار الكلبي:

وقُـلِ الحَـقَّ وإلَّا فَاصْـمُتَنْ إنَّـه مَـنْ لَـزِمَ الـصَّمْتَ سَـلِمْ

إنَّ طُـولَ الـصَّمْتِ زَيْـنٌ للفَتَـى مِـنْ مَقَـالٍ فِيـهِ عِـيٌّ وبَكَـمْ

أمسك عليك لسانك:

وقال الشاعر:

لَعَمْـرُكَ إنَّ صَـمْتَكَ أَلْـفَ عَـامٍ لأَصْلَحُ مِـنْ كَلاَمِـكَ بِالفُضُولِ

فَأَمْسِكْ أَو تَرَى لِلْقَوْلِ وَجْهًا يَبِينُ صَوَابُهُ لِذَوِي العُقُولِ

وزن الكلام:

قال الشاعر:

أَيُّهَا المَرْءُ لا تَقُولنَّ قَولًا لَسْتَ تَدْرِي مَاذَا يَجِيئُكَ مِنْهُ

واخْزِنِ القَوْلَ، إنَّ فِي الصَّمْتِ حِكَمًا وإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلًا فَزِنْهُ

وإذَا النَّاسُ أَكْثَروا فِي حَدِيثٍ لَيْس مِمَّا يَزِينُهُم فَالْهَ عَنْه[١]

الصمت أفضل:

قال حكيم: «من حصانة الإنسان أن يكون الاستماع أحب إليه من النطق إذا وجد من يكفيه، فإنه لن يعدم في الاستماع والصمت سلامة وزيادة في العلم».

قال علي بن عبيدة: «الصمت أمان من تحريف اللفظ، وعصمة من زيغ المنطق، وسلامة من فضول القول»[٢].

الصمت خير:

قال حكيم: «لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب» وقال: «مقتل الرجل بين لِحْيَيْهِ وفَكَّيه»[٣].

الصمت أسلم:

قال علي بن هشام:

لَعَمْرُكَ إنَّ الحِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ ومَا الحِلْمُ إلا عَادَةٌ وتَحَلُّمُ

(1) بهجة المجالس وأنس المجالس –ابن عبد البر القرطبي– دار الجيل للطباعة– بدون تاريخ. قوله: فاله عنه، من لَهَا يلهو.

(2) المحاسن والمساوئ –محمد بن إبراهيم البيهقي –ط١ –١٣٨٠هـ –طبعة دار بيروت للطباعة والنشر.

(3) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ١٩٤.

الصمت شرف:

قَالُوا سَكَتَّ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُـمْ إنَّ الجَـوابَ لِبَـابِ الـشَّرِّ مِفْتَـاحُ
والصَّمْتُ عَنْ جَاهِـلٍ أَوْ أَحْمَـقٍ شَرَفُ وفِيهِ أَيْضًا لِصَوْنِ العرضِ إصْـلاَحُ
أَما تَرى الأُسْـدَ تُخْشَى وهْـيَ صَـامِتَةٌ والكَلْبُ يُخْسَى لَعَمْرِي وْهُـو نَبَّـاحُ

البلاغة من الكلام:

قال العتابي: «ليست البلاغة بالإكثار والإقلال، لكن البلاغة سد الكلام بمعانيه وإن قصر، وحسن التأليف وإن طال»[١].

أحسن الكلام:

وقال خالد بن صفوان: «أحسن الكلام ما شرفت مبانيه، وظرفت معانيه، والتذه سمع سامعيه»[٢].

البلاغة جامعة:

وقال الحكماء: «البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة»[٣].

مبادرة المعاني:

وقالوا: «أبلغ الكلام ما سبق معناه لفظه»[٤].

من هو البليغ؟

وقيل لبعضهم: من البليغ؟ قال: «من أَخَذَ معاني كثيرة، فأدَّاها بألفاظ قليلة، أو أخذ معاني قليلة فوَّلد منها ألفاظًا كثيرة»[٥].

كلمة جامعة:

وسئل أرسطاليس عن البلاغة؟ فقال: «إقلال في إنجاز، وصواب مع سرعة جواب»[٦].

(١-٦) لباب الآداب لابن منقذ.

وقال الثعالبي: «البليغ من يحول الكلام على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قدر المعاني، والكلام البليغ ما كان لفظه فحلًا، ومعناه بكرًا»(١).

وقالوا: «البلاغة ميدان لا يقطع إلا بسوابق الأذهان، ولا يُسلَكُ إلا ببصائر البيان»(٢).

خير الكلام:

قال المفضل الضبيُّ لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: «الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل»(٣).

وقيل للأحنف: ما البلاغة؟ قال: «الإيجاز في استحكام الحجج، والوقوف عند ما يُكتفى به»(٤).

وسئل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ما البلاغة؟ قال: «القصد إلى عين الحجَّة بتقليل اللفظ»(٥).

وقيل لبشر بن مالك: ما البلاغة؟ قال: «التقرب من المعنى، والتباعد عن حشو الكلام، ودلالة بقليل على كثير»(٦).

قيل لفارسي: «ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل»(٧). وقيل ليوناني: ما البلاغة؟ قال: «تصحيح الأقسام، واختيار الكلام»(٨). وقيل لروسي: ما البلاغة؟ قال: «حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة»(٩). وقال هندي: «جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة»(١٠).

(١، ٢) المستطرف للأبشيهي.

(٣-٦) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٧-١٠) البيان والتبيين للجاحظ.

إصابة المعنى:

وقال خالد بن صفوان: «ليست البلاغة بخفة اللسان، ولا بكثـرة الهـذيان ولكنها إصابة المعنى والقرع بالحجة»[١].

البلاغة جامعة:

وقال بعضهم: «البلاغة دُنُوُّ المأخذ، وقرع الحجة، والاستغناء بالقليل عـن الكثير». وقال بشر بن خالد: «البلاغة التقرب من المعنى البعيد، والتباعد عـن خسيس الكلام، والدلالة بالقليل على الكثير»[٢].

البليغ:

وقال عمر بن عبد العزيز: «البليغ: من إذا وجد كثيرًا ملأه، وإذا وجد قليلًا كفاه»[٣].

مكـارم الأخـلاق

طلب المكـارم:

قال ابن هذيل: «اعلم أنه يجب على الإنسان أن يتخلق بـالأخلاق الموجبـة للسيادة، ويعتني في طلب المكارم والمجادة، وأن لا يتشاغل عنهـا بـسواها ولا يصرف همته إلى ما عداها»[٤].

الكـرم:

قال بعض العلماء: «الكرم هو اسم واقع على كل نوع مـن أنـواع الفـضل، ولفظ جامع لمعاني السماحة والبذل، فكل خصلة من خصال الخـير وخلـة مـن خلال البر وشيمة، تعزى إلى مكـارم الأخـلاق، وسـجية تـضاف إلى محاسـن

(١-٣) الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر.

(4) عين الأدب والسياسة لابن هذيل.

الطبائع والأعراف، فهي واقعة على اسم الكرم، فالكرم أبدًا واقع على كل فعل من الأفعال المرضية، لازم لكل حال من الأحوال الجليلة السَّنيَّة»[١].

أشرف الأعمال نابعة من أشرف الأنساب:

وقال ابن هذيل: «الواجب على ذي النسب الشريف، والمجد الرفيع، أن لا يجعل ذلك سُلَّمًا إلى التراخي من الأعمال الموافقة لنسبه والاتكال على آبائه، فإنَّ أشرف الأنساب يَحضُّ على أفضل الأعمال، والشريف بهذا أولى، إذا كان الشرف يدعو إلى الشرف كما أنَّ الحسن يدعو إلى الحسن، وأكثر الممدوحين إنما مُدحوا بأعمالهم دون أنسابهم»[٢].

نصيحة غالية:

قال علي: «لا تستح من عطاء القليل؛ فالحرمان أقل منه»[٣].

طبع وعلم:

قال يحيى البرمكي: «أعط الدنيا وهي مقبلة، فإن ذلك لا يُنْقِصك منها شيئًا، وأعط منها وهي مدبرة، فإنَّ منعك لا يُبقي عليك منها شيئًا» فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول: «لله دره ما أطبعه على الكلام وأعلمه بالدنيا!»[٤].

طريق القناعة:

وقال علي بن موسى: «القناعة تجمع إلى صيانة النفس، وعز القدرة وطرح مؤونة الاستكثار والتعبدُ لأهل الدنيا، ولا ملك طريق القناعة إلا رجلان: إمّا متقلل يريد أجر الآخرة، أو كريم يتنزه عن آثام الدنيا»[٥].

(1، ٢) عين الأدب والسياسة لابن هذيل.

(3، ٤) المستطرف للأبشيهي.

(5) نهاية الأرب للنويري.

بديل:

وقال حكيم: «إذا قصرت يدك عن المكافأة، فليطل لسانك بالشكر»[١].

بشاشة:

وقال الأحنف: «إذا اعتذر إليك معتذر، فلتلقه بالبشر»[٢].

مكارم الأخلاق:

وقال الحسن: «مكارم الأخلاق للمؤمن: قوة في لين، وحزم في دين، وإيمان في يقين، وحرص على العلم، واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة، وقناعة في الفاقة، ورحمة للمجهود، وإعطاء في حق وبر في اسَتقَامة»[٣].

أخلاق عالية:

وَفِي الْحِلْمِ إِدْهَانٌ وَفِي الْعَفْوِ دُرْبَةٌ ... وَفِي الصِّدْقِ مَنْجَاةٌ مِنَ الشَّرِ فَاصْدُقِ

وَمَنْ يَلْتَمِسْ حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ... يَصُنْ عِرْضَهُ مِنْ كُلِّ شَنعَاءَ مُوبِقِ

تجارب وحِكَم:

قال زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ، فَيَبخَلْ بِفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ، وَمَنْ لاَ يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزجَاجِ فَإِنَّهُ ... يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ ... وَمَنْ لاَ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لاَ يُكَرَّمِ

---

(1) نهاية الأرب للنويري.

(2، ٣) بهجة المجالس لابن عبد البر.

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

أخلاق تبني الفرد والمجتمع

مكارم الأخلاق:

«حُسن الخلق يُكسبُ حُسنَ الذكرِ».

قالت عائشة رضي الله عنها: «خلال المكارم عشر، قد تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه، وقد تكون في العبد، ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن أحبَّ: صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالضائع، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسهن كلهن الحياء».

وقال مصقلة بن هبيرة الشيباني: «سمعت صعصعة بن صوحان، وقد سأله ابن عباس: ما السؤدد فيكم؟ قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النوال، وكف المرء نفسه عن السؤال، والتودد للصغير والكبير، وأن يكون الناس عندك في الحق سواء».

وقال الأحنف بن قيس يومًا لقومه: «إنَّما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم، ولكني أبسط لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأقضي حقوقكم، وأحفظ حرمتكم، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن زاد عليَّ فهو خير مني، ومن زدت عليه فأنا خير منه. قيل له: يا أبا محمد ما يدعوك إلى هذا الكلام؟ قال: أحضهم على مكارم الأخلاق».

إنصاف:

قال الأحنف بن قيس: «ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وإن

كان مثلي تفضلت عليه».

ترفع عن الأحقاد:

كُنْ كَالنَّخِيلِ عَـن الأَحْقَـادِ مُرْتَفِعًـا تُرْمَى بِـرَجمٍ فَتُـؤْتِي أَطْيَـبَ الثَّمَـرِ

مأتم:

وإذَا أُصِـــيبَ القَــوْمُ فِي أَخْلَاقِهِــمْ فَـــأَقِمْ عَلَــيْهِمْ مَأْتَمًـــا وعَـــوِيلا

تاج الأخلاق:

فَـــإِذَا رُزِقْـــتَ خَلِيقَـــةً مَحْمُـــودَةً فَقَـــد اصْـــطَفَاكَ مُقَــسِّمُ الأرزَاقِ

فالنَّــــاسُ هَـــذَا حَظُّـــهُ مَـــالٌ وذَا عِلْــمٌ وذَاكَ مَكَـــارِمُ الأخْـــلَاقِ

والمَـــالُ إنْ لَمْ تَـــدَّخِرْه مُحَـــصَّنًا بِـــالعِلْمِ كَـــانَ نِهَايَـــةَ الإمْـــلَاقِ

والعِلْـــمُ إنْ لَمْ تكتَنِفْـــهُ شَـــمائِلٌ تُعْليـــهِ كَـــانَ مَطيَّـــةَ الإخْفَـــاقِ

لا تَحْـــسَبَنَّ العِلْـــمَ يَنْفَـــعُ وحْـــدَهُ مَـــا لَمْ يُتَـــوَّج ربُّـــه بِخَـــلاقِ

حسن الأخلاق:

ومَا الحُسنُ في وجْهِ الفَتَـى شَرَفٌ لـهُ إِذَا لَمْ يَكُـــن فِي فِعْلِـــهِ والخلائِـــقِ

الخلق الحسن:

العِلْــمُ تُنْــصَرُ بــالأخْلَاقِ دَوْلَتُــهُ فَـاقْهَرْ بِهَـا دَوْلَـةَ الأَهْـواءِ والفِـتَنِ

لَا يَصْلُحُ المَـرءُ إنْ سَـاءَتْ خَلائِقُـهُ فاعْمَدْ إلى كُلِّ خُلقٍ صَـالِحٍ حَـسَنِ

لَمْ يَـــشْرع اللهُ دِينًـــا فِي خَلِيقَتِـــهِ إلاَ عَـــلَى صَـــالِح الآدابِ والـــسُّنَنِ

وقال محمود الوراق:

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُـذْنِبٍ وإنْ كَثُـرَتْ مِنْـه عَـلَيَّ الجَـرَائِمُ

ومَـا النَّـاسُ إلا واحـدٌ مِـنْ ثَلاَثَـةٍ شَرِيـفٌ ومَـشْرُوفٌ ومِـثْلِي مُقَـاوِمُ

فَأَمَّـا الَّـذِي فَـوْقِي فَـأَعْرِفُ فَـضْلَهُ وأَلْـزَمُ فِيـهِ الحَـقَّ والحَـقُّ لاَزِمُ
وأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَال صُنْتُ عَـنْ مَقَالَتِـهِ نَفْـسِي وإِنْ لاَمَ لاَئِـمُ
وأَمَّـا الَّـذِي مِـثْلِي فـإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَـا تَفضَّلْتُ إِنَّ الفَضْلَ لِلْحُرِّ حَاكِمُ[١]

حقيقة الجمال

الجمال الحقيقي:

قال عمرو بن معد يكرب:

لَـيْسَ الجَـمَالُ بِمَئْـزَرٍ فَـاعْلَمْ وإِنْ رُدِّيـتَ بُـرْدَا
إِنّ الجَـمَالَ مَعَـادِنٌ وَمَنَاقِـبٌ أَوْرَثْـنَ مَجْـدَا

وقال علي بن أبي طالب:

لَـيْسَ الجَـمَالُ بِـأَثْوَابٍ تُزَيِّنُنَـا إِنَّ الجَـمَالَ جَمَـالُ العَقْـلِ والأَدَبِ

قال إيليا أبو ماضي:

لَيْسَ الجَمِيـلُ جَمِيـلَ الوَجْـهِ والحُلَـلِ بَل مَنْ ثَنَى العَزْمَ نَحْوَ الجِدِّ والعَمَـلِ

كن جميلا:

وقال أيضًا:

والَّـذَي نَفْـسُه بِغَـيْرِ جَمَـالٍ لاَ يَرَى فِي الوُجُـودِ شَـيْئًا جَمِيلاً[٢]

---

(1) بهجة المجالس وأنس المجالس –لابن عبد البر القرطبي– دار الجيل للطباعة بدون تاريخ.
(2) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي –أحمد قبش.

البر وأنواعه (١)

البر يوصل إلى القلوب، ويثنيها محبة وانعطافًا، ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به، وقرنه بالتقوى له، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(٢) لأنَّ له في التقوى رضا الله تعالى، وفي البِرِّ رضا الناسِ، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس، فقد تمت سعادته، وعمت نعمته. وروى الأعمش عن خيثمة، عن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله يقول: «**جُبِلَتِ القلوبُ على حبِّ مَنْ أحسنَ إليها، وبُغْضِ مَنْ أساءَ إليها**»(٣). وحكي أن الله - تعالى - أوحى إلى داود على نبينا وعليه السلام: ذَكِّرْ عبادي إحساني إليهم ليحبوني، فإنهم لا يحبون إلا من أحسنَ إليهم. وأنشد أبو الحسن الهاشمي:

النـاسُ كلُّهـمُ عِيـا ... لُ اللهَّ تَحْـتَ ظِلَالِـهِ
فـأَحبُّهُمْ طُـرًا إليـهِ ... أَبَـرُّهم لِعِيَالِـهِ

والبر نوعان: صلة ومعروف.

فأما الصِّلة فهي التبرع ببذل المال في الجهات المحمودة، لغير عوض مطلوب، وهذا يبعثُ عليه سماحةُ النفسِ وسخاؤُها، ويمنعُ شُحُّهَا وإباؤُها. قال الله - تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٤). وروى محمد بن إبراهيم التيمي، عن عروة بن الزبير، عن النبي ﷺ أنه قال: «**السَخيُّ قريبٌ منَ الله عزَّ وجَلَّ، قريبٌ من الجَنةِ، قريبٌ من النّاسِ، بَعيدٌ من النّارِ، والبخيلُ بعيدٌ مِن اللهِ عزّ وجلّ، بعيدٌ من الجنّةِ، بعيدٌ من النَّاسِ، قريبٌ من**

(1) أدب الدنيا والدين ص: ١٨٤-٢٠٢.
(2) المائدة: ٢.
(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٩٨٤) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٢١) والقضاعي في مسند الشهاب (٥٩٩) عن عبد الله بن مسعود ﷺ. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٠٠) «موضوع».
(4) الحشر: ٩.

النّارِ»[1]. قال ابن عباس -رضي الله عنهما: سادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء. وقيل في منثور الحكم: الجود عن موجود. وقيل في المثل: سؤدد[2] بلا جود، كملك بلا جنود. وقال بعض الحكماء: الجود حارس الأعراض. وقال بعض الأدباء: من جاد ساد، ومن أضعف ازداد. وقال بعض الفصحاء: جود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يُبغضه إلى أولاده. وقال بعض الفصحاء: خير الأموال ما استرق[3] حرًا، وخير الأعمال ما استحق شكرًا. وقال صالح بن عبد القدوس:

ويُظْهِرُ عيبَ المرءِ في النَّاسِ بُخلُهُ ويسترُهُ عَنْهم جَمِيعًا سَخَاؤُهُ
تَغَطَّ بأثوابِ السخَّاءِ فإنَّنِي أَرَى كُلَّ عَيْبٍ والسخاءُ غطاؤُهُ

حدُّ السخاء:

وحدُّ السخاءِ: بذلُ ما يحتاجُ إليه عندَ الحاجة، وأن يُوَصَّلَ إلى مستحِقِّه بقدْرِ الطّاقة؛ والبذلُ على وجهين:

أحدهما: ما ابتدأَ به الإنسانَ من غير سؤال.

والثاني: ما كان عن طلب وسؤال.

فأما المبتدأُ به: فهو أطبعهما سخاءً وأشرفهما عطاءً. وسُئِلَ عليٌ -كرم الله وجهه- عن السَّخاءِ، فقال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياءٌ وتكَرُّمٌ. وقال بعض الحكماء: أجلُّ النوالِ[4]، ما وصَلَ قَبْلَ السّؤالِ. وقال بعض الشعراء:

(1) أخرجه الترمذي (١٩٦١) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٨٥١) عن أبي هريرة ﷺ. قال الترمذي: «غريب». وقال الألباني: «ضعيف جدًّا».
(2) سؤددٌ: سيادة من ساد.
(3) استرق: استعبد.
(4) النوال: العطاء.

وفَتـــــًى خَـــلاَ مـــن مالِـــهِ ومِـــنَ المُـــروءةِ غـــيرُ خـــالْ
أعطـــــاكَ قبـــــلَ ســـــؤالِهِ فَكَفَـــاكَ مَكْــرُوهَ الـــسُّؤالْ

وهذا النوعُ من البذلِ قد يكونُ لتسعةِ أسبابٍ:

فالسبب الأول: أن يرى خَلَّة[1] يقدرُ على سدها.

والسبب الثاني: أن يرى في ماله فضلاً عن حاجته.

والسبب الثالث: أن يكون لتعريض ينتبه عليه لفطنته وإشارة يستدل عليها بكرمه.

والسبب الرابع: أن يكون ذلك رعاية ليد أو جزاء على صنيعة.

والسبب الخامس: أن يُؤْثر الإذعان بتقديمه والإِقرار بتعظيمه توطيدًا[2] لرياسة هولها محب.

والسبب السادس: أن يدفع به سطوة[3].

والسبب السابع: أن يرد به سالف صنيعة.

والسبب الثامن: المحبة.

والسبب التاسع: ليس بسبب.

وأمَّا العملُ فهوَ بذلُ الجاهِ، والمساعدةُ بالنفسِ، والمعونةُ فِي النَّائِبَةِ[4]، وهذا يبعثُ عليهِ حبُّ الخيرِ للناسِ، وإيثار الصَّلاح لهم، وليس في هذه الأمور سَرَفٌ، ولاَ لِغايتها حدٌّ، بخلافِ النَّوعِ الأوَّلِ، لأنَّهَا وإن كثُرتْ فَهي أفعالُ خَيرٍ تعودُ بِنفْعيْنِ: نفعٌ على فاعلها في اكتسابِ الأجرِ، وجميلِ الذكرِ، ونفعٌ على

(1) الخلة: الحاجة والفقر.
(2) وطد: ثَبَّتَ.
(3) السطو: القهر.
(4) النائبة: المصيبة.

المعانِ بها، في التخفيفِ عنهُ، والمساعدةِ لهُ. وقد روى محمدُ بن المنكدرِ عن جابرٍ، أن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ معْروفٍ صَدَقَةٌ**»[١]. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «صنائِعُ المعروفِ تقِي مصارِعَ السُّوءِ»[٢]. وقال ﷺ: «**المعروفُ كاسمِهِ، وأوَّلُ من يدخُلُ الجنَّةَ يومَ القيَامَةِ المعروفُ وأهلُهُ**»[٣]. وقال علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه: لا يزهدنك في المعروف كفرُ من كفره، فقد يشكرُ الشَّاكرُ بأضْعافِ جُحودِ الكافرِ وقال الحطيئة:

مَنْ يفعلِ الخيْرَ لا يعدَمْ جَوازِيَهُ ... لا يذهَبُ العرفُ بَيْنَ اللهَّ والنَّاسِ

وأنشد الرياشيّ:

يدُ المعروفِ غُنْمٌ حَيثُ كانَتْ ... تحمَّلَها كَفورٌ أمْ شَكُورُ

فَفِي شُكرِ الشَّكورِ لَهَا جَزاءٌ ... وعِنْد اللهَّ ما كفرَ الكفورُ

فينبغي لمن يقدرُ على ابتداءِ المعروف أن يعجِّلَهُ، حذرَ فواته، ويبادر به خيفة عجزه، وليعلم أنه من فُرَص زمانِهِ، وغنائمِ إمكانه، ولا يهمله ثقة بقدرته عليه، فكم واثق بقدرة فاتت فأعقبت ندمًا ومُعَوِّلٌ على مُكْنة[٤] زالت، فأورثت خجلًا. وقد قال الشاعر:

ما زلت أسمع: «كمْ من واثقٍ خَجِلٌ» ... حتى ابتليتُ فكنتُ الواثقَ الخَجِلاَ

ولو فطنَ لنوائبِ دهرِهِ، وتحفَّظَ من عواقب مكرِهِ، لكانت مغانمُه مذخورَةً، ومغارمُه مجبورَةً؛ فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من فتحَ عليهِ**

---

(1) أخرجه البخاري (٦٠٢١) ومسلم (١٠٠٥) والترمذي (١٩٧٠) عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما.

(2) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦١) (٨٠١٤) عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٥): «رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن».

(3) ذكره القرطبي في تفسيره (٥/ ٣٨٣).

(4) مكنة: قدرة.

بابٌ منَ الخير فلْينتَهِزْهُ، فإنه لا يدري متَى يُغلق عليهِ»[1]، وروي عنه أنه قـال: «**لكلِّ شيءٍ ثمرةٌ، وثمرةُ المعروفِ تعجيلُ السَّراجِ**»[2]. وقيل لأنـوشروان: مـا أعظم المصائب عنـدكم؟ فقـال: أن تقـدر عـلى المعـروف ولا تـصطنعه حتـى يفوتَ. وقال عبد الحميد: من أخر الفرصة عن وقتهـا، فلـيكن عـلى ثقـة مـن فوْتها. وقال بعض الشعراء:

إذا هَبَّـــتْ رياحُـــك فاغتَنِمْهـــا ... فَـــإنَّ لِكُـــلِّ خَافِقَـــةٍ سُـــكُونُ

ولا تَغْفَــل عــن الإِحْــسانِ فِيهَــا ... فَـمَا تـدري الـسّكونَ متَـى يَكُـونُ

وإن درَّتْ نِياقُــــك فاحْتَلِبْهَــــا ... فَـمَا تَـدْرِي الفَـصِيلُ لِمَـنْ يكـونُ

فضل صناعة المعروف

قال ﷺ: «**أَلاَ أَدلُّكُم عَلى شيءٍ يُحِبُّه الله ورسولُهُ؟**». قَالُوا: بَلَى يا رَسُول الله؟ قَالَ: «**المعُروفُ والتغابُنُ للضَّعِيفِ**».

المعروف لا تمسّه النار:

قال عيسى -عليه السلام: «**اسْتَكْثِرُوا مِنْ شيءٍ لاَ تَمَسّه النَّارُ**». قَـالَوا: ومـا هُو يا روح الله؟ قال: «**المْعرُوفُ**».

السرف المحمود:

قال عمرو بن العاص: «في كل شيءٍ سرف، إلا في ابتناء المكارم أو اصطناع معروف أو إظهار مروءة».

---

(1) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٤٣٥) وابن المبارك في الزهد (١١٧) عـن حكـيم بـن عميـر مرسلاً.

(2) ذكره القرطبي في تفسيره (٥/ ٣٨٤) وقال الحافظ العراقي في المغني عن حمـل الأسـفار (٣٣٠٢): «لم أقف له على أصل».

سلامة:

وقديمًا كان يقال: «صاحب المعروف لا يقع، وإذا وقع وجد متكئًا».

آثار المعروف:

قال معاوية ليزيد: «يا بني اتخذ المعروف منالًا عند ذوي الأحساب، تشتمل به مودتهم وتعظم في أعينهم، وتكف به عاديهم، وإياك والمنع فإن ضده المعروف».

الجزاء من جنس العمل:

قال الزهيري: «من زرع معروفًا حصد خيرًا، ومن زرع شرًا حصد ندامة».

إتمام المعروف:

قال الشاعر:

إِنَّ ابْتِـدَاءَ العِـزِّ مَجْـدٌ سَـابِقٌ ... والمَجْـدُ كُـلُّ المَجّـدِ فِي اسْـتِتْمَامِهِ

إِنَّ الهِـلالَ يَـرُوقُ أَبْـصَارَ الـوَرَى ... حُـسْنًا ولـيْسَ كَحُـسْنِهِ لِتَمَامِـهِ

المعروف مغنم:

قال عبد الله بن المبارك:

يَـدُ المَعْـرُوفِ غُـنْمٌ حَيْـثُ كَانَـتْ ... تَحَمَّلهـا شَـكُور أو كَفُـورُ

فَفِـي شُـكْرِ الـشَّكُورِ لَهَـا جَـزَاءٌ ... وعِنْـدَ الله مَـا كَفَـرَ الكفـورُ

ستر المعروف:

قال محمود الوراق:

فَكَّـرتُ فِي المَـالِ وفِي جَمْعِـهِ ... فَكَـانَ مَـا يَبْقَـى هـو الفَـانِي

وكَـانَ مَـا أَنْفَقْـتُ في أَوْجِـه الـ ... ـبِرِّ بِمَعْـرُوفٍ وإحْـسَانِ

هُـو الَّـذِي يَبْقَـى وأُجـزى بِـهِ ... يَـومَ يُجَـازَى كُـلُّ إِنْـسَانِ

ومِـــنْ فَــسَادِ العُــرْفِ إِحْــصَاؤُهُ وذكْــــــرُهُ في كُــــــلِّ إِبَّــــــانِ
فانْــــشُرْ إِذَا أَوْلَيْــــتَ عُرْفَــــا وإِنْ أَوْلَيْتَــــهُ فاسْــــتُرْ بِنِــــسْيَانِ[1]

قيمتك فيما تحسن:

قِيمَــــةُ الإِنْــــسَانِ مَــــا يُحْــسِنُهُ أَكْثَــر الإِنْــسَانُ مِنْــه أو أقــلَّ

حسن الوجه والكف:

أَحْـسِنْ إِذَا كَـان إِمْكَـانٌ ومَقْـدرةٌ فَلَنْ يَـدُومَ عَـلَى الإِحْسَانِ إِمْكَـانُ
وأَحْسَنُ وجْهٍ فِي الـوَرَى وَجْـهُ مُحْــ ـسِنٍ، وأيمنُ كَفٍّ فِيهِمُ كَفُّ مُنْعِم

المعروف أعلى المنازل:

ولَمْ أَرَ كَـالمَعْرُوفِ أَمَّـا مَذَاقُـهُ فَحُلْـوٌ، وأَمَّـا وجْهُـهُ فَجَمِيـلُ
وَلاَ تَمْـنَعنْ ذَا حَاجَـةٍ جَـاءَ رَاغِبًـا فَإِنَّكَ لا تَدْرِى مَتَى أَنْتَ رَاغِبُ[2]

الصدق [3]

قال الله تعالى مبشرًا الصادقين: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[5]. ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**دعْ ما يريبُكَ إلى مَا لاَ يريبُكَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ ريبة والصِّدْقَ طُمْأنينة**»[6].

وقيل في منثور الحكم: الكذاب لص، لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. الخرس خير من الكذب، وصدق اللسان أول السعادة.

(1) بهجة المجالس وأنس المجالس –لابن عبد البر القرطبي- دار الجيل للطباعة –بدون تاريخ.
(2) أروع ما قيل في الحكمة، إميل ناصيف –الطبعة الأولى ١٤١٣هـ -دار الجيل، بيروت.
(3) المستطرف: ص ٣٨-٤٠.
(4) المائدة: ١١٩.
(5) النحل: ١٠٥.
(6) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) والنسائي (٨/ ٣٢٧) وأحمد (١/ ٢٠٠) والحاكم (٤/ ٩٩) عن الحسن ابن علي –رضي الله عنهما. قال الترمذي: «حسن صحيح» وسكت الحاكم عنه، وقال الذهبي: «سنده قوي».

الصادق مصون جليل، والكاذب مهان ذليل. لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق.

وقال أحد الشعراء:

وما شيءٌ إذا فكَّرتَ فيهِ بأذْهَبَ لِلْمُروءَةِ والجَمالِ
مِنَ الْكذِبِ الذي لا خَيْرَ فيهِ وأبْعَدَ بالبَهَاءِ من الرِّجالِ

والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذمٍّ، لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء. والبغضاء تؤُولُ إلى العداوة.

والصدق والكذب يدخلانِ الأخْبارَ الماضِيةَ، كما أنَّ الوَفْاءَ والخُلْفَ يَدخُلانِ المَواعِيدَ المُسْتَقْبَلِيَّةَ، ودَوَاعي الصِّدْقِ لازمَةٌ، ودواعي الكَذِب عارِضَةٌ.

دواعي الصدق:

ودواعي الصدْقِ مِنها:

العقل: لأنهُ موجِبٌ لِقُبْحِ الكذب، لا سيما إذا لمْ يَجْلبْ نفعا، ولمْ يدْفَعْ ضرَرًا. والعقل يدْعو إلى ما كان مُسْتحسَنًا، ويمنعُ من إتيانِ ما كان مُستَقْبَحًا. ومنها: الدين الواردُ باتِّباعِ الصدقِ وحظرَ[1] الكذبِ. ومنها: المروءة؛ فإنها مانعة من الكذب، باعثة على الصدقِ، لأَنَّها قد تمنعُ من فعلِ ما كان مُستكْرَها، فأوْلى من فِعْلِ ما كان مستقبحًا. ومنها: حبُّ الاشْتِهارِ بالصدق حتى لا يردَّ عليه قولٌ ولا يلحقه ندمٌ. وقد قال بعض البلغاء: ليكن مرْجعك إلى الحقِّ ومَنْزَعك إلى الصدق. فالحق أقوى معين، والصدق أفضَلُ قرينٍ.

---

(1) المحظور: المحرَّم.

وقال بعض الشعراء:

عَوِّدْ لِسانَكَ قَوْلَ الصِّدقِ تَحْظَ بـهِ   إِنَّ اللِّـسانَ لِمَـا عُـودْتَ معتـادُ
مُوكَّـلٌ يتقـاضَى مـا سَـنَنْتَ لـهُ   فِي الخَيْرِ والشَّرِّ فـانظُرْ كيـفَ ترْتـادُ

الصدق خلق فاضل

معرفة المؤمن:

قالت عائشة -رضي الله عنها: قلت: يا رَسول الله، بما يُعْرفُ المـؤمنُ قَـال: «**بِوَقارِهِ ولِينِ كَلاَمِهِ، وصِدْقِ حَدِيثِهِ**»(١).

أعظم الصدق:

قال عمر بن الخطـاب ﷺ: «عليـك بالـصدق وإن قتلـك، ولـئن يـضعني الصدق – وقلما يضع – أحب إليَّ من أن يرفعني الكذب – وقلما يفعل» (٢).

قال الشعبي: «عليك بالصدق حين تعلم أنّه يضرك، فإنه ينفعك»(٣).

قال حكيم: «أعظم الصدق، الصدق فيما يضرك»(٤).

قال بعض الحكماء: «الصدق مُنجيـك وإن خفتـه، والكـذب مُرديـك وإن أَمِنْته»(٥).

صلاح الدين والدنيا:

قال الجاحظ: «الصدق والوفاء توأمان، والصبر والحلم توأمان، فيهن تمـام كل دين، وصلاح كل دنيا، وأضدادهما سبب كل فرقة وأصل كل فساد»(٦).

التزم الصدق:

قال بعض الحكماء: «عليك بالصدق فـما الـسيفُ القـاطع في كـف الرجـل الشجاع بأعز من الصدق، والصدقٌ عزٌ وإن كان فيه مـا تكـره، والكـذب ذلٌ وإن كان فيه ما تحب، ومن عُرف بالكذب اتهم في الصدق»(٧).

(١، ٢) بهجة المجالس وأنس المجالس ـ لابن عبد البر القرطبي.

(٣-٧) دليل السائرين ـ أنس إسماعيل أبو داود ـ الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.

وقيل: الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجَور.

وقال حكيم: «الصدق عز والكذب خضوع»(١).

الصدق رفعة:

قال الشاعر:

كَمْ مِنْ حَسِيبٍ كَرِيمٍ كَانَ ذَا شَرَفٍ   قَدْ شَانَهُ الكَذِبُ وَسْطَ الحَيِّ إِنْ عَمَدَا

وآخَر، كَانَ صُعْلُوكًا، فَشَرَّفَهُ   صِدْقُ الحَدِيثِ، وقَوْلٌ جَانَبَ الفَنَدَا

فَصَارَ هَذَا شَرِيفًا فَوْقَ صاحِبِهِ   وصَارَ هَذَا وضِيعًا تَحْتَه أَبَدًا

أثر الصدق:

قال الشاعر:

وإِذَا الأُمُورُ تَزَاوَجَتْ   فالصِّدقُ أَكْرَمُهَا نِتَاجًا

الصِّدْقُ يَعْقِدُ فَوْقَ رَأْ   سِ حَلِيفِهِ بالصِّدْقِ تَاجًا

والصِّدْقُ يَقْدَحُ زِنَدَهُ   فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ سِرَاجًا(٢)

الكذب خلق سافل

إياك والكذب:

قال ﷺ: «**آيةُ المنَافِقِ ثَلاَثٌ، إِذَا حدَّثَ كَذَبَ...**»(٣).

وقال سعد بن أبي وقاص: «كل الخصال يطبع عليها المؤمن إلاّ الكذب والخيانة».

وقال بعض الحكماء: «من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه».

---

(١) المحاسن والمساوئ ـ محمد بن إبراهيم البيهقي ط١، ١٣٨٠هـ ـ دار بيروت للطباعة والنشر.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ـ لأبي حاتم البستي.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

وقال لقمان لابنه: «يا بني احذر الكذب فإنّه شهي كلحم العصفور، من أكل شيئًا منه لم يصبر عنه»(١).

أسباب ومسببات:

قيل إنه وجد في كتب الهند: «ليس لكذوب مروءة، ولا لضجور رياسة، ولا لملول وفاء، ولا لبخيل صديق».

ضلال الكذب:

وقال قتيبة بن مسلم لبنيه: «لا تطلبوا الحوائج من كذوب؛ فإنَّه يقربها وإن كانت بعيدة، ويبعدها وإن كانت قريبة».

وقال رجل لأبي حنيفة: ما كذبتُ قط. فقال: أَمَّا هَذه فواحدة.

الكذب بلاء ورجوع:

قال الشاعر:

حَسْبُ الكَذوبِ مِنَ البَلِيـ ـةِ بعضُ مَا يُحكَى عليه
مَا إن سَمعتَ بِكذبَةٍ مِنْ غَيْره نُسِبَت إِلَيْه

وقال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ أَنجِزُ دَهرًا مَا وعَدْتُ إِلى أَنْ أَتْلَف الوعْدُ مَا جَمَّعْتُ مِن نَشَبِ
فإنْ أكُ صِرْتُ فِي وَعْدِي أَخَا كَذِبٍ فَنُصْرةُ الصِّدقِ أَفْضَتْ بِي إِلى الكَذِبِ(٢)

آفة الكذب:

قال أبو حاتم: «لو لم يكن للكذب من الشين إلاّ إنزاله صاحبه بحيث إن صدق لم يصدَّق، لكان الواجب على الخَلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم،

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ـ لابن عبد البر القرطبي.
(٢) المحاسن والمساوئ ـ محمد بن إبراهيم البيهقي.

وإنَّ من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسيًا، فإذا كان كذلك كان كالمنادي على نفسه بالخزي في كل لحظة وطرفةٍ»[١].

الكذاب خائف:

قال يزيد بن المهلب: «الكذاب يخيف نفسه وهو آمن» معناه أنه قد عرض نفسه للمطالبة بحقيقة ما قاله، فهو خائف من الفضيحة، وملاحظ لعار التكذيب، ومستوحش لما فيه أنس الصادقين».

سمو:

وقال بعض الأدباء: «لو لم أدع الكذب تأثمًا لتركته تكرمًا».

وقال آخر: «لو لم أدع الكذب تَحوبًا لتركته تأدبًا».

وقال أبو النفيس: «لو لم أدع الكذب تودعا لتركته تصنعًا»[٢].

دركات لا درجات:

قال ابن عباس: «حقيق على الله أن لا يرفع للكاذب درجة، ولا يثبِّت له حجةً»[٣].

وقال غيره: «الكذب أوضع الرذائل خطة، وأجمعها للمذمَّة والمحطَّة، وأكبرها ذلًا في الدنيا، وأكثرها خزيًا في الآخرة، وهو من أعظم علامات النفاق، وأقوى الدلائل على دناءة الأخلاق والأعراق، لا يحتمل حامله على حال، ولا يصدَّق إذا قال»[٤].

البكم خير:

قال أرسطاليس: «فُضِّلَ الناطقُ على الأخرس بالنطق، وزَيَّنَ النطقَ الصدقُ، فإذا كان الناطقُ كاذبًا، فالأخرسُ خيرٌ منه»[٥].

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ـ أبي حاتم البستي.

(٢) البصائر والذخائر ـ لأبي حيان التوحيدي ـ دار صادر بيروت ـ الطبعة الأولى ـ بدون تاريخ.

(٣-٤) نهاية الأرب للنويري.

الجاني على نفسه:

وقال بعض الأعراب: «عجبت من الكذاب المشيد بكذبه، وإنَّما هو يدل النَّاس على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربّه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، إن قال حقًا لم يصدّق، وإن أراد خيرًا لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدال على فضيحتها بمقاله، فما صحَّ من صدقه نسب إلى غيره، وما صحَّ من كذب غيره نسب إليه»(١).

ويقال: «الكذب جماع النفاق، وعماد مساوئ الأخلاق، عار لازم، وذل دائم، يخيف صاحبه نفسه وهو آمن، ويكشف شر الحسب عن لؤمه الكامن»(٢).

المواعيد في الأخلاق

كبيرة خُلْفِ الوعدِ:

قال المثنى بن حارثة الشيباني: «لئن أموت عطشًا، أحب إليَّ من أن أخلف موعدًا»(٣).

حسن الوفاء بالوعد:

قال يحيى بن خالد: «المواعيد شِبَاكُ الكرام، يصيدون بها محامد الإخوان، ألا تراهم يقولون فلان ينجز الوعد، ويفى بالضمان، ويصدق في المقال، ولولا ما تقدم من حسن موقع الوعد لبطل حسن هذا المدح»(٤).

لطف محل:

(١،٢) نهاية الأرب للنويري.

(٣،٤) بهجة المجالس لابن عبد البر.

وقال أيـضًا: «إنَّ الحاجـة إذا لم يتقـدمها وعـد تنتظـر نجحـه، لم تتجـاوب الأنفس سرورها فدع الحاجة تختمر بالوعد، ليكون لهـا عنـد المـصطنع حـسن موقع ولطف محل».

بين (لا) و(نعم):

وقال أيضًا: «لا» الكريم أنجع مـن «نعـم» اللئـيم، لأن «لا» الكـريم ربـما كانت في وقت غضب، وإبَّان سآمة، و«نعم» اللئيم تصدر عن تصنُّع وفساد نيةٍ وقبح مآل»[1].

الحرص على السلامة:

قال الحكماء: «من خاف الكذب أقلَّ المواعيد».

الصدق منجاة:

وقال عبـد الله بـن عمـر -رضي الله عـنهما: «خلـف الوعـد ثلـث النفـاق، وصدق الوعد، ثلث الإيمان، وما ظنَّك بشيء جعله الله تعالى مدحـةً في كتابـه، وفخرًا لأنبيائه فقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾[2]»[3].

مذمات ثلاث:

قالوا: «الخُلف ألأم من البخل؛ لأنَّه من لم يفعل المعروف لزمه ذم اللـؤم وحـده، ومن وعد وأخلف لزمه ثلاث مذمَّات: ذم اللؤم، وذم الخُلف، وذم الكذب»[4].

حسن الوفاء بالعهد:

ومن الأمثال: «أنجز حُرٌ ما وعد» «وعدُ الحُرِّ دينٌ عليه»[5].

صدق النية:

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٢) مريم: ٥٤.

(٣-٥) العقد الفريد لابن عبد ربه.

قال محمد بن الحسين -رحمه الله: «الخلف أن تَعِدَ ومن نيتك ألا تفعل، فإذا وعدت ومن نيتك أن تفعل فليس بخلف»(١).

وقاية من الإثم:

وقال عمر بن عبد العزيز: «أربع إذا قلتها متى وعدت ثم لم تفعل لم تكن مخلفًا: إن شاء الله ولعل وأنظر وأرجو»(٢).

عذر جميل خير من مطل طويل:

قال المهلب: «يا بني إياك والسرعة عند المسألة بنعم، فمدخلها سهل ومخرجها وَعِر، واعلم أنَّ «لا» وإن قبحت فربما أروحت، فإذا سئلت ما قدرت عليه فاطمع ولا توجب، وإذا علمت معذرة فاعتذر، فالإتيان بالعذر الجميل خير من المطل الطويل»(٣).

أمل غير مقطوع به:

وسأل رجل الفضل بن الربيع، فقال: «أكره أن أقول «نعم» فأكون ضامنًا، أو أن أقول «لا» فأكون مسيئًا، ولكن ننظر فسيسهل الله تعالى»(٤).

أشعار قيلت في المواعيد

قال الشاعر:

لا تَقُولنَّ إذا مَا لم تُرِدْ ... أن تُتِمَّ الوعْدَ في شَيءٍ نَعَمْ

حَسَنٌ قولُ نعم بعد لَا ... وقبيحٌ قَوْلُ لَا بَعْدَ نَعَمْ

إنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاحِشَةٌ ... فَبِلا فابْدأ إِذَا خِفْتَ النَّدَمْ

وقال آخر:

إِذَا قُلْتَ فِي شيءٍ نَعَمْ فأَتِمَّهُ ... فإنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الحُرِّ وَاجِبُ

(١، ٧) محاضرات الأدباء للأصفهاني.

(٣، ٢) محاضرات الأدباء للأصفهاني.

وإلاّ فَقُلْ لاَ، تَسْتَرِحْ وتُرِحْ بِهَا لِئَلَّا تَقولَ النّاسُ إنَّك كَاذِبُ[١]

إذا وعدت فأنجز:

وقال آخر:

لاَ كَلَّفَ الله نَفْساً فَوْقَ طَاقَتِهَا وَلاَ تَجُودُ يَدٌ إلاّ بِمَا تَجِدُ

فَلاَ تُعِدْ عِدَّة إلاَّ وَفَيْتَ بِهَا واحْذَرْ خِلَافَ مَقَالٍ للَّذِي تَعِدُ[٤]

شر الأشياء:

وقال آخر:

لَئِنْ تُجْمَعُ الآفاتُ فَالبُخْلُ شَرُّهَا وشَرٌّ مِنَ البُخْلِ المَواعِيدُ والمَطْلُ

وَلاَ خَيْرَ فِي وَعْدٍ إذَا كَانَ كَاذِبًا ولاَ خَيْرَ فِي قَوْلٍ إذَ لَمْ يَكُنْ فِعْلُ[٢]

الحر لا يُماطل:

وقال آخر:

تَعْجِيلُ وَعْدِ المَرْءِ أكْرُومة تَنْشَرُ عَنْه أَطْيَبَ الذِّكْرِ

والحُرُّ لا يَمْطِلُ مَعروفَهُ ولا يَلِيقُ المَطْلُ بالحُرِّ[٣]

إذا وعدت فأنجز:

وقال آخر:

ولَقَدْ وعَدَّتَ وأَنْتَ أَكْرَمُ واعَدٍ لاَ خَيْرَ فِي وَعْدٍ بغَيْرِ تَمَامِ

أَنْعِمْ عَلَيَّ، بِمَا وَعَدْتَ تَكَرُّمًا فالمَطْلُ، يُذْهِبُ بَهْجَةَ الإِنْعَامِ[٤]

وكل لبيب بالإشارة يفهم:

وقال آخر:

(١، ٤) المستطرف للأبشيهي.

(٢-٤) المستطرف للأبشيهي.

وميعَادُ الكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلاَ تَزِدِ الكَريمَ عَلَى السَّلاَمِ
يُذَكِّرُهُ سَلاَمُكَ مَا عَلَيْهِ ويُغْنِيكَ السَّلاَمُ عن الكَلاَمِ(١)

نِعمٌ «متتابعة»:

قال الشاعر:

وَلِي مِنْك مَوْعُودٌ طَلَبْتُ نَجَاحَهُ وأَنْتَ امرؤٌ لا تُخْلِف الدَّهْر مَوعِدًا
وعودَّتني أَنْ لا تَزَالُ تُظِلّنِي يَدٌ مِنْكَ قَدْ قدَّمتَ مِنْ قَبْلِهَا يَدَا
فَلَوْ أنَّ مَجْدًا أو ندًى أو فَضِيلةً تُخَلِّدُ شيئًا كُنْت أنت المُخَلدَا(٥)

إنجاز الوعد وخلف الوعيد:

قال ابن الرومي:

إنَّ خُلْفَ الوَعِيدِ لَيْسَ بِعَارٍ إنَّمَا العَارُ كُلُّهُ خُلْفُ وعْدِكَ(٣)

العطاء أفضل:

قال الشاعر:

مَتَى مَا أَقُلْ يومًا لِطَالبِ حَاجَةٍ نَعَمْ، أَقْضِهَا قُدُمًا وذَلِكَ مِنْ شَكْلِي
وإنْ قُلْتُ لاَ بَيَّنْتُهَا مِنْ مَكَانِهَا ولَمْ أوْدِهِ مِنْهَا بجَرٍ ولا مَطْلِ
وللبَخْلَةُ الأَوْلَى أقلُّ مَلاَمَةً مِنَ الجُودِ بدءًا ثُمَّ يتبعُ بالبُخْلِ(٤)

مواعيد عرقوب:

وعدتَّ وكانَ الخُلفُ منك سجيةً مَواعيدَ عَرقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبِ

ما قيل في الغدر والخيانة

امتناع الخير:

---

(٢) نهاية الأرب للنويري.
(٣) محاضرات الأدباء للأصبهاني.
(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة.

قالوا: «من نقص عهده ومنع رفده، فلا خير عنده»(١).

الغالب المغلوب:

وقالوا: «الغالب بالغدر مغلوب، والناكث للعهد ممقوت مخذول»(٢).

من علامات النفاق:

وقالوا: «من علامات النفاق نقض العهد والميثاق»(٣).

الغدر لا عذر فيه:

وقالوا: «لا عذر في الغدر، والعذر يصلح في كل المواطن، ولا عـذر لغـادر ولا خائن»(٤).

عثرة مضمونة:

وقالوا: «الغدر ضامن من العثرة، قاطع ليد النصرة»(٥).

لؤم الأصل:

ويقال: «من تعدى على جاره، دلَّ على لؤم نجاره»(٦).

صغر الهمة:

«لم يغدر غادر قط إلاّ لصغر همته عن الوفاء، واتـضاع قـدره عـن احـتمال المكاره، في جنب نيل المكارم»(٧).

التعامل مع الخائنين:

كان يقال: «كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخونة»(٨).

استقامة القلب:

(١-٦) نهاية الأرب للنويري.

(2،٥) نهاية الأرب للنويري.

(٧) المستطرف للأبشيهي.

(٨، ٥) بهجة المجالس لابن عبد ربه.

وقال الحسن: «لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه»(١).

المكر والغدر:

قال علي بن أبي طالب: «الغدر مكر، والمكر كفر، والخيانة خزي وهوان، ومن عامل الناس بالمكر كافؤوه بالغدر»(٢).

المكر سيئ:

وقال أيضًا: «ثلاث هنَّ راجعات إلى أهلها: المكر، والنكث، والبغي، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾(٥)»(٦).

شراكة في الإثم:

وقال الشاعر:

إنَّ العَفِيفَ إذَا اسْتَعَانَ بخَائِنٍ ... كَانَ العَفِيفُ شَرِيكُهُ في المَأْثَمِ

إذَا أَنْتَ حَمَّلْتَ الخَئُونَ أَمَانَةً ... فإنَّك قَدْ أَسْندتَّها شَرَّ مَسْنَدِ(٧)

تصنع وادعاء:

قال محمد الوراق:

تَصَنَّعَ كَيْ يُقَالُ لَهُ أَمِينُ ... ومَا مَعْنَى التَّصَنُّع لِلأَمَانَةْ

ولَمْ يُرِد الإلهُ بِهِ ولَكِنْ ... أَرَادَ بِهِ الطَّرِيقَ إلى الخِيَانَةْ(٨)

---

(٢) محاضرات الأدباء للأصبهاني.
(٣) فاطر: ٤٣.
(٤) الفتح: ١٠.
(٥) يونس: ٢٣.
(٦) محاضرات الأدباء للأصبهاني.
(٧، ٥) العقد الفريد لابن عبد ربه.

عيب مشهور:

وقال الشاعر:

* لَقَدْ غَدَرْتَ وعَيْبُ الغَـدْرِ مُـشْتَهِرُ[1] *

أمثال في الأمانة والغدر

١ – أغدر منْ قيسِ بنِ عاصمٍ[2].

٢ – كمجيرِ أمِّ عامرٍ[3].

٣ – لا تنفعُ حيلةٌ معَ غيلةٍ[4].

٤ – من استرعَى الذئبَ ظلم[5].

التواضع والكبر

إنصاف الآخرين:

قال بكر بن عبد الله المزني: «ما أرى امرأً إلاّ رأيت له الفضل عليّ؛ لأنيِّ من نفسي على يقين، وأنا من الناس على شك».

من علامات التواضع:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إنَّ من التواضع الرضا بالدُّون من شرف المجلس، وأن تسلم على من لقيت».

ثمرتان مطلوبتان:

كان يقال: «ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة».

ويقال أيضًا: «بالتواضع تتم النعمة، وبالتكبر تحقق النقمة».

حسنة سترت سيئتين:

---

(١) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٧-١٠) مجمع الأمثال للميداني (٢٧١١).

قال بُزرجمهر: «وجدنا التواضع مع الجهل والبخل، أحمد من الكبر مع الأدب والسخاء، فأعظم بحسنة سترت من صاحبها سيئتين، وأقبح بسيئة غطت من صاحبها حسنتين».

أفضل الناس:

قال عبد الملك بن مروان: «أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة».

بعض حقوق الشرف:

كان يقال: «من حقوق الشرف أن تتواضع لمن هو دونك، وتنصف من هو مثلك، وتنبل على من هو فوقك».

قال سالم بن قتيبة: «ما تكبر في ولايته إلاّ من كبرت عنه، ولا تواضع فيها إلاّ من كبر عنها».

التواضع:

قال الفضيل بن عياض: «التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته»[١].

رأس التواضع:

قال ابن المبارك: «رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدُّنْيَا حتى تعلمه أنه ليس لَك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمَّن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنَّه ليس له بدنياه عليك فضل».

ولا تمش في الأرض مرحا:

قال الكريزي:

ولا تَمْشِ فَوْق الأرْضِ إلاَّ تَواضُعًا فَكَمْ تَحْتَها قَوْمٌ هُم مِنْكَ أَرْفَعُ

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ـ لابن عبد البر القرطبي.

فــإنْ كُنْــتَ فِي عِــزٍّ وخَــيْرٍ ومَنْعَــةٍ فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمْ مِنْكَ أَمْنَعُ(١)

مدح الشعراء لأهل التواضع:

متواضع معظم:

قال أبو تمام:

مُتَبِــذِلٌ في القَــوْمِ وهَــوْ مُبَجَّــلٌ مُتَواضِعٌ في الحَيِّ وهُـو معظَّـم(٢)

أنت شمس:

قال البحتري:

دنــوتَ تَواضُــعَاً وعَلَــوْتَ مَجْــدًا فَــشَأْنَاكَ انْحِــدَارٌ وارْتِفَــاعُ

كَــذَاكَ الــشَّمْسُ تَبْعُــدُ أَنْ تُــسَامَى ويَدْنُو الـضَوْءُ مِنْهَـا والـشُعَاعُ(٣)

ارتفاع القدر:

وقال آخر:

دَنَــوْتَ تَواضُــعَاً وعَلَــوْتَ قَــدْرًا فَفِيـكَ تَواضُـعٌ وعُلـوٌّ شَـانِ(٤)

وقال أبو محمد التيمي:

تَواضَــــعَ لَمَّــــا زَادَه الله رِفْعَــــةً وكُـلُّ رَفِيـعٍ قَـدْرُهُ مُتَواضِـعُ(٥)

وقال أبو تمام:

تَواضَــعَ تكــنْ كــالنجم لاح لنــاظرٍ على صـفحات المـاء وهـو رَفِيـعُ

ولا تَــكُ كالــدخان يعلــو بنفــسه إلى طبقـات الجـو وهـو وَضِيـعُ

الكبر داء عضال

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ـ لأبي حاتم البستي.

(٢،٤) نهاية الأرب للنويري.

(٢،٤) نهاية الأرب للنويري.

قال مالك بن دينار: «كيف يتكبر مَنْ أوله نطفة مدرة، وآخره جيفة قـذرة، وهو فيما بين ذلك حامل عذرة».

حامل الرجس:

قال أبو العتاهية:

حَـذَّرْتُكَ الكِـبْرَ لا يَعْلِقَـكَ مِيـسَمُه ... فإنَّـــه مَلـــبسٌ نَازَعْتَـــه اللهَّ

يا بـؤسَ حَامِـلِ رِجْـسٍ لـيسَ يَغْـسِلُهُ ... بالمَـاءِ عَنْـه إذا كَلَّمْتَـهُ تَاهَـا

يَـرَى عَلَيْـكَ لَـهُ فَـضْلاً ومَنْزِلَـةً ... إنْ نَالَ فِي العَاجِلِ الـسُّلْطَانَ والجَاهَا

مُـثْنٍ عَـلَى نَفْـسِهِ رَاضٍ بِـسِيرَتِهِ ... كَذَبْتَ يا صَاحِبَ الدُّنْيا ومَوْلاَهَـا[1]

سل مساكن النيران:

قال الشاعر:

وسَـل العِيـاذَ مِـن التَّكـبُّرِ والهَـوَى ... فَهُـمَا لِكُـلِّ الـشَّر جَامِعَتَـانِ

وهُمَـا يَـصُدَّانِ الفَتَـى عَـنْ كُـلِّ طُـرْ ... ق الخَـيْرِ إذْ فِي قَلْبِـهِ يَلِجَـانِ

فَـتَرَاهُ يَمْنَعُـهُ هَـوَاهُ تَـارَةً ... والكِـبْرُ أُخْـرَى ثُـمَّ يَجْتَمِعَـانِ

واللهِّ مَـا فِي النَّـارِ إلاّ تَـابِعٌ ... هَـذَيْنِ فَاسْـأَلْ سَـاكِنَ النِّـيرَانِ

أثر الكِبْرِ في المعصية

معصية ومعصية:

قال سفيان بن عيينة: «من كانت معصيته في الشهوة فارج له، ومـن كانـت معصيته في الكِبْر فاخش عليه؛ فإن آدم عصى مشتهيًا، فغفر له، وإبليس عـصى متكبرًا فَلُعِن»[2].

وقال آخر:

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ـ لابن عبد البر القرطبي.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي.

يَا مدَّعى الكبْرَ إعْجَابًا بصُورتِهِ انظُر خَلاَكَ فإنَّ النَّتنَ تَثْرِيبُ
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فيما فِي بُطُونِهم ما اسْتَشْعَرَ الكِبْرَ شُبَانٌ ولا شِيبُ[1]

قال الأحنف بن قيس: «عجبت لمن خرج من مجرى البول مرتين كيف يتكبر».

فرق دقيق:

قال الحسن: «ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خيرٌ إلاّ أن يرى أن فيه خيرًا»[2].

آثار التكبر:

قال أبو حاتم البستي: «ما استجلبت البغضة بمثل التكبر، ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع، ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء، ولا يجب لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء، ولا تكاد ترى تائهًا إلّا وضيعًا، فالعاقل إذا رأى من هو أكبر منه سنًا تواضع له وقال سبقني إلى الإسلام، وإذا رأى من هو أصغر سنًا تواضع له، وقال سبقته بالذنوب، وإذا رأى من هو مثله عده أخًا، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه»[3].

وقيل: «من نال منزلة فأبطرته دلَّ على رَداءة أصله وعنصره»[4].

وقيل: «دع الكبر فمتى كنت من أهل النبل لم يضرك التبذل، ومتى لم تكن من أهله لم ينفعك التبتل»[5].

وقيل لأزدشير: «ما الكبر؟ فقال: اجتماع الرذائل، لم يدر صاحبها أين يضعها، فيصرفها إلى الذم»[6].

الحلم[1]

---

(١) دليل السائرين ـ أنس إسماعيل أبو داود ـ الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ.
(٢) عيون الأخبار ـ لابن قتيبة الدينوري.
(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ـ لأبي حاتم البستي.
(٤-٤) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.

مدح الحلم:

رَوَى محمدُ بن حارث الهلاليِّ، أن جبريلَ نزل على النبي ﷺ فقال: يا محمدُ إنِّي أتيتُكَ بمكارمِ الأخلاقِ في الدّنيا والآخرة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]. وَرَوى سفيانُ بن عيينة أنّ النبي ﷺ حيَن نزلتْ هذه الآيةُ قال: «**يا جبريلُ، ما هذا؟ قالَ: لا أدْرِي حتَّى أسأَلَ العالِمَ، ثم عادَ جبريلُ وقال: يا محمدُ إنَّ ربّك يَأْمُرُكَ أنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وتُعْطِيَ من حَرَمَكَ، وتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**». وَرَوَى هِشامُ عن الحسنِ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**أيعجِزُ أحدُكم أنْ يكون كَأَبِي ضَمْضَم، كان إذا خرج من منزله قال: اللّهُمَّ إنِّي تصدّقْتُ بِعِرْضِي على عِبادِكَ**»[٣]. وَرُوِيَ عن النبي ﷺ أنّه قال: «**إن الله يحبُّ الحليمَ الحيَّ**[٤]**، ويُبغضُ الفاحشَ البذِيَّ**»[٥]. وقال ﷺ: «**من حَلُمَ سادَ، ومن تَفَهَّمَ ازْدادَ**»[٦]. وقال بعضُ الأدباءِ: من غرسَ شجرةَ الحلمِ. اجْتَنَى[٧] شجرةَ السَّلْمِ. وقال بعضُ البلغاءِ: ما ذَبَّ عن الأعْرَاضِ، كَالصَّفْحِ والإِعْرَاضِ[٨].

وقال بعضُ الشعراءِ:

أحِبُّ مكارمَ الأخلاقِ جُهْدِي وأكْرَهُ أنْ أَعيبَ وأن أُعابا

(١) أدب الدنيا والدين ص: ٢٤٤-٢٤٨.

(٢) القلم: ٤.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٦٤٠٨) عن رجل عن الحسن مرسلاً، وفيه جهالة الراوي عن الحسن، وأخرجه أبو داود (٤٨٨٦) عن قتادة مقطوعًا.

(٤) هكذا في الأصل والأصل الحيي.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٩٦) (١٠٤٤٢)، (٢٢/ ٤١٣) (١٠٢٤) عن ابن مسعود ﷺ وذكره الألباني في الصحيحة تحت رقم (١٣٢٠) وقال: «فيه سوار متروك كما قال النسائي وغيره».

(٦) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٢١٥) من كتاب على بن أبي طالب إلى ابنه الحسن ـ رضي الله عنهما.

(٧) اجتنى: جرها إليه.

(٨) الأعراض: وهي جانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن ينتقص أو يثلب.

وأصفحُ عن سِبابِ النّاسِ حِلْمًا ... وشَرُّ النّاسِ من يَهْوَى السِّبابا
ومن هابَ الرِّجال تَهَيَّبُوهُ ... ومنْ حَقَّرَ الرّجال فلنْ يُهابا

وقال أيضًا:

يُخاطِبُني السَّفِيهُ بكلِّ قُبْحٍ ... فأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبَا
يَزِيدُ سَفَاهَةً فأزِيدُ حِلْمًا ... كَعُودٍ زَادَهُ الإِحْراقُ طِيبَا

فالحلمُ من أشرفِ الأخلاقِ وأحقّها بذوي الألبابِ[1]، لما فيه من سلامة العِرْضِ، وراحةِ الجسدِ، واجْتلابِ الحمدِ. وقد قال علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه: أوَّلُ عِوَضِ الحليمِ عن حلمه، أنَّ النّاسَ أنصارُهُ. وحدُّ الحلمِ: ضبطُ النَّفسِ عندَ هَيَجانِ[2] الغَضَبِ، وهذا يكونُ عن باعثٍ وسَبَبٍ. وأَسْبَابُ الحلمِ الباعِثَةِ علَى ضبطِ النَّفْسِ عشرةٌ:

أسباب الحلم:

أحدُها: الرَّحمةُ للجهالِ، وذلك من خير يوافقُ رِقَّةً. وَقَدْ قِيلَ في منثور الحكم: مِن أَوْكَدِ أسْبابِ الحلم رحمةُ الجهّالِ. وقال أبو الدّرداء ﷺ لرجلٍ أسمعَهُ كلامًا: يا هذا، لا تَغْرقَن في سَبِّنَا، وَدَعْ للصُّلحِ مَوْضِعًا، فإنَّا لا نُكافِئُ من عَصَى الله فِينا، بأَكْثَر من أنْ نُطِيعَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ.

وشتَمَ رجلٌ الشّعبيَّ فقال: إنْ كُنْتُ كَمَا قُلْتَ فَغَفَرَ الله لِي، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ كَمَا قُلْتَ فَغَفَرَ الله لَكَمَ. واغتاظَتْ عائشةُ -رضي الله عنها- على خادمٍ لَهَا، ثم رجعتْ إِلَى نفسِها، فقالتْ: للهِ دَرُّ التقوى، ما تَرَكَتْ لِذِي غَيْظٍ شِفاءً. وقَسَّمَ معاويةُ ﷺ قُطُفًا، فأعْطى شيخًا من أهل دمشقَ قطيفةً فلم تُعْجِبْهُ؛ فحلفَ أنْ يضربَ بها رأسَ معاوية، فأتاهُ فأخبره، فقال له معاويةُ: أَوْفِ بنذرك، وليرْفَقِ الشَّيخُ بالشَّيْخِ.

---

(١) الألباب: جمع لب وهو العقل.
(٢) هيجان: من هاج: ثار.

والثاني من أسبابه: القُدْرَةُ على الانتصارِ، وذلك من سِعَةِ الـصَّدْرِ، وحسنِ الثّقَةِ. وقد رُويَ عن النبي ﷺ أنَّهُ قال: «**إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ، فَاجْعَل الْعَفْوَ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ**»(١)، وقال بعضُ الحكماءِ: ليسَ من الكرمِ عُقُوبَةُ من لا يَجِدُ امْتِنَاعًا مِنَ السَّطْوَةِ. وقال بعضُ البلغاءِ: أَحْسَنُ الْمَكَارِمِ عَفْوُ الْمُقْتَدِرِ، وجُودِ الْمُفْتَقِرِ.

والثّالِثُ من أَسْبَابِهِ: التّرَفُّعُ عن السِّباب، وذلك من شرفِ النَّفْسِ، وعُلُوِّ الْهِمَّةِ، كما قالَتِ الحكماءُ: شَرَفُ النَّفسِ أنْ تَحْمِلَ المكارِهَ، كما تحمل الْمَكَارِمَ. وقد قِيلَ: إنَّ الله تعالَى سَمَّى يحيى -عليه السلام- سَيِّدًا، لِحِلْمِهِ.

وقد قال الشاعرُ:

لا يُبلُغُ المَجْدَ أقوامٌ وإنْ كَرُموا ... حتّى يَذِلّوا وإنْ - عزُّوا - لأَقْوامِ

ويُشْتَمُوا فَتَرى الألْوانَ مُسْفِرَةً ... لاَ صَفْحَ ذُلٍّ ولكنْ صَفْحَ أَحْلاَمِ

والرّابعُ من أَسْبابِهِ: الاسْتِهانَةُ بالْمُسِيءِ، وذلكم عن ضربٍ من الكبرِ والإِعْجَابِ، كما حُكِي عن مُصْعَب بن الزّبَير: أنَّه لَمَّا وَلِيَ العراق، جَلَسَ يومًا لِعَطَاءِ الْجُنْدِ، وأمَرَ منادِيَه فنادَى: أينَ عمرو بن جُرْموز؟ وهو الذي قتلَ أباهُ الزبير، فَقِيلَ لَهُ: أيُّها الأَمِيرُ، إِنَّهُ قدْ تَبَاعَدَ في الأرضِ، فقال: أَوَ يَظُنُّ الجاهِلُ أَنِّي أُقِيِّدُهُ بِأَبِي عَبْدِ الله فَلْيَظْهَرْ آمِنًا، لِيَأْخُذَ عَطَاءَهُ مُوَقَّرًا.

فعدّ النّاسُ ذلك من مُستَحسَنِ الكبرِ.

ومثل ذلك، قول بعض الزعماء في شعره:

أَوَ كُلَّما طَنَّ(٢) الذُّبَابُ طَرَدتُّهُ ... إنَّ الذُّبابَ إِذَنْ عَلَيَّ كَرِيمُ

---

(١) ذكره الأبشيهي في المستطرف في كل فن مستظرف (١/ ٤٠٦) من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) طنَّ: صوت.

وأكْثَرَ رجلٌ من سَبِّ الأحنفِ وهو لا يُجِيبُهُ فقال: والله ما مَنَعَهُ من جوابي إلاَّ هَوَانِي عليه، وفي مثله يقول الشاعر:

نَجَا[١] بِكَ لُؤْمُكَ مَنْجَى الذُّبابِ ... حَمَتْهُ مَقَادِيرُهُ أنْ يَنَالاَ

وَأسْمَعَ رجُلٌ ابنَ هبيرة، فأعرضَ عنه، فقال لَهُ الرّجلُ: إيَّاك أعَنِي، فقال لَه، وَعَنْكَ أُعْرِضُ. وفي مثله يقولُ الشاعرُ:

فاذهَبْ فَأنتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إنَّهُ ... عِرْضٌ عَزِزْتَ بِهِ وَأنتَ ذَلِيلُ

وقال عمرو بن علي:

إذا نَطَقَ السّفيهُ فلا تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إجابَتِهِ السُّكوتُ

سكتُّ عن السّفيهِ فظنَّ أنِّي ... عَيَيْتُ[٢] عن الجوابِ ومَا عَيِيتُ

والخامِسُ من أسبابِهِ: الاسْتحياءُ من جَزاءِ الجواب. وهَذا يكونُ من صِيانَةِ النّفسِ، وكمالِ المروءَة. وقد قال بعضُ الحكماءِ: احتمالُ السّفيهِ خيرٌ من التَّحلِي بصورَتِهِ، والإغْضَاءُ[٣] عنِ الجاهِلِ خيرٌ من مُشَارَكَتِهِ. وقال بعضُ الأدباءِ: مَا أَفْحَشَ[٤] حَليمٌ، ولا أوْحَشَ كَريمٌ وقال لقيط بن زرارة:

وقُلْ لِبَنِي سَعدٍ فما لِي وما لَكُمْ ... تَرِقُّونَ مِنِّي ما اسْتَطَعْتُ وأَعْتِقُ

أغرَّكُمُو أنِّي بِأحْسَنَ شِيمَةٍ ... بَصِيرٌ وأنِّي بِالفَواحِشِ أَخْرَقُ[٥]

---

(١) نجا: خلص.

(٢) عيي: حصر ولم يهتد لوجه مراده.

(٣) أغضى: أدنى الجفون.

(٤) ما أفحش: أي ما قال الفحش وهو عدوان الكلام.

(٥) الأخرق: الأحمق أو من لا يحسن الصنعة.

وإنْ تَـكُ قـد سـابَبْتَنِي فَقَهَرْتَنِـي هَنِيئًا مَرِيئًا أنْتَ بِـالْفُحْشِ أَحْـذَقُ[١]

والسّادسُ من أسبابِهِ: التّفضُّلُ علَى السَّبَّابِ، فهـذا يكـونُ مـن الكـرمِ، وحُـبِّ التّآلف، كما قِيلَ للإسكندر: إنَّ فلانًا وفلانًا يُنَقِّصَانِكَ ويَثْلِبانكَ[٢]، فلـو عـاقَبْتَهُمَا، فقال: هما بعد العُقوبَةِ أعْذَرُ في تَنَقُّصِي وثَلْبِي، فكان هذا تفَضُّلًا منه وتألّفًا.

وقد حُكِي عن الأحنفِ بن قيسٍ أنه قال: ما عاداني أحدٌ قَـطُّ، إلاَّ أخـذْتُ في أَمْرِهِ بإِحْدَى ثَلاَثَ خِصالٍ: إِنْ كانَ أَعْلَى مِنِّـي عَرَفْـتُ لـه قَـدْرَهُ، وإن كـان دونِي رَفَعْتُ قَدْرِي عَنهُ، وإِنْ كان نَظِيرِي تَفَضَّلْتُ عليه، فأخذه الخليل، فنظمه شعرًا، فقال:

سَأُلْزِمُ نفسِي الصَّفْحَ عـن كُـلِّ مُـذْنِبٍ وإنْ كَثُـرَتْ منـهُ إليّ الجَـرَائِمُ
فَـمَا النَّـاسُ إلاّ واحـدٌ مـن ثلاثَـةٍ شَرِيفٌ ومَشْرُوفٌ ومِـثْلِي مُقَـاوِمُ
فَأمَّـا الـذِي فَـوقِي فَـأعْرِفُ قـدرَهُ وألزمُ فيـه الحَـق والحَـقُّ لازِمُ[٣]
وأمَّا الـذِي مِـثْلِي فَـإِنْ زَلَّ أوْ هَفَـا[٤] تَفَضَّلْتُ، إنَّ الْفَـضْلَ بِـالفَخْرِ حَـاكِمُ

والسابعُ من أسْبابِهِ: استِكْفَافُ السَّابِّ، وهذا يكونُ من الحزمِ، كـما حُكِـي أنَّ رجلًا قال لضرار بنِ القعقاعِ: والله لو قُلْتَ واحدَةً لسَمِعتَ عشْرًا، فقال لَهُ ضرارُ: والله لو قلْتَ عشرًا لم تسمَعْ واحدَةً.

وحُكِي أنَّ علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- قال لعامر بن مرة الزهري: مَنْ أحمقُ النَّاسِ؟ قالَ: من ظنَّ أنَّه أعقَلُ النَّاسِ، قـال: صَـدَقْتَ، فمـن أعْقَـلُ

(١) أحذق: أفصح.
(٢) يثلبانك: من ثلبه: لامه، وعابه.
(٣) الدأب: الشأن، والعادة.
(٤) هفا الرجل: زلَّ.

النَّاسِ؟ قال: من لم يَتَجاوَزِ الصَّمْتَ في عقوبةِ الجهَّالِ. وقال الشّعبيُّ: ما أدركْتُ أمِّي فأبرها، ولكن لا أسُبُّ أحدًا فيسبّها. وقال بعضُ الحكماءِ: فِي إعْرَاضِكَ صَوْنُ أعْرَاضِكَ، وقال بعضُ الشعراءِ:

وفِي الحلمِ رَدْعٌ للسَّفيهِ عن الأذَى وفِي الْخُرْقِ إغْراءٌ فَلاَ تَكُ أخْرَقَا
فَتَنْدَمَ إذْ لاَ تَنْفَعُكَ يومًا نَدَامَةٌ كما نَدِمَ المغبونُ لَمَّا تَفَرَّقَا

وقال آخر:

قُلْ ما بَدا لَكَ مِنْ زُورٍ ومن كَذِبٍ حِلْمِي أصَمُّ وأُذْنِي غيرُ صَمَّاءِ

والثّامنُ من أسبابِهِ: الخوفُ من العُقوبَةِ على الجوابِ. وهذا يكونُ من ضعفِ النّفسِ، وَرُبَّمَا أوْجَبَهُ الرَّأْيُ، واقْتَضَاهُ الْحَزْمُ، وقد قِيلَ في منثورِ الحكمِ: الحلمُ حِجَابُ الآفَاتِ.

وقال الشاعر:

أَرْفِقْ إذا خِفْتَ من ذِي هَفْوَةٍ خُرُقَا لَيسَ الحكِيمُ كَمَنْ فِي أمْرِهِ خُرُقُ

والتّاسعُ من أسبابِهِ: الرِّعايةُ لِيَدٍ سالفَةٍ، وحرمَةٍ لازِمَةٍ، وهذا يكونُ من الوفاءِ، وحسنِ العهدِ. وقد قِيل في منثورِ الحكمِ: أكرَمُ الشِّيمِ أرْعاهَا لِلذِّمَمِ. وقال الشاعر:

إنَّ الوفاءَ علَى الكريمِ فريضةٌ واللُّؤْمُ مقرونٌ بِذي الإخْلاَفِ
وتَرَى الكريمَ لمنْ يُعاشِرُ مُنصِفًا وتَرَى اللَّئِيمَ مُجَانِبَ الإنصافِ

والعاشِرُ من أسبابِهِ: المكرُ، وتَوَقُّعُ الفرصِ الخفِيَّةِ، وهذا يكونُ منَ الدَّهاءِ. وقد قِيلَ في منثورِ الحكمِ: من ظَهَرَ غَضَبُهُ قَلَّ كَيْدُهُ. وقال بعضُ الأدباءِ: غَضَبُ الجاهِلِ في قوله، وغضب العاقل في فعله. وقال بعض الحكماء: إذا سكتَّ عن الجاهل فقدْ أعْطَيْتَهُ جوابًا، وَأَوْجَعْتَهُ عِقَابًا.

وقال إياس بن قتادة:

تُعاقِـــبُ أيــــدِينا ويَحْلُــــمُ رَأْيُنَــــا   ونَــشْتُمُ بِالأَفْعَــالِ لاَ بِــالتَّكَلُّمِ

وقال بعض الشعراء:

ولَلْكَـفُّ عــن شَـتْمِ اللَّئِـيمِ تَكَرُّمًـا   أضرُّ لَـهُ مِـنْ شَـتْمِهِ حِـينَ يَـشْتِمُ

الغضب المحمود:

فهذِهِ عشرةُ أسبابٍ تدعو إلى الحلمِ، وبعضُ الأسْبابِ أفضلُ مـن بعـضٍ وليسَ إِذا كانَ بعضُ أسبابِهِ مفضولًا به، مـا يَقْتـضِي أنْ تكـونَ نَتِيجَتُـهُ مـنَ الحِلْمِ مَذْمُومَةً، وإِنَّما الأوْلَى بالإِنسانِ أنْ يدعوهُ لِلْحِلْمِ أفضَلُ أسـبابِهِ، وإن كانَ الحلمُ كلُّه فضلًا. وإن عَرَا عن أَحَدِ هذِهِ الأسـبابِ كـانَ ذلًا، ولم يكـنْ حلمًا، لأَنَّنَا قد ذكرْنَا في حدِّ الحلمِ أنَّهُ ضَبْطُ النَّفْسِ عِنـدَ هَيَجـانِ الغـضبِ، فإِذا فُقِدَ الغـضبُ لـسَماعِ مـا يُغـضِبُ، كـانَ ذلـكَ مـن ذُلِّ الـنّفسِ، وقِلـةِ الْحَمِيَّةِ[1]. وقدْ قالَ الحكماءُ: ثَلاثةٌ لا يُعرَفونَ إِلاَّ فِي ثلاثةِ مواطنَ: لا يُعرَفُ الجوادُ إِلاَّ فِي العـسْرَةِ، والـشُّجاعُ إلاَّ في الحـرْبِ، والحلـيمُ إلاَّ في الغَـضَبِ.

وقال الشاعر:

ليــستِ الأحــلامُ في حــالِ الرِّضــا   إِنَّـما الأحـلامُ في حـالِ الغـضبْ

وقال آخر:

مَــنْ يَــدَّعِي الحِلْــمَ أغْـضِبْهُ لِتَعْرِفَـهُ   لاَ يُعْـرَفُ الحلـمُ إلاَّ سَـاعَةَ الْغَـضَبِ

وأنشد النابغة الجعدي بحضرة رسول الله:

ولاَ خــيْرَ في حِلْــمٍ إِذا لَمْ يَكُــنْ لَــهُ   بَوادِرُ[2] تَحْمِي صَـفْوَهُ أنْ يُكَـدَّرا

ولا خَــيْرَ في جَهْــلٍ إِذا لم يَكُــنْ لَــهُ   حَليمٌ إذا ما أوْرَدَ الأَمْـرَ أصْـدَرا

---

(١) الحمية: عدم احتمال الضيم.

(٢) البادرة: ما يبدر من الحدة في الغضب.

فلم ينكر قوله عليه؛ ومن فقد الغضب في الأشياء المغضبة، حتى استوت حالتاه قبل الإغضابِ وبعدهُ، فقد عَدِمَ من فضائل النَّفس الشّجاعةَ والأنفةَ والحمِيَّةَ والغيرةَ والدِّفاعَ والأخذ بالثّأرِ، لأنها خصالٌ مركبةٌ من الغضب، فإذا عدمها الإنسان هانَ بها، ولم يكن لباقي فضائله في النفوسِ موضعٌ، ولا لِوُفُورِ[1] حِلْمِهِ في القلوبِ مَوْقِعٌ. وقد قال المنصور: إذا كان الحلمُ مَفْسَدَةً كانَ الْعَفْوُ مَعْجَزَةً.

السفيه جُنَّة:

وقالَ بعضُ الحكماءِ: العفوُ يفسدُ من اللئيمِ بقدرِ إصلاحِهِ من الكريم.

وقال عمرو بن العاص: أكرموا سفهاءَكُمْ فإنهم يقونَكمُ العارَ والشَّنارَ[2].

وقال مصعب بن الزبير:

* ما قلَّ سفهاءُ قومٍ إلاَّ ذلُّوا *

وقال أبو تمام الطائي:

والحَرْبُ تَرْكَبُ رَأْسَهَا فِي مَشْهَدٍ عُدِلَ[3] السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمِ

وليس هذا القول إغراء بتحكم الغضب، والانقياد إليه عند حدوث ما يغضب، فيكسب بالانقياد للغضب من الرّذَائلِ أكثر مما يكسبه عدم الغضبِ من الفضائل، ولكن إذا ثارَ به الغضبُ عند هجوم ما يُغْضِبُهُ، كَفَّ سَوْرَتَهُ[4] بحزمِهِ، وأطفأَ ثائِرتَه بحكمه، وَوَكَلَ من استحق المقابلة إلى غيره، ولا يعدم مسيء مكافئًا، كما لن يعدم محسن مجازيًا. والعرب تقول: «دخل بيتًا ما خرج منه» أي إن خرج منه خيرٌ دخله خير، وإن خرج منه شر دخله شرٌ.

تكيف نادر:

وأنشد ابن دريد عن أبي حاتم:

---

(١) الوفر: الكثير.

(٢) الشنار: بالفتح: أقبح العيب، والعار.

(٣) العدل: المثل.

(٤) السورة: الحدة.

إذا أَمِـــنَ الْجُهَّـــالُ جَهْلَــكَ مَــرَّةً فعِرْضُكَ لِلْجُهَّالِ غُنْمٌ مِنَ الْغُـنْمِ
فَعُــمَّ عليــهِ الحلــمَ والجهــلَ والْقَــهُ بمنزلــةٍ بــينَ العــداوَةِ والــسِّلْمِ
إذا أَنْـتَ جارَيْـتَ الـسَّفِيهَ كَـمَا جَـرَى فأنتَ سَفِيهٌ مِثْلُـهُ غَـيْرُ ذِي حِلْـمِ
ولاَ تَعْضِبَنْ[1] عِـرْضَ الـسَّفِيهِ ودارِهِ بِحِلْمٍ فإنْ أَعْيا عليـكَ فَبِالـصُّرْمِ
فَيَرْجُــوكَ تــاراتٍ ويخْــشاكَ تــارَةً ويَأْخُـذُ فِـيمَا بَـيْنَ ذَلِـكَ بـالْحَزْمِ
فَـإِنْ لم تَجِـدْ بُـدًّا مِـنَ الجَهْـلِ فاسْتَعِنْ عليـهِ بِجُهَّـالِ فـذاكَ مـن الْعَـزْمِ

وهذه من أحكم أبيات وجدتها في تدبير الحلم والغضب. وهذا التدبير إنـما يستعمل فيما لا يجد الإنسان بدًا من مقارنته، ولا سبيل إلى إطراحـه ومتاركتـه؛ إما لخوف شره أو للزوم أمره؛ فأما من أمكن إطراحه، ولم يضر إبعاده، فالهوان به أولى والإعراض عنه أصوب؛ فإذا كان على ما وصـفتُ، اسـتفاد بِتَحـرِّيكم الغضب فضائله، وأمن بكف نفسه عن الانقياد له رذائله، وصار الحلم مـديرًا للأمور المغضبة، بقدر لا يعتريه نقص بعدم الغضب، ولا يلحقـه زيـادة بفقـد الحلم، ولو عزبَ عنه الحلمُ حتى انقادَ لغضبهِ، ضَلَّ عنهُ وَجْـهُ الـصوابِ فيـهِ، وضَعُفَ رَأْيُهُ عَنْ خَبْرَةِ أسبابه ودَواعيهِ، حتـى يَـصِيرَ بَليـدَ الـرَّأيِ مغمـور[2] الروية، مقطوع الحجة، مسلوب العزاء، قليل الحيلة، مع ما يناله من أثـر ذلـك في نفسه وجسده، حتى يصير أضر عليه مما غضب له. وقد قال بعض الحكماء: من كثر شططه[3] كثر غلطه. وروي أن سلمان قال لعلي رضي الله عنه: ما الذي يباعدني عن غضب الله – عز وجل؟ قال: ألاّ تغضب. وقـال بعـض الـسلف: أقرب ما يكون العبد من غضب الله – عـز وجـل– إذا غـضب. وقـال بعـض

(١) العضب: الشتم.
(٢) المغمور : الخامل.
(٣) شطط : تجاوز المحدود.

البلغاء: من ردَّ غضبه هدَّ[١] من أغضبه. وقال بعض الأدباء: ما هيجَ جَأْشَكَ كَغَيْظٍ أَجَاشَكَ وقال رجل لبعض الحكماء: عِظْنِي، قال: لا تغضب.

الفرق بين الحزن والغضب:

فينبغي لذي اللب السويِّ، والحزم القويِّ، أنْ يَتَلَقَّى قُوَّةَ الغضبِ بحلمهِ فَيَصُدَّهَا، ويقابل عوادي شرّته بحزمه فيردها، لِيَحْظَى بانجلاءِ الحيرةِ، ويسعدَ بحميدِ العاقبةِ. وقال بعض الأدباء: في إغْضائِك[٢] راحَةُ أعضائِكَ، وسَبَبُ الغضبِ هجومُ ما تكرَهُهُ النّفسُ ممّنْ دونها، وسببُ الحزنِ هجومُ ما تَكْرَهُهُ النّفسُ ممّنْ فوقها، والغضب يتحركُ من داخلِ الجسدِ إلى خارجِهِ، والحزنُ يتحرك من خارجِ الجسدِ إلى داخِلِهِ، فلذلك قَتَلَ الحزنُ ولم يقتل الغضبُ، لبروزِ الغَضَبِ وكُمُونِ الحزنِ، وصارَ الحادِث عن الغضبِ السَّطْوَةُ والانتقامُ لِبُرُوزِهِ، والحادث عن الحزنِ المَرَض والأسقام لِكُمُونِهِ، ولذلكَ أَفْضَى الحزنُ إلى الموتِ، ولم يُفْضِ إليهِ الغَضَبُ، فهذا فَرْقُ ما بَيْنَ الحزنِ والغضبِ.

تسكين الغضب:

واعلمْ أنَّ لِتسْكينِ الغضبِ إذا هَجَمَ أسبابًا، يستعانُ بها على الحلم:

منها: أنْ يذكرَ الله عز وجلَّ، فيدعوهُ ذلك إلى الخوف منه، ويبعثُهُ الخوفُ منه على الطَّاعةِ له، فيرجعُ إلى أدَبِهِ ويأخذُ بندبهِ، فعند ذلك يزولُ الغضبُ. قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[٣].

وحُكِيَ أنَّ بعض ملوك الفرس كتب كتابًا، ودفعه إلى وزير له، وقال: إذا غضبت فناولنيه، وكان فيه: ما لَكَ والغضبَ، إنما أنت بشرٌ، ارحمْ من في الأرض يَرْحَمكَ من في السّماءِ. وقال عبدالله بن مسلم بن محارب لهارون

---

(١) الهد: الهدم الشديد والكسر.
(٢) أغضى: أدنى الجفون وعن الشيء سكت.
(٣) الكهف: ٢٤.

الرشيد: يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي أنت بـين يديـه أذَلُّ مِنِّـي بـين يـديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لَمَا عفوت عني، فعفا عنه لَمَّا ذكّره قدرة الله تعالى. وَرُوِي: «أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ القسوة فقال: «**اطلعْ في القبورِ، واعتبرْ بالنشورِ**»[1]. ولذلك قال عمر ﷺ: من أكثرَ من ذكر الموتِ، رضي من الدنيا باليسيرِ.

ومنها: أن ينتقلَ عن الحالة التـي هـو فيهـا إلى حالـةٍ غيرهـا، فيـزول عنـه الغضبُ بتغيرِ الأحوالِ، والتنقل من حالٍ إلى حالٍ، وكان هذا مذهبُ المـأمونِ إذا غضبَ أو شتمَ.

ومنها: أن يتذكر ما يؤول إليه الغضبُ من النَّدَمِ، ومَذَمَّةِ الانتقـامِ. وكتـب أبرويز إلى ابنه شيرويه: إن كلمة منك تسفك دمًا، وأخرى منك تحقِن دمًا، وإن نفاذ أمرك مع كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن تخطىء، ومن لونـك أن يتغير، ومن جسدك أن يخف، فإن الملوك تعاقب قدرة، وتعفو حلـمًا. وقـال بعض الحكماء: الغضب على من لا تملكُ عَجْزٌ، وعـلى مـن تملـكُ لُـؤْمٌ. وقـال بعض الأدباء: إياك وعزَّة الغضبِ فإنها تُفْضِي إلى ذل العذر.

وقال بعض الشعراء:

وَإِذَا مـا اعْتَرَتْـكَ فِي الْغَـضَبِ الْعِـزَّ ةُ فَـــاذْكُرْ تَــذَلُّلَ الاعْتِـــذَارِ

ومنها: أن يذكر ثواب العفو، وحسن الصفح، فيقهر نفسه عـلى الغـضب، رغبة في الجزاء والثواب، وحذرًا من استحقاق الذم والعقاب. رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ القِيَامَةِ: مَنْ لَهُ أَجْرٌ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَقُمْ، فَيَقُومُ**

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٢٩٢) عن أنس بن مالك ﷺ. قال البيهقي: «متن منكر». قـال الألباني في ضعيف الجامع (٩١٢): «موضوع».

الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ»[١]، ثم تلا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٢].

وقال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الأشعث: إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعط الله ما يحب من العفو.

خصال الخير:

وقَدْ رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الخيرُ ثلاثُ خِصال، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَكْمَلَ الإيمَانَ: مَنْ إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ، وإِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ مِنْ حَقٍ، وَإِذَا قَدَرَ عَفَا**»[٣].

وأسمع رجلٌ عُمَرَ بن عبدالعزيز كلامًا، فقال عمرُ: أردتَ أن يستفزَّنِي الشيطانُ، لعزّة السلطان، فأنالُ منكَ اليومَ ما تناله مني غدًا، انصرفْ رحمكَ الله.

ومنها: أن يذكر انعطاف القلوب عليه، وميل النفوس إليه، فلا يرى إضاعة ذلك بتنفير الناس عنه، وبعدهم منه فيكف عن متابعة الغضب، فيرغب في التألف وجميل الثناء.

ورَوَى ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا ازْدَادَ أَحَدٌ بِعَفْوٍ إلاَّ عِزّا، فاعْفُوا يُعزَّكُمُ الله**»[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٣١٣) عن أنس ﷺ، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٩٩٨) عن أنس ﷺ دون ذكر الآية، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١١): «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله وثقوا على ضعف يسير في بعضهم».

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير (١٦٤) عن أنس بن مالك ﷺ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٩): «رواه الطبراني في الصغير، وفيه بشر بن الحسين وهو كذاب» وقال الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧٩): «موضوع».

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٢٧٠) والصغير (١٤٢) عن أم سلمة -رضي الله عنها، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٥): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه زكريا بن دويد وهو ضعيف جدًا».

وقال بعض البلغاء: ليس من عادة الكرام، سرعةُ الانتقامِ، ولا من شروطِ الكرم، إزالة النعم. وقال المأمون لإبراهيم بن المهديّ: إني شاورت في أمرك فأشاروا علي بقتلك، إلّا أنّي وجدت قدرَكَ فوقَ ذنبك، فكرهتُ القتل للازم حُرْمَتِكَ. فقال: يا أمير المؤمنين، إن المشيرَ أشارَ بما جرتْ به العادة في السياسة، إلاَّ أنَّكَ أبيتَ أن تطلبَ النصرَ إلَّا من حيث ما عُوِّدْتَهُ من العفوِ، فإن عاقبتَ فلك نظيرٌ، وإن عفوتَ فلا نظيرَ لك، وأنشأ يقول:

الْبِرُّ بِي مِنْكَ غطَّى الْعُذْرَ عِنْدَكَ لِي ... فِيمَا فَعَلْتُ فَلَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تَلُمِ
وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي ... مَقَامَ شَاهِدِ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهَمِ
لَئِنْ جَحَدْتُكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ ... إِنِّي لَفِي اللُّؤْمِ أَحْظَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
تَعْفُو بِعَدْلٍ وَتَسْطُو إِنْ سَطَوْتَ بِهِ ... فَلاَ عَدِمْتُكَ مِنْ عَافٍ وَمُنْتَقِمِ

الوقار وخشية الله:

قال الإمام الشافعي:

وَلَوْلاَ الشِّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي ... لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ
وَأَشْجَعَ فِي الْوَغَى مِنْ كُلِّ لَيْثٍ ... وَآلِ مُهَلَّبٍ وَبَنِي يَزِيدِ
وَلَوْلاَ خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّي ... حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ عَبِيدِي

التسليم الخالص:

قال الإمام الشافعي:

إِذَا أَصْبَحْتُ عِنْدِي قوتُ يَوْمِي ... فَخَلِّ الْهَمَّ عَنِّي يَا سَعِيدُ
وَلاَ تَخْطِرْ هُمُومَ غَدٍ بِبَالِي ... فَإِنَّ غَدًا لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ
أُسَلِّمُ إِنْ أَرَادَ اللهُ أَمْرًا ... فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

أمثال في الحلم والغضب(١)

١ - الغضبُ غولُ الحِلْمِ.

٢ - غضبُ الجاهلِ في قولِه، وغضبُ العاقلِ في فعلِه.

٣ - غضبُهُ على طرفِ أنفِه.

٤ - منْ أطاعَ غضبَهَ أضاعَ أدبَهُ.

الحلم في ميزان الأخلاق

الحلم حيث تضعه:

وقال الخريمي:

أَرَى الحِلْـمَ فِي بَعْـضِ المَـوَاطِنِ ذِلَّـةً وفي بَعْضِها عِـزًا يُـسَوَّدُ صَـاحِبُهُ

وقال صفي الدين الحلي:

لا يَحْـسُن الحِلْـمُ إلاّ في مَوَاطِنِـهِ ولا يَلِيـقُ الوَفَـا إلاّ لِمَـنْ شَـكَرَا

قال الشريف الرضي:

ولِلحِلْـمِ أَوْقَـاتٌ وللجَهْـلِ مِثْلُهَـا ولكِـنَّ أوقَـاتِي إلى الحِلْـمِ أَقْـرَبُ

يَـصُولُ عـليَّ الجَـاهِلُونَ وأَعْـتَلِي ويُعجِـم فِيّ القَـائِلُونَ وأُعِـربُ

يَـرَونَ احْـتِمَالِي غـصَّةً ويَزِيـدُهُم لَواعِجَ صَعْنٍ أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضَبُ

وقال محمود سامي البارودى:

وما الحِلْمُ عِنْد الخَطْبِ والمَرْءُ عَـاجِزٌ بِمُسْتَحْسَنٍ كَـالحِلْمِ والمَرْءُ قَـادِرُ

هذا هو الحلم:

قال النابغة الجوري:

إِذَا جَرَحَـتْ مـساوئهم فُـؤَادِي صَبرتُ عَلى الإِسَـاءَةِ وانْطَوَيْـتُ

---

(١) في الفخر والحكمة من ديوان الإمام الشافعي الصفحات: ٣٣، ٣٩، ٤٠. ومجمع الأمثال صفحات ٦٧، ٣٢٧.

وجِئْـــتُ إِلـــيْهِمُ طَلْـــقَ المُحَيَّـــا كَــأَنِّي لا سَــمِعْتُ ولا رَأَيْــتُ

حلم وحزم:

قال علي بن عرام:

سَأَحْلُمُ عَنْ خِـصْمِي بِمَجْلِسِ لَغْـوِهِ ولَسْتُ حَلِيمًا عَنْه فِي حَوْمة الـوَغَى

وأسْـتُرُ طُـولَ الـدَّهْرِ فِي الغَيْـبِ عَيبَـهُ حِفَاظًا ولا أَبْغِي رِضَـاهُ إذا بغـي

الحلم سلاح:

قال عبدالله السابوري:

والمَجْـــدُ لاَ يُـــدْرَكُ بِاسْـــتَطَالةٍ ولاَ بِفُحْـشِ القَـوْلِ والجَهَالـةِ

والحِلْـــمُ يُـــستَجْلَبُ لِلْحَلِـــيمِ فَــضْلة الإجْــلاَلِ والتَّعْظِــيمِ

والحِلْـــمُ عِنْـــد سَـــوْرَةِ الجُهَـــالِ أَنْـصَرُ لِلمَـرْءِ مِـنَ الرِّجَـالِ(١)

منزلة الحلم:

قيل: «الحلم تجرع الغيظ ودعامة العقـل». وقـال الأفـوه الأودي: «الحلـم مَعْجَزَةٌ عن الغيظ»(٢).

الحليم:

وقيل: «ليس الحليم من ظُلم فحلم، حتى إذا قدر انتصر، ولكن الحليم من ظلم فحلم، فإذا قدر غفر»(٣).

الحلم قلادة:

وقال سفيان: «ما تقلَّد امرؤ قـلادة أحـسن مـن حلـم، فهـو محمـود عاجلـه وآجله»(٤).

الناس أنصار الحليم:

قال علي بن أبي طالب: «إنَّ أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنـصار

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ـ أحمد قبش.

(٢ – ٤) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.

له على الجاهل»[١].

الجهل المدفون:

قال الشاعر:

أَلَمْ تَــر أنَّ الحِلْــمَ زَيْــنٌ مُــسوَّدٌ   لِــصَاحِبِهِ والجَهْــلُ لِلْمَــرْءِ شَــائِنُ
فَكَمْ دَافِنَاً لِلْجَهْلِ بالحِلْمِ تَـسْتَرِحْ   مِن الجَهْلِ إنَّ الحِلْمَ لِلْجَهْلِ دَافِـنُ[٢]

الحياء خير كله [٣]

اعلم أنَّ الخيرَ والشَّرَّ مَعانٍ كامِنَةٌ تُعرفُ بِسِماتٍ دَالةٍ، كَما قالـت العـربُ في أمثالها: تُخْبِرُ عن مجهولِهِ مِرْآتُهُ. وكما قال سلم بن عمرو الشاعر:

لا تَــسْأَل المَــرْءَ عَــن خَلائِقِــهِ   فِي وَجْهِــهِ شــاهِدٌ مِــنَ الخَــبَرِ

فَسِمةُ الخَيْرِ: الدَّعَةُ[٤] والحياءُ، وسِـمةُ الـشرِّ: القَحَّـةُ[٥]والبَـذاءُ، وكَفَـى بِالْحَياءِ خَيرًا أنْ يكونَ على الخيرِ دَليلاً، وكفى بالقحّةِ والبذاءِ شَرًا أن يكونـا إلَى الشرِّ سَبيلاً. وقد رَوَى حسان بن عطية عن أبي أمامـة، قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**الحياءُ والعيُّ شعبتانِ من الإيمانِ، والبذاءُ والبيانُ شعبتانِ من النِّفاقِ**»[٦]، ويشبهُ أن يكون العيّ في معنى الصمتِ، والبيانُ في معنى التَّشَدُّقِ، كما جـاء في الحديثِ الآخرِ: «**إنَّ أبغضَكُمْ إِلَيَّ الثرْثارونَ المُتَفَيْهِقونَ**[٧] **المُتَشَدِّقونَ**»[١].

---

(١) المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي.
(٢) روضة العقلاء لأبي حاتم البستي.
(٣) أدب الدنيا والدين: ص ٢٤٠-٢٤٤.
(٤) الدعة: الخفض.
(٥) القحة من وقح الرجل: قلّ حياؤه.
(٦) أخرجـه الترمـذي (٢٠٢٧)، وأحمـد (٥/ ٢٦٩)، والحـاكم (١/ ٨، ٩) عـن أبـي أمامـة ﷺ: قـال الترمذي: «حسن غريب»، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.
(٧) المتفيهقون: تفيهق في كلامه: تنطع وتوسع.

وَرَوَى أبوسلمة عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**الحياءُ من الإيمانِ، والإيمانُ في الجنةِ، والبذاءُ من الجَفاءِ، والجفاءُ في النارِ**»[٢].

وقال بعضُ الحكماءِ: من كساهُ الحياءُ ثوبَه، لم يرَ الناسُ عيبَهُ. وقال بعضُ البُلَغاءِ: حياةُ الوجهِ بِحَيائِهِ، كما أَنَّ حياةَ الغرسِ بمائِهِ. وقال بعضُ البلغاءِ العلماءِ: يا عجبا! كيف لا تَسْتَحِي من كثرةِ ما لا تَسْتَحِي، وتَتَّقِي من طولِ ما لا تَتَّقِي؟! وقال صالح بن عبد القدوس:

إذا قَلَّ ماءُ الوَجْهِ قَلَّ حَياؤُهُ ... وَلا خَيْرَ في وجهٍ إذا قَلَّ ماؤُهُ

حياءَك فاحفظْهُ عليك وإنَّما ... يدلُّ على فِعْلِ الكريمِ حياؤُهُ

الحياء أمان من فعل الرذائل:

وليس لمن سُلِبَ الحياءَ صادٌّ[٣]عن قبيحٍ، ولا زاجرٌ عن محظورٍ، فهو يَقْدُمُ على ما يَشاءُ، ويأتِي ما يَهْوَى، وبذلِك جاءَ الخبرُ، رَوَى شعبةُ عن منصور بن رِبعيٍ عن أبي منصور البدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النّاسُ مِن كلامِ النّبُوَّةِ الأولى: يَا بْنَ آدَمَ إِذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ**»[٤]. وليسَ هذا القولُ إغراءً بفعلِ المَعاصِي عندَ قِلَّةِ الحياءِ كما تَوَهَّمَهُ بعضُ من جَهِلَ مَعانِي الكلامِ، ومُواضَعاتِ الخِطابِ.

وفي مِثْلِ هَذا الخَبَرِ قولُ الشّاعرِ:

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٣) وابن حبان (٤٨٢) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٨٥٣ زوائد الهيثمي) عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١): «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠٩)، وأحمد (٢/ ٥٠١)، وابن حبان (٦٠٨) عن أبي هريرة ﷺ. قال الترمذي: «حسن صحيح».

(٣) صادٌّ: رادٌّ.

(٤) أخرجه البخاري (٦١٢٠)، وأبو داود (٤٧٩٧)، وابن ماجه (٤١٨٣)، وأحمد (٤/ ١٢١) عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ.

إذا لم تَخْـــشَ عاقِبَـــةَ اللّيـــالي ولم تَـسْتَحِ فاصْـنَعْ مـا تَـشاءُ
فَـــلا واللهِ مـــا فِي العَـــيْشِ خَـــيْرٌ ولا الـــدُّنيا إذا ذهَـــبَ الْحَيـــاءُ
يَعِـيشُ الْمـرءُ مـا اسْـتَحْيا بِخَـيْرٍ ويَبْقَى العودُ ما بَقِـي اللِّحاءُ[1]

واخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ في مَعْنَى هَذا الْخَبَرِ. فقال أبو بكر بن محمد الشاشي في أصول الفقه: معنى هذا الحديث أنَّ من لمْ يَسْتَحِ دَعاهُ تَرْكُ الحياءِ إلى أَنْ يَعملَ ما يَشاءُ، لا يَرْدَعُهُ عنه رادِعٌ، فَلْيَسْتَحْي الْمرءُ، فإنَّ الحياءَ يَرْدَعُهُ.

وسمعت من يحكي عن أبي بكر الرازي من أصحاب أبي حنيفة أَنَّ الْمعنَى فِيهِ: إذا عُرِضَتْ عليك أفعالُكَ التي هَمَمْتَ بفِعْلِها فلم تَسْتَح منها لحُسْنِها وجمالِهَا فاصْنَعْ ما شِئْتَ مِنها، فجعلَ الحياءَ حَكَمًا على أفْعالِهِ، وكلا القولين حسنٌ، والأوّلُ أشْبَهُ؛ لأَنَّ الكلامَ خرجَ من النبي ﷺ مَخْرَجَ الذَّمِ لا مخرجَ المدحِ. ولكن قد جاء الحديثُ بما يُضاهِي[2] القوْلَ الثّانِي. وهو قوله ﷺ: «**ما أَحْبَبْتَ أنْ تَسْمَعَهُ أُذْناكَ فَأْتِهِ، وما كَرِهْتَ أنْ تَسْمَعَهُ أُذْناكَ فَاجْتَنِبْهُ**»[3].

ويجوزُ أنْ يُحْمَلَ هذا الحديثُ على المعنَى الصّريحِ فيهِ، ويكونَ التّأْويلُ في الحديثِ المتقدِّمِ أَصَحُّ، إذْ ليسَ يلزمُ أنْ تكونَ أحاديثُ رسول الله ﷺ كُلُّها متفقةُ المعانِي، بلِ اختلافُ معانيها أدخلُ في الحكمة، وأبلغُ في الفصاحَةِ إذا لم يضادّ بعضُها بَعْضًا.

أنواع الحياء ثلاثة:

واعلم أنَّ الحياءَ في الإنسانِ قد يكونُ من ثلاثَةِ أوجهٍ.

أحدُها: حياؤُهُ من الله تعالى.

والثاني: حَياؤُهُ من النّاس.

---

(١) اللحاء: قشر الشجر.

(٢) يضاهي من المضاهاة: المشاكلة.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الأمثال (٢/ ٤١١) ولم يعزه لأحد.

والثالثُ: حياؤُهُ من نفسِهِ.

الحياء من الله:

فَأمَّا حياؤُهُ من الله تعالى فيكونُ بامتِثالِ أوامِرِهِ، والكفِّ عن زَوَاجِرِهِ.

وَرَوَى ابن مسعود أنَّ النبي ﷺ قال: «**اسْتَحيوا من الله -عزَّ وجَلَّ- حقَّ الحياءِ**»، فَقيلَ: يا رسول الله، فكيفَ نَسْتَحْي من الله -عزّ وجلّ- حقَّ الحياءِ؟ قال: «**منْ حَفِظَ الرَّأْسَ وما حَوَى، والبَطْنَ وما وَعَى، وتَرَكَ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنيا، وذَكَرَ المَوْتَ والْبِلَى، فَقَدْ اسْتَحْيا من الله -عزَّ وجلّ- حقَّ الحياءِ**»[1]. وهذا الحديثُ من أبلغِ الوصايا.

وقد رُوِيَ أنَّ علقمة بن علاثة قال: يا رسول الله عِظْنِي. فقال رسول الله ﷺ: «**اسْتَحْي من الله تعالى اسْتِحْياءَكَ مِن ذَوِي الهَيْبَةِ مِنْ قَوْمِك**»[2]، وهذا الحياءُ يكونُ من قوةِ الدّين، وصحةِ اليقينِ. ولذلك قال النبي ﷺ: «**قِلَّةُ الحياءِ كفرٌ**»[3]. يعني من الله، لما فيهِ من مخالَفَةِ أوامِرِهِ. وقال ﷺ: «**الحياءُ نِظامُ الإيمانِ، فَإذا انْحَلَّ نِظامُ الشّيْءِ، تَبَدَّدَ ما فيهِ وتَفَرَّقَ**».

الحياء من الناس:

وأَمَّا حَيَاؤُهُ من النّاسِ، فيكونُ بِكَفِّ الأذى وتَرْكِ المجاهَرَةِ بالقَبيحِ، وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مِنْ تَقْوَى الله اتِّقَاءُ النَّاسِ**»[4]. وَرُوِيَ أنَّ حذيفة ابن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا، فَتَنَكَّبَ الطَّرِيقَ عن النّاس، وقال: لاَ خَيْرَ فِيمَنْ لا يَسْتَحْي من النّاس. وقال: بشار بن برد:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (١/ ٣٨٧) عن عبد الله بن مسعود ﷺ. قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ١٣٦) عن أبي أمامة ﷺ بنحوه. وقال الألباني في الضعيفة (١٥٠٠): «ضعيف جدًا».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٨٤) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٣٤٩) وهناد في الزهد (١٣٥٢) عن سعيد بن المسيب مرسلاً.

(٤) لم أقف عليه.

وَلَقَدْ أَصْرِفُ الفُؤَادَ عن الشَّيْءِ حَيَاءً وحُبُّهُ في السَّوَادِ[١]
أُمْسِكُ النّفسَ بالعفافِ وَأُمْسِي ذاكرًا في غَدٍ حديثَ الأعادي

وهذا النَّوعُ من الحياءِ قد يكونُ من كمالِ المروءَةِ وحبِّ الثّناءِ، ولذلك قال ﷺ: «**مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الحياءِ فَلاَ غِيبَةَ لَهُ**»[٢] يعني والله أعلم: لِقِلَّةِ مُروءَتِهِ وظُهورِ شَهْوَتِهِ.

آية المروءة:

وَرَوَى الحسنُ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مُروءَةَ الرّجلِ مَمْشاهُ، ومَدْخَلُهُ، ومَخْرَجُهُ، ومَجْلِسُهُ، وإِلْفُهُ، وجَلِيسُهُ**»[٣].

وقال بعض الشعراء:

وربَّ قبيحَةٍ ما حالَ بَيْنِي وبَين رُكوبِها إلاَّ الحياءُ
إذا رُزِقَ الفتَى وَجْهًا وَقاحًا تَقَلَّبَ في الأمورِ كَما يشاءُ

وقال آخر:

إذا لم تصنْ عِرْضًا ولم تَخْشَ خالِقًا وتَسْتَحْي مخلوقًا، فما شِئْتَ فاصنعِ

الحياء من النفس:

وأَمَّا حَياؤُهُ من نفسِهِ، فيكونُ بالعِفَّةِ وَصِيانَةَ الخلوات[٤]. وقال بعض الحكماء: ليكن استحياؤُكَ من نفسِكَ أكثرَ من استحيائِكَ من غَيْرِكَ.

نِعْمَ الحياءُ رقيبا:

---

(١) سواد القلب: حبته.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٠) والقضاعي في مسند الشهاب (٤٢٦) عن أنس بن مالك ﷺ. قال البيهقي: «ضعيف جدًا».

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٧٨٥) وعزاه الديلمي إلى أبي هريرة ﷺ.

(٤) الخلوات من خلا إليه: اجتمع معه في خلوة.

وقال بعضُ الأدباء: مَنْ عَمِلَ في السرِ عَملًا يَسْتَحْيي منه في العلانِيةِ، فليسَ لنفسهِ عنده قَدْرٌ.

ودعا قومٌ رجلاً كانَ يألفُ عِشْرَتَهمْ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ، وقال: إنِّي دخلتُ البارحةَ في الأربعين، وأنا أستحي من سِنّي.

وقال بعض الشعراء:

فَسِرِّي كَإِعْلاني وتِلْكَ خَلِيقَتِي   وظُلْمَةُ لَيْلي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيا

وهذا النّوعُ من الحياءِ قد يكونُ من فضيلةِ النّفسِ، وحسْنِ السّريرَةِ، فمتَى كَمُلَ حياءُ الإنسان من وجوهه الثّلاثَةِ، فقد كَمَلتْ فيهِ أسبابُ الخيرِ، وانْتَفَتْ عنهُ أسبابُ الشّرِّ، وصارَ بالفضْلِ مشهورًا، وبالجميلِ مذكورًا.

وقال: بعض الشعراء:

وإنِّي لَيُثْنِينِي عن الجهلِ والْخَنَا   وعن شَتْم ذي القُرْبَى خَلائِقُ أَرْبَعُ

حياءٌ وإسلامٌ وتَقْوَى وإِنَّنِي   كَريمٌ، ومثِلِي من يَضُرُّ ويَنْفَعُ

فضيلة الحياء

إذا لم تستح فافعل ما شئت:

قال السابوري:

لاَ خَيْرَ فِي وجْهٍ بِغَيْرِ مَاءِ   كَفَاكَ غَيَّا قِلَّةُ الحَيَاءِ

وقال المتنبي:

ولَيْسَ حَيَاءُ الوَجهِ في الذِّئْبِ شِيمَةً   ولَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الأُسْدِ الوِرْدُ

وقال أبو تمام:

مَنْ كَانَ مَفْقُودَ الحَيَاءِ فَوجْهُهُ   مِن غَيْرِ بَوَّابٍ لَهُ بَوَّابُ

تهديد مرعب:

قال الأبرش:

إِذَا لَمْ تَـصُنْ عِرْضَــاً ولَمْ تَخْـشَ خَالِقًــا وَتَسْتحِي مَخْلُوقًا فَمَا شِئْتَ فَاصْـنَعِ[١]

ثوب الحياء:

قال علي ﷺ: «من قلَّ حياؤه قلَّ ورعه».

وقال أيضًا: «من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه».

وقال أيضًا: «زينة النساء الحياء».

وفي المثل العربي: «إذا ذهب الحياء حلَّ البلاء».

حسن عاقبة خُلق العفو

لذة العفو:

قال حكيم: «لذَّة العفو أطيب من لذَّة التشفي؛ لأنَّ لذة العفو يتبعها حمد العاقبة ولذَّة التشفي يتبعها غمُ الندامة»[٢].

وقال المأمون: «لقد حُبِّب إليَّ العفو، حتى إنِّي أخاف أن لا أثاب عليه، ولو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لارتكبوها، ولو علم الناس حبي للعفو لما تقربوا إليَّ إلا بالجنايات»[٣].

وقال علي ﷺ: «للمنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم»[٤].

العفو خير من الإنصاف:

وقيل لبعضهم: «هل لك في الإنصاف أو ما هو خير من الإنصاف؟ قال: وأَيُّ شيء خير من الإنصاف؟ قال: العفو فالإنصاف ثقيل»[٥].

الناس داء:

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ـ أحمد قبش.

(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.

(٣،٣) المستطرف للأبشيهي.

(٥) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.

قال الشافعي:

لَمَّا عَفَوتُ ولَمْ أَحْقِدْ عَلى أَحَدٍ	أَرَحْتُ نَفْسِيَ مِنْ هَمِّ العَدَاوَاتِ
وإنِّي أُحَيي عَدُوِّي عِنْد رُؤْيَتِهِ	لأَدْفَع الشَّرَّ عَنِّي بالتَّحِيَّاتِ
وأُظْهِرُ البِشْرَ لِلإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ	كَأَنَّمَا قَدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّاتِ
النَّاسُ دَاءٌ ودَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمُ	وفِي اعْتِزَالِهِمُ قَطْعُ المَودَّاتِ(١)

أفضل العفو وأفضل القصد:

قال عمر بن الخطاب: «أفضل العفو عند القدرة، وأفضل القصد عند الجدّة»(٢).

خطأ العفو أسلم:

قال سعيد بن المسيب: «لأن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»(٣).

أولى الناس بالعفو:

وقال حكيم: «أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلًا من ظلم من هو دونه»(٤).

خير العفو:

قال الشاعر:

أَلاَ إنَّ خَيْرَ العَفْوِ عَفْوٌ مُعجَّلٌ	وشَرُّ العِقَابِ مَا يُجَازُ بِهِ القدر(٥)

الغنى عن الناس والتجاوز عنهم:

قال أيوب السختياني: «لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: الغنى عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم»(٦).

---

(١) روضة العقلاء لأبي حاتم البستي.

(٢-٥) بهجة المجالس لابن عبد البر. والجدّة: الغنى.

(٦) ربيع الأبرار للزمخشري.

الحزم والقدرة:

يَـسْطُو بِرِفْـقٍ إِذَا مَـا الحَـزْمُ أَعْـوَزَهُ إِلَى العِقَابِ ويَعْفُـو حِـينَ يَقْتَـدِرُ
فَالبَطْشُ مَا لَمْ يَكُنْ عَـنْ حِكْمَـةٍ سَرَفٌ والحِلْمُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ قُدْرةٍ خَـزَرُ

الاستعانة بالرفق:

لَمْ أرَ مِثْـــلَ الرِّفْـــقِ في لِينِــــهِ أَخْـرَجَ العَـذْراءَ مِـن خِـدْرِهَا
مَــن يَــسْتَعِنْ بــالرِّفْقِ فِي أَمْــرِهِ يَـسْتَخْرِجِ الحَبَّـةَ مِـن جُحْرِهَـا

الجهل الحقيقي:

إِذَا قِيـلَ رِفْقَـاً قَـالَ للحِلْـمِ مَوْضِـعٌ وحِلمُ الفَتَـى فِي غَـيْرِ مَوضِـعِهِ جَهـلُ

الكرم والبخل [1]

لذة:

من الناس من طبع على العطاء، ومنهم من طبع عـلى الأخـذ، ومـنهم مـن يعطي تحت ضغط الخوف، أو طلبا للجزاء، ومنهم من يجـد في العطـاء لـذة لا تعدلها لذة. وهذا ما قاله الشاعر:

لـيْسَ يُعْطِيـكَ لِلْجَـزاءِ ولا لِلْخَـوْفِ ولَكِـــنْ يَلَـــذُّ طعـــمَ العطـــاءِ

كرم:

* عشب ولا بعير. (يضرب للكرماء الذين لا يجدون آخذا).
* أقرى من زاد الركب. (يضرب لمن زاد كرمه).
* أجود من حاتم.
* أوسعُ القومِ ثوبًا.

أنت المستفيد:

* لم يعدمْ منه خابطٌ ورقًا. (يضرب لمن يمكن الاستفادة منه).

(١) مجمع الأمثال للميداني.

ولو بشق تـمرة:

* دمعة منْ عوراءَ غنيمةٌ باردةٌ. (يضرب لمن يجود ولو بالقليل).

غفلة:

* يصبح ظمآن وفي البحرِ فمُهُ. (يضرب لمن لا يستفيد من الخير حوله).

بخل كبير:

* لا تسقطُ منْ كفِّهِ خردَلَةُ. (يضرب لمن هو شديد البخل).

يقولون ما لا يفعلون:

* أرى خالًا ولا أرى مطرًا. الخال: السحاب.

* وَأْمٌ بشقٍ أهله جياع. الوَأم: البيت الثخين من شعر أو وبر. الشق.

عَوْد على بدء:

أُهـــدِي لمجلـــسِهِ الكـــريم، وإنَـــما   أُهدِي لـهُ مـا حـزتُ مـنْ نعمائِـهِ
كــالبَحْرِ يُمْطِـرُهُ الـسَّحَابُ ومَــا لَـهُ   فَـضْلٌ عَلَيْــهِ، لأنــهُ مــنْ مَائِــهِ

التشبه بالرجال:

فتـــشبهُوا إنْ لمْ تكونُـــوا مـــثلَهُمْ   إنَّ التَـــشَبُّهَ بـــالكِرَامِ فـــلاحُ

شيمة الجود في الأخلاق

تعليم المكارم:

قال أكثم بن صيفي- حكيم العرب: «ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلِّموها المكـارم، ولا تقيمـوا عـلى خُلـق تَذُمونَـه مـن غـيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلوا بالجود يكسبكم المحبَّة»[١].

الإنفاق سرًا وجهرا:

كان سعيد بن العاص يقول على المنبر: «من رزقه الله رزقًا حسنًا فلينفق منه سرًا وجهرًا حتى يكون أسعد الناس به، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلـين: إمـا

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه.

لمصلح فلا يقل عليه شيء، وإما لمفسد فلا يبقى له شيء»(١).

حسن الظن بالله:

كان كسرى يقول: «عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنَّهم أهل حسن الظن بالله تعالى، ولو أنَّ أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلهم ومذمة الناس لهم وإطباق القلوب على بغضهم إلّا سوء ظنِّهم بربهم في الخلف، لكان عظيمًا»(٢).

تقلب الدنيا:

قال الشاعر:

إِذَا جَادَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا ... عَلَى النَّاسِ طُرًّا إِنَّهَا تَتَقَلَّبُ

فَلاَ الجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ ... ولا البُخْلُ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ تَذْهَبُ(٣)

سخاء النفوس:

قال أعرابي: «من لم يضنُّ بالحق عن أهله فهو الجواد». وسمعت آخر يقول: «الصبر عند الجود أخو الصبر عند اليأس»، وقال آخر: «سخاء النفس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء البذل»(٤).

سخاء وصيانة:

قيل لحكيم: مَنْ الجوَّاد؟ قال: «مَنْ جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره»(٥).

وسئل عمرو بن عبيد عن السخاء فقال: «أن تكون بمالك متبرعًا، وعن مال غيرك متورعًا»(٦).

(١،٢) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس ـ لابن عبد البر.

(٤) الأمالي لأبي علي القالي.

(٥، ٦) نثر الدر لأبي سعد الآبي.

طريق السيادة:

قال الحسن بن علي: «أيها الناس، من جاد ساد، ومن بَخِلَ رُذِل، وإن أجود الناس من أَعْطَى مَنْ لا يرجوه»[١].

أجود ما قيل في الضيافة [٢]

بَشاشةٌ وبِشْرٌ:

قال الخريمي:

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْل إِنْزَالِ رَحْلِهِ ... ويَخْصِبُ عِنْدِي والمَحَلُّ جَدِيبُ

ومَا الخَصْبُ لِلأَضْيافِ أَنْ يَكْثُر القِرى ... ولِكنَّما وَجْهُ الكَرِيمِ خَصِيبُ

وقال المعري:

إِذَا الضَّيْفُ جَاءكَ فَابْسَمْ لَهُ ... وقَرِّبْ إِلَيْهِ وَشِيكَ القِرَى

ولا تَحْقِر المُزْدَرى في العُيُو ... نِ فَكَمْ نفع الهَيِّنُ المزْدرَى

وقال الشاعر:

يَا ضَيْفَنَا لَوْ زُرْتَنَا لَوجَدْتَّنا ... نَحْنُ الضُّيوفُ وأَنْتَ رَبُّ المَنْزِلِ

كرم وحذر:

قال الشاعر:

أَكْرِمْ نَزِيلَكَ واحْذَرْ مِنْ غَوائِلِهِ ... فَلَيْسَ خِلُّكَ عِنْدَ الشَّرِّ مَأْمُونَا

تَنَامُ أَعْينُ قَومٍ عَنْ ذَخَائِرِهِم ... والطَّالِبونَ أَذَاهُم مَا يَنَامُونَا

تكريم:

قال ابن عباس: «من السُّنة إذا دعوت أحدًا إلى منزلك أن تخرج معه حين يخرج»[٣].

---

(١) نهاية الأرب ٣/ ٢٠٥.

(٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر ـ أحمد قبش.

(٣) المخلاة للعاملي.

دع الناس يشبعوا:

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «ربُّ البيت آخر من يغسل يده»(١).

وقال أبو الزناد: «من إكرام الضيف وحسن الأدب في مواكلته أن تغسل يدك قبله أولًا وبعده آخرًا»(٢).

مروءة وأدب:

قال علي بن الحسين -رضي الله عنهما: «من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه، كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليل -صلوات الله وسلامه عليه- بنفسه وأهله، أما سمعت قول الله -عز وجل: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾(٣). ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم، ولا ينام قبلهم، ولا يشكوْ الزمان بحضورهم، ويبش عند قدومهم، ويتألم عند وداعهم، وأن لا يُحدِّث بما يروعهم به»(٤).

مبادرة:

وقال بكر بن عبدالله المزني: «إذا أتاك الضيف فلا تنتظر به ما ليس عندك وتمنعه ما عندك، قدِّم له ما حضر، وانتظر بعد ذلك ما تريد من إكرامه»(٥).

(١،٢) المخلاة للعاملي.

(٣) الذاريات: ٢٤-٢٧.

(٤) المستطرف للأبشيهي.

(٥) لباب الآداب لابن منقذ.

خِسَّة خُلّة البخل

آثام البخل والبخلاء:

قال سقراط: «الأغنياء البخلاء بمنزلة البِغال والحَمير، تحملُ الذهبَ والفضة وتعتلف التبن والشعير»(١).

وقال الحكماء: «البخل من سوء الظن، وخمول الهمة وضعف الروية، وسوء الاختيار والزهد في الخيرات»(٢).

وقال الحسن بن علي: «البخل جامع للمساوئ والعيوب، وقاطع للمودَّات من القلوب»(٣).

وقالوا: «حد البخل: منع المسترفد مع القدرة على رفده»(٤).

وكانَ أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخيل، ويقول محتجًا لذلك: «إنَّ البخيل يحمله بخله على أن يأخذ فوق حقه، مخافة أن يغبن، ومن كان هكذا لا يكون مأمونًا»(٥).

وقالوا: «البخيل لا يستحق اسم الحرية فإنّ ماله يملكه. وقالوا: لا مال للبخيل وإنما هو لماله»(٦).

وقال الحسن البصري: «لم أر أشقى بماله من البخيل؛ لأنه في الدنيا يهتم بجمعه، وفي الآخرة يُحاسب على منعه، غير آمن في الدنيا على همه، ولا ناج في الآخرة من إثمه، عيشه في الدنيا عيش الفقراء، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء» (٧).

تعريف البخل:

سئل الحسن عن البخل فقال: «هو أن يرى الرجل ما أنفقه سرفًا، وما أمسكه شرفًا»(٨).

(١-٧) نهاية الأرب للنويري.

(٨) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

وقال حكيم: «البخل جلباب المسكنة»[١].

أعجب ما في البخل!!

وقال بشر بن مروان: «لو أنَّ أهل البخل لم ينلهم من بخلهم إلاّ سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عجيبًا، وأعجب ما في البَخِيلِ أنه يعيشُ عَيْشَ الفقراءِ ويُحاسبُ حسابَ الأغنياءِ»[٢].

العار في البخل:

قال الشاعر:

بَخِيلٌ يَرى في الجُودِ عَارًا وإنَّمَا ... يَرى المَرْءُ عارًا أنْ يَضِنَّ ويَبْخَلاَ

إِذَا المَرْءُ أَثْرَى ثُمَّ لَمْ يَرْجُ نَفْعَهُ ... صَدِيقُ فَلاقَتْهُ المَنِيَّةُ أَوَّلًا[٣]

عزلة البخيل:

وقال الشاعر:

وآمِرَةٍ بالبُخْلِ قُلْتُ لَهَا أقْصِرِي ... فَلَيْسَ إِلَيْهِ مَا حَيِيتُ سَبِيلُ

أَرَى النَّاسَ إِخْوانَ الكَرِيمِ ومَا أَرَىَ ... بَخِيلاً لَهُ فِي العَالَمِينَ خَلِيلُ[٤]

خسران:

قال محمد بن إسحاق الواسطي:

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الهُمُومِ سِعَهْ ... والبُخْلُ واللُّؤْمُ لا فَلاَحَ مَعَهْ

قَدْ يَجْمَعُ المَالَ غَيْرُ آكِلِهِ ... ويَأْكُلُ المَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

اقْبَلْ مِن الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ ... مَنْ قَرَّ عَيَنَاً بِعَيْشِهِ نَفَعَهْ[٥]

(١،٢) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٣،٤) المستطرف للأبشيهي.

(٥) روضة العقلاء لأبي حاتم البستي.

الحسد

الحسد والمنافسة:

اعلمْ أنَّ الحسدَ خلقٌ ذميمٌ، مع إضرارِهِ بالبدن، وإفساده للدّين، حتى لقدْ أمرَ الله بالاستعاذَةِ من شرِّه. فقالَ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1]. وناهِيكَ بحالِ ذلك شرًّا، وَرُوِي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: البغْضَاءُ والحسَدُ، هِيَ الحالِقَةُ، حالِقَةُ الدِّينِ، لاَ حالِقَةُ الشَّعْرِ، والذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ تُؤمِنُون حَتَّى تَحَابُّوا، أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**»[2].

فأخبر بحال الحسدِ، وأنَّ التّحابُبَ يَنْفِيهِ، وأنَّ السّلامَ يبعثُ عَلَى التّحابُبِ، فصارَ السّلامُ إِذَنْ نافِيًا للحسدِ، وقد جاءَ كتابُ الله تعالى بما يوافِقُ هذا القَوْلَ؛ قال الله - تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[3]. قال مجاهد: معناه ادفع بالسلام إساءة المسيء.

وقال الشاعر:

قَدْ يَلْبَثُ النَّاسُ حِينًا لَيْسَ بَيْنَهُمُ وِدٌّ فَيَزْرَعُهُ التَّسْلِيمُ وَاللُّطْفُ

الحسد وبال على صاحبه:

وقالَ بعضُ السلفِ: الحسدُ أولُ ذنبٍ عُصِيَ الله به في السّماءِ، حيث حَسد إبليسُ آدَمَ -عليه السلام، وأولُ ذَنْبٍ عُصِيَ الله به في الأرضِ، يعني حسد ابن آدَمَ لأخيه حتَّى قَتَلَهُ. وقال بعض الحكماء: من رضيَ بقضاءِ الله تعالى لم يُسْخِطْهُ أَحَدٌ، ومَنْ قنعَ بعطَائِهِ لم يدخُلْهُ حَسَدٌ. وقال بعض البلغاءِ: النَّاسُ حاسِدٌ

---

(١) الفلق: ٥.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (١/ ١٦٤، ١٦٧) عن الزبير بن العوام ﷺ وحسنه الألباني.

(٣) فصلت: ٣٤.

ومحسودٌ، ولِكُلِّ نعمةٍ حسودٌ. وقال بعض الأدباء: ما رأيتُ ظالمًا أشبهَ بمظلُومٍ من الحسودِ، نَفَسٌ دَائِمٌ، وهَمٌّ لاَزِمٌ، وقَلْبٌ هَائِمٌ[1]؛ فأخذه بعض الشعراء فقال:

إِنَّ الحَسُودَ الظَّلُومَ فِي كُرَبٍ[2] يَخَالُهُ مَنْ يَرَاهُ مَظْلُومَا

ذَا نَفَسٍ دَائِمٍ عَلَى نَفَسٍ يُظْهِرُ مِنْهَا مَا كَانَ مَكْتُومَا

ولو لم يكن من ذَمِّ الحسدِ إِلاَّ خلقٌ دنيءٌ، يتوجَّهُ نحو الأكفاءِ والأقاربِ، ويختصُّ بالمخالِطِ والمصّاحِبِ، لَكَانَتِ النَّزَاهَةُ عنهُ كرمًا، والسَّلامَةُ منهُ مَغْنَمًا، فكيفَ وهو بالنَّفْسِ مُضِرٌّ، وعَلَى الهم مصِرٌّ، حتى ربما أفضَى بصاحبه إلى التَّلفِ، من غير نِكَايَةٍ[3] في عَدُوٍّ، ولا إضرارٍ بمحسودٍ. وقد قال معاوية ﵁: ليس في خصالِ الشّر أعدل من الحسد، يقتُلُ الحاسِدَ قبلَ أنْ يصلَ إلى المحسودِ. وقال: بعض الحكماء: يكفيكَ من الحاسدِ أَنَّهُ يَغْتَمُّ فِي وَقْتِ سرورِكَ.

وقيل في منثور الحكم: عقوبةُ الحاسدِ من نفسِهِ. وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما أطول عمرك؟ قال: تركْتُ الحسدَ فَبَقِيتُ. وقال رجل لشريح القاضي: إني لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم، ووقوفك على غامِضِ الحكمِ. فقال: ما نفعك بذلك ولا ضَرَّنِي.

وقال عبدالله بن المعتز -رحمه الله تعالى:

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الحَسُو دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ

فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

---

(١) هائم: متحيِّر.

(٢) الكرب: الحزن يأخذ النفس.

(٣) نكاية: قتل، وجرح.

حقيقة الحسد:

وحقيقةُ الحسدِ: شدّة الأَسَى على الخيراتِ تكونُ للنَّاسِ الأفاضلِ، وهو غيرُ المنافسةِ، وربما غلطَ قومٌ فظنُّوا أنَّ المنافسةَ في الخيرِ هي الحسدُ، وليس الأمرُ على ما ظَنُّوا، لأَنَّ المنافسةَ طلبُ التشَبُّهِ بالأفاضل من غيرِ إِدْخالِ ضَرَرٍ عليهم، والحسدُ مصروفٌ إلى الضَّرَرِ، لأَنَّ غايتهُ أنْ يعدمَ الأفاضلُ فضْلَهُمْ، من غيرِ أنْ يَصِيرَ الفضلُ له، فهذا الفرْقُ بيْنَ المنافسة والحسَدِ، فالمنافسَةُ إِذَنْ فضيلَةٌ لأَنَّها دَاعِية إلى اكتسابِ الفضائِل، والاقتداءِ بأخيار الأفاضل. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤْمِنُ يَغْبطُ**[1]، **وَالمنافِقُ يَحْسُدُ**»[2].

وقال الشاعر:

نَافِسْ عَلَى الْخَيْرَاتِ أَهْلَ الْعُلاَ ... فَإِنَّمَا الدُّنْيَا أَحَادِيثُ
كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ كَادِحٌ[3] ... فَوَارِثٌ مِنْهُمْ وَمَوْرُوثُ

دواعي الحسد:

واعلمْ أنَّ دواعِي الحسدِ ثلاثةٌ:

أحدها: بُغْضُ المحسودِ، فيأسَى عليهِ بفضيلَةٍ تظهرُ، أو منقَبَةٍ تُشْكَرُ، فيثيرُ حسدًا قد خامَرَ بُغْضًا، وهذا النَّوْعُ لا يكونُ عامًا وإن كان أضرها، لأنه ليس يبغض كل النّاس.

والثّانِي: أنْ يَظْهَرَ من المحسودِ فضلٌ يعجزُ عنه، فيكرَهُ تقدمه فيه، واختصاصه به، فيثيرُ ذلك حسدًا لولاه لكفَّ عنه، وهذا أوسطها، لأنه لا

---

(١) غبط: تمنى نعمة على أن لا تتحول عن صاحبها.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٩٥) من كلام الفضيل بن عياض، وقال العجلوني في كشف الخفاء (٢٦٩٤): «من كلام الفضيل بن عياض».

(٣) الكدح: السعي الدؤوب في العمل.

يحسد الأكفاء ومن دنا، وإنما يختصُ بحسدِ من علا، وقد يمتزجُ بهذا النّوع ضربٌ من المنافسة، ولكنّها مع عجزٍ، فلذلك صارَتْ حسدًا.

والثالث: أنْ يكونَ في الحاسدِ شُحٌّ بالفضائِلِ، وبُخْلٌ بالنّعمِ، وليست إليهِ فَيَمْنَعَ منها، ولا بِيَدِهِ فَيْدَفَعَ عنها، لأَنَّهَا مواهبُ قد مَنَحَهَا الله من شَاءَ، فَيَسْخَطَ على الله -عزّ وجلّ- في قضائه ويحسد على ما مَنَحَ من عطائه، وإن كانتْ نِعَمُ الله- عزّ وجلّ- عنده أكثرَ، ومِنَحُهُ عليه أظْهَرَ. وهذا النوعُ من الحسدِ أعَمُّهَا وأخْبَثُهَا، إِذْ لَيْسَ لصاحبِهِ راحَةٌ، ولاَ لِرِضَاهُ غايَةٌ، فَإِنِ اقْتَرَنَ بِشَرٍّ وقُدْرَةٍ، كانَ بَورًا[1] وانتقامًا[2]، وإنْ صادفَ عجزًا ومَهَانَةً كانَ جَهدًا وسقامًا.

وقد قال عبد الحميد: الحسودُ من الهمِّ كساقي السُّمِّ، فإن سَرَى سمّهُ، زالَ عنهُ همُّهُ.

واعلمْ أَنَّهُ بحسبِ فضلِ الإنسانِ، وظهورِ النّعمَةِ عليهِ، يكونُ حسدُ النّاسِ لهُ، فإن كثرَ فضْلُهُ كثرَ حسّادُهُ، وإنْ قَلَّ قلُّوا، لأَنَّ ظهورَ الفضلِ يثيرُ الحسدَ، وحدوثَ النّعمةِ يضاعفُ الكمد[3]، ولذلك قال النبي ﷺ: «**اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الحَوائِجِ بِسَتْرِهَا، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**»[4]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما كانت نعمة الله على أحد إلاَّ وجَّهَ لها حاسدًا. فَلَوْ كانَ الرّجلُ من القِدْحِ[5] لَمَا عَدِمَ غَامِزًا.

---

(١) البور: الرجل الفاسد.

(٢) والأصح: انتقامًا.

(٣) الكمد: تغير اللون، والحزن الشديد.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٩٤) (١٨٣) والأوسط (٢٤٥٥) والصغير (١١٨٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٥٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٥): «رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه سعيد بن سلام العطار، قال العجلي: لا بأس به، وكذبه أحمد، وبقية رجاله ثقات إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ» وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٣).

(٥) القدح: بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل.

وقد قال الشاعر:

إِنْ يَحْسِدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمُ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ

وربما كان الحسد منبهًا على فضل المحسود ونقص الحسود، كما قال أبو تمام الطائيّ:

وَإِذَا أَرَادَ الله نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

لَوْلاَ اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَف طِيبُ عَرْفِ[1] الْعُودِ

لَوْلاَ التَّخَوّفُ لِلْعَواقِبِ لَمْ يَزَلْ لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى المَحْسُودِ

دواء الحسد [2]

فَأَمَّا ما يستعمِلُهُ من كان غالبًا عليه الحسدُ، وكانَ طبعُهُ إليهِ مائلًا، لِيَنْتَفِيَ عنه ويُكْفَاهُ، ويسلم من ضررِهِ وعَدْوَاهُ، فَأُمورٌ هيَ له حسْمٌ، إِنْ صادفَها عَزْمٌ.

فمنها: اتّباعُ الدِّين في اجْتِنَابِهِ، والرُّجوع إلى الله -عزّ وجلّ- في آدابِهِ، فَيَقْهَرُ نَفْسَهُ على مذْمومِ خُلِقها، وينقُلُها عن لَئِيمِ طبعِها وإنْ كانَ نقلُ الطّباعِ عَسِرا، لكنْ بالرّياضةِ والتدريج يسهلُ منها ما استصعبَ، ويُحَبَّبُ منها ما أتْعَبَ، وإن تقدّم قولُ القائلِ: مَنْ رَبُّهُ خَلَقَهُ كيفَ يُخَلّي خُلُقَهُ! غيرَ أنّهُ إذا عانَى تهذيبَ نَفْسِهِ، تظاهرَ بالتّخلقِ دون الخُلقِ، ثم بالعادَةِ يَصِيرُ كالخُلقِ. قال: أبو تمام الطائي:

فَلَمْ أَجِدِ الأَخْلاَقَ إِلاَّ تَخَلُّقًا وَلَمْ أَجِدِ الإِفْضَالَ إِلاَّ تَفَضُّلاَ

العقل نعم الحكم:

ومنها: العقلُ الذِي يَسْتَقْبِحُ بِهِ من نَتَائِجِ الحسدِ ما لاَ يُرْضِيهِ. ويَسْتَنْكِفُ

(١) العَرْفُ: الريح الطيبة.

(٢) أدب الدنيا والدين: ص: ٢٦٢-٢٦٥.

مِنْ هُجْنَةِ[١] مسَاوِيهِ، فَيُذَلِّلُ نَفْسَهُ أُنْفَةً. ويُطَهِّرُهَا حَمِيَّةً، فَتُذْعِنُ لِرُشْدِهَا، وتُجِيبَ إلى صلاحِها. وهذا إنَّما يَصِحُّ لدَى النَّفسِ الأَبِيَّةِ[٢]، والهمّةِ العليةِ، وإنْ كانَ ذو الهمّةِ يُجَلُّ عن دناءَةِ الحسَدِ. وقد قال الشاعر:

أَبِيٌّ لَـهُ نَفْـسَانِ: نَفْـسٌ زَكِيَّـةٌ وَنَفْسٌ إِذَا مَا خَافَـتِ الظُّلْـمَ تَـشْمُسِ[٣]

ومنها: أنْ يستدْفِعَ ضرَرَهُ. ويَتَوَقّى أثَرَهُ، ويعلمَ أنَّ مكانَتَهُ في نَفْسِهِ أبلَغُ، ومن الحسدِ أبعدُ؛ فَيَسْتَعْمِلَ الحزمَ في دفعِ ما كَدَّهُ وأكْمَدَهُ، ليكونَ أطيبَ نفْسًا، وأهنَأَ عَيْشًا.

وقدْ قِيلَ: الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الحُسَّادِ، عن سلامَةِ الأَجْسَادِ! وقد قال الشاعر:

بَـصِيرٌ بِأَعْقَـابِ الأَمُـورِ كَـأَنَّمَا يَرَى بِصَوَابِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعُ

ومنها: ما يَرَى مِنْ نُفورِ النّاسِ عنهُ وبُعْدِهِمْ منهُ، فَيَخَافُهُمْ إمّا علَى نَفْسِهِ من عَداوةٍ، أو علَى عِرْضِهِ من ملامَةٍ فَيَتَأَلَّفُهُمْ بمعالجَةِ نفسِهِ، ويَرَاهُمْ إنْ صلحُوا أجْدَى نَفعًا، وأخلَصُ وُدًّا.

وقال ابن العميد -رحمه الله تعالى:

دَاوَى جَوًى[٤] بِجَوًى وَلَيْسَ بِحَازِمٍ مَنْ يَسْتَكِفُّ النَّارَ بِالْحَلْفَاءِ

وقال المؤمل بن أميل:

لاَ تَحْسِبُونِي غَنِيًّا عَنْ مَوَدَّتِكُمْ إِنِّي إِلَيْكُمْ وَإِنْ أَيْسَرْتُ مُفْتَقِرُ

---

(١) هجنة مساويه: قبيح مساويه.

(٢) الأبية: الممتنعة.

(٣) شمس الفرس: منع ظهره، ورجل شموس: صعب الخُلق.

(٤) الجوى: الحزن، والحرقة، والسُّلّ، وتطاول المرض، وداء في الصدر.

ومنها: أَنْ يُساعِدَ القَضاءَ، ويَسْتَسْلِمَ لِلْمَقْدُورِ، ولاَ يَرعى أنْ يغالِبَ قضاءَ الله فَيَرْجِعَ مغلوبًا، ولاَ أنْ يعارِضَهُ في أَمْرِهِ فَيُرَدَّ مَحْرُومًا مسْلُوبًا. وقد قال أردشير بن بابك: إذا لَمْ يُساعِدْنا القضاءُ ساعدناهُ.

وقال محمود الوراق:

مَا قَدَرُ اللهُّ كَائِنٌ حِينَ يُقْضَى وُرُودُهُ
قَدْ مَضَى فِيكَ عِلْمُهُ وَانْتَهَى مَا يُرِيدُهُ
وَأَخُو الْحَزْمِ حَزْمُهُ لَيْسَ مِمَّا يَزِيدُهُ
فَأَرِدْ مَا يَكُونُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُهُ

فَإِنْ أظْفَرَتْهُ السّعادةُ بأحدِ هذهِ الأسْبابِ، وهَدَته المراشِدُ إلى استعمال الصّوابِ، سَلِمَ من سقامِهِ، وخلص من غَرامِهِ، واستبدلَ بالنّقصِ فضلًا، واعتاضَ من الذَّم حمدًا، ولمَنِ اسْتَنْزَلَ نفسَه عن مذمَّةٍ، وصَرَفَها عن لائِمَةٍ، هو أظهرُ حزمًا، وأقوَى عزمًا، ممَّن كَفَتْهُ النَّفسُ جهادها وأَعْطَتْهُ قيادها؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خِيارُكُمْ كُلُّ مُفَتّنٍ تَوَّابُ.

آفات الحسد:

وإنْ صَدَّتهُ الشّهوة عن مَراشِدِهِ، وأَضَلَّهُ الحرمانُ عن مقاصدِهِ، فانقادَ للطَّبعِ اللّئيمِ، وغلبَ عليه الخلقُ الذَّميمُ، حتى ظهرَ حسدُهُ، واشتدَّ كَمَدُهُ[1]، فقدْ باءَ بأربع مذامَّ:

إحداهن: حسرات الحسدِ، وسَقام الجسدِ، ثم لا يجدُ لحسرتِهِ انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شِفَاءٌ. وقال ابن المعتز: الحسدُ داء الجسدِ.

والثانية: انخفاضُ المنزلةِ، وانحطاطُ المرتبةِ، لانحرافِ النّاسِ عنه، ونفورِهِمْ منهُ. وقد قيل في منثور الحكم: الحسودُ لا يسودُ.

---

(١) كمده: حزنه.

والثالثة: مَقْتُ النّاسِ لهُ، حتّى لا يجد فيهم مُحِبًا، وعداوتُهمْ له، حتَّى لا يَرَى فيهم وَلِيًا، فيصيرُ بالعداوَةِ مأثورًا، وبالمقْتِ مزجُورًا؛ ولذلك قـالَ النّبـيّ ﷺ: «**شَرُّ النَّاسِ مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ**»[١].

والرابعة: إسخاطُ الله تعالَى في معارضَتِهِ، واجتناء[٢] الأوزارِ في مخالفَتِهِ، إذْ لَيْسَ يَرَى قضاءَ الله عدْلًا، ولا لِنِعَمِهِ من النّاسِ أهْلاً؛ ولذلك قال النبـي ﷺ: «**الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**»[٣]. وقـال عبـدالله بـن المعتـز: الحاسِدُ مغتاظٌ على من لا ذنبَ لهُ، بخيلٌ بما لا يَمْلِكُهُ، طالبٌ ما لا يَجِـدُهُ؛ وإذا بُلِيَ الإنسانُ بمن هذه حالُهُ من حُسَّادِ النِّعَمِ. وأعداءِ الفضلِ. استعاذَ بـالله مـن شَرِّهِ، وتَوَقَّى مصارِعَ كيدِهِ، وتحـرَّزَ مـن غَوائِـلِ حسَدِهِ وأبعـدَ عـن ملابَـسَتِهِ وإدْنائِهِ، لِعَضْلِ[٤] دائِهِ، وإعوازِ[٥] دوائه. فقد قِيلَ: حاسدُ النّعمـةِ لا يُرْضِـيهِ إلاَّ زوالُهَا. وقال بعض الحكماء: من ضَرَّ بطبعـهِ فـلا تـأنسْ بقربـهِ، فَـإِنَّ قَلْـبَ الأعْيَانِ صَعْبُ المرامِ. وقال عبدالحميد: أَسَدٌ تُقَارِبُهُ خَيْرٌ مِنْ حَسُودٍ تُرَاقِبُهُ.

وقال محمود الوراق:

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِـنْ نَفسِي الرِّضـا ... إلاَّ الحَـسُودَ فَإِنَّـهُ أَعْيَـانِي

مَـا إِنَّ لِي ذَنْبًـا إِلَيْـهِ عَلِمْتُـهُ ... إلاَّ تَظَـاهُرَ نِعْمَـةِ الـرَّحْمَنِ

وأَبَـى فَـمَا يُرْضِـيهِ إلاّ ذِلَّتِـي ... وَذَهَـابَ أَمْـوَالِي وَقَطْـعَ لِـسَانِي

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْهُنَّ: الطيَرَةُ، وَسُوءُ**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٣١٨) (١٠٧٧٥) عن ابن عباس –رضي الله عنهما. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٣): «رواه الطبراني وفيه عنبس بن ميمون وهو متروك» وقـال الألبـاني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٦٧٢): «ضعيف جدًا».

(٢) اجتناه: بمعنى التقطه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣) عن أبي هريرة ﷺ، وضعفه الألباني.

(٤) داء عضال: أي شديد أعيا الأطباء، وأعضل الأمر: اشتد واستغلق.

(٥) أعْوَزَهُ الشيء: إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه، وعَوِزَ: لم يوجد.

الظَّنِّ، والحُسَدُ؛ فَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَلاَ تَرْجِعْ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلاَ تُحَقِّقْ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلاَ تَبْغِ»[1].

الحسد خلق لئيم

نفي الأذى والعذاب:

قال ابن المقفع: «ليكن مما تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك أن لاتكون حسودًا»[2].

خلق لئيم:

وقال أيضًا: «فإن الحسد خلق لئيم، ومن لؤمه أنَّه موكل بالأدنى من الأقارب، والأكفاء والمعارف، والخلطاء والإخوان»[3].

المحسودون ذوو منزلة:

إنَّ العَرَانِينَ تَلْقَهَا مُحَسَّدةً ... ولاَ تَرى لِلَئِيمِ القَوْمِ حُسَّادًا

مذمَّات:

قال محمد الوحيدي:

لاَ تَحْسُدَنَّ فَهْوُ بَابُ الغَمِّ ... رَاكِبُهُ مُرتَبِكٌ فِي الإِثْمِ

لَمْ يَرْضَ مِن خَالقه في القَسْمِ ... وأَصْلُه الكِبْرُ وسُوءُ الوَهْمِ

العزاء في الصيد:

قال عمر بن الوردي:

واصْبِرْ عَلى الحُسَّادِ صَبْرَ مُدَبِّرٍ ... قَدْ أَظْهَر الإقْبَالَ فِي الإدْبَارِ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٢٨) (٣٢٢٧) عن حارثة بن النعمان ﷺ بسياق آخر، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧٨): «رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف» وقال الألباني في غاية المرام (٣٠٢): «لم أجد أحدًا ذكره بهذا السياق من المحدثين... وهو ضعيف».

(٢) حِكَم عبد الله بن المقفع ـ بقلم عبد العزيز الجانجي ـ طبع مطبعة وادي الملوك ـ مصر ـ بدون تاريخ.

(٣) حِكَم عبد الله بن المقفع ـ بقلم عبد العزيز الجانجي ـ طبع مطبعة وادي الملوك ـ مصر ـ بدون تاريخ.

كَـمْ نَـال بِالتَّـدْبِيرِ مَـنْ هُـوَ صَـابِرٌ مَـا لَمْ يَنَلْـهُ بِعَـسْكَرٍ جَـرَارِ

استتر عنه:

قال السابوري:

غَـمِّ عَلَيْـهِ أَمْـرَ مَـا تُحَـاوِلُ واخْـفِ عَنْـهُ عِلْـمَ مَـا تُـزَاوِلُ

كَـيْمَا تَكُـونُ مِـن أَذَاهُ سَـالِمًا إنَّ الحَـسُودَ لَـيْسَ عَنْـكَ نَـائِما

دواء لا شفاء له:

قال المتنبي:

سِـوَى وَجَـعِ الحُـسَّادِ دَاوِ فإنَّـه إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَـزُولُ[١]

أحسن لحاسديك:

قال علي ﷺ: «صحة الجسد من قلة الحسد».

وقال أيضًا: «عذب حُسَّادَكَ بالإحسان إليهم».

وقال أرسطو: «إنَّ الحسود يأكل نفسه كما يأكل الصدأ الحديد»[٢].

حاسد النعمة:

قال عمرو بن العاص ﷺ: «ما بلغني عن أحد شنآن قط، إلا سللت سخيمة قلبه بجهدي، إلَّا حاسد النعمة، فإنَّه لا يرضى إلا بزوالها، فجدع الله أنفه»[٣].

بين الود والبغض:

قال حكيم: «الحاسد يظهر وده في اللقاء، وبغضه في المغيب، واسمه صديق ومعناه عدو»[٤].

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ـ أحمد قبش.

(٢) أروع ما قيل في الحكمة ـ إميل ناصيف ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ دار الجيل للطباعة ـ بيروت.

(٣) نور الطرف ونور الظرف للقيرواني.

(٤) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

كلمات غالية:

ووجد في كتاب لجعفر بن يحيى: «أربع جمل مكتوبة بالذهب: الرزق مقسوم، الحريص محروم، البخيل مذموم، الحسود مغموم»[١].

أول ذنب في السماء والأرض:

قال ابن السماك: «إن الله تعالى أنزل سورة جعلها عوذة لخلقه من صنوف الشر، فلما انتهى إلى الإعاذة من الحسد جعلها خاتمًا؛ إذ لم يكن بعده في الشر نهاية، الحسد أول ذنب عُصي به الله في السماء والأرض»[٢].

دعامتا الذنوب:

قال ابن المقفع: «الحسد والحرص دعامتا الذنوب، فالحرص أخرج آدم -عليه السلام- من الجنة والحسد نقل إبليس من جوار الله تعالى»[٣].

قاتل نفسه:

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد، نَفَسٌ دائم وعقل هائم وحزن لازم، ولله در الحسد ما أعدله يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود»[٤].

وقال آخر:

دَعِ الحَسُودَ ومَا يَلْقَاهُ مِنْ كَمَد ... يَكْفِيكَ مِنْه لَهِيبَ النَّارِ في كَبِدِهْ

إِنْ لُمْتَ ذَا حَسَدٍ نفَّسْت كُرْبَتَهُ ... وإنْ سَكَتَّ فَقَدْ عذَّبتَهُ بِيَدِهْ

عقوبة الحاسد:

قال أبو الليث السمرقندي: «يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود. **أولها:** غمٌّ لا ينقطع، **ثانيها:** مصيبةٌ لا يُؤجر عليها، **ثالثها:**

---

(١) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٢-٤) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.

مذمَّةٌ لا يحمد عليها، **رابعها**: سَخطُ الربِ، **وخامسها**: يُغلقُ عنه باب التوفيقِ»(١).

أعداء النعم:

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «ألا لا تعادوا نعمَ الله، قيل ومن يعادي نِعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله»(٢).

فائدة الحسود:

قال أبو عبادة البحتري:

ومـا النَّـاسُ إلاَّ واجـدٌ غَـيْرَ مَالـكٍ ... لما يَبْتَغى أَوْ مَالِكٍ غَيْرَ واجِدِ

ولم أَرَ أَمْثـالَ الرِّجَـالِ تَفَاوَتَـتْ ... إِلى الفَضْلِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِواحِدِ

ولَـنْ تَـسْتَبِينَ الـدَّهْرَ مَوضـعَ نِعْمَـةٍ ... إِذَا أَنْتَ لَمْ تُـدْلَلْ علَيْهَـا بِحَاسِدِ

الغيبة، والنميمة، والسعاية (٣)

قلوبٌ معلولة وألسنة أفَّاكة:

واعلمْ أنَّ منَ الصّدقِ ما يقومُ مقامَ الكذبِ في القبحِ والمعَرَّة، ويزيدُ عليهِ فِي الأذَى وَالْمَضَرَّةِ، وهيَ: الغيبةُ، والنميمةُ، والسِّعايَةُ.

فَأَمَّا الغيبةُ: فإنَّها خِيانَةٌ وهتْكُ سِتْرٍ، يحدثان عن حسَدٍ وَغدْرٍ. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾(٤) يعني: أَنَّهُ كَمَا لاَ يَحِلُّ لحمُهُ مَيِّتًا، لاَ تَحِلُّ غِيبَتُهُ حَيًّا. وَرُوِيَ أنَّ امرَأَتَيْنِ صامتا على عهدِ رسول الله وجعلتا تغْتابانِ النَّاسِ، فأُخْبِرَ بذلكَ النَّبِيُّ ﷺ فقال: «**صامَتَا عمَّا أُحِلَّ لهما وأفْطَرَتَا على مَا حرَّمَ عَلَيْهِمَا**»(٥). وروتْ أسماءُ بنت

(١،٢) المستطرف للأبشيهي.

(٣) أدب الدنيا والدين: ص ٢٥٧-٢٦٢.

(٤) الحجرات: ١٢.

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣١) عن عبيد مولى رسول الله ﷺ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧١): «رواه كله أحمد، وروى أبو يعلى نحوه، وفيه رجل لم يسم» وضعفه الألباني في الضعيفة (٥١٩).

يزيد قالتْ: قال رسول الله ﷺ: «**منْ ذَبَّ**[١] **عَنْ لحْمِ أخِيهِ بِظَهرِ الغَيبِ، كَانَ حقًّا على الله -عز وجل- أنْ يُحَرِّمَ لحْمَهُ علَى النَّارِ**»[٢]. وقال عدي بن حاتم: الغيبَةُ رَعْيُ اللِّئَمِ. وكان الحسن البصري -رحمه الله تعالى- يقول: الغيبةُ فاكهةُ النِّسَاءِ.

وقال رجل لابن سيرين -رحمه الله: إنِّي اغْتَبْتُكَ، فاجْعَلْنِي في حِلٍّ، فقال: ما أُحِبُّ أنْ أُحِلَّ لك ما حرَّمَ الله عليكَ. وقال ابن السمَّاك: لا تُعِنِ النَّاسَ على عَيْبِكَ بِسُوءِ غَيْبِكَ .

طوبى لمن شغله عيبه:

وقال الشاعر:

لاَ تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِى النَّاسِ مَا سَتَرُوا   فَيَهْتِكَ الله سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَا
وَاذْكُرْ محَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا   وَلاَ تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا

وَرُبَّمَا عَذَرَ المغْتابُ نفسَهُ بِأَنَّه يقولُ حقًّا، ويُعْلِنُ فسقًا، ويستشهِدُ بما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثَلاَثَةٌ لَيْسَتْ غَيْبَتُهُمْ بِغَيْبَةٍ: الإِمَامُ الجائِرُ، وشارِبُ الخمرِ، والمُعْلِنُ بِفِسْقِهِ**»[٣].

فيبعدَ من الصوابِ، ويجانبَ الأدبَ؛ لأَنَّهُ وإن كان بالغيبةِ صادقًا، فقد هَتَكَ سِتْرًا كان بِصَوْنِهِ أوْلَى، وجاهَرَ من أَسَرَّ وأَخْفَى، وربما دَعَا المُغْتَابَ ذلك إلى إظْهَارِ ما كانَ يَسْتُرُهُ، والمجاهَرَةِ بما كانَ يُضْمِرُهُ، فلمْ يفدْهُ ذلك إلَّا فسَادَ أَخْلاقِهِ، من غيرِ أنْ يكونَ فيهِ صلاحٌ لغيرِهِ. وقدْ قِيلَ لأنوشروان: ما الذي لا خيرَ فيهِ؟ قال: ما ضَرَّنِي ولم ينفعْ غيري، أوْ ضَرَّ غيرِي ولم ينفعني، فلاَ أَعلَمُ فيهِ خَيْرًا.

---

(١) ذبَّ عنه: دفع.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٦١) والطبراني في الكبير (٢٤/ ١٧٦) عن أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٩٥): «رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن».

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٧٩٢) من كلام سفيان بن عيينة.

وقيل في منثور الحكم: لاَ تُبْدِ من العيوبِ ما سَتَرَهُ عَلَّامُ الغيوب.

حقيقة الغيبة:

وقد روى العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتّه**»[1]. وقال عبدالرحمن بن زيد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] إِنَّهُ استهزاءُ المسلمِ بمنْ أعلنَ بِفِسْقِهِ. ودخلتْ امرأةٌ على النبي ﷺ مُسْتَفْتِيَةً، فلمَّا خرجَتْ قالتْ عائشةُ -رضي الله عنها- يا رسول الله ما أَقْصَرَها فقالَ: «**مَهْلًا إِيَّاكِ والغِيبَةَ**». فقالتْ: يا رسول الله: إنما قلْتُ ما فيها. قالَ: «**أجَلْ ولَوْ لاَ ذَلِكِ لَكَانَ بُهْتانًا**».

وسُئِلَ بعضُ الأدباءِ عن صفةِ اللَّئِيمِ؟ فقالَ: اللَّئيمُ إذا غابَ عابَ، وإذا حضرَ اغْتَابَ. فأمَّا الخَبَرُ فمحمولٌ علَى الإِنْكَارِ لأَفْعَالِ هَؤُلاَءِ، ولا يكونُ الإِنكارُ غيبةً لأَنهُ نَهْيٌ عن مُنْكَرٍ، وفَرْقٌ بَيْنَ إِنْكَارِ المُجاهِرِ وغِيبَةِ المُساتِرِ.

حقيقة النميمة:

وأمَّا النَّمِيمَةُ فَهِيَ: أنْ تجمعَ إلى مَذَمَّةِ الغِيبَةِ رَدَاءَةً وشَرًّا، وتَضُمَّ إلى لُؤْمِهَا دَنَاءَةً وَغَدْرًا، ثم تَؤُولُ إلى تَقَاطُعِ المتواصلِينَ، وتباعُدِ المتقاربينَ، وتباغُضِ المتحابِّينَ. ورَوَى شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قالَ: «**من شِرَارِكُمْ**

---

(١) بهته: قال عليه ما لم يفعل. والحديث أخرجه مسلم (٢٥٨٩) وأبو داود (٤٨٧٤) والترمذي (١٩٣٤) وأحمد (٢/ ٢٣٠) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحجرات: ١١.

المُشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، المُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، البَاغُونَ العُيُوبَ»(١).

وَرَوَى محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَلْعُونٌ ذُو الوَجْهَيْنِ، مَلْعُونٌ ذُو اللِّسَانَيْنِ، مَلْعُونٌ كُلُّ شَغَّارٍ، مَلْعُونٌ كُلُّ قَتَّاتٍ، مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَّانٍ**»(٢).

الشَّغَّارُ: المحرِّشُ بَين النَّاسِ يُلْقِي بينهمُ العداوةَ. القَتَّاتُ: النَّمَّامُ. وقيلَ: النَّمامُ الذي يكون معَ القومِ يتحدَّثُونَ فَيَنِمُّ حديثهم، والقَتَّاتُ أيضًا: هوَ الذِي يسْتَمِعُ عليهم وهم لا يعلمونَ، فَيَنِمُّ حديثهم. والمَنَّانُ: هو الذي يصنَعُ الخَير ويَمُنُّ به. وقيل في منثور الحكم: النَّميمَةُ سَيْفٌ قَاتِلٌ.

وقال بعض الأدباءِ: لَمْ يَمْشِ مَاشٍ شَرٌّ مِنْ وَاشٍ.

حقيقة السعاية:

فأمَّا السِّعايَةُ فَهِيَ شَرُّ الثَّلاثَةِ، لأَنها تجمَعُ إلى مَذَمَّةِ الغِيبَةِ، لُؤْمَ النَّميمَةِ، والتَّغريرَ بالنُّفوسِ والأموالِ، والقدحَ في المنازِل والأحوال. وَرَوَى ابن قتيبة أن النبي ﷺ قال: «**الجَنَّةُ لاَ يَدْخُلُهَا دَيُّوثٌ وَلاَ قَلاَّعٌ**»(٣).

الدَّيّوثُ: هو الذي يجمعُ بين الرِّجالِ والنِّساءِ، سمي بذلك لأنه يديثُ بينهم. والقَلاَّعُ: هو السَّاعي الذي يقعُ في النّاسِ عندَ الأمراءِ، سمي بذلك لأنه يأتي الرّجلَ المتمكنَ عندَ الأميرِ فلا يزالُ يقعُ فيهِ حتى يقلعَهُ. وقال بعض الحكماء: السَّاعي بين منزلتينِ قبيحتينِ: إمَّا أنْ يكونَ صدقَ فقدْ خانَ الأمانَةَ، وإمَّا أنْ يكونَ قدْ كذبَ فخالفَ المروءَةَ. وقال بعضُ الحكماءِ: الصّدقُ يزين كلَّ

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٩) والبيهقي في شعب الإيمان (١١١٠٨) عن أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٩٣): «رواه أحمد، وفيه شهر بن حوشب، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحد أسانيده رجال الصحيح».

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢٣٣٧) وعزاه للديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٣٤) والحاكم في المستدرك (١/ ٧٢) عن ابن عمر -رضي الله عنهما دون قوله: «ولا قلاع». قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه...» ووافقه الذهبي.

أحدٍ إلاّ السُّعاة، فإن السَّاعي أذَمُّ، وآثـمُ مـا يكـونُ إذا صَـدَقَ. وقـال بعـضُ البلغاءِ: النَّميمةُ دنـاءَةٌ، والسِّعايةُ رداءَةٌ، وهمـا رأسُ الغـدرِ، وأسـاسُ الـشّرِّ، فَتَجنبْ سُبُلَهُمَا، واجْتَنِبْ أهْلَهُمَا.

قبول السعاية شر منها:

ووقّع الفضل بن سهل على قصة ساعٍ سعى إليهِ: نحنُ نرى قبولَ السِّعايةِ شرًا منها؛ لأَنَّ السِّعايةَ دلالةٌ، والقبولَ إجازةٌ، فاتّقوا السَّاعي، فإنَّهُ إنْ كـانَ في سِعَايتِهِ صادقًا، كانَ في صدقِهِ آثمًا، إذْ لمْ يحفظِ الحُرْمَةَ، ولمْ يسترِ العُورةَ.

وقال الإسكندر لرجلٍ سَعَى إِلَيهِ برجلٍ: أتُحِبُّ أن نقبلَ منك ما تقـولُ فيـهِ على أنْ نقبلَ منهُ ما يقول فيكَ؟ قالَ: لا. قالَ: فَكُـفَّ عـن الـشّرِّ يَكُـفَّ عنـكَ الشّرّ. وَرُوِيَ أنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – أنَّ في بلدِكَ ساعيًا، ولستُ أُمْطِرُكَ وهو في أرضِكَ. فقالَ: يـا رب دُلَّنِـي عليـه حتى أُخرجه. فقال: يا موسى أكرهُ النَّميمَةَ وأنِمُّ.

الظلـم والظالمــون

الظلم مرتعه وخيم:

قال رجل من السلف: «بئس الزاد إلى المعاد ظلـم العبـاد، والظلـم مرتعـه وخيم»[1].

آفة قاتلة:

وقال آخر: «ليس شيء أقرب من تغيير نعمة وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم»[2].

قدرة الله أعظم:

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامل له: «إذا دعتك قدرتك عـلى ظلـم الناس، فاذكر قدرة الله عليك»[3].

(١ – ٣) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

خراب البيوت:

سمع ابن عباس كعب الأحبار يقول: من ظلم خرب بيته فقال: تصديقه في القرآن: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾[1].

حياء:

قال معاوية ﵁: «إنِّي لأستحي أن أظلم مَنْ لا أجد له ناصرًا عليَّ إلا الله»[2].

أبغض الأشياء:

وقال أبو الدرداء ﵁: «إن أبغض الأشياء إليَّ أن أظلم من لم يستعن عليَّ إلا بالله»[3].

خراب القلوب:

وقال علي ﵁: «إياكم والظلم، فإنه يُخرِّب قلوبكم»[4].

هلاك الأمم:

وقال النجاشي: «الملك يبقى مع الكفر، ولا يبقى مع الظلم»[5].

تحذير من الدعاء للظلمة:

وقال يوسف بن أسباط: «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحبَّ أن يعصى الله في أرضه»[6].

اتق دعوة المظلوم:

وقال علي ﵁: «إياك ودعوة المظلوم، فإنَّما سأل الله حقه، وإن الله لايمنع من ذي حق حقه»[7].

شر الناس:

وقال حكيم: «شر الناس من ينصر الظلوم، ويخذل المظلوم»[8].

---

(١) النمل: ٥٢.

(٢،٣) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٤-٨) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار لمحمد بن قاسم.

الظلم والبغي:

وقيل: «الظلم مسلبة للنعم، والبغي مجلبة للنقم» [(١)].

المظلوم منتبه:

وقال شاعر:

لاَ تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فالظُّلْمُ مَصْدَرُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَينَاكَ والمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ الله لَمْ تَنَمِ [(٢)]

اجتماع الخصوم:

وحَقِّ الله إِنَّ الظُّلْمَ لُؤْمٌ وإِنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
إِلى ديَّانِ يَوْم الدِّينِ نَمْضِي وَعِنْد الله تَجْتَمِعُ الخُصُومُ [(٣)]

اجتماع الشر:

وقالوا: «الظلمُ يزل القدم، ويزيلُ النعم، ويجلبُ النقم، ويهلك الأمم» [(٤)].

كراهية:

وقال أحدهم:

وظُلْم ذَوِي القُرْبَى أشدُّ مَضَاضَةً عَلى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهنَّد [(٥)]

علل مانعة:

وقال آخر:

والظُّلْمُ من شِيمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلَعَلَّه لاَ يَظْلِمُ [(٦)]

تعد:

ومن الأمثال السائرة قولهم: «أظلم من حيَّة، لأنها تجيء إلى جحر غيرها فتدخله وتغلبه عليه» [(٧)].

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار لمحمد بن قاسم.
(٢، ٣) المستطرف للأبشيهي.
(٤ - ٧) فرائد القلائد لأبي يعقوب الخوبي.

ستر:

وقولهم: «أظلم من ليلة وهذا من الظلمة وهو من قولهم: أظلم الليل يظلم ظلمة، وهو لغة في أظلم، وأظلم من الليل هو أفعل من الظلم؛ لأنَّه يستر السارق وغيره من أهل الريبة»(١).

مما قيل في الأخلاق

بلاغة وصبر وشجاعة:

قال معاوية -رحمه الله- لعمرو بن العاص ﷺ: «من أبلغ الناس؟ قال: من قلَّ من الإكثار، واقتصر على الإيجاز. قال: فمن أصبر الناس؟ قال: من ترك دنياه في إصلاح دينه. قال: فمن أشجع الناس؟ قال: من ردَّ جهله بحلمه»(٢).

أحسن الكلام:

قيل لبعض الحكماء: «ما أحسن الكلام؟ قال: ما استحسنه سامعه. قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم ما حصلت منافعه. قيل: ثم ماذا ؟ قال: ما لم تذم عواقبه»(٣).

من تهيَّب شيئًا توقاه:

سئل سقراط: ما الإقدام؟ فقال: «استعمال إفراط القوة الغضبية. فقيل له: ما الحامل عليها؟ قال: ترك النفس النظر في العواقب والتهيب لها، فإنَّ من تهيَّب شيئًا توقَّاه»(٤).

أصناف من الناس:

وسئل بعضهم: «من أعدل الناس، وأكيس الناس، وأحمق الناس، وأسعد

---

(١) فرائد القلائد لأبي يعقوب الخوبي.

(٢-٤) لباب الآداب لأسامة بن منقذ.

الناس، وأشقى الناس؟ فقال: أعدل الناس من أنصف من نفسه، وأكيس الناس من أخذ أهبة الأمر قبل نزوله، وأحمق الناس من باع آخرته بدنيا غيره، وأسعد الناس من ختم له في آخرته بخير، وأشقى الناس من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة»(١).

صفات:

وسئل بزرجمهر: ما المروءة؟ قال: «ترك ما لا يعني. قيل له: فما الحزم؟ قال: انتهاز الفرصة. قيل له: فما الحلم؟ قال: العفو عند القدرة. قيل له: فما الشدة؟ قال: ملك الغضب. قيل له: فما الخرق؟ قال: حب مفرط أو بغض مفرط»(٢).

الصمت خير:

وقيل لبعضهم: ما الحزم؟ فقال: «سوء الظن بالناس. قيل: فما الصواب؟ قال: المشورة. قيل: فما الاحتياط؟ قال: الاقتصاد في الحب والبغض. قيل: فما الذي يجمع القلوب على المودَّة؟ قال: كف بذول، وبشر جميل. قيل: فمتى يحمد الكذب؟ قال: إذا جُمع به بين متقاطعين. قيل: فمتى يذم الصدق؟ قال: إذا كان غيبة. قيل: فمتى يكون الصمت خيرًا من النطق؟ قال: عند المراء»(٣).

قدرة باهرة:

قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ: كيفَ يحاسب الله الخلق؟ فقال: «كما يرزقهم. فقيل: كيف يحاسبهم ولا يرونه؟ فقال: كما يرزقهم ولا يرونه، وسأله رجل آخر: أين كان ربُّك قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال: «أين سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان»(٤).



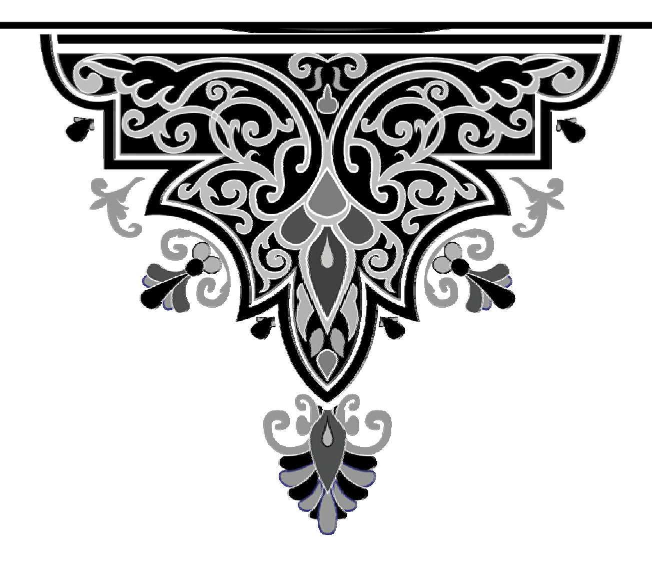
(١-٣) كتاب الآداب لجعفر شمس الخلافة.

(٤) الأمالي للمرتضى.



البَابُ الخَامِسُ

الأخــوة الإيمانيــة



الأمر باختيار الإخوان وانتخاب الأقران والأخدان [١]

انتقاء الإخوان:

رُوِيَ عن النبـي ﷺ أنـه قـال: «**اخْتَـبِرُوا النّـاسَ بـإخْوانِهِمْ؛ فَـإِنَّ الرَّجُـلَ يُخَادِنُ**[٢] **مَنْ يُعْجِبُهُ نَحْوَهُ**»[٣]. وقال مجاهد: إِنِّي لأَنْتَقِـي الإِخْـوانَ كـما أَنتقِـي أطايِبَ الثّمَرِ.

الموتُ خيرٌ من صحبة اللئيم:

قال بعض الشعراء:

امحَــضْ مَوَدَّتَــكَ الْكَــرِيمَ، فَــإِنَّمَا يَرْعَى ذَوِي الأَحْسَابِ كُلُّ كَـرِيمِ

وَإِخَــاءُ أَشْرَافِ الرِّجَــالِ مُــرُوءَةٌ والمُـوْتُ خَـيْرٌ مِـنْ إِخَـاءِ لَئِـيمِ

حلية المرء قرناؤه:

قال يحيى بن أكثم:

وَقَــارِنْ إِذَا قَارَنْــتَ حُــرًّا فَــإِنَّمَا يَـزِينُ وَيُـزْرِي بِـالْفَتَى قُرَنَـاؤُهُ

إِذَا المُــرءُ لَمْ يَخْــتَرْ صَــدِيقًا لِنَفْــسِهِ فَنَادِ بِـهِ فِي النَّـاسِ: هَـذَا جَـزَاؤُهُ

وَرُوِيَ أَنَّ سليمان بن داود -عليهما السلام- قال: لاَ تَحْكمُوا لِلرَّجُلِ بَـشَيءٍ حَتَّى تَنْظُرُوا مَنْ يُخَادِنُ.

بالمرء يميز قرينه:

قال عدي بن زيد العبادي:

عَـنِ المُـرءِ لاَ تَـسْأَلْ، وَأَبْـصِرْ قَرِينَـهُ فَـإِنَّ الْقَــرِينَ بِالْمُقَــارِنِ مُقْتَــدِ

---

(١) الظرف والظرفاء، لأبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشـاء، دار بيـروت للطباعـة والنـشر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ص: ٢٤-٢٨.

(٢) يخادن: يصاحب.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان (٣٨) من كلام عبد الله بن مسعود ﷺ.

إِذَا مَـا رَأَيْـتَ الـشَرَّ يَبْعَـثُ أَهْلَـهُ وَقَـامَ جُنَـاةُ الـشَرِّ لِلـشَّرِّ فَاقْعُـدِ

اختيار الأصحاب:

وقال عتبة بن هبيرة الأسدي:

إِنْ كُنْـتَ تَبْغِـي العِلْـمَ، أَوْ أَهْلَـهُ أَوْ شَـاهِدًا يُخْـبِرُ عَـنْ غَائِـبِ

فَـاخْتَبِرِ الأَرْضَ بِأَسْـمَائِهَا وَاخْتَـبِرِ الـصَّاحِبَ بِالـصَّاحِبِ

لكل شيء دليل:

وقال أبو العتاهية:

مَـنْ ذَا الـذِي يَخْفَـى عَلَيْـ ـكَ، إِذَا نَظَـرْتَ إِلَى قرِينِـهْ

وَعَـلَى الْفَتَـى بِطِبَاعِـهِ سِـمَةٌ(١) تَلُـوحُ عَـلَى جَبِينِـهْ

النهي عن اتباع الهوى:

وأنشد أحمد بن عبيد لأبي محمد اليزيدي:

وَمَـنْ يُـصَاحِبْ صَـاحِبًا يُنْـسَبْ إِلَى مُسْتَـصحِبهْ

بِزَائِنَـاتِ رُشْـدِهِ أَوْ شَـائِنَاتِ رِيبِـهْ

وَرَأْسُ أَمْـرٍ لِامْـرِئٍ خَـيْرٌ لَـهُ مِـنْ ذَنَبِـهْ

وَذُو النّهَـي(٢) لَيْـسَتْ تِبَـا عَـاتُ الهَـوَى مِـنْ أَرَبِـهْ

اختيار المجلس:

وأنشد أبو العباس الشيباني لأبي آمنة جد النبي ﷺ:

وَإِذَا أَتَيْـتَ جَمَاعَـةً فِي مَجْلِـسٍ فَاحْـذَرْ مَجَالِـسَهُمْ، وَلَمَّـا تَقْعُـدِ

وَذَرِ الْغُـوَاةَ(٣) الجَـاهِلِينَ وَجَهْلَهُـمْ وَإِلَى الـذِينَ يُـذَكِّرُونَكَ فَاقْعُـدِ

---

(١) سمة: علامة، من الوسم أثر الكي.

(٢) ذو النهى: صاحب العقل.

(٣) غوى: ضل، والغواة: المضلون.

الوفاء والإخاء:

فَلْيُؤَاخِ الأَدِيبُ أَكْفَاءَهُ، ولْيَصْحَبْ نُظَرَاءَهُ ومَنْ يَأْمَنُ مِنْ غَدْرِهِ، وغِبِّ[١] أَمْرِهِ وبَوَائِقِ[٢] شَرِّهِ. وأنَّى يكونُ ذلكَ ولَنْ يَجْتَمِعَ إِلَّا في أهلِ الحياءِ. فمنهُمْ كَرَمُ الوَفاءِ، وَإِذَا اجتمَعَ الحيَاءُ والوَفَاءُ، صَحَّ الإِخَاءُ.

وقال عبدالله بن طاهر: لا دَوَاءَ لمنْ لا حَيَاءَ لَهُ، ولا حَيَاءَ لِمَنْ لاَ وَفَاءَ له، ولا وفاء لمن لاَ إِخَاءَ لَهُ، ولا إِخَاءَ لمنْ أَرَادَ أَنْ يجمَعَ بينَ أَهْوَاءِ أَخِلاَّئِهِ حَتَّى يُحِبُّوا مَا أَحَبَ وَّيَكْرَهُوا مَا كَرِهَ، وَحَتَّى لاَ يَرَى مِنْ أَحَدٍ خَتَلًا[٣]، وَلَا زَلَلًا، ولا تَفْرِيطًا، ثم أنشد:

طَلَبْتُ امْرَأً حُرًّا صَحِيحًا مُسَلَّمًا ... نَقِيًّا مِنَ الآفَاتِ فِي كُلِّ مَوْسِمِ

لأَمْنَحَهُ وُدِّي، فَلَمْ أُدْرِكِ الذِي ... طَلَبْتُ، وَمَنْ لِي بِالصَّحِيحْ الْمُسَلَّمِ

صَبَرْتُ وَمَنْ يَصْبِرْ يجِدْ غِبّ صَبْرِهِ ... أَلَذَّ وَأَشْهَى مِنْ جَنَى النَّحْلِ فِي الْفَمِ

وَمَنْ لاَ يَطِبْ نَفْسًا وَيَسْتَبق صَاحِبًا ... وَيَغْفِرْ لأَهْلِ الْوُدِّ يَصْرِمْ وَيُصْرَمِ[٤]

عملة نادرة:

وقال: يونس بن عبيد: أَعْيَانِي شَيْئَانِ، أَخٌ في الله، وَدِرْهَمٌ حَلاَلٌ.

وقيل لبعض الحكماءِ: من أبعدُ النّاسِ سَفَرًا؟ فقال: مَنْ كَانَ في طَلَبِ صَدِيقٍ يَرْضَاهُ.

وقال رجل للفضيل بن عياض: أَبْغِنِي[٥] رَجُلًا أحَدِّثَهُ سِرِّي، وآمنُهُ على أمْرِي، فقال: تلك ضَالَّةٌ لا تُوجَدُ .

---

(١) الغبُّ: بكسر الغين: عاقبة الشيء.

(٢) باق: جاء بالشر، والبائقة: الداهية.

(٣) ختله: خدعه.

(٤) صرمه: قطعه، والصرم: القطيعة.

(٥) أبغني: أعني على طلبه.

التسامح وحفظ المودة:

وأنشد المهلبي لنفسه:

الْبَسْ أَخَـاكَ عَـلَى مَـا كَـانَ مِـنْ خُلُـقٍ   وَاحْفَظْ مَوَدَّتَهُ بِالْغَيْبِ مَا وَصَـلاَ
فَـأَطْوَلُ النَّـاسِ غَـمًّا مَـنْ يُرِيـدُ أَخًـا   ذَا خِلَّةٍ[1] لاَ يَـرَى فِي وُدِّهِ خَلَـلاَ

ذنب الصديق مغتفر:

وأنشد أيضًا:

أَقْـسَمْتُ بِـالله لاَ يَنْفَـكُّ مُغْتَفَـرًا   ذَنْبُ الصَّدِيقِ وَإِنْ عَـقَّ، وَإِنْ صَرَمَـا
وَالعُمْرُ يَقْصُرُ عَـنْ هَجْـرٍ وَعَـنْ صِـلَةٍ   وَعَنْ تَجَنٍّ[2] وَعَتْـبٍ يُـورِثُ السَّقَمَا

فَتَرْكُ مصارَمَة الْخِلَّانِ، والتّجاوُزُ عنْ هَفَوَاتِ[3] الإِخْـوَانِ، والاستِكْثَارُ مِـنَ الأَخِـلَّاءِ، وَرَفْـضُ معانَـدَةِ الأعْـدَاءِ، أَوْلَى بأَهْـلِ الأَدَبِ، وذَوِي الْمُـروءَةِ والأَرَبِ، وأهلِ الفضْلِ والحَسَبِ.

مجانبة ذكر العيوب:

وقد حكى الأصمعي قـال: سـمعت أعرابيًـا يقـول لأخٍ لَـهُ: أيْ أُخَـيَّ إِنَّ الصَّديقَ يَحُولُ بِالْجَفَاءِ[4]، وَإِنِّي أَرَاكَ رَطْبَ اللِّسَانِ مِنْ عُيُوبِ أَصْدِقَائِكَ، فَـلاَ تَزِدْهُمْ فِي أَعْدائِكَ. وقال عبدُالله بن الحسن بن عـلي لابنـه ﷺ: إِيَّـاكَ وَعَـدَاوَةَ الرِّجَالِ، فإِنَّهَا لَنْ تُعْدِمَكَ مَكْرَ حَلِيمٍ، أَوْ مُفَاجَأَةَ لَئِيمٍ.

وَرُوِيَ أَنَّ سليمان بن داود قال لابنه: يا بُنَيَّ لاَ تَسْتَكْثِرْ أَنْ يكونَ لَـكَ أَلـفُ صَديقٍ، ولاَ تَسْتَقِلَّ أَنْ يكونَ لَكَ عَدُوٌّ وَاحِدٌ.

---

(١) ذا خلة: الخلة بالكسر: الصداقة، والخلة بالضم الصديق.
(٢) تجنّى عليه: ادّعى ذنبًا لم يفعله.
(٣) هفوات: جمع هفوة وهي الزلل.
(٤) جفا: ثقل، والجفاء: نقيض الصلة.

الإِخوان عماد:

وَرُوِيَ أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

وَأَكْثِرْ مِنَ الإِخْوَانِ مَا اسْطَعْتَ إِنَّهُم عِمَادٌ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورُ
وَلَيْسَ كَثِيرًا أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرُ

محادثة العقلاء:

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسَرَّ إلى ذي اللُّبِ، ولا أحْسَنَ موقِعًا فِي القَلْبِ، من محادَثَةِ الْعُقَلاءِ، ومجالَسَةِ الأُدَبَاءِ؛ فإِنَّ ذلِكَ ممَّا تُفَتَّقُ(١) بِهِ الأَذهانُ، ويَنْفَسِحُ بِهِ الجِنانُ، ويَزيدُ في اللُّبِّ، ويحيا بِهِ القلبُ، كما قال بعض الشعراء:

وَمَا بَقِيت مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا مُحَادَثَةُ الرِّجَالِ ذَوِي الْعُقُولِ
وَقَدْ كُنَّا نَعُدُّهُمْ قَلِيلًا فَقَدْ صَارُوا أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ

وقيل لِلْحُرَقَةِ ابنةُ النعمان: ما كانتْ لَذَّةُ أبيكِ؟ فقالت: إدمانُ الشّرابِ، ومجالسَةُ الرّجالِ.

وقال عمر بن مرة الجهني صاحب رسول الله ﷺ:

وَصَحَوْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَدِّثٍ حَسَنِ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمَا

وقال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص –رضي الله عنهما: ما بقي مِمّا تَسْتَلِذُّهُ؟ فقالَ: مجالسَةُ الرّجالِ.

وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ وعن عِدَّةٍ من الصّحابَةِ –رضي الله عنهم– في الحثِّ على صُحْبَةِ الإخوان، والرَّغْبَةِ في الخِلَّانِ، الكثير من الأحاديث.

(١) فتقه: شقه.

الحثّ على صحبة الإخوان[١]
ومودة الخلان والرغبة في أهل الصلاح والإيمان

انتقاء الإخوان:

رُوِيَ عن أبِي هُرَيرةَ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[٢].

وَرُوِي عن أبِي عمرو العَوْفِيِّ قال: كانَ يقالُ: اصحَبْ منْ إنْ صَحِبْتَهُ زانَكَ، وإنْ خَدَمْتَهُ صَانَكَ، وإنْ أصابَتْكَ خَصَاصَةٌ[٣] مانك[٤]، وإنْ رَأى مِنك حسَنَةً عَدَّهَا، وَإنْ رَأى منكَ سَقْطَةً سَتَرَهَا، ومَنْ إنْ قُلْتَ صَدّقَ قَولَكَ، وإنْ أصَبْتَ سَدّدَ صوابَكَ، ومنْ لا يَأْتِيكَ بالبوائِقِ[٥]، ولا تختلفُ عليكَ منهُ الطّرائِقُ.

وقال الفضل بن غسان البصري: كانَ يُقالُ: اصْحَبْ من يَنسَى معْروفَهُ عِنْدَكَ.

وروي عن معاوية بن قُرَّةَ قال: نظرتُ في المودّةِ والإخَاءِ فلم أجِدْ أثْبَتَ مَوَدَّةً منْ ذِي أَصْلٍ.

الطبع يغلب التطبع:

وأنشدوا لعمر بن عبد العزيز، ولا يعرف له غير هذه الأبيات:

إنِّي لأَمْنَحُ مَنْ يُوَاصِلُنِي ... مِنِّي صَفَاءً لَيْسَ بِالْمَذْقِ[٦]

وَإِذَا أَخٌ لِي حَالَ عَنْ خُلُقٍ ... دَاوَيْتَ مِنْهُ ذَاكَ بِالرِّفْقِ

---

(١) الموشى ص: ٣٠-٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٣٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١) عن أبي هريرة ﷺ. قال الترمذي: «حسن غريب» وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) الخصاصة: الفقر.

(٤) مانك: احتمل قوتك.

(٥) البوائق: الدواهي.

(٦) المذق: الودّ غير الخالص.

وَالْمَــرْءُ يَــصْنَعُ نَفْــسَهُ وَمَتَــى ... مَــا تَبْلُــهُ[1] يَنْــزِعْ إِلَى الْعِــرْقِ

الناس معادن:

ومثله قول زهير بن أبي سلمى:

وَمَــا يَــكُ مِــنْ خَــيْرٍ أَتَــوْهُ فَــإِنَّمَا ... تَوَارَثَــهُ آبَــاءُ آبَــائِهِمْ قَبْــلُ

وَهَــلْ يُنْبِــتُ الْخَطِّــيُّ إِلاَّ وَشِــيجُهُ ... وَتُغْـرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَـا النَّخْـلُ

ومنه قول الآخر:

وَالْابْــنُ يَنْــشُو عَــلَى مَــا كَــانَ وَالِــدُهُ ... إِنَّ الْعُرُوقَ عَلَيْهَا تَنْبُتُ الـشَّجَرُ

معاملة الناس بما يستحقون:

وقال المتوكل الكناني:

عِنْدِي لِـصَالِحِ قَـوْمِي مَا بَقِيتُ لَهُـمْ ... حَمْـدٌ وَذَمٌّ لأَهْـلِ الـذَّمِّ مَعْـدُودُ

أَجْرِي عَلَى سُـنَّةٍ مِـنْ وَالِـدِي سَـبَقَتْ ... وَفِي أَرُومَتـهِ[2] مَـا يَنْبُـتُ الْعُـودُ

كامل المروءة من الإخوان:

وأوصى بعض الحكماء أخًا له فقال: أيْ أُخيّ! آخِ الكَريمَ الصادق الأُخُوّةِ، الكامِلَ المُروءَةِ الذِي إنْ غبتَ خلفَكَ، وإنْ حضرْتَ كنفكَ[3]، وإنْ لقِيَ صديقَكَ استزادَهُ، وإنْ لَقِيَ عدُوَّكَ كَفَّهُ، وإنْ رأيتَهُ ابتهَجْتَ، وإنْ أتيْتَهُ اسْتَرَحْتَ.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إذا رَزَقَكَ الله موَدَّةَ امْرِئٍ مسلمٍ فَتَشَبَّثْ بها.

وكان سفيانُ الثوريّ كثيرًا ما يتمَثَّلُ بهذه الأبيات:

ابْــلُ[4] الرِّجَــالَ إِذَا أَرَدْتَ إِخَــاءَهُمْ ... وَتَوَسَّــمَنَّ إِخَــاءَهُمْ وَتَفَقَّــدِ

---

(١) تبله: تختبره.

(٢) الأرومة: الأصل.

(٣) كنفك: حفظك وصانك وأحاطك.

(٤) ابل: اختبر وامتحن.

فَـإِذَا وَجَـدْتَ أَخَـا الأَمَانَـةِ وَالتُّقَـى ... فِيـهِ الْيَـدَيْنِ قَرِيـرَ عَـيْنٍ فَاشْـدُدِ

كَـمْ مِـنْ صَـدِيقٍ فِي الرَّخَـاءِ مُـسَاعِدٍ ... وَإِذَا أَرَدْتَ حَقِيقَـــةً لَمْ تُوجَـــدِ

ضرورة معرفة الإخوان:

ومثل ذلك قول الآخر:

آخِ مَـــنْ آخَيْـــتَ عَـــنْ خِبْرَتِـــهِ ... لاَ يَغُرَّنـكَ مِـنَ النَّـاسِ الطُّـرَرْ

لاَ وَلاَ الأَجْـــسَامُ مَـــا لَمْ تَـــبْلُهُمْ ... إِنَّـمَا النَّـاسُ كَأَمْثَـالِ الـشَّجَرْ

منـــه مـــا ليـــست لـــه مَنْظَـــرَة ... وهو صَـلْبٌ عُـودُهُ حُلْـوُ الثَّمَـرْ

وتـــرى مِنْـــهُ أَنِيقـــًا نَبْتُـــهُ ... طَعْمُـهُ مُـرٌّ وَفِي الْعُـودِ خَـوَرْ[1]

وقال آخر:

مَـــنْ حَمِـــدَ النَّـــاسَ، وَلَمْ يَـــبْلُهُمْ ... ثُـــمَّ بَلاهَـــمُ ذَمَّ مَـــنْ يَحْمَـــدُ

وَصَـــارَ بِالْوَحْـــدَةِ مُسْتَأْنِـــسًا ... يُوحِـــشُهُ الأَقْـــرَبُ وَالأَبْعَـــدُ

الصفح عن الأصدقاء:

وأنشد محمد بن يزيد المبرد:

وَكُنْـــتُ، إِذَا الـــصَّدِيقُ أَرَادَ غَيْظِـــي ... عَلَى حَنَقٍ[2] وَأَشْرَقَنِـي[3] بِرِيقِـي

غَفَـرْتُ ذُنُوبَـهُ وَكَظَمْـتُ غَيْظِـي ... مَخَافَـةَ أَنْ أَكُـونَ بِـلاَ صَـدِيقِ

كثرة العتب لا تترك صديقًا:

وأنشد بشار بن برد:

أَخُوكَ الَّذِي لاَ يُنْقِصُ الدَّهْرُ عَهْدَهُ ... وَلاَ عِنْدَ صَرْفِ الـدَّهْرِ يَـزْوَرُّ[1] جَانِبُـهْ

---

(١) خور: ضعف.

(٢) الحنق: الغيظ أو شدّته.

(٣) شرق بريقه: غصّ.

فَخُذْ مِنْ أَخِيكَ الْعَفْوَ وَاغْفِرْ ذُنُوبَهُ ... وَلاَ تَـكُ فِي كُـلِّ الأُمُـورِ تُجَانِبُـهْ

إِذَا كُنْـتَ فِي كُـلِّ الأُمُـورِ مُعَاتِبًـا ... صَـدِيقَكَ لَمْ تَلْـقَ الَّـذِي لاَ تُعَاتِبُـهْ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى[2] ... ظَمِئْـتَ وَأَيُّ النَّـاسِ تَـصْفُو مَـشَارِبُهْ

وقال آخر:

وَمَـنْ لاَ يُغَمِّـضْ عَيْنَـهُ عَـنْ صَـدِيقِهِ ... وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُـوَ عَاتِـبُ

وَمَـنْ يَتَبِـعْ جَاهِـدًا كُـلَّ عَثْـرَةٍ ... يَجِدْهَا وَلاَ يَسْلَمْ لَـهُ الـدَّهْرَ صَاحِبُ

وأنشد أحمد بن يحيى لسعيد المساحقي:

فَخُـذْ عَفْـوَ مَـنْ أَحَبَبْـتَ لاَ تُبْرِمَنَّـهُ ... فَعِنْدَ بُلُـوغِ الْعُـذْرِ رِنْـقُ[3] الْمَشَارِبِ

وأجاد والله الذي يقول:

إِذَا مَـا أَذَانِي مَفْـصِلٌ فَقَطَعْتُـهُ ... بَقِيتُ وَمَا لِي لِلنُّهُـوضِ مَفَاصِـلُ

وَلَكِـنْ أُدَاوِيـهِ فَـإِنْ صَـحَّ كَـانَ لِي ... وَإِنْ هُـوَ أَدْوَى كَـانَ فِيـهِ تَحَامُـلُ

ستر عيوب الآخرين:

وَقال رجل من طيئ:

أَرْخِ عَـلَى النَّـاسِ ثَـوْبَ سِـتْرِهِمُ ... أَوَ اجْنِ حُلْـوَ الـثِّمَارِ مِـنْ شَـجَرِهْ

وَاسْـتَبْقِ مَـا لَمْ تُـرِدْ قَطِيعَتَـهُ ... بِـسَتْرِهِ مَـا اسْـتَقَرَّ فِي سَـتَرِهْ

فَـرُبَّ بَـادِي الْجَمِيـلِ مِنْـهُ إِذَا ... فُتِّشَ أَبْدَى التَّفْتِيشُ عَـنْ عَـوَرِهْ

وَاسْتَصْلِحِ النَّـاسِ كَـمَا اسْـتَطَعْتَ وَلاَ ... تُـسْرِعْ إِلَى ضُرِّ مُبْتَغِـي ضَرَرِهْ

وَرُوِي عن ابن عباس –رضي الله عنهما- قـالَ: أَحَـبُّ إخـوانِي إلَيّ أَخٌ إنْ غِبتُ عنه عَذَرَنِي وإنْ جِئتُه قَبلَني. وقِيلَ لخالدِ بن صَفوان: أيّ إخوانِك أوجَبُ

(١) يزورُّ: يميل.

(٢) القذى: ما يقع في الشراب.

(٣) رنق: كدر.

عليكَ حَقًّا؟ فقالَ: الذِي يسدُّ خُلّتي ويغفرُ زلّتي، ويُقِيلُ عَثْرَتِي.

العاقل خيرٌ الإخوان:

وقال مطيع بن إياس:

إِنَّـما صَـاحِبِي الَّـذِي يَغْفِـرُ الـذَّنْبَ ... وَيَكْفِيـهِ مِـنْ أَخِيـهِ أَقَلُّـهْ

لَـيْسَ مَـنْ يُظْهِـرُ الْخَلاَلَـةَ إِفْكًـا[1] ... وَإِذَا قَـالَ خَـالَفَ الْقَـوْلَ فِعْلُـهْ

وَصْـلُهُ لِلـصَّدِيقِ يَـوْمٌ وَيَـوْمٌ ... يُـضْمِرُ الْهَجْـرَ ثُـمَّ يَنْبَـتُّ حَبْلُـهْ

وَأَحَـقُّ الرِّجَـالِ أَنْ يَغْفِـرَ الـذَّنْبَ ... لإِخْوَانِـهِ الْمُـوَفَّرُ عَقْلُـهْ

وفي حديث سهلٍ بن سعد السّاعديّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ**»[2].

الأخ الموافق:

وكتبَ الأحنفُ بن قيس إلى صديقٍ له: أما بعد فإذا قدمَ عليك أخٌ موافقٌ لكَ، فليكنْ منك مكانَ سمعِكَ وبصَرِكَ، فإنَّ الأخَ الموافِقَ أفْضَلُ مِنَ الولَدِ المُخالِفِ.

العجز الحقيقي:

وقال خالد بن صفوان: أعجزُ النّاسِ من قَصَّرَ في طلبِ الإِخوانِ، وأعجز منهُ من ضَيَّعَ منْ ظَفَرَ بِهِ مِنهُمْ.

إخوان الصدق:

وقال عمر بن الخطاب: عليكُمْ بِإِخوانِ الصّدقِ، فاكتسبوهُمْ، فإنّهُمْ زَيْنٌ في الرَّخاءِ وَعُدَّةٌ عندَ البلاءِ.

---

(١) أفك إفكًا: كذب.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان (٢٤) عن سهل بن سعد ﷺ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٩٢٢).

وسئل بعض الحكماءِ: أيُّ الكنوزِ خيرٌ؟ فقال: أما بعد تقوى الله فالأخُ الصّالحُ. واعلم أنَّ خيرَ الإِخوانِ من كانتْ أُخُوّتُهُ ومحبّتُهُ في الله، ولم تكنْ خِلّتُهُ ولا مُؤاخَاتهُ لطمعٍ قليلٍ، ولا لغرضٍ عاجلٍ، وليس شيءٌ بذوي العقول، وأهل الديانات والفضلِ، أفضلَ من إخلاصِ المودّة في الله، ولعمري إن ذلك يَحسُنُ بجميعِ أهلِ المللِ والأديانِ، وهو من أوثقِ عُرَى الإيمان.

صفة المتحابين في الله عز وجل

رُوِيَ عن البراءِ بن عازبٍ أَنَّه قال: كنتُ جالسًا عندَ النبي ﷺ، فقال: «**أَتَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ؟**» قُلْنَا: الصّلاةُ. قالَ: «**إِنَّ الصّلاَةَ لَحَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا**». قلنَا: الزّكاةُ. قالَ: «**وَحَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا**». فذكروا شرائعَ الإِسلامِ، فلمّا رآهُمْ لا يصِيبُونَ قالَ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي الله، وَتُبْغِضَ فِي الله**»[1].

وعن أبي هريرة، قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «**إِن فِي الْجَنَّةِ لَعَمُودًا مِنْ ذَهَبٍ عَلَيهِ مَنَائِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، تُضِيءُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا يُضِيءُ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ فِي أُفُقِ السَّماءِ**»، قُلنا: لمن هذا يا رسول الله؟ قال: «**لِلْمُتَحَابِّينَ فِي الله**»[2]. وروى أبو الأحوص عن عبدِالله بنِ مسعودٍ أنّه قالَ: الإيمانُ أنْ تُحبَّ في الله، وتُبْغِضَ في الله. وقالَ ﷺ: «**الإِيمَانُ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا نَسَبٌ قَرِيبٌ، وَلاَ مَالٌ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله عَزَّ وَجَلَّ**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦) عن البراء بن عازب ﷺ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩٨، ٩٠): «رواه أحمد، وفيه ليث بن أبي سليم وضعفه الأكثر» وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٠): «حسن لغيره».

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥٨٧) وابن أبي الدنيا في الإخوان (١١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان (١٥) من كلام عبد الله بن مسعود ﷺ.

وروى عن ثابتِ البنانِيِّ عن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: كانَ رسول الله ﷺ يُؤَاخِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَطُولُ الليلةُ على أحدِهما حتّى يرى أخاهُ[(١)].
وروى عن جريرِ بنِ عبدِالله البجليِّ قالَ: مَا حَجَبَنِي رسولُ الله ﷺ منذُ أسلمتُ، ولاَ رآنِي إلَّا تبسّمَ في وَجْهِي[(٢)]. وقال عمر بن الخطاب: لِقَاءُ الإِخْوَانِ جَلاَءُ الأَحْزَانِ.

وقال أكثم بن صيفي: لقاءُ الأحبّةِ مسلاةُ الهمِّ.

وكانَ عبدُالله بن مسعود يقولُ لأصحابه: أنتمْ جلاءُ حزَنِي.

وَرُوِي عن أبي أُمَّامَةَ قالَ: مَنْ أعطَى لله، ومنعَ لله، وأحبَّ لله، وأبغضَ لله، فقدْ استكملَ الإيمانَ[(٣)]. وكان الحكماءُ يقولون: إنَّ ما يجبُ للأخِ على أخيهِ مودَّتُهُ بقلبِهِ، وتزيينُهُ بلسانِهِ، ورِفْدُهُ[(٤)] بمالِهِ وتقويمُهُ بأدبِهِ، وحسنُ الذَّبِّ والمدافَعَةِ عنهُ في غَيْبَتِهِ.

الإنصاف شأن الأشراف:

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا:

إِذَا الْمَـرْءُ لَمْ يُنْصِفْ أَخَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ غَائِبًا يومًا، كَمَا هُوَ شَاهِدُهُ

فَلاَ خَيْرَ فِيهِ، فَالْتَمِسْ غَيْرَهُ أَخًا ... كَرِيمًا عَلَى وَصْلِ الْكَرِيمِ تُعَاهِدُهُ

فَإِنْ غِبْتَ يَوْمًا أَوْ شَهِدْتَ فَوَجْهُهُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ أَيْنَمَا كُنْتَ، وَاجِدُهُ

الخلّ المخلص:

وقال أحمد بن يحيى لكثير عزة:

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٠٥٦) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢٢)، ومسلم (٢٤٧٥)، والترمذي (٣٨٢٠، ٣٨٢١)، وابن ماجه (١٥٩)، وأحمد (٤/ ٣٥٩) عن جرير بن عبد الله ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامة ﷺ مرفوعًا، وصححه الألباني.

(٤) الرفد: العطاء والصلة.

وَلَـيْسَ خَلِـيلِي بِـالْمُرَجَّى وَلاَ الَّـذِي إِذَا غَبْـتُ عَنْـهُ بـاعَني بخليـل
وَلَكِــنْ خَلِـيلِي مَــنْ يَـدُوم وفـاؤُهُ وَيَحْفَـظُ سِرِّي عنـد كـل دَخِيـل
وَلَـسْتُ بِـراضٍ مـن خلـيلي بنائـل[١] قليــلٍ، ولا أرضى لــه بقليــلِ

حفظ المودَّة:

وقال بعض الأدباء: أنشدني أعرابي ببلاد نجد:

وَلَـيْسَ خَلِـيلِي بِـالْمُرَجَّى وَلاَ الَّـذِي إِذَا غِبْتُ عَنْهُ كَانَ عَوْنًا مَعَ الدَّهْرِ
وَلَكِــنْ خَلِـيلِي مَــنْ يَـصُونُ مَـوَدَّتِي وَيَحْفَظُنِي إِنْ كَانَ مِـنْ دُونِيَ الْبَحْـرُ

الصداقة علاقة حميمة دائمة:

وقال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي:

تَــوَدُّ عَــدُوِّي، ثُــمَّ تَــزْعُمُ أَنَّنِــي أَوَدُّكَ، إِنَّ الرَّأْسَ عَنْكَ لَعَـازِبُ[٢]
وَلَـيْسَ أَخِــي مَــنْ وَدَّنِي رَأْيَ عَيْنِـهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهْوَ غَائِبُ

وقال يوسف الأعور: أنشدني يعقوب بن السكيت لأوس بن حجر:

وَلَـيْسَ أَخُـوكَ الـدَّائِمُ الْعَهْـد بِالَّـذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى، وَيُرْضِـيكَ مُقْـبِلاَ
وَلَكِـنْ أَخُـوكَ النَّـائِي مَـا كُنْـتَ آمِنًـا وَصَاحِبُكَ الأَدْنَى إِذَا الأَمْرُ أَعْـضَلاَ[٣]

وقال أبو العيناء: أنشدني الجاحظ:

أَخُــوكَ الَّــذِي إِنْ سَرَّكَ الأَمْــرُ سَرَّهُ وَإِنْ غِبْتَ يَوْمًا ظَلَّ وَهُـوَ حَـزِينُ
يُقَــرِّبُ مَــنْ قَرَّبْــتَ مِــنْ ذِي مَــوَدَّةٍ وَيُقْـصِي الَّـذِي أَقْـصَيْتَهُ، وَيُهِــينُ

الملاءمةُ:

(١) النائل: العطاء.
(٢) عازب: بعد وأبعد.
(٣) عضل عليه: ضاق الأمر واشتد.

وأنشد أحمد بن يحيى:

إِذَا أَنْتَ رَافَقْتَ الرِّجَالَ فَكُنْ فَتًى كَأَنَّكَ مَمْلُوكٌ لِكُلِّ رَفِيقِ

وَكَنْ مِثْلَ طَعْمِ الْمَاءِ عَذْبًا وَبَارِدًا عَلَى الْكَبِدِ الرَّى لِكُلِّ صَدِيقِ

واعلمْ أَنَّ أحسنَ ما تألفَ به النّاسُ قلوبَ أَخِلاَّئِهِمْ، وَنَفَوْا بِهِ الضِّغْنَ عن قلوبِ أعدائِهِمْ، البِشْرُ بهِمْ عندَ حضورِهِمْ، والتفقُّدُ لأُمورِهِمْ، وحسنُ البشاشةِ، فذلكَ يُثبتُ المحبةَ والإِخاءَ.

مودة الصديق وقلة الخلاف مع الرفيق(١)

اتفاق القلوب والأرواح:

رُوَى عن أبي الأحوصِ عن عبدِ الله بن مسعودٍ، وعن الوليدِ، عن أبي هريرَةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»(٢).

وقال بعض الشعراء:

إِنَّ الْقُلُوبَ لأَجْنَادٌ مُجَنَّدَةٌ للهِ فِي الأَرْضِ بِالأَهْوَاءِ تَعْتَرِفُ

فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهْوَ مُؤْتَلِفٌ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا فَهْوَ مُخْتَلِفُ

وقال طرفة:

وَإِنَّ امرأً لَمْ يَعْفُ يَوْمًا فُكَاهَةً لِمَنْ لَمْ يَرِدْ سُوءًا بِهَا لَجَهُولُ

تَعَارَفَ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ إِذَا الْتَقَوْا فَمِنْهُمْ عَدُوٌّ يُتَّقَى وَخَلِيلُ

وروى عن واصلٍ مولَى ابنِ عُيَيْنَةَ قالَ: كنتُ مع محمد بن واسعٍ بِمَرْوَ، فأَتَى عطاءُ بن مسلمٍ ومعهُ ابنهُ عثمانُ، فقالَ عطاءُ لمحمد: أيُّ عملٍ في الدُّنيا أفضلُ؟

---

(١) الموشى أو الظرف والظرفاء: ص ٤١-٤٥.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) عن عائشة -رضي الله عنها، ومسلم (٢٦٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٤)، وأحمد (٢/ ٢٩٥) عن أبي هريرة ﷺ.

قالَ: صُحبةُ الأَصْحابِ ومحادَثَةُ الإِخوان، إذا اصْطَحَبُوا علَى الأَمْنِ والتّقَـوى، فَحِينَئِذٍ يَذهَبُ الله بالْخُلْفِ منْ بيَنهِمْ، فَوَاصَلُوا وَتَوَاصلُوا.

وروي عن بِشرِ بن السّرِيِّ قالَ: ليسَ من البرِّ أن تُبغضَ ما أحبَّهُ حَبِيبُكَ.

باب النهي عن الإفراط في حب الصديق

رُوِيَ عنْ بعضِ الحكماءِ أَنَّهُ قالَ: لاَ يُفْـرِط الأريـبُ في محبَّـةِ الـصّديقِ، ولاَ يتجاوَز في عداوَةِ الْعَدُوّ، فإنّهُ لا يدْرِي متى تَنتقِلُ صداقَةُ الصّديق عداوَةً، ولاَ متَى تنتقِلُ عداوَةُ العَدُوِّ صَداقَةً. وحُكِي عن علي بـن أبي طالـب ﷺ أنّـهُ قـال: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا ما عَسَى أنْ يكونَ بَغيضَكَ يَومًا ما، وأبغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا ما عَسَى أنْ يكُونَ حَبِيبَكَ يَومًا ما[1].

وَرُوِي عنْ عمر بن الخطاب ﷺ، أَنَّهُ قالَ: لاَ يكُنْ حُبُّكَ كَلَفًا، وَلاَ بُغْـضُكَ تَلَفًا[2].

ومِنْ أمثالِ أكثَم بن صيفي: الانقِباضُ مِنَ النّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعَـدَاوَةِ وإِفْـرَاطُ الأُنْسِ مَكْسَبَةٌ لِلملاَلِ. قالَ: أَبُو عبيدةَ: يريدُ أنَّ الاقتصادَ أدْنَى إلى السّلامَةِ.

وقال مُطَرِّفِ بنِ الشِّخِّيرِ: الحسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ، وخيْرُ الأمورِ أوْسَطُهَا.

وكانَ يقالُ: لا تهذرْ في منطِقِكَ، ولا تخبر بذاتِ نَفْسِكَ، ولاَ تَغْتَرَّ بِعـدُوِّكَ، ولاَ تُفْرِطُ فِي حُبِّ صَديقِكَ، ولا تَفزَعْ إلى مَنْ لاَ يَرحَمُكَ، ولا تألَفْ من لاَ يُرشِدُكَ، ولا تُبْغِضْ منْ ينَصَحُ لكَ، فَإِنَّ شَرّ الأخلاقِ ملاَلَةُ الصّاحِبِ وتقريبُ المتَباعِدِ.

القسط في الرضا والغضب:

وأنشد أحمد بن يحيى للمقنع الكندي:

وَكُنْ مَعْدِنًا للْحِلْمِ وَاصْفَحْ عَنِ الأَذَى ... فَإِنَّـكَ رَاءٍ مَـا عَلِمـتَ وَسَـامِعُ

وَأَحْبِـبْ، إِذَا أَحْبَبْـتَ، حُبًّـا مُقَارِبًـا ... فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَتَـى أَنْـتَ نَـازِعُ

وَأَبْغِــضْ إِذَا أَبْغَــضْتَ غَــيْرَ مُبَاعِــدٍ ... فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَتَى أَنْـتَ رَاجِـعُ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣٢١) عن علي بن أبي طالب ﷺ موقوفًا.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣٢٢) عن عمر بن الخطاب ﷺ موقوفًا.

الصحبة

مقاسمة الهموم:

١ ـ الصديق الحق هو الذي يخفف عنك آلامك، ويقف معك في وجه العدوان، ويحفظ غيبتك، وترجوه عند الشدائد.

وهذا ما عناه أبو العتاهية بقوله:

صَدِيقي مَنْ يُقَاسِمُنِي هُمُومِي ... ويَرْمِي بالعَدَاوةِ مَنْ رَمَانِي

ويَحْفَظُنِي إذَا مَا غِبْتُ عنهُ ... وأرْجُوه لِنَائِبَةِ الزَّمَانِ

أخوة:

٢ ـ وقالوا: رُبَّ أخٍ لك لمْ تلدْهُ أمُّكَ[(١)].

٣ ـ وقالوا: المرءُ بخليلِهِ[(٢)].

٤ ـ وقال صالح بن عبد القدوس: وينبغي اختيار الأصدقاء، فهم مرآة النفس، ودليل الكفاءة أو الوضاعة.

واختَرْ صديقك واصطفيه تفاخرًا ... إن القرين إلى المقارن ينسبُ

الصديق قوة:

٥ ـ وقالوا في الأصدقاء:

أكثرْ من الصديقِ، فإنَّك بالصديقِ على العدو قادرٌ [(٣)] .

أصحاب المروءة:

٦ ـ لا يستغني المرء عن ذي المروءة، الذي يخفف الآلام، وهذا قول الشاعر:

ولا بدَّ مِنْ شَكْوى إِلى ذِي مُرُوءَةٍ ... يُواسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَتوجَّعُ

(١-٣) مجمع الأمثال للميداني.

صحبة مقيتة:

٧ ـ صحبة الأشرار لا تجلب غير الشر والغدر، فاحذر أن تكون للأشرار صاحبًا، واستمع إلى قول الشاعر:

ومَـنْ يَكُـنِ الغُـرابُ لَـهُ دَلِـيلًا يَمُـرّ بِـهِ عَـلَى جِيَـفِ الكِـلاَبِ

اصطف الأشرف:

٨ ـ وإِذَا صَفَا لَكَ مِـنْ زَمَانِـكَ واحـدٌ فَهُو المُـرادُ فَعِـشْ بِـذَاكَ الوَاحِـدِ

وكفى بصفاء الواحد صحبة، تغنى عن غيره من الناس.

ودادٌ في الغياب:

٩ ـ أخوة الغياب والبعد هي الأخوة الحقة، وهذا ما قاله الشاعر:

وَلَـيْسَ أَخِـى مَـنْ ودَّني رَأْى عَيْنِـهِ ولَكِنْ أَخِى مَنْ وَدَّنِى وَهْوُ غَائِبُ

لا نفع فيه:

١٠ ـ فَنـدلُ الرِّجَـالِ كَنَـدْلِ النَّبـاتِ لا لِلـثِّمَارِ وَلا لِلْحَطَـبِ

معيار اختيار الأصحاب

اختبار الرجال:

قال حكيم: «يُمتحن الرجل في ثلاثة أشياء: عند هواه إذا هوى، وعند غضبه، وعند طمعه إذا طمع».

وقال أبو عمرو بن العلاء: «إذا أردت أن تعرف قدرك عند صديقك فأغضبه، فإن أنصفك في غضبه وإلاّ فاجتنبه».

وقال سفيان الثوري: «وإذا أردت أن تعرف قدرك عند صديقك، فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده».

وقال ابن الرومي:

إِذَا شِـئْتَ أَنْ تَعْـرِفَ أَصْـلَ الفَتَـى أَجِـلْ لَحْـظَ طَرْفِـكَ فِي مَنْظَـرِهْ

فَـإِنْ لَمْ يَـبِنْ لَـكَ فَـانْظُرِ إِلى أَفْعَالِـهِ فَهْـي مِـنْ جَـوْهرِهْ

فَـــإِنْ غَـــابَ عَنْـــكَ بِهـــذَا وذَا فَـــلاَ تَطْلُـــبَنَّ سِـــوَى مَحْـــضَرِهْ
فَـــــإِنَّ المَحـــــاضر سِر الرِّجَــــــا ل بِهَـا يُعْـرَفُ النَّـذْلُ مِـنْ خَـيِّرهْ
بَلَـــــوتُ الرِّجَـــــالَ وأَفْعَـــــالَهُم فَكُـــلٌّ يَعُـــودُ إِلَى عُنْـــصُرِهْ[1]

وقال آخر:

لاَ تَحْمِـــدنَّ امْـــرأً حَتَّـــى تُجرِّبَـــهُ ولا تَذُمَّنَّـــهُ مِـــنْ غَـــيْرِ تَجْرِيـــبِ

فعش واحدًا:

قال ابن وكيع:

مَـــنْ لَمْ يَكُـــنْ مُؤاخِيًـــا إلاّ الَّـــذِي لاَ عَيْبَ فِيهِ عَاشَ فَرْدًا فِي الوَرَى

الحكم على الظاهر:

قال الشاعر:

ارضَ مِــــنَ المَـــــرْءِ فِي مَودَّتِـــــهِ بِـــمَا يُـــؤَدِّي إِلَيْـــكَ ظَـــاهِرُه
مَـــنْ يَكْـــشِف النَّـــاسَ لَمْ يَجِـــدْ أحـــداً تَـــصِحُّ مِـــنْهُم لَـــهُ سَرَائِـــرُهُ

الخِلُ الوفيُ:

قال علقمة بن لبيد العطاردي لابنه: يا بني إذا دعتك نفسك إلى صحبة الرجال، فاصحب مَنْ إنْ صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن عركت به مانك، ومن إنْ قلت صدَّق قولك، وإن صُلت سدَّد صولك، يزاول عنك من رام ونالك، ومن إن مددت يدك يصل مدَّها، وإن بدرت منك ثلمة سدَّها، وإن رأى منك حسنة عدَّها، من إن سألته أعطاك، وإن سكتّ عنه ابتدأك.

ومن إن نزلت بك إحدى ملمَّات الزمان آساك، ومن لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق.

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ـ لابن عبد البر القرطبي.

إغراء وتحذير:

وقال عبدالله بن شدَّاد لابنه: «يا بني إذا آخيت فآخ من يُعدُّ لنوائب الزمان، وعليك بذوي الألباب الـذين ثقفـتهم الآداب، ووثقـتهم الأحـساب، فـإنهم أطيب مُختبر، وأكـرم مُحتـضر، وأعـذب مُعتـصر، واحـذر إخـاء كـل جهـول، وصحبة كل عجول، فإنه لا يغفر الزلة، وإن عرف العلة، سريع غـضبه، عـال لهبه، يرى ما يعطيك غرمًا، وما يأخذ منك غنمًا، فهو يرضيك، ما طمـع فيـك، فإذا يئس من خيرك مال إلى غيرك»[(١)].

صاحب الأخيار:

قال ابن المقفع: «وعلى العاقل أن لا يخادن ولا يـصاحب ولا يجـاور -مـا استطاع- إلاّ ذا فضلٍ في العلم والدين والأخلاق فيأخذ عنه، أو موافقًـا عـلى صلاح ذلك فيؤيّد ما عنده، وإن لم يكن له عليه فضل فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين، ولـيس لـذي الفـضل قريب ولا حميم هو أقرب إليه وأحبُّ ممن وافقـه عـلى صـالح الخـصال فـزاده وثبته»[(٢)].

قال عبد الله بن جعفر لجليس له: «إن لم تجد من صحبة الرجال بُدًّا فعليـك بمن إن صحبته زانك، وإن خفضت لـه صـانك، وإن وعـدك لم يحرمـك، ولم يرفضك، وإن رأى منك حسنة عدَّها، وإن رأى خلّة سدَّها، وإن سـكتَّ عنـه ابتدأك، وإن سألته أعطاك»[(٣)].

وقال منصور الفقيه:

إِذَا جَمَـــعَ الفَتَـــى حَـــسَبًا ودِينـــا فَـــلا تَعْـــدِلْ بِـــهِ أَبَـــدًا قَرِينًـــا

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ.

(٢) الأدب الصغير لابن المقفع.

(٣) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار.

ولا تـسْمَحْ بِحظِّـكَ مِنْـهُ بَـلْ كُـنْ بِحظِّـكَ مِـنْ مَودَّتِـهِ ضَـنِينًا

مودة الأفعال:

وقيل لابن السماك: أي الإخوان أحق ببقاء المودَّة؟ قال: «الوافر دينه، الوافي عقله، الذي لا يَمَلُّك على القرب، ولا ينساك على البعد، إن دنوت منه داناك، وإن بعدت عنه رعاك، وإن استعنت به عَضَّدَك، وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودَّة فعله أكثر من مودّة قوله»(١).

ميثاق الصداقة

الصديق الحق:

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «لا يكون الصديق صديقًا حتى يحفظ صديقه في غيبته وبعد وفاته».

وقيل لعبد الحميد الكاتب: «أيهما أحب إليك أخوك أم صديقك؟ فقال: أحبهما أخي إذا كان صديقي»(٢).

الصبر على الأصدقاء:

قال الشاعر:

إِذَا مَا صَدِيقِي رَابَنِي سُوءُ فِعْلِهِ ولَمْ يَكُ عَمَّا سَاءَنِي بِمَفِيقِ

صَبَرْتُ عَلى أَشْيَاءَ مِنْه تُرِيبنِي مَخَافَةَ أَنْ أَبْقَى بِغَيْرِ صَدِيقِ

شذرات في الصداقة

وأين هذا؟:

قال العتابي لصديق له: «ما أحوجك إلى أخ كريم الأخوة، كامل المروءة، إذا غبت خلفك، وإذا حضرت كنفك، وإذا نكرت عرفك، وإذا جفوت

---

(١) المستطرف للأبشيهي.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي.

لاطفك، وإذا بررت كافأك، وإذا ألقى صديقك استزاده لك، وإن لقى عدوك، كفَّ عنك غرب العادية، وإذا رأيته ابتهجته وإذا باثثته، استرحت»[١].

تشبيهان:

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الرجل بلا صديق، كاليمين بلا شمال» وقيل له: «استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو؟ قال نعم. كما أن تحريق الثوب أهون من نسجه»[٢].

لكل مقام أفعال:

قال بعض السلف: «ابذل لصديقك دَمُكَ ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، ولعدوك عدلك وإنصافك»[٣].

منزلة عالية:

قال العوامي: «الصديق يرتفع عن الإنصاف، ويُجل أيضًا عن الهجران، لأن الإنصاف ينبغي أن يكون عامًّا مع الناس كلهم، وأما الهجران، فالعاقل لا يسرع إليه لعدم الإنصاف، بل يستأني، ويقف ويكظم ويتوقع، ويرى أن العارض في الأمر لا يزال به الأمر الثابت والعرق النابت»[٤].

أخذ لا عطاء:

سمع ابن عطاء رجلًا يقول: أنا في طلب صديق منذ ثلاثين سنة فلا أجده، فقال له: لعلك في طلب صديق تأخذ منه شيئًا، ولو طلبت صديقًا تعطيه شيئًا لوجدت! قال أبو سليمان: «وهذا كلام ظالم: الصديق لا يراد ليُؤخذ منه شيء، أو ليُعطي شيئًا، ولكن ليُسكن إليه، ويُعتمد عليه، ويُستأنس به، ويُستفاد منه، ويُستشار في المُلم، وينهض في المهم، ويتزين به إذا حضر، ويتشوق إليه إذا كان على سفر، والأخذ والإعطاء في عَرضٍ ذلك جاريان على مذهب الجود والكرم

(١-٤) الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي.

بلا حسد، ولا نكد ولا صدد ولا حدد، ولا تلـوم ولا تـلاوم، ولا كُلـوح ولا فتوح، ولا تعريض بنكير ولا نكاية بتغيير»[١].

بئس الصديق...:

قال يحيى بن معاذ: «بئس الصديق صديق تحتـاج معـه إلى المـداراة، وبـئس الصديق صديق تحتاج أن تقول له: اذكرني في دعائك، وبئس الـصديق صـديق يلجئك إلى الاعتذار»[٢].

خير الإخوان:

قال الأحنف: «خـير الإخـوان مـن إذا اسـتغنيت لم يـزدك في المـودة، وإذا احتجت إليه لم ينقصك»[٣].

أخوةُ الفِعال وأخوةُ الأقوالِ

ودُّ لساني:

قال الشاعر:

إذَا كَــانَ وُدُّ المَــرْءِ لَــيْسَ بزَائِـــدٍ ... عَلَى «مَرْحَبًا» أوكَيْـفَ أَنْـتَ وحَالُكـا

ولَمْ يَـــكُ إلاّ كَـــاشِرًا أَوْ مُحـــدِّثًا ... فــأفٍ لِــوُدٍّ لــيْسَ إلاّ كَــذَلِكَا

لِــسَانُكَ مَعْــسُولٌ ونَفْــسُكَ بَــشَّة ... وعَنِد الثُّرَيَّا مِنْ صَـدِيقِكَ مَالِكَـا

وأنْـــتَ إِذَا هَمَّـــت يَمِينُـــكَ مَـــرةً ... لِتَفْعَـلَ خَـيْرًا، قَاتَلَتْهَـا شِــمَالُكَا

وقال الشاعر:

وإنَّ مِـــنْ الإِخْـــوَانِ إخْـــوَانَ كَثْـــرَةٍ ... وإخْوَانَ «حَيَّـا الله» أهـلا و«مَرْحَبَـا»

وإخوانَ «كَيْفَ الحَالُ والأَهْـلُ كُلُـه»؟ ... وذَلِـكَ لاَ يَـسْوى نَقِـيرا مُتَرَّبَـا

جَـــوادٌ إِذَا اسْـــتَغْنَيْتَ عَنْـــهُ بِمَالِـــهِ ... يَقُولُ: إليَّ القَرْضَ، والقَـرْضُ فَاطْلُبَـا

(١،٢) الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي.

(٣) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

فإنْ أَنْتَ حَاوَلْتَ الَّذِي خَلَفْ ظَهْرِهِ وجَدْتَ الثُّرَيا مِنْه فِي البُعْدِ أَقْرَبَا

الصديق الوحيد:

قال حسان:

أَخِلاَّءُ الرَّخَاءِ هُمُ كَثِيرٌ ولَكِنْ فِي البَلاَءِ هُمُ قَلِيلُ

فَلاَ يَغْرُرْكَ خُلَّةُ مَنْ تُؤاخِي فما لك عِنْدَ نَائِبَةٍ خَلِيلُ

وكُلُّ أَخٍ يَقُولُ أَنَا وَفِيٌّ وَلَكِنْ لَيْسَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ

سِوَى خِلٍّ لَهُ حَسَبٌ ودِينٌ فَذَاك لِمَا يَقُولُ هُو الفَعُولُ(١)

ضرورة الشكوى:

شكَوْتُ ومَا الشكوىَ لمثِلِي عادةٌ ولكنْ تفيضُ الكأسُ عندَ امتلائِهَا

القدوة الصالحة:

فتشبَّهُوا إنْ لَمْ تكونُوا مِثْلَهُمْ إنَّ التَّشَبُّهَ بالرِّجَالِ فلاحُ

مشاورة الإخوان نافعة:

الرَّأْيُ كَالليلِ مُسْوَدٌّ جوانحُه والليلُ لاَ يَنْجَلِي إلاَّ بإصبَاحِ

فاضْمُمْ مصْابِيح آراءِ الرجَالِ إلى مِصْبَاحِ رأيك تَزدَدْ ضوءَ مِصْبَاحِ

الحرص على الإخوان:

وإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زمانِكَ واحدٌ فَهُو المُرادُ فَعِشْ بذاكَ الوَاحِدِ

أصحاب الشر:

واحْذَرْ مُقَارنةَ اللئيمِ وإنْ عَلاَ فالمَرءُ يُفْسِدُهُ القَرِينُ الأَحْقَرُ

المـروءة

قال الحسن: لا دين إلا بمروءة(٢).

---

(١) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي ـ الطبعة الأولى ـ ١٣١٨هـ المطبعة الأدبية بمصر.

(٢) روضة العقلاء لابن حبان البستي.

مروءة السفر ومروءة الحضر:

وقال ربيعة: «المروءة مروءتان: فللسفر مروءة، وللحضر مروءة، فأما مروءة السفر، فبذل الزاد، وقلة الخلاف على الأصحاب، وكثرة المزاح في غير مساخط الله، وأما مروءة الحضر، فالإدمان إلى المساجد، وكثرة الإخوان في الله، وقراءة القرآن»[١].

عطاءٌ وترفّع:

وسئل أعرابي عن المروءة فقال: «أن لا يمر بك أحد إلاّ ناله رفدك، ولا تمر بأحد إلاّ رفعت نفسك عن رفده»[٢].

رقة المروءة:

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما وجدت لئيمًا إلاّ وجدته رقيق المروءة».

وسأل ابن زياد رجلاً من الدهاقين: ما المروءة فيكم؟ فقال: أربع خصال أولاهن: أن يعتزل الرجل الذنب؛ فإنه إذا كان مذنبًا كان ذليلًا ولم تكن له مروءة، والثانية: أن يصلح ماله ولا يفسده؛ فإنه من أفسد ماله احتاج إلى الناس فلا مروءة له، والثالثة: أن يقوم لأهله فيما يحتاجون إليه، فإنّ من احتاج أهله إلى الناس فلا مروءة له، والرابعة: أن ينظر إلى ما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه ولا يتناول ما لا يوافقه»[٣].

المروءة والعفو:

رُفعَ إلى عمر رضي الله عنه رجلٌ في جُرْمٍ، فأراد أن يعاقبه، فأُخبر أن له مروءة، فقال: «استوهبوه من صاحبه»[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢،٣) المخلاة للعاملي.

(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر.

المروءة حسن التصرف:

وسئل ابن عمر عن المروءة فقال: «حفـظ الرجـل نفـسه، وإحـرازه دينـه، وحسن قيامه بصنعته، وحسن المنازعة، وإفشاء السلام»[١].

وقيل لبعض الحكماء: متى يجب لذي المروءة إخفاء نفسه وإظهارها؟ قـال: «على قدر ما يرى من نفاق المروءة وكسادها»[٢].

الإنصاف والإحسان:

سئل سفيان بن عيينة عن المروءة: ما هي؟ فقال: «الإنـصاف مـن نفـسك، والتفضل على غيرك، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[٣] لا تتم المروءة إلا بهما، فالعدل هو الإنصاف والإحسان هو التفضل»[٤].

الرجل التام المروءة:

روي عن الفضيل بن عياض أنه سئل عـن الرجـل الكامـل التـام المـروءة فقال: «الكامل من بَرَّ والديه، ووصل رحمه، وأكـرم إخوانـه، وحَـسّنَ خُلقـه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحَسُنَ لِسَانُه، ولَزِمَ بِيتَه»[٥].

المروءة من الدين:

قال جعفر بن محمد: «لا دين لمن لا مروءة له»[٦].

أمارات المروءة:

قال ميمـون بـن ميمـون: «أوَّل المـروءة طلاقـة الوجـه، والثـاني: التـودد، والثالث: قضاء الحوائج»[٧].

المروءة عطاء وعفو:

قال معاوية لقرشي: «ما المروءة؟ قال: إطعام الطعام، وضرب الهام. وقـال لثقفي: ما المروءة؟ فقال: هي تقوى الله، وإصلاح المعيـشة. فقـال لعمـرو بـن

(١، ٢، ٤، ٦) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٣) النحل: ٩٠.

(٧) عيون الأخبار لابن قتيبة.

العاص : اقضِ بينهما. فقال: أما ما قال القرشي فهو المروءة، وقد أجاد الثقفي ولم يصب، ولكن من بدأ بكلام حسن زين بذلك سائر كلامه، وإن المروءة أن تعطي من حرمك، وأن تعفو عمن ظلمك»[1].

المروءة اتباع المنهج:

وقال عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما: «المروءة أن تحقق التوحيد، وتركب المنهج السديد، وتستدعي من الله المزيد»[2].

شرائط المروءة:

قال بعض البلغاء: «من أشراط المروءة أن يتعفف عن الحرام، ويتصلف عن الآثام، وينصف في الحكم، ويكف عن الظلم، ولا يطمع فيما لا يستحق، ولا يستطيل على من لا يسترق، ولا يعين قويًا على ضعيف، ولا يُؤثر دنيا على شريف، ولا يُسِرَّ ما لا يعقبه الوزر والإثم، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم»[3].

الأجمل:

وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة؟ فقال: «العقل يأمرك بالأنفع، والمروءة تأمرك بالأجمل»[4].

العفة والحرفة:

وسأل معاوية ﷺ المغيرة عن المروءة فقال: «هي العفة عمَّا حرَّم الله، والحرفة فيما أحلَّ الله»[5].

المروءة كدح واجتهاد:

قال الشاعر:

إِنَّ المُرُوءة لَيْس يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ   وَرِثَ المَكَارِمَ عَنْ أبٍ فَأَضَاعَهَا

أَمَرَتْهُ نَفْسُه بِالدَّنَاءةِ والخَنَا   وَنَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ العُلاَ فَأَطَاعَهَا

(١، ٢) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٣–٥) أدب الدنيا والدين للماوردي.

فَــإِذَا أَصَــابَ مِــنَ المَكَــارِمِ خلَّــة يَبْنِى الكَرِيمُ بِهَا المَكَارِمَ بَاعَهَـا[١]

المروءة تشييد وعفة:

وقال الحسين بن أحمد البغدادي:

لَـيْسَ الكَـرِيمُ بِمَـنْ يُـدَنِّسُ عِرْضَـهُ ويَرَى مُرُوءَتَه تَكُونُ بِمَـنْ مَـضَى

حَتَّــى يُــشِيدَ بِنَــاءَهُ بِبَنَانِــهِ وَيَزِينُ صَالِحَ مَا أَتَوْه بِـمَا أَتَـى[٢]

من المروءة ترك الوشاية والسعاية

شر الوشاة:

قال المأمون لأولاده: «يا بَنِيَّ نزهوا أقداركم، وطهروا أحسابكم عن دنس الوشاة وتمويه سعايتهم، فكل جان يده في فِيِه، وليس يشى إليكم إلا أحد رجلين: ثقة وظنين أما الثقة فقد قيل: إنه لا يبلغ، ولا يشين بالوشاية قدره، وأما الظنين: فأهل أن يتهم صدقه ويكذب ظنَّه، ويرد باطله، وما سعى رجل برجل إليَّ قط إلاّ انحط من قدره عندي ما لا يتلافاه أبدًا، فلا تعطوا الوشاة أمانيهم فيمن يشون بهم، فقد قال بعض الملوك لرجل سعى بآخر: لو كنت أنت أنا ما كنت صانعًا به؟ قال: كنت أقتله فقال: أما إذا لم تكن أنت فإنِيِّ غير قاتله، ومع ذلك فلا تدعوا الفحص عما يلقى إليكم مما تحذرون رجوع ضرره عليكم»[٣].

مخالفة الوشاة:

قال الشاعر:

ومَــنْ يُطِـعِ الوَاشِــينَ لاَ يَتْرُكُـوا لَــهُ صَــدِيقًا وإنْ كَــانَ الحَبِيــبُ المُقَرَّبَــا

وقال آخر:

إِذا الـــوَاشِي نَعَـــى يَوْمًـــا صَـــدِيقًا فَــلاَ تَــدَعِ الــصَّدِيقَ لِقَــوْلِ وَاشٍ

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي.

(٢) روضة العقلاء للبستي.

(٣) المحاسن والمساوئ ـ إبراهيم بن محمد البيهقي ـ ط١ ـ ١٣٨ دار بيروت للطباعة والنشر.

قال أبو دهبل الجمحي:

وقَـدْ قَطَـعَ الوَاشُـونَ مَـا كَـانَ بَيْنَنَـا وَنَحْـنُ إِلى أَنْ يُوصَـلِ الحَبْـلُ أَحْـوَجُ
رَأَوْا عَــورَة فَاسْــتَقْبَلُوهَا بِــأَلْبِّهِمْ فَرَاحُـوا عَـلَى مَـا لاَ نُحِـبُّ وأَدْلجُـوا
وكَـانُوا أُنَاسـا كُنْـتُ آمـنُ غَيْـبَهُم فَلَـمْ يَـنْهَهُم حِلْـمٌ ولَمْ يَتَحرَّجُـوا

وقال بشار بن برد:

تَـشْتَهِي قُرْبَـكَ الربَـابُ وتَخْـشَى عَـينَ وَاشٍ وتَتَّقِـي أَسْـمَاعَهْ
أَنْـتَ مِـنْ قَلْبِهَـا مَحَـلُ شَرَابٍ تَـشْتَهِي شُرْبَـه وتَخْشَى صُـدَاعَهْ

مقت السعاة:

قال ذو الرياستين: «قبـول الـسعاية شر مـن الـسعاية، لأن الـسعاية دلالـة والقبول إجازة، وليس من دلَّ على شيءٍ كمن قَبِلَ وأجاز، فامقت الساعي على سعايته وإن كان صادقًا للؤمه في هتك العورة، وإضاعة الحرمة، وعاقبه إن كان كاذبًا لجمعه بـين هتـك العـورة وإضـاعة الحرمـة مبـارزةً الله بقـول البهتـان والزور»[1].

وقال ابن المعتز بالله: «النمام جسر الشر».

رفض السعاية:

رفع رجل إلى السفاح سعاية على عامل، فوقَّع فيها: «هذه نصيحة لم يرد بها ما عند الله ونحن لا نقبل قول من آثرنا على الله».

من سعى إليك سعى عليك[2].

الأخلاء والنهي عن مفاكهة السفهاء[1]

(١) كتاب عيون الأخبار ـ لابن قتيبة.
(٢) المقتطف من أزاهر الطرف ـ لابن سعيد الأندلسي ـ مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٨ع ٨٣م.

اعلمْ أنَّ مِنْ زَيِّ الأُدَباءِ، وأهلِ المعرفةِ والعقلاءِ، وَذَوِي المروءَةِ والظّرفَـاءِ، قِلّةَ الكلامِ في غيرِ أَرَبٍ[٢]، والتّجالُلَ[٣] عن المداعَبَةِ واللعبِ، وتـركَ التّبـذّلِ بالسّخافَةِ والصيّاحة بالفُكاهَةِ والمـزاحِ، لأَنَّ كثـرةَ المـزاحِ يُـذِلُّ الْمـرءَ، وَيـضَعُ القدرَ، ويزيلُ المروءةَ، ويفسدُ الأخوّةَ ويجرِّئُ على الشّريفِ الحـرِّ أهـلَ الـدّناءةِ والشرّ. وقد أخبرنِي أحمدُ بن عبيد قال: أخبرني الأصمعيّ عن رجلٍ من العرب قال: خرجْتُ في بعض ليالي الظّلم، فإذا أنا بجارية كأنها صـنمٌ، فراودتهـا عـن نفسها، فقالتْ: يا هذا أما لكَ زاجرٌ من عقلٍ، إذا لم يكنْ لكَ واعظٌ من ديـنٍ؟ قلتُ: والله ما يرانا إلا الكواكبُ. قالتْ: يا هذا فـأينَ مُكَوْكِبُهَـا؟ فقلـتُ: إنـما كنتُ أمزحُ. فقالت:

فَإِيَّـاكَ، إِيَّـاكَ الْمِـزَاحَ، فَإِنَّـهُ يُجَـرِّي عَلَيْكَ الطِّفْلَ وَالدَّنِسَ النَّـذْلا[٤]
وَيُذْهِبُ مَـاءَ الْوَجْـهِ بَعْـدَ وَضَـاتِهِ[٥] وَيُـورِثُ بَعْـدَ الْعِـزِّ صَـاحِبَهُ ذُلاَّ

وقال سليمان بـن داود– علـيهما الـسلام: المـزاحُ يـسْتَخِفُّ فـؤادَ الحلـيمِ، ويذهَبُ ببهاءِ ذي الْقُدْرَةِ.

المزاح بذر العداوة:

وقال عمر بن الخطـاب رضي الله عنه: مـن أكثـرَ مـن شيءٍ عُـرِفَ بـه، ومـن مـازحَ استُخِفَّ بِهِ، ومنْ كُثرَ ضَحِكُهُ ذهَبَتْ هَيْبَتُهُ. وكان يقول: لكلّ شيءٍ بذرٌ وبـذرُ العداوةِ المزاحُ. وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله: امنعُوا النّاسَ مـنَ المـزاحِ، فإنّه يُذهبُ المروءةَ ويُوغِرُ[٦] الصّدرَ.

مفتاح باب العداوة:

---

(١) الموشى ص: ٢١-٣٧.
(٢) في غير أرب: في غير حاجة.
(٣) التجالل: التعاظم.
(٤) النذل: الخسيس من الناس.
(٥) وضاته: الحسن والنظافة.
(٦) الوغر: الحقد والضغن والعداوة.

وقال بعض الشعراء:

مَــــازِحْ أَخَـــاكَ إِذَا أَرَدْتَ مِزَاحَـــا وَتَـوَقَّ مِنْـهُ فِي الْمِـزَاحِ جِمَاحَـا[1]

فَلَـــرُبَّمَا مَـــزَحَ الـــصَّدِيقُ بِمَزْحَـــةٍ كَانَـتْ لِبَـابِ عَـدَاوَةٍ مِفْتَاحَـا

وقال عمر بن عبد العزيز: امتنعوا من المزاح تسلمْ لكمُ الأعراضُ.

السباب الأصغر:

قال بعضُ الحكماءِ: الخصومةُ تُمْرِضُ القلوبَ وتُثَبِّتُ فيها النّفـاقَ، والمـزاحُ يَذهَبُ ببهاءِ العزِّ.

وحدثني الباغندي قال: حدثنا الحميدي عن سفيان عن ابن المنكـدر قـال: قالتْ لي أمّي: يا بني لا تمازحِ الصّبيانَ فتهونَ عليهمْ، وقدْ كانتْ أدركتِ النبيّ ﷺ. وأوصى يعلَى بنُ مُنَبِّهٍ بنيهِ فقالَ: يا بَنِيّ، إيّاكُم والمزاحَ فإنْهُ يذهبُ بالبهـاءِ، ويُعْقِبُ النّدامَةَ، ويُزْرِي بِالْمُروءَةِ.

خلقان لا أرضاهما:

وقال مسعرُ بن كِدامٍ الهلالي لابنه:

وَلَقَـدْ مَنَحْتُـكَ يَـا كِـدَامُ نَـصيحَتِي فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبٍ عَلَيْـكَ شَـفِيقِ

أَمَّـــا الْمُزَاحَـــةُ وَالْمِـــرَاءُ فَـــدَعْهُما خُلُقَـانِ لاَ أَرْضَـاهُمَا لِـصَدِيقِ

إِنِّي بَلَـــوْتُهُمَا فَلَـــمْ أَحْمَـــدْهُمَا لِمُجَـاوِرٍ جَاوَرْتُـهُ وَرَفِيـقِ

وكان سعيدُ بن العاصِ يقـولُ: لا تمـازِحَنَّ الـشريفَ فَيَحْقِـدَ عليـكَ، ولاَ الدَّنيءَ فَيَجْتَرِئَ عليكَ. وقدْ تواترتْ بالنهيِ عن ذلكَ الأخبارُ، وتكاثفَتْ فيـهِ الأشعارُ، ولعمري إنَّ تركَ ما نَهى عنهُ ذوُو الأدبِ، من المداعبةِ واللّعـبِ، أوْلَى بذي النّهيةِ[2] والأربِ[3]. وقد يجبُ على العاقـلِ الأديـبِ أنْ ينتقـيَ إخوانَـهُ،

(١) جماحا: الجموح: الرجل يركب هواه.

(٢) النهية: العقل.

(٣) الأريب: العاقل.

ويتخيرَ أخدانهُ، ويفتشَ عن الأصحاب، ويُجالسَ ذوي الألبابِ، ويستخلصَ أهلَ الفضلِ، وأهلَ المروءاتِ والعقلِ، فإنّها محنةُ الأدباءِ، وفراسَةُ العلماءِ، وإنما يَعرفُ الرَّجلُ بأشكالِهِ، ويقاسُ بأمثالِهِ، ويُوسمُ بأخدانِهِ، ويُنسبُ إلى أقرانِهِ. وقد شرحتُ في ذلكَ جملةً من الآثارِ، وما روي فيه من النّتفِ والأخبارِ، فقفْ عليهِ يَبِنْ لكَ ما فيهِ، إنْ شاءِ الله تعالى.

المزاح والضحك مدحًا وذمًّا

غالب ومغلوب:

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «لا يكون المزاح إلاّ من سخف أو بطر. والمزاح يبدي المهانة، ويذهب المهابة والغالب فيه واتر، والمغلوب ثائر»(١).

توسط:

وقال سعيد بن العاص لابنه: «اقتصد في مزاحك؛ فالإفراط به يذهب البهاء ويُجرِّئ عليك السفهاء، وتركه يقبض المؤانسين، ويوحش المخالطين»(٢).

وقال خالد بن صفوان: «لا بأس بالمفاكهة تخرج الرجل من حال العبوس».

وقال رجل لابن عيينة، المزاح سبة؟ فقال: «بل سنة لمن يحسنه»(٣).

حقد الشرفاء واجتراء اللؤماء:

قال عبدالله بن حبيب: «لا تمازح الشريف، فيحقد عليك، ولا تمازح الوضيع فيجترئ عليك»(٤).

وقال حكيم: «لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح»(٥).

(١-٣) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.

(٤) روضة العقلاء لأبي حاتم البستي.

(٥) المستطرف للأبشيهي.

بداية التمزق:

قال أبو حاتم: «المزاح في غير طاعة الله مسلبة للبهاء، مقطعة للصداقة، يورث الضغن، وينبت الغل، وإنَّما سمي المزاح مزاحًا لأنه زاح عن الحق. وكم من افتراق بين أخوين وهجران بين متآلفين، كان أول ذلك المزاح»[1].

وقال الشاعر:

شَرُّ مِـــزَاحِ المَـــرْءِ لاَ يُقَـــالُ ... وخَـيْرُهُ يَـا صَـاحِ لاَ يُنَـالُ

وَقَـدْ يُقَـالُ كَثْـرَةُ المِـزَاحِ ... مِـنَ الفَتَـى تَـدْعُو إِلى التَلاَحِـي

إنَّ المِـزَاحَ بَـدْؤُه حَـلاَوَهْ ... لَكِـنَّمَا آخِـرُه عَـدَاوَهْ

يَحْتَـدُّ مِنْـهُ الرَّجُـلُ الـشَّرِيفُ ... ويَجْـتَرئ بِـسَخَفِهِ الـسَّخِيفُ[2]

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «اتقوا المزاح، فإنَّه حمقةٌ تُورثُ ضغينةً»[3].

قال بعض الحكماء: «إنَّما المزاح سباب، إلا أن صاحبه يضحك»[4].

وقيل إنما سمي المزاح مزاحًا لأنه يزيح عن الحق[5].

وفي منثور الحكمة: «من كثر مزاحه زالت هيبته، ومن كثر خلافه طابت غيبته»[6].

وقال: حكيم: «المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب»[7].

كراهية الغلو في المزاح لذوي الألباب الصحاح

مقدمة العطب:

قال ابن وكيع القيسي:

لاَ تَمْـزَحنَّ فـإِنْ مَزحْـتَ فَـلا تَكُـنْ ... مَزِحَا تُضَافُ بِهِ إِلى سُـوءِ الأَدَبْ

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان البستي.

(٢-٧) أدب الدنيا والدين للماوردي.

واحْــــذَرْ مُمَازَحَــــةً تَقُــــودُ عَــــدَاوَةً ... إنَّ المِزَاحَ عَلى مُقَدِّمَةِ العَطَـبْ[(١)]

ملح الطعام:

وقال أبو الفتح البستي:

أَفِـدْ طَبْعَـك المَكْـدُودَ بـالهَمِّ رَاحَـةً ... بِـرَاحٍ وعلّلْـهُ بِـشَيءٍ مـنَ المَـزْحِ

ولكِــنْ إذَا أَعْطَيْتَــه المَــزْحَ فَلْــيَكُنْ ... بِمَقْدَارِ مَا تُعطِي الطَّعَامَ مِن المِلْحِ[(٢)]

بوادر الطيش:

وقال آخر:

لاَ تُــــورِدَنَّ عَــــلَى الــــصَّدِيـ ... ــق مِــنَ الدُّعَابَــةِ مَــا يَغُمُّــهْ

واحْــــذَرْ بَــــوَادِرَ طَيْــــشِهِ ... يَوْمًــا إِذَا مَــا غَــابَ حِلْمُــهْ

فَالعِجْــــلُ تَنْطَحُــــهُ عَــــلَى ... إدْمَــانِ مَــصِّ الـضِّرْعِ أُمُّــهْ[(٣)]

باب العداوة:

قال أبو هفان:

مَــازِحْ صَــدِيقَكَ مَــا أَحَــبَّ مِزَاحَــا ... وتــوقَّ مِنْــه فِي المِــزَاحِ جِمَاحَــا

فَلَــرُبَّمَا مَــزَحَ الــصَّدِيقُ بِمَزْحَــةٍ ... كَانَتْ لِبَـابِ عَـدَاوةٍ مِفْتَاحًـا[(٤)]

داء الصمت خير من داء الكلام:

وقال أبو نواس:

خَــــلِّ جَنْبَيْــــكَ لِــــرَامِ ... وامْــــضِ عَنْــــه بِــــسَلامِ

مُــــتْ بِــــدَاءِ الــــصَّمْتِ خَــــيْرٌ ... لَــــكَ مِــــنْ دَاءِ الكَــــلاَمِ

رُبَّــــمَا اسْــــتَفْتَحْتَ بِــــالمَزْحِ ... مَغَــــالِيقَ الحِــــمَامِ

رُبَّ مَــــزْحٍ سَــــاقَ آ ... جَــــالَ قِيَــــامٍ ونِيَــــامِ

إِنَّمَــــا الــــسَّالِكُ مَــــنْ أَلْـــ ... ـــجَمَ فَــــاهُ بِلِجَــــامِ

(١-٣) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٤) الزهرة لأبي بكر الأصبهاني.

فَـــالْبَس النَّـــاسَ عَـــلى الـــصّـ ـــــحَّةِ مِـــنْهُم والـــسَّقَام
وَعَلَيْــــــكَ القَـــــصْدُ إنَّ القَــصْدَ أَبْقَــى لِلْجِـــمَامِ(١)

المزح سقوط:

وقال آخر:

الكِــــبْرُ ذُلٌّ والتَّوَاضُـــعُ رِفْعَـــةٌ والمُـزْحُ والـضَّحِكُ الكَثِـيرُ سُـقُوط
والحِــــرْصُ ذُلٌّ والقَنَاعَـــةُ عِـــزَّةٌ واليَأْسُ مِن صُنْعِ الإِلـهِ قُنُـوطُ(٢)

من لم يعاتب على الزلة فليس بحافظ للخلة

التجني على المُقِر اعتداء:

قال بعض الشعراء:

يَـا أَخِـي كَـمْ يَكُـونُ هـذا الجَفَـاءُ كَـمْ تَـشَقَّى بِهَجْـرِك الأَعْـدَاءُ
صَـــارَ ذَا الهُجْـــر لِي غِـــذاءً ولكِـــنْ رُبَّـــما أَتْلَـــف الـسَّقِيم الغِـذَاءُ
سَـــيِّدِي أَنْـــتَ أَيـــن ذَاك الـــصَّفَاءُ أَيْـــنَ ذَاك الهَـــوَى وذَاكَ الوَفَـــاءُ
أَنْـــتَ ذَاك الأَخُ القَـــدِيمُ ولَكِـــنْ لَـيْسَ هَـذَا الإِخَـاءُ ذَاك الإِخَـاءُ
لِي ذُنُـــوبٌ ولَـــسْتُ أُنكـــرُ فـــاغْفرْ فـالتَّجَنِّي عَـلَى المُقِـر اعْتِـدَاءُ
لِي حُقُـــوقٌ أَيْـــضًا عَلَيْـــك ولَكِـــنْ ذِكْـرُ مِـثْلِي لِمِثْـلِ هَـذَا جَفَـاءْ(٣)

عتاب لا يُملُّ:

وقال آخر:

ولَـيْسَ عَـيْشٌ كَوَصْـلٍ بَعْـدَ هَجْـرٍ ولاَ شَيءٌ أَلَـــذّ مِـــنَ العِتَـــابِ
تَوافَـــقَ عَاشِـــقَانِ عَـــلى ارْتِقَـــابٍ أَرَاد الوَصْـل مِـنْ بَعْـدِ اجْتِنَـابِ

(١) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.
(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر.
(٣) الزهرة لأبي بكر الأصبهاني.

فَــلا هَـــذَا يَمَـــلُّ عِتَـــابَ هَـــذَا ولاَ هَـذَا يَمَـلُّ مِـن الجَـوابِ[(١)]

قتل مريح:

قال حسين بن الضحاك:

أَمَــا نَاجَــاكَ بِــالنَّظَرِ الــصَّحِيحِ وأَنَّ إِلَيْـكَ مِـن قَلْـبٍ قَـرِيحِ
فَلَيْتَــكَ حِــينَ تَهْجُــرهُ ضِرَارًا تَمُــنُّ عَلَيْــهِ بِالقَتْــلِ المُــرِيحِ
بِحُـسْنِكَ كَـانَ أَولُ حُـسْنِ ظَنِّـي ومَـا يَنْهَـاكَ حُسْنُكَ عَنْ قَبِيحِ
وَمَــا تَنْفَــكُّ مــتَّهِمَا لِنُــصْحِي بِنَفْسِي نَفْسُ مُـتَّهِمٍ نَـصِيحِ[(٢)]

العَوْد أبقى وأحمد:

قال أبو الأسود الدؤلي:

أَعُــودُ عَــلى المَــوْلَى وإنْ زَلَّ حِلْمُــهُ بِحِلْمِي وكَـانَ العَـوْد أبْقَـى وأَحْمَـدا
وكُنْــتُ إِذَا المَــوْلَى بَــدَا لِي غِــشُّهُ تَجَاوزْتُ عَنْه وانْتَظَرْتُ بِـه غَـدَا
لِتَحْكُمَــــهُ الأَيَّــــامُ أَوْ لِــــتَرِدَّهُ عَـلَيَّ ولَمْ أَبْـسطْ لِـسَانًا ولا يَـدَا
وإِنِّي لَــذُو حِلْــمٍ كَثِــيرٍ وإِنَّنِــي مِرَارًا لِأَشْفِي دَاء مَنْ كَان أَصْيدَا[(٣)]

حسن المعاتبة:

قال أبو الدرداء: «معاتبة الأخ خير من فقده، ومن لك بأخيك كلـه، أطـع أخاك ولِنْ له، ولا تسمع فيه قول حاسد وكاشح، غدًا يأتيـك أجلـه فيكفيـك فقده، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله»[(٤)].

مفهوم الهجر:

وقال الشاعر:

أُعَاتِــبُ لَــيْلَى إِنَّــما الهَجْــرُ أَنْ تَــرَى صَدِيقَكَ يَأْتِي ما أتى لاَ تُعَاتِبُه[(١)]

(١،٢) الزهرة لأبي بكر الأصبهاني.
(٣) لباب الآداب لابن منقذ.
(٤،٥) الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي.

وقال أعرابي: كثرة العتاب إلحاف، وتركه استخفاف(٢).

آداب الزيارة « العيادة »

تبرير مقبول:

قال الشاعر:

إِنْ كُنــتُ في تَــرْكِ العِيَــادَةِ تَارِكًــا حَظِّــي فَــإِنِّي فِي الــدُّعَاءِ لَجَاهِــدُ

لا تثقل:

قال الشاعر:

إِنَّ العِيَـــادَةَ يَـــوْمٌ بَـــيْنَ يَـــوْمَيْنِ واقْعُدْ قَلِيلاً كَلَحْظِ العَيْنِ بـالعَيْنِ

لاَ تُـــبْرِمَنَّ مَرِيـــضاً فِي عِيَادتِـــهِ يَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ تَسآل بِحَـرْفَيْنِ(٣)

وقال آخر:

وَحَظُّـــكَ زَوْرَةٌ فِي كُـــلِّ عَـــامٍ مَوافَقَـــةً عَـــلَى ظَهْـــرِ الطَّرِيـــقِ

سَـــلاَمًا خَالِيًـــا مِـــنْ كُـــلِّ شَيءٍ يَعُودُ بِهِ الـصَّدِيقُ عَـلى الـصَّدِيقِ

الاعتدال في الزيـارة

إقلال الزيارة:

قال الشاعر:

عَلَيْـــكَ بِـــإِقْلاَلِ الزِّيَـــارةِ إِنَّهَـــا تَكُـونُ إِذَا دَامَـتْ إِلى الهَجْـرِ مَـسْلَكًا

فَـــإِني رَأَيْـــتُ الغَيْـــثَ يُـــسأم دَائِـــمًا ويُسْأَلُ بِالأيـدِي إِذَا هُـو أَمْـسَكَا

زُرْ غِبًّا:

قال بشار:

لاَ تَجْعَلَـــن أَحَـــدًا عَلَيْـــكَ إِذَا أَحْبَبْتَـــهُ وهَوَيْتَـــهُ ربَّـــا

---

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس ، لابن عبد البر القرطبي.

وصِــلِ الخَليــلَ إذَا شَــغُفْتَ بِــهِ واطْــوِ الزِّيَــارَةَ دُونَــهُ غِبًّــا
فَلَــذَاكَ خَــيْرٌ مِــنْ مُوَاصَــلَةٍ لَيْــسَتْ تَزِيــدَكَ عِنْــدَهُ قُرْبًــا
لَكِــنْ يَمَلُّــك ثُــمَّ تَــدْعُو بِاسْــمِهِ فَيَقُــولُ: هَــا ولطَالَمَــا لبَّــى

وقال آخر:

إِنِّي رَأَيْتُــــــكَ لِي مُحِبًّــــا وإِلَيّ حِــينِ أَغِيــبُ صَــبَّا
فَهَجَــــــرْتُ لاَ لمَِلاَلَــــةٍ حَــدَثَتْ وَلاَ اسْــتَحْدَثْتَ ذَنْبــاً
إلاَّ لِقَــــوْلِ نَبِيِّنَــــا زُورُوا عَــلَى الأَيَــام غِبَّــا
ولِقَولِــــهِ مَــــنْ زَارَ غِبًّــا مِــنْكُمُ يَــزْدَادُ حُبًّــا[1]

ابتعد عن الملل:

قال الشاعر:

إِذَا مَــا كَثُــرْتَ عَــلَى صَــاحِبٍ وقَــدْ كَــانَ يُــدْنِيكَ مِــنْ نَفْــسِهِ
فَــلا بُــدَّ مِــنْ مَلَــلٍ وَاقِــعٍ يُغَــيِّرُ مَــا كَــانَ مِــنْ أُنْــسِهِ[2]

من أبواب الرجولة حفظ السر

قال عليه الصلاة والسلام: «**من أسرَّ إلى أخيه سرًا لم يحل له أن يفشيه عليه**»[3].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كتم سره كان الخيار بيده، ومن عرَّض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به».

وقال أكثم بن صيفي: «إنَّ سرك من دمك، فانظر أين تريقه».

وكان يقال: «احفظوا أسراركم كما تحفظون أبصاركم».

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي.
(٢) نهاية الأرب للنويري.
(٣) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ٢٥٨) وعزاه لابن عبد البر.

وقال عمرو بن العاص ﷺ: «ما استودعت رجلاً سرًا فأفشاه فلمته، لأنني كنت به أضيق صدرًا حين استودعته إياه».

وأسرَّ رجل إلى رجل سرًا فلما فرغ قال له: حفظت؟ قال: لا بل نسيت.

كتمان السر:

قال الشاعر:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ ... فَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

إِذَا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي ... وَسِرِي عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُومُ

وإِنِّي حِينَ أَسأَمَ حَمْلَ سِرِّى ... وَقَدْ ضَمَّنْتُه صَدْرِي سَؤُومُ

ولَسْتُ مُحَدِّثًا سِرى خَلِيلًا ... ولا عَرْسِي إِذَا خَطَرَتْ هُمُومُ

وأَطْوِى السِّرَّ دُونَ النَّاسِ إِنِّي ... لِمَا اسْتَوَدَعْتُ مِن سرٍ كَتُومُ

وقال آخر:

لاَ يَكْتُم السِّرَّ إِلاَ كُلُّ ذِي خَطَرٍ ... والسِّرُّ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَكْتُومُ

والسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غُلُقٌ ... قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ والبَابُ مَرْدُومُ

احتفظ بسرك:

قال الشاعر:

لِكُلِّ امْرِئٍ يَا أُمَّ عَمْروٍ طَبِيعَةٌ ... وَتَفْضِيلُ مَا بَيْنَ الرِّجَالِ الطَّبَائِعُ

فَلاَ يَسْمَعَنْ سِرِّى وسِرَّكِ ثَالِثٌ ... أَلا كُلُّ سَرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ ضَائِع

وكَيْفَ يُشِيعُ القَلْبُ سِرًا وفَوْقَهُ ... حِجَابٌ ومَا فَوْقَ الحِجَابِ الأَضَالِعُ[1]

هل يسلم الحي:

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي.

صُـن الـسِّرَ بِـالكِتْمَانِ يُرْضِـيكَ غِبُّـه فَقَدْ يُظْهِـرُ الـسِرَّ المُـضِيعُ فَيَنْـدَمُ
ولا تُفْـــشِينْ سِرًا إلى غَـــيْرِ أَهْلِـــهِ فَيَظْهَرُ خَرَقُ الـسِّر مِـنْ حَيْـثُ يُكـتَمُ
ومـا زِلْـتُ في الكِـتْمَانِ حَتَّـى كَـأَنَّني بِرَجْعِ جَـوابِ الـسَّائِلِي عَنْـكَ أَعْجَـمُ
لأسـلمَ مِـنْ قَـولِ الوُشَـاةِ وتَـسْلَمِي سَلَمْتِ وهَلْ حَيٌّ عَـلى النَّـاسِ يَـسْلَمُ

موضعا السر من الناس:

قال زياد: لكل مستشير ثقة، ولكل سِر مستودع، وإنَّ النـاس قـد أبـدعت بهم خصلتان: إذاعة السر وترك النصيحة، وليس موضع السر إلاّ أحد رجلين: رجل آخريٍّ يرجو ثواب الله، ورجل دنيوي له شرف في نفسه، وعقل يـصون به حسبه، وهما معدومان في هذا الدهر»(١).

الشك والظن

سوء الفِعال:

قال المتنبي:

إِذَا سَـاء فِعْـلُ المَـرْءِ سَـاءَتْ ظُنُونُـهُ وصَـدَّق مَـا يَعْتَـادُه عَـنْ تَـوَهم

لا تفرط:

قال صالح بن عبد القدوس:

وفِي الـشَّك تَفْـرِيطٌ وفِي الحَـزْمِ قُـوَّةٌ ويُخْطِئُ فِي الحَـدْسِ الفَتَـى ويُـصِيبُ

وقال أيضًا:

أَلاَ إِنَّ بَعْـضَ الظَـنِّ إِثْـمٌ فَـلاَ تَكُـنْ ظَنُونًـا لِمَـا فِيــهِ عَلَيْــكَ آثَــامُ
وإنّ ظُنُـــونَ المَـــرْءِ مِثْـــلُ سَـــحَائِبٍ لَوامِـعُ مِنْهَـا مَـاطِرٌ وجَهَـامُ(٢)

الشك مجلبة للانحراف:

قال أحمد شوقي:

---

(١) المحاسن والمساوئ، لإبراهيم بن محمد البيهقي، ط١ ١٣٨٠هـ،دار بيروت للطباعة والنشر.
(٢) الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه.

سَـاءَتْ ظُنُـونُ النَّـاسِ حَتَّـى أَحْـدَثُوا لِلـشَّكِ فِي النُّـورِ المُبِـينِ مجَـالًا
والظَّـنُ يَأْخُـذُ مِـن ضَـمِيرِكَ مَأْخَـذًا حَتَّـى يُرِيـكَ الُمسْتَقِيمَ محُـالًا[1]

تقلب الحالات:

قال الأبرش:

وحُـسْنُ الظَّـنِّ يَحْـسُنُ فِي أُمُـورٍ ويكْمُـنُ فِي عَوَاقِبِـه نَدَامَـهْ
وسُـوءُ الظَّـنُّ يَـسْمَجُ فِي وُجُـوهٍ وفَيـهِ مِـنْ سَـمَاجَتِهِ حَزَامـهْ

فطنة وذكاء:

قال الكلبي:

الأَلْمِعِـيُّ الـذِي يَظُـنَّ لَـكَ الظَّـ ـنَّ كَأَنْ قَـدْ رَأَىَ وقَـدْ سَـمِعَا[2]

من شيم الأحرار قبول الاعتذار

صيانة الصديق:

قال محمد بن زنجي:

إِذَا اعْتَـذَر الـصَّدِيقُ إِلْيَـك يَوْمًـا مِـنَ التَّقْـصِيرِ عُـذْرَ أَخ مُقِـرِّ
فَـصُنْهُ عَـن جَفَائِـكَ واعْـفُ عَنْـه فـإِنَّ الـصَّفْحَ شِـيمَةُ كُـلِّ حُـرِّ

كرم العفو له السبق:

قال القروي:

رُبَّ ذَنْـبٍ محَوْتُـهُ باعْتِـذَارِي وحَمَلْـتُ الـوَرَى عَـلى إِكْبَـارِي
وإِذَا قِيـسَتِ الفَـضَائِلُ فَاقَـتْ كَـرَمَ العَفْـوِ جُـرْأَةَ الإِقْـرَارِ

لا عيب في الاعتذار:

وقال أيضًا:

(١) أروع ما قيل في الحكمة، إميل ناصيف، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الجيل للطباعة، بيروت.
(٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ـ أحمد قبش.

يُعِيـدُ الـتِمَاسَ العُـذرِ للـنَّفْسِ رُوْحُهـا ... ويُخْمِـدُ جَمْـرَ الـشَّرِّ قَبْـل شَـبوْبِهِ
عَجِبْـتُ لِحُـرٍّ يَـسْتَحِي بِاعْتِـذَارِهِ ... وأَوْلَى بِـهِ أَنْ يَـسْتَحِي بِذُنُوبِـهِ

لا تفتش وراء الناس:

قال الشافعي:

اقْبَـلْ مَعَـاذِيرَ مَـنْ يَأْتِيـكَ مُعْتَـذِرًا ... إنْ برَّ عِنْـدَك فِيـمَا قَـالَ أَوْ فَجَـرَا
لَقَـدْ أَطَاعَـكَ مَـنْ يُرْضِـيكَ ظَـاهِرُهُ ... وقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُـسْتَتِرًا

ضع كل شيء في موضعه:

قال محمد الوحيدي:

لاَ تَعْتَـذِرْ إلَّا إِلَى مَـنْ يَقْبَلُـهْ ... وَلاَ تُحَـدِّثْ مُعْرِضًـا لاَ يَعْقِلُـهْ
ومَـنْ أَتَـى مُعْتَـذِرًا لا تُخْجِلُـهْ ... إِلا إِذَا أَعْيَـا عَلَيْـكَ مَعْـضِلُهْ[1]

دية الذنب:

قال شاعر:

قِيـلَ لِي قَـدْ أَسَـا إِلَيْـكَ فُـلاَنُ ... وقُعُودُ الفَتَـى عَـلى الـضَّيْمِ عَـارُ
قُلْـتُ: قَـدْ جَاءَنَـا فَأَحْـدَثَ عُـذْرًا ... دِيَـةُ الـذَّنْبِ عِنْـدَنَا الاعْتِـذَارُ

مذنبٌ من لا يقبلُ العذَر:

قال شاعر:

ومَـا كُنْـتُ أَخْـشَى أَنْ تَـرَى لِي زَلَّـةً ... ولَكنْ قَضَاءُ الله مَـا عَنْـهُ مَهْـرَبُ
إِذَا اعَتَـذَرَ الجَـانِي مَحَـا العُـذْرُ ذَنْبَـهُ ... وكُلُّ امْرِئٍ لاَ يَقْبَـلُ العُـذْرَ مُـذْنِبُ

عفو من غير سبب:

قال محمد بن داود القياسي:

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.

العُـذْرُ يَلْحَقُـهُ التَّخْوِيـفُ والكَـذِبُ ... ولَيْسَ فِي غَيْرِ مَـا يُرْضِـيكَ لِي أَرَبُ

فَـإِن أَسَـأْتَ فَبِـالنُّعْمَى التِـي سَـلَفَتْ ... لَّما مُنِيـتُ بِعَفْـوٍ مَـا لَـهُ سَـببُ(١)

مكرمة الوفاء

غشُ السرائر:

قال علي بن أبي طالب ﷺ:

ذَهَبَ الوَفَاءُ ذِهَابَ أَمْسِ الـذَّاهِبِ ... فَالنَّـاسُ بَـيْنَ مُخَاتِـل ومُـوَارِبِ

يَفشُــونَ بَيْــنَهُمُ المَـــودَّة والــصَّفَا ... وقُلُـــوبُهُم مَحْــشُوةٌ بِعَقَـــارِبِ

اصبر إذا ضاع الوفاء:

قال علي بن أبي طالب ﷺ:

مَـاتَ الوَفَـاءُ فَـلا رِفْـدٌ ولا طَمَـعُ ... فِي النَّـاس لَمْ يَبْـقَ إِلَّا اليَـأْسُ والجَـزَعُ

فاصْــبِرْ عَــلى ثِقَــةٍ بِــالله وارْضَ بِـهِ ... فَــاللهُ أَكْــرَمُ مَــنْ يُرْجَــى ويُتَّبَــعُ

الوفاء والألباب:

قال علي بن مقرب:

لا تَــرْكَنَنَّ إِلَى مَــنْ لاَ وَفَــاءَ لَــهُ ... الذِّئْبُ مِـنْ طَبْعِـهِ إنْ يَقْتَـدِرْ يَثِـبِ

وَلا تكُـنْ لِـذوِي الأَلْبَـابِ مُحْتَقِـرًا ... ذُو اللبِّ يكْسرُ فَرْعَ النَـبْعِ بـالغَربِ

الوفاء فريضة:

قال الشاعر:

إِنَّ الوَفَــاءَ عَــلَى الكَــرِيمِ فَرِيــضَةٌ ... واللـؤْمُ مَقْـرُونٌ بِـذِي الإِخْـلاَفِ

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي.

وتَـرَى الكَـرِيمَ لِمَـنْ يُعَـاشِرُ مُنْـصِفا وَتَـرَى اللَّئِـيمَ مُجَانِـب الإِنْـصَافِ

يقولون بألسنتهم:

قال ابن الدهان الموصلي:

قَــلَّ الوَفَــاءُ فَلَــسْتَ تَبْلُــو بَاطِنًــا إِلا وتَلْفِيــــهِ خِــــلاَفَ الظَّــــاهِرِ

ندرة الوفاء:

قال المتنبي:

غَــاضَ الوَفَــاءُ فَــمَا تَلْقَــاهُ فِي عِــدَةٍ وأَعْوزُ الـصِّدْقِ فِي الأَخْبَـارِ والقَـسَمِ

ضياع الوفاء والنخوة:

قال المتنبي:

ومَــا كُــلُّ مَــنْ قَــالَ قَــوْلًا وَفَي وَمَا كُلُّ مَـنْ سِـيمَ خَـسْفًا أَبَـى[1]

ميزان الاعتدال في نقد الرجال

كلمة سديدة:

قال الشيخ محمد بشير الإبراهيمي: «إنّ من وراء السياسة شيئًا يقال له: الكياسة، وإن من الكياسة أن يكون عملنا متوجهًا إلى الأداء والأفكار بالتمحيص لا إلى الأشخاص بالتنقيص»[2].

البينة على من ادعى:

قال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله: «كل رجل ثبتت عدالته، لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه»[3].

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.
(٢) مجلة عيون البصائر العدد (٣٤) سنة ١٩٥٦م.
(٣) تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني، مطبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٥هـ.

وقال ابن جرير الطبري:

«ولو كان كل من ادعى عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادِّعي عليه، وسقطت عدالته، وبطلت شهادته بذلك، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار، لأنه ما منهم – أحد – إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغَبُ به عنه، ومن ثبتت عدالته لم يقبل فيه الجرح، وما تسقط العدالة بالظن»[1].

فمن ثقلت موازينه:

قال عبد الله بن المبارك: «إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تُذْكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تُذْكر المحاسن»[2].

تجاوز عثرات الكرام:

قال الذهبي: «.. ولو أنَّا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفورًا له، قمنا عليه، وبدَّعناه، وهجرنَاه، لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن مندة، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم الراحمين»[3].

وقال أيضًا: «ولو أنَّ كل من أخطأ في اجتهاده – مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق – أهدرناه وبدَّعناه، لقلّ من يسلم من الأئمة معنا – رحم الله الجميع بمنِّه وكرمه»[4].

نعم للإنصاف لا للإجحاف

طلب الإنصاف:

قال مالك بن الريب:

---

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، مطبعة المنيرية ١٣٤٩هـ.

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٣، ٤) سير أعلام النبلاء –للذهبي.

فإنْ تُنْـصِفُونَا يـا آلَ مَـرْوَانَ نَقْـتَرِبْ إلَـــيْكُمْ، وإلاَّ فَـــأْذَنُوا بِبَعَـــادِ
فَفِي الأَرْضِ عَنْ دَارِ المَذَلَّـةِ مَـذْهَبٌ وَكُــلُّ بِـــلاَدٍ أَوْطَنَــتْ كَــبِلاَدِي

إخضاع الظالم إلى الحق:

قال أبو الأسود الدؤلي:

إِذَا قُلْــتُ أَنْــصِفْني وَلاَ تَظْلِمَنِّــي رَمَـى كُـلَّ حَـقٍّ أدَّعِيـهِ بِبَاطِـلِ
فَماطَلْتُـه حَتَّـى ارْعَـوى وَهُـو كَـارِهٌ وقَدْ يَرْعَوِى ذُو الشَّغْبِ عِنْدَ التَجَادُلِ
وإنَّــكَ لَمْ تَعْطِـفْ إِلى الحَـقِّ ظَالِمًـا بِمِثْـل خَـصِيمٍ عَاقِـلٍ مُتَجَاهِـلِ(١)

صلة:

قال الشاعر:

آَخِ الكِــرَامِ المُنْــصِفِينَ وصِــلْهمُ واقْطَعْ مَـودَّة كُـلَّ مَـنْ لاَ يُنْـصِفُ

ذكر ما قيل في
ذم الإخوان وشكاية الزمان

جلد الأجرب:

قال لبيد في الجاهلية:

ذَهَــبَ الَّــذِينَ يُعَــاشُ فِي أَكْنَــافِهِمْ وبَقَيْتُ فِي خَلْفٍ كَجلـدِ الأَجْـربِ
يَتَــــآكَلُونَ مَــــلاذةً وخِيَانَــــةً ويُعَـابُ قَـائِلُهُم وإِنْ لَمْ يَـشْغُبِ(٢)

الكرام خلا منهم الزمان:

وقال أبو الأسود الدؤلي:

ذَهَــبَ الرِّجَــالُ المُقْتَــدَى بِفِعَــالِهِمْ والمُنْكِــرُونَ لِكُــلِّ أَمْــرٍ مُنْكَــرِ

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس –لابن عبد البر القرطبي.
(٢،٣) الزهرة لأبي بكر الأصبهاني.

وبَقَيْـتُ فِي خَلْـقٍ يُـزَينُ بَعْـضُهُم بَعْضًا لَيَدْفَع مُعْـوِرٌ عـن مُعْـوِرِ(١)

وقال إبراهيم بن العباس:

وكُنْـتَ أَخِـي بِإِخَـاءِ الزَّمَـانِ فَلَـمَّا نَبَـا صِرْتَ حَرْبًـا عَوَانَـا

وكُنْـتُ أَعِـدُّكَ للنَّائِبَـاتِ فقـد صِرْتُ أَطْلُـبُ مِنْـك الأَمَانَـا

وكُنْـتُ أَذمُّ إِلَيْـكَ الزَّمَـانَ فقـد صِرتُ أَحْمَـدُ فِيـكَ الزَّمانَـا(٢)

هل البقاء للأصلح؟

وقال شاعر:

يَـا مَنْـزِلا عَبَـثَ الزَّمَـانُ بِأَهْلِـهِ فَأَبَـادَهُمْ بِتَفَـرُّقٍ لاَ يُجْمَـعُ

أَيْـنَ الـذِينَ عَهِـدْتُهم بِـكَ مَـرَّةً كَـانَ الزَّمَـانُ بِهِـمُ يَـضُرُّ ويَنْفَـعُ

أَيَّـامَ لا يَغْـشَى لِـذِكْرِكَ مَرْبَـعٌ إلا وفِيـهِ مـن المَكَـارِمِ مَرْتَـعُ

ذَهَـبَ الـذِينَ يُعـاشُ فِي أَكْنَـافِهِمْ وبَقَـى الـذِينَ حَيَـاتُهُمْ لا تَنْفَـعُ(٣)

فساد الناس:

وقال آخر:

يَقُولُـونَ الزَّمَـانُ بِـهِ فَـسَادٌ وهُم فَسَدُوا وَمَا فَسَدَ الزَّمَانُ(٤)

حقائق وطبائع:

قال الحكماء: «جُبل الناس على ذمِّ زمانهم، وقلة الرضا على أهل عصرهم، فمنه قولهم: «رضا الناس غاية لا تدرك»، وقولهم: «لا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة»، وقولهم: «الناس يُعيّرون ولا يغفرون والله يغفر ولا يُعيِّر».

زمن التوارى:

وقال محمد بن المهاجر:

---

(٢) الصداقة والصديق للتوحيدي.

(٣،٤) المستطرف للأبشيهي.

زَمَانُــكَ ذَا زَمَــانُ دُخُــوُلِ بَيْــتٍ　　وحِفْـظِ للِّسَانِ وخَفْـضِ صَـوْتِ
فَقْـدَ مَرجَــتْ عُهُــودُ النَّــاسِ إلا　　أَقَلَّهُــمُ فَبَــادِرْ قَبْــلَ فَــوْتِ
فَــمَا يَبْقَــى عَــلَى الأَيَّــامِ شيءٌ　　ومَــا خُلِــقَ امْــرُؤ إلاّ لِمَــوتِ[1]

محن كثيرة:

وقال الشافعي:

مِحَــنُ الزَّمَــانِ كَثِــيرَةٌ لاَ تَنقَــضِي　　وسُرُورُهَــا يَأْتيــكَ كَالأَعْيَــادِ[2]

وقال أيضًا:

تَــأْتِي المَكَــارِهُ حِــينَ تَــأْتِي جُمْلَــةً　　ونَـرَى السُّرُورَ يَجِـئُ فِي الفَلَتَـاتِ[3]

بين النوم والمرض:

وقال ابن نباته:

ومَا خَيْرُ عَيْشٍ نِـصْفُهُ سِـنَةُ الكَـرَى　　ونِــصْفٌ بِــهِ نَعْتَــلُّ أَوْ نَتَوَجَّــعُ
مَـع الوَقْـتِ يَمْـضِي بُؤْسُـهُ ونَعِيمُـهُ　　كَأنْ لَمْ يَكُنْ والوَقْتُ عُمْرُكَ أَجْمَـعُ[4]

لا أمان:

وقال آخر:

أفٍ لِــــدُنْيَا كَانَــــتْ كَــــذَا　　أَنَــــا مِنْهَــــا فِي عَنَــــاءٍ وَأَذى
إنْ صَـفَا عَـيْشُ امْـرِئٍ فِي صُـبْحِهَا　　جَرَّعَتْــهُ مُمْــسِيًا كَــأْسَ القَــذَى
ولَقَــدْ كُنْــتُ إذَا مَــا قِيــلَ مَــنْ　　أَنَعَــمُ النَّــاسِ مَعَاشًــا قيــل ذَا[5]

(١) روضة العقلاء للبستي.
(٢-٤) محاضرات الأدباء للأصبهاني.
(٢،٥) ربيع الأبرار للزمخشري.

تقلبات:

قال إسحاق الموصلي:

هِـــي المَقَـــادِيرُ تَجْـــرِي فِي أَعِنَّتِهَـــا فَاصْبِرْ فَلَيْسَ لَهَـا صَـبْرٌ عَـلى حَـالِ

يَومًا تُـرِيشُ خَـسِيسَ الحَـالِ تَرْفَعُـهُ إِلى السَّمَاءِ، ويَوَمًـا تَخْفِـضُ العَـالِي(١)

كونوا حياديين:

وقال ابن الرومي:

تَخِـــذْتُكُم دِرْعًـــا وترْسًـــا لِتَـــدْفَعُوا نِبَـال العِـدَى عَنِّـي فَكُنْـتُم نِـصَالَهَا

وقَدْ كُنْتُ أرْجُو مِـنْكُمُ خَـيْرَ نَـاصِرٍ عَلَى حِـينِ خُـذْلانِ اليَمِـينِ شِـمَالَهَا

فَـــإِنْ أَنْـــتُمُ لَمْ تَحْفَظُـــوا لِمَـــوَدَّتِي ذِمَامًـا فَكُونُــوا لاَ عَلَيْهَـا وَلاَ لَهَـا

قِفُـوا وَقْفَـة المَعْـذُورِ عَنِّـي بِمَعْـزِلٍ وَخَلُّـوْا نِبَـالِي والعِـدَى وَنِبَالَهَـا(٢)

عين الرضا وعين السخط:

وقال آخر:

فَأَنْتَ أَخِي مَا لَـمْ تَكُـنْ لِـي حَاجَـةٌ فإنْ عَرَضَـتْ أَيْقَنْـتُ أَنْ لاَ أَخَالِيَـا

فَـلاَ زَادَ مَـا بِيْنِـي وبَيْنِـكَ بَعْـدَمَا عَرَفْتُـكَ فِـي الحَاجَـاتِ إلاَّ تنَائِيًـا

فَعَيْنُ الرِّضَا عَـنْ كُـلِّ عَيْـبٍ كَلِيلَـةٌ وَلكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا(٣)

تغير جذري:

---

(٢) زهر الآداب للقيرواني .

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه .

قال أبو الدرداء: «كان الناس ورقا لا شـوك فيـه، فـصاروا شـوكًا لا ورق فيه»[(١)].

ضياع الأخوة:

وقال الرياشي:

إِذَا ذَهَــــبَ التَّكَـــرُّمُ والوَفَـــاءُ ... وبَـــادَ رِجَالُـــهُ وبَقَـــى الغِنَـــاءُ
وأسْـــلَمَنِي الزَّمَـــانُ إِلَى رِجَـــالٍ ... كَأَمْثَـــالِ الـــذِّئَابِ لَهَـــا عِـــوَاءُ
صَـــدِيقٌ كُلَّـــمَا اسْـــتَغْنَيْتُ عَـــنْهُم ... وأَعْـــدَاءٌ إِذَا جَهِـــدَ الـــبَلاَءُ
إِذَا مَـــا جِئْـــتُهُم يَتَـــدافَعُونِي ... كَـــــأَنِّي أَجْـــــرَبٌ آذَاهُ دَاءُ
أَقُـــولُ - ولاَ أُلاَمُ عَـــلَى مَقَـــالٍ ... عـلى الإِخْـوَانِ كُلِّهِـم العَفَـاءُ[(٢)]

ذم الزمان والخلان:

وقال ابن عبد ربه:

رَجَـــاءٌ دُونَ أَقْرَبِـــهِ الـــسَّحَابُ ... وَوَعْـدٌ مِثْـلُ مَـا وَلِـعَ الـسَّرابُ
ودَهْـــرٌ سَـــادت العُبْـــدَانُ فِيـــهِ ... وعَاثَـــتْ فِي جَوَانِبِـــه الـــذِّئَابُ
وأَيَّـــامٌ خَلَـــتْ مِـــنْ كُـــلِّ خَـــيْرٍ ... ودُنْيَـــا قَـــدْ تَوزَّعَهـــا الكِـــلاَبُ
كِـــلاَبٌ لَـــوْ سَـــأَلْتَهُمُ تُرابًـــا ... لَقَـــالُوا عِنْـــدنَا انْقَطَـــعَ الـــتُّرَابُ
يُعَاقَـــبُ مَـــنْ أَسَـــاءَ القَـــوْلَ فِـــيهِمْ ... وإِنْ يُحْـسِنْ فَلَـيْسَ لَـهُ ثَـوَابُ[(٣)]



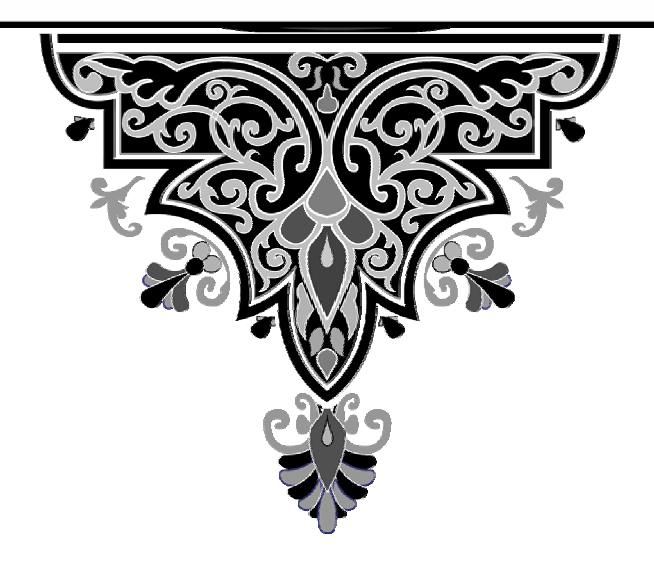
(١) أدب الغرباء للأصبهاني.

(٢،٣) العقد الفريد لابن عبد ربه.



الباب السادس

وصايا للدعاة إلى الله تعالى



القرآن والقلوب

القرآن حبل الله المتين – كما يقول الرسول ﷺ – طرفه بيد الله، وطرفه الآخر بيد الناس، فأي جزء أخذنا منه بجد وقوة سرى سره إلى القلوب، فارتجفت به وحيت: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[1][2].

مهمة القرآن :

إن مهمة القرآن ليست حياة القلب فحسب، بل وضع مناهج العمل الذي تنتظم به الحياة كذلك، حتى لا يضل صاحبها عملًا واعتقادًا أثناء سيره إلى الله.

ويقول بعض العارفين: «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق» والتصوف هنا حياة القلب، والتفقه معرفة أحكام الله وحدوده التي أسميناها مناهج العمل، والزندقة ضلال عن سبيل الله .ألا ترى – يا أخي – أن الله عز وجل حين أحيا الإنسان بما بثه فيه من أسرار الروح لم يتركه سدى بل خلق له العقل الذي ينظم له الحياة، ويدير به أمره، بما يدرك من أصناف الضرر والنفع؟[3].

وسائل إصلاح الأمة :

لا تخرج (وسائل الإصلاح) في كل عصر عن الأسس الآتية:

إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والتزام سائر قواعد الإسلام الخمسة. فقوة الروح ضرورية قبل كل قوة، ويأتي بعدها العلم، وقوة الذخيرة والسلاح، تنفيذًا لأمره تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[4] ولا بد لإتمام العدة من تدريب كل قادر على الرماية وسائر فنون القتال.. فلو أن جماعة المؤمنين اعتنوا

---

(١) الزمر: ٢٣ .

(٢، ٣) تذكرة الدعاة للبهي الخولي .

(٤) الأنفال: ٦٠ .

بأنفسهم هذه العناية، وأقبلوا عليها بهذا الإصلاح، فإن أعدى أعدائهم لا يستطيع أن يضرهم بشيء[(١)].

حياة القلب:

والحياة في القلب ليست نبضًا يدق، أو دمًا غزيرًا يفد إليه أو يخرج منه، إنما الحياة - كل الحياة - هي ليونته لمعاني الخير، ورقته لأنوار الحق، وشوقه إلى الفضائل الروحية المطهرة، فإذا حيي هذه الحياة عاش صاحبه جنديًا مجاهدًا للخير والحق والفضيلة طول حياته، يستمد من ليونته شدة على أعوان الشر، ومن رقته صلابة على جند الباطل، ومن شوقه غضبًا وكراهة لأنصار الرذيلة، وليس هناك حياة غير هذه الحياة إلا حياة الأموات الذين يحصون في الأحياء ظلمًا أو جهلًا.

والقلب الحيّ يستمد سر بطولته، بل سر حياته، من حضور الله فيه، وليس أبغض إلى الشيطان من هذا، فهو لا يكف لحظة عن استدراجه بعيدًا عن مصادر الحياة بما ينسيه ذكر الله - عز وجل.

واجب الداعية:

على داعيتنا أن يحمل الناس على إقامة الصلاة، ويَردَّ للمساجد أنسها وروحانيتها، وأن يضع برامج التعليم في مدارس البنين والبنات... وأن ينتفع بوسائل الثقافة الأخرى كالمسرح والسينما والصحف والمجلات، وما استجد من أساليب الدعاية، ولا يسوغ بحال من الأحوال أن تجند كل هذه الوسائل الفعالة لتقرير العقائد الزائغة وإذاعة المبادئ الفاسدة، والتوجيه إلى حياة اللهو والباطل، ويقف دعاة الحق كأنهم لا يرون ولا يسمعون ولا يعيشون مع أحياء العصر.

---

(١) تذكرة الدعاة للبهي الخولي.

علاقة الدعاة:

الدعاة إلى الله مجاهـدون لغايـة واحـدة، يفـرح بعـضهم بـبعض، وينتـصر بعضهم بنصر بعض. وكلما نزلـت إلى الميـدان طائفـة جديـدة تعمـل بعملنـا، وتدعو بدعوتنا، ولها شاهد في كتبنا وجب أن نفرح بها؛ لأنها تعزيز لقوتنا. أما مُنَاوَءتَها والتفرغ لخذلانها فهو شأن من يعمل لنفسه لا لله.

كن قدوة الناس:

أنت (أيها الداعية) تريد أن تنهى عن رذائل، وتصدَّ عـن حـضارة فاسـدة، وتريد أن تدعو إلى فضائل، وتهدي إلى حضارة صالحة، فاتبع سنة الله في عرض المعاني، واعرض دعوتك في صورة عملية، تمـشى عـلى قـدمين، وتـسعى عـلى الأرض، وتؤثر في الناس، فذلك سـبيلك الوحيـد إلى بـث الحيـاة في القلـب، والحركة في العقل، وحين تدب الحياة والحركة في الإنسان: قلبـه وعقلـه، فقـد حَيَا الحياة التي ترجوها له.

لا تنتظر الشكر من أحد

افعل الخير وكفى:

قال بزرجمهر: «من انتظر لمعروفه شكرًا فقد استدعى عاجل المكافأة».

وقال علي بن عبيدة: «من المكارم الظاهرة، وسـنن الـنفس الـشريفة، تـرك طلب الشكر على الإحسان، ورفع الهمة عن طلب المكافأة، واسـتكثار القليـل من الشكر، واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه».

خير الأمور أوسطها

لا إفراط ولا تفريط:

قال الجاحظ: «يُحَبُّ للرجل أن يكون سخيًا لا يبلغ التبذير، حافظًا لا يبلـغ البخل، شجاعًا لا يبلغ الهوج، محترسًا لا يبلـغ الجـبن، حييًـا لا يبلـغ العجـز،

ماضيًا لا يبلغ القحة، قوَّالًا لا يبلغ الهذر، صموتًا لا يبلغ العي، حليمًا لا يبلغ الذل، منتصرًا لا يبلغ الظلم، نافذًا لا يبلغ الطيش».

قانون الله:

إن قانون الله العمل، فمن أخذ به فقد وضع الله في يده مفاتيح الدنيا وسر إدارتها، ومن تركه وعاش في بطنه وشهوته وغروره فهو خارج عن سنة الله.

وإن قانون العمل الثمر، وليس الثمر مالًا ولا عقارًا، وإنما هو ازدهار للفضيلة وقوة للحق، وتمكين لمعاني المساواة والإيثار والبر العام، فهذا هو الثمر الحق، يثمره العمل الحق، ولا عمل بلا ثمر، بل إن العمل ليحمل في تضاعيفه سر الثمر الذي لا ريب فيه، فمن غابت عن عينه ثمار عمله، فليعلم أن لحصد الزرع وقتا لا يعلمه إلا الله(١).

استمتاع مشروع:

شكا بعضهم عاصم بن زياد إلى علي - كرم الله وجهه، لأنه لبس الخشن من الثياب وترك الطيب منها، وغمّ أهله وأحزن ولده. فقال: ائتوني به.

فلما رآه عبس في وجهه، وقال: ويلك يا عاصم! أترى الله أباح لك النعم وهو يكره أن تأخذ منها؟ أنت أهون على الله من ذلك، أما سمعته يقول: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٢). والله إن إظهار نعمة الله أمام الناس بكثرة الاستعمال والفعال أحب من إظهارها بكثرة الحديث والمقال، وقد سمعته يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٣).

(١) تذكرة الدعاة: ص٢٣٠، ٢٣١.

(٢) الرحمن: ١٩-٢١.

(٣) الضحى: ١١.

كلمات ذهبيـة

العفو عند المقدرة:

كان للمأمون خادم وهو صاحب وضوئه، فبينما هو يصب الماء على يديه إذ سقط الإناء من يده، فاغتاظ المأمون عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ قال: قد كظمت غيظي عنك. قال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: قد عَفَوْتُ عنك. قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(1) قال: اذهب فأنت حر(2).

أعلام الناس:

قال رجل للمنصور:

إن للناس أعلامًا يفزعون إليهم في دينهم ويرضون بهم في دنياهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسددوك(3).

قول لين:

قال رجل للرشيد: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها. قال: كلا، إن الله أمر من هو خير منك بإِلَانَةِ القول لمن هو شر مني، قال الله – تعالى– لنبيه موسى إذ أرسله إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(4)(5).

---

(1) آل عمران: ١٣٤.

(٢،٣) تذكرة الدعاة: ص٢٣٠،٢٣١.

(٤) طه: ٤٤.

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه.

الغاص بالماء:

قال عدي بن زيد العبادي[١]:

لَــوْ بِغَــيْرِ المَــاءِ حَلْقِــى شَرِقٌ   كُنْتُ كَالغـصّانِ بالمَاءِ اعْتِـصَارِى

وقال آخر:

كُنْـتُ مِــنْ كُرْبَتِــي أَفِــرُّ إِلَــيْهِمْ   فَهُــمُ كُرْبَتِــي فَــأَيْنَ الفِــرَارُ؟

انظر لنفسك:

قال عيسى -عليه السلام- للحواريين:

لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب، وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان: مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية[٢].

عز الطاعة:

قال علي ﷺ: من أراد الغنى بغير مال، والكثرة بلا عشيرة، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة، أبى الله إلا أن يذل من عصاه[٣].

لا تشمت:

إِذَا مَــا الــدَّهْرُ جَــرّ عَــلَى أُنَــاسٍ   حَوَادِثَــــهُ، أَنَــــاخَ بِآَخَرِينَــــا

فَقُــــل لِلــــشَّامِتِينَ بِنَــــا أَفِيقُــــوا   سَــيَلْقَى الــشَامِتُونَ، كَــمَا لَقِينَــا[٤]

العمل والعمال الكادحون

الجهد:

قال الرصافي:

كُــلُّ مَــا فِي الــبِلادِ مِــنْ أَمْــوالْ   لَــــيْسَ إلا نَتِيجَــــةَ الأَعْــــمَالْ

(١-٤) العقد الفريد لابن عبد ربه.

قال خليل مطران:

وإِذَا تَمَنَّيْتَ الحَيَاةَ كَبِيرَةً بُلِّغْتَهَا بِكَبِيرةِ الأَعْمَالِ

طريق العلا:

قال أحمد شوقي:

بِقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي ومَنْ طَلَبَ العُلا سَهَرَ اللَّيَالِي

ومَنْ طَلَبَ العُلا مِنْ غَيْرِ كَدٍ أَضَاعَ العُمْرَ فِي طَلَبِ المُحَالِ

وقال أيضًا:

ومَا نَيْلُ المَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلابًا

الفراش الوثير(١):

قال القروي:

تَذَوَّقْتُ أَنْوَاع الشَّرَابِ فَلَمْ يَسِغْ بِحَلْقِي أَشْهَى مِنْ حَلالِ المَكَاسِبِ

ونمِتُ عَلى رِيشِ النَّعَامِ فَلَمْ أَجِدْ فِراشًا وثِيرًا مِثْلَ إِتْمَامِ واجِبِي

إياك والفراغ:

قال أبو العتاهية:

مَا أَحْسَن الشُّغْلُ فِي تَدْبِيرِ مَنْفَعَةٍ أَهْلُ الفَرَاغِ ذَوُو خَوْضٍ وَإِرْجَافِ

الاستمرار في العمل:

قال خليل مطران:

أَعْزِمْ وكِدَّ فَإِنْ مَضَيْتَ فَلا تَقِفْ واصْبِرْ وثَابِرْ فَالنَّجَاحُ مُحَقَّقُ

لَيْسَ المُوفَّقُ مَنْ تُواتِيه المُنَى لَكِنَّ مَنْ رُزِقَ الثَّبَاتَ مَوفَّقُ

---

(١) الوثير: اللين،(المعجم الوسيط: وثر).

أسباب البلاء:

قال أبو الأسود الدؤلي:

وَمَـا طَلَـبُ المَعِيـشَةِ بـالتَّمَنِّي ... ولَكِـنْ أَلْـقِ دَلْـوَكَ فِي الـدِّلاءِ

تَجِئْـكَ بِمِلْئِهَـا يَوْمًـا، ويَوْمًـا ... تَجِئْـكَ بِحَمْـأَةٍ وقَلِيـلِ مَـاءِ

وَلا تَقْعُـدْ عَـلَى كَـسَلِ التَّمَنِّـي ... تُحِيـلُ عَـلَى المَقَـادِرِ والقَـضَاءِ

فـإنَّ مَقَـادِرِ الـرَّحْمنِ تَجْـرِي ... بِـأَرْزَاقِ الرِّجَـالِ مِـن الـسَّمَاءِ

مُقَـدَّرَةً بِقَـبْضٍ أَوْ بِبَـسْطٍ ... وعَجْـزُ المَـرْءِ أَسْـبَابُ الـبَلاءِ

اعملوا صالحًا:

قال الفرزدق:

وإِذَا افْتَقَـرْتَ إِلى الـذَّخَائِرِ لَمْ تَجِـدْ ... ذُخْـرًا يَكُـونُ كَـصَالِحِ الأعـمَالِ[1]

خير الأعمال وشرها:

قيل: «خير الأعمال ما ورَّث المجد، وحَصَّل الحمد، وشر الأعمال ما كان عناؤه طويلًا وغناؤه قليلًا».

ضرورة النية:

وقيل: «الأعمال البهيمية ما عمل بغير نية».

المداومة:

وقال علي كرم الله وجهه: «قليل مدوم عليه، خير من كثير محلول عنه».

الهمة والغنى:

وقيل: «من غلي دماغه في القيظ غلت قدره في الشتاء».

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ، أحمد قبش.

في التأنِّـي السلامة والظفر

الصبر باب الظفر:

قال علي بن أبي طالب:

اصْبِرْ عَلَى مَـضَــضِ الإِدْلاجِ بِالـسَّحَرِ وَفِي الـرَّوَاحِ عَـلَى الحَاجَـاتِ والبَكَـرِ

لا تَـضْجرَنَّ ولا يُعْجِـزْكَ مَطْلَبُهَـا فَالنُّجْحُ يُتْلَفُ بَيْنَ العَجْزِ والضَّجَرِ

إِنِّي وَجَــدْتُ وفِي الأَيَّــامِ تَجْرِبَــةٌ لِلــصَّبْرِ عَاقِبَــةً مَحْمُــودَةُ الأَثَــرِ

وقــلَّ مَــنْ جَــدّ فــيما يحاولـــه ما اسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إلا فَازَ بالظَّفَرِ

السعادة:

قال الشاعر:

الخُـــرْقُ شُـــؤْمٌ والأَنَـــاةُ سَـــعَادَةٌ فاسَتأَنِ حِلْمَـك فِي أُمُـورِكَ تَـسْلَمِ

وقال آخر:

الرَّفْـــقُ يُمْـــنٌ والأَنَـــاةُ سَـــعَادَةٌ فَاسْـتَأَنِ فِي رِفْـقٍ تُـلاقِ نَجَاحـا

في العجلة حرمان:

وفي الأمثال السائرة: «من استعجل الشيءَ قبل أوانه ابتلي بحرمانه»(١).

الحزم والعزم

لب الأشياء:

قال البحتري:

ومَا الحَزْمُ إلا العَـزْمُ فِي كُـلِّ مَـوْطِنٍ وما المَالُ إلا مَعْـدِنُ الجُـودِ والـوَفْرِ

حزم فعزم:

قال عمرو بن يحيى:

الحَـزْمُ قَبْـلَ العَـزْمِ، فَـاحْزِمْ واعْـزِمِ وإِذَا اسْتَبَانَ لَكَ الـصَّوَابُ فَـصَمِّمِ

---

(١) المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي.

كن لبيبًا:

قال ابن حمديس:

وَلَـوْ لَمْ يَكُـنْ فِي العَـزْمِ إلا تَقلُّـبٌ تَـرَى الـنَّفْسَ فِيـهِ سَـعْيَها فَتَطِيـبُ

وإنْ ضَـاقَ بـالحُرِّ المَجَـالُ بِبَلْـدَةٍ فَكَـمْ بَلْـدَةٍ فِيهَـا المَجَـالُ رَحِيـبُ

إِذَا أَنْـتَ لَبَّيْـتَ العَزِيمَـةِ واضِـعًا لَهَـا الرِّجْـلَ فِي غِـرْزٍ فَأَنْـتَ لَبِيـبُ

اليأس إحدى الراحتين:

قال الكريزي:

لا خَـيْرَ فِي عَـزْمٍ بِغَـيْرِ رَوِيَّـةٍ والـشَكُّ عَجْـزٌ إنْ أَرَدْتَ سَرَاحًـا

واليَـأْسُ مِمَّـا فَـاتَ يَعْقُـبُ رَاحَـةً ولـرُبَّ مَطْمَعَـةٍ تَعُـودُ ذِبَاحَـا

إن العظائم كفؤها العظماء:

قال المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهْـلِ العَـزْمِ تَـأْتِي العَـزَائِمُ وَتَـأْتِي عَـلَى قَـدْرِ الكِـرَامِ المَكَـارِمُ

وتَعْظُـمُ فِي عَـيْنِ الـصَّغِيرِ صِـغَارُهَا وتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَـائِمُ[1]

الرأي والمشورة

مرآة كاشفة:

قال الأرجاني:

أَقْـرِنْ بِرَأْيِـكَ رَأْيَ غَـيْرِكَ واسْتَـشِرْ فَـالحَقُّ لا يَخْفَـى عَـلى الاثْنَـيْنِ

للمَـرْءِ مِـرْآةٌ تُرِيـهِ وَجْهَـهُ وَيَـرَى قَفَـاهُ بِجَمْـعِ مَـرْآتَيْنِ

جودة الرأي والشجاعة:

قال المتنبي:

الـرَأْيُ قَبْـلَ شَـجَاعَةِ الـشُّجْعَانِ هُـو أَوَّلٌ وهـي المَحَـلُّ الثَّـانِي

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.

فَـإِذَا هُمَـا اجْتَمَعَـا لِـنَفْسٍ حُـرَّةٍ   بَلَغَـتْ مِـن العَلْيَـاءِ كُـلَّ مَكَـانِ

ضرورة المشاورة:

قال الأرجاني:

شَـاوِرْ سِـوَاكَ إِذَا نَابَتْـكَ نَائِبَـةٌ   يَوْمًا وإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ المَشُورَاتِ

فَـالعَيْنُ تَنْظُـرُ مِنْهَـا مَـا دَنَـا ونَـأَى   وَلا تَـرَى نَفْـسَهَا إلا بِمِـرْآةِ

دافع عن الحق:

قال أحمد شوقي:

قِـفْ دُونَ رَأْيِـكَ فِي الحَيَـاةِ مُجَاهِـدًا   إنَّ الحَيَـاةَ عَقِيـدَةٌ وجِهَـادُ

كن صاحب المشورة:

قال الأرجاني:

خَـصِائِصُ مَـنْ تُـشَاوِرُه ثَـلاثٌ   فَخُـذْ مِنْهـا جَمِيعًـا بِالوثِيقَـهْ

ودادٌ خَـالِصٌ وَوُفُـورُ عَقْـلٍ   وَمَعْرِفَـةٌ بِحَالِـكَ والحَقِيقَـهْ

فَمَـنْ حَـصَلَتْ لَـهُ هَـذِي المَعَـانِي   فَتَـابِعْ رَأْيَـهُ والْـزَمْ طَرِيقَـهْ

عليك اللبيب:

قال الحسين المغربي:

لا تُـشَاوِرْ مَـنْ لَـيْسَ يُـصْفِيكَ وُدًا   إنَّـه غَـيْرُ سَـالِك بِـكَ قَـصْدًا

واسْتَـشِرْ فِي الأُمُـورِ كُـلَّ لَبِيـبٍ   لَـيْسَ يَـأْلُوكَ فِي النَّـصِيحَةِ جهْـدًا

لا تحقرن رأيًا:

قال ابن المقرئ:

عَقْلُ الفَتَى لَيْسَ يُغْنِي عَـنْ مُـشَاوَرَةٍ   كَعِفَّةِ الخَوْدِ[1] لا تُغْنِي عَن الرَّجُـلِ

إنّ المُـشَاوِرَ إمَّـا صَـائِبٌ غَرَضًـا   أو مُخْطِـئٌ غَـيْرَ مَنْسُوبٍ إلى الخَطَـلِ

(١) الخَوْدُ: الشابة الناعمة الحسنة الخَلْق.

لا تَحْقِـر الـرَّأيَ يَأْتِيـكَ الحَقِـيُر بِـهِ فَالنَّحْلُ وَهُو ذُبَابٌ طَيِّبُ العَسَلِ[1]

الخوف والجبن والهول

مصير مؤذٍ:

وقال المعري:

لا تَكُـــونَنَّ لِلأَمُـــورِ هَيُوبًـــا فَـــإلى خَيْبَـــةٍ يَـــصِيرُ الهَيُـــوبُ

الملل طبيعة:

وقال أيضًا:

إِذَا فَزَعْنَـــا فَـــإِنَّ الأَمْـــنَ غَايَتُنَـــا وَإِنْ أَمِنَّـا فَـمَا نَخْلُـو مِـن الفَـزَعِ

وشِـيمَةُ الأُنْـسِ مَمْـزُوجٌ بِهَـا مَلَـلٌ فَـمَا تَـدُومُ عَـلَى صَـبْرٍ ولا جَـزَعِ

علام الجبن؟:

قال المتنبي:

الجُـبْنُ عَـارٌ وفِي الإِقْـدَامِ مَكْرُمَـةٌ والمَرْءُ بِالجُبْنِ لا يَنْجُـو مِـن القَـدَرِ

سعي وتوكل:

قال نهيك:

ومَنْ مَارَس الأَهْـوَالَ فِي طَلَـبِ الغِنَـى يَعْـشِ مُثْرِيًـا أو يـود فِـيمَا يُـمَارِسُ

وفِتْيَان صِدْقٍ قَدْ حَرَسْتُ مِن الرَّدَى وَلَـيْسَ لِمَـنْ لَمْ يَحْـرِس الله حَـارِسُ

جزع الجليد:

قال أبو حيان التوحيدي:

وقَـدْ يَجْـزَعُ المَـرْءُ الجَلِيـدُ ويَبْـتَلِي عَزِيمَـةَ رَأْيِ المَـرْءِ نَائِبَـةُ الـدَّهْرِ

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.

تُعَـــاوِدُهُ الايَّـــامُ فِـــيمَا يَنُوبُـــهُ فَيَقْوَى عَلَى أَمْرٍ ويَضْعَفُ عَـنْ أَمْـرِ

إخوان في المسرات:

قال محمد بن زنجي البغدادي:

فَيَا رُبَّ كُرهٍ جَاءَ مِنْ حَيْـثُ لَمْ تَخَـفْ ومَسْرُورِ أَمْرٍ بِالَّـذِي أَنْـتَ خَـائِفُ

أَرَى النَّاسَ مَا لَمْ تَبْـلُ إِخْـوانَ ظَـاهِرٍ وإنْ تَبْلُ تُنْكِرْ جُلَّ مَا أَنْـتَ عَـارِفُ(١)

قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قبل الخَطْو موقعها:

قال إمرسون: الخوف معلم حكيم.

قال سرفانتس: للخوف عيون كثيرة.

قال علي ﷺ: «إذا هِبْتَ أمرًا فقَع فيه، فإنَّ شدَّة توقيه أعظم مما تخاف منه».

قال سينوزا: «يَنْجمُ اليأسُ عن الخوف والثقةُ عن الرجاء».

قال حكيم: «إن الجبان حتفه من فوقه».

قال علي ﷺ: «حين يبكى الشجاع يضحك الجبان».

جاء في المثل الهندي: «الأفضل أن تعيش يومًا واحـدًا مثـل أسـد، مِـنْ أن تعيش مَئة سنةٍ مثل خروف»(٢).

الشجاعة والإقدام

الشجاعة الفكرية:

قال أحمد شوقي:

إنْ الـــشَّجاعَةَ فِي القُلُـــوبِ كَثِـــيرَةٌ وَوَجَدْتُ شُـجْعَانَ العُقُـولِ قَلِـيلا

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ، أحمد قبش.

(٢) أروع ما قيل في الحكمة، إميل ناصيف، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الجيل للطباعة،بيروت.

الإقدام:

وقال أيضًا:

وَمَـا اسْتَعْـصَى عَـلَى قَـوْمٍ مَنَـالٌ ... إِذَا الإِقْـدَامُ كَـانَ لَهُـمُ رِكَابًـا

شجاعة الحكماء:

وقال المتنبي:

وَكُـلُّ شَـجَاعَةٍ فِي المَـرْءِ تُغْنَـى ... ولا مِثْـلَ الـشَّجَاعَةِ فِي الحَكِـيمِ

البطولة الحقة:

قال عمر أبو ريشة:

تَقْـضِي البُطُولَـةُ أَنْ نَمُـدَّ جُـسُومَنَا ... جِـسْرًا فقـل لرفاقنـا أن يعـبروا

لماذا الجبن؟

قال المتنبي:

وَلَـوْ أَنَّ الحَيَـاةَ تَبْقَـى لِحَـي ... لَعَـدَدْنَا أَضَـلَّنَا الـشُّجْعَانَا

وَإِذَا لَمْ يَكُـنْ مِـن المَـوْتِ بُـدٌّ ... فَمِـنَ العَجْـزِ أَنْ تَمُـوتَ جَبَانَـا

وصول إلى المجد:

قال المعري:

ومَـا يَـسْبَحُ الإِنْـسانُ فِي لُـجِّ غَمْـرَةٍ ... مِن العِزِّ إلا بَعْـدَ خَـوْضِ الـشَّدَائِدِ

ومَتَـى رُزِقْـتَ شَـجَاعَةً وبَلاغَـةً ... أَوْطَنْـتَ مِـنْ رَبْـعِ العُـلا بِمُـشَيَّدِ

وقال خليل مطران:

وإِذَا وَجَـدْتَ المَـرْءَ فِي إِقْدَامِـهِ ... نَقْـصٌ فَـلا يُرْجَـى هُنَـاكَ تَمَـامُ

كَيْـفَ الَّـذِي اتَّخَـذَ الحَيَـاةَ وَسِـيلَةً ... وسَـمَا لَـهُ فَـوْقَ الحَيَـاةِ مَـرَامُ

وقال المعري أيضًا:

تَـأَخَّرْتُ أَسْـتَبْقِي الحَيَـاةَ فَلَـمْ أَجِـدْ لِنَفْـسِي حَيَـاةً مِثْـلَ أَنْ أَتَقَـدَّمَا[1]

الخوف لا يطيل الأجل:

مَـنْ لَمْ يَمُـتْ بالـسَّيْفِ مَـاتَ بِغَـيْرِهِ تعدَّدَتِ الأسْـبَابُ والمَـوْتُ واحِـدُ

انتفع بوقتك:

خُذِ الوَقْتَ أَخْذَ اللِّصِّ واسرِقْهُ واخْـتَلِسْ فَوائِــدَهُ بالطِّيــبِ أو بالتَطَايُــب

وَلا تَتَعَلَّــــلْ بِالأَمَــــانِي فَإنَّهَــــا مَطَايَا أَحَادِيثِ النُّفُوسِ الكَـواذِبِ

المرء على ما تعود:

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَـبَّ عَـلَى حُبِّ الرَّضَـاعِ وإِنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِمِ

فَـاصْرِفْ هَوَاهَـا وحَـاذِرْ أنْ تولّيَـهُ إنَّ الهَوىَ مَـا تَـولَّى يَـصم أو يُـصِمِ

ورَاعِهَـا وهِـيَ في الأعْـمَالِ سَـائِمَةٌ وإنْ هيَ اسْتَحلَّتِ المَرعَى فَلا تَسِمِ

كَـمْ حـسَّنتْ لـذةً للمَـرءِ قَاتِلَـةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَن السّمَّ في الدَّسَم

انتهز الفرصة:

ومَـا مَـاضِي الـشَّبَابِ بمُـسْتَرَدٍّ ولا يَـــوْمٌ يَمُـــرُّ بِمُـــسْتَعَادِ

الثبات في الشدائد:

ولا تَفِـرَّ إِذَا مـا خُـضْتَ مَعْرَكـةً فَـمَا يَزِيـدُ فِـرَارُ المَـرءِ فِي الأجَـلِ

البعد عن الخور:

وَلا خَـيْرَ فِي مَـنَ لَمْ يُـوطِّنْ نَفْـسَهُ عَـلى نَائِبَـاتِ الـدَّهْرِ حِـينَ تَنُـوبُ

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.

الحق أبلج:

ولــيْسَ يَــصِحُّ فِي الأَذْهَــانِ شَيءٌ ... إِذَا احْتَــاجَ النَّهَــارُ إِلى دَلِيــلِ

لا مقارنة بين أهل الفضل والجهلاء:

أَلمْ تَــر أَنَّ الــسَّيْفَ يَــنْقُصُ قَــدْرُهُ ... إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ العَصَا؟

لا تُغضب الناسَ:

كَــذَا المَــاءُ إنْ حَرَّكَتْــهُ يــدٌ ... طفَــا عَكَــرٌ رَاسِــبٌ فِي إِنَائِــهْ

اجتنب السفهاء:

فَنَــذْلُ الرِّجَــالِ كنْــذلِ النَّبَــاتِ ... لا لِلــثِّمَارِ ولا لِلْحَطَــبْ

احذر المراوغين:

يُعطيك منْ طـرفِ اللسانِ حَـلاوةً ... ويَـرُوغُ مِنْـكَ كَـمَا يَـرُوغُ الثَّعْلَـبُ

اللبيب يفهم بالإشارة:

وفِي النَّفْسِ حَاجَـاتٌ وفِيـكَ فَطَانَـةٌ ... سُـكُوتِي بَيَـانٌ عِنْـدَهَا وخِطَـابُ

طباع اللئام:

إذَا كَــانَ الطِّبَــاعُ طِبَــاعَ سُــوءٍ ... فَــلا أَدبٌ يُفِيــدُ ولا أَدِيــبُ

المتبلدون الغافلون:

لَقَــدْ أَسْــمَعْتَ لَــوْ نَادَيْــتَ حَيًّــا ... ولَكِــنْ لا حَيَــاةَ لِمَــنْ تُنَــادِي

ولَــوْ نَــارًا نَفَخْــتَ بِهَــا أَضَــاءَتْ ... ولَكِــنْ كُنْــتَ تَــنْفُخُ في رَمَــادِ

إنما يتذكر أولو الألباب:

مِنَ النَّاسِ مَيْـتٌ وهُـو حَـيٌّ بِـذِكرِهِ ... وحَيٌّ سَلِيمٌ وهُـوَ في النَّـاسِ ميّـتُ

فأَمَّا الذِي قَـدْ مَـاتَ والـذِّكْرُ نَـاشِرٌ ... فَمَيتٌ لَـهُ دِيْـنٌ بـهِ الفَـضْلُ يُنْعَـتُ

مخلفو العهود:

وعَدْتَ وكانَ الخُلْفُ مِنْكَ سَجِيّةً مَواعِيدَ عَرقُوبٍ أَخَاه بِيثْربِ

الهمة العالية لها أصحابها المضحون في سبيلها:

ولَوْ أنَّ مَا أَسْعَى لِأدنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي - ولَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِن المَالِ

ولكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وقَدْ يُدرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

ضرر الجهل:

إذَا مَا الجَهْلُ خَيَّمَ في بِلادٍ رَأَيْتَ أُسُودَها مُسِخَتْ قُرُودَا

الدهشة تقيد الإنسان:

تَكَاثَرتِ الظِّبَاءُ عَلَى خِرَاشٍ فَمَا يَدْرِي خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ

- لكل مقام مقال.
- خذِ الأمر بقَوابلِه.

الشهرة وحسن الذكر والصيت

إنما المرء حديث:

قال علي بن مقرب:

والمَرْءُ فِي الدُّنْيَا حَدِيثٌ سَائِر تَقْضِي الرِّفَاقُ بِهِ مَدَى أَوْقَاتِهَا

فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا يُقَالُ ضُحَى غَدٍ إِذْ تُطلبُ الأَخْبَارُ عِنْدَ رُواتِهَا

وقال ابن دريد:

وإنَّمَا المَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

مشترى الصيت:

قال القروي:

يَا شَارِيَ الصَّيْتَ إِنْ لَمْ تُعْطَ مَوهِبَةً مِنَ السَّمَاءِ فَلَنْ يُعْطِيكَهَا النَّاسُ

قَصْرُ الذَّكاءِ عَلى التَذْبِيعِ آخِرُهُ عُقْمٌ، وعَاقِبَةُ التَبْذِيرِ إِفْلاسُ

الشرف أفضل من المال:

قال ابن أبي حصينة:

خَيْرُ الأحَادِيثِ مَا يَبْقَى عَلى الحِقَبِ وخَيْرُ مَالِكَ مَا دَارَى عَن الحَسَبِ

لا ذِكْرَ يَبْقَى لِمَنْ يَبْقَى لَهُ نَشَبٌ والذِّكْرُ يَبْقَى لِمَنْ يَبْقَى بِلا نَشَبِ

عِرضُ الفتَى حِين يَغْدُو أَبْيَضَا حسنًا خَيْرٌ مِن الفِضَّةِ البَيْضَاءِ والذَّهَبِ

عمر آخر:

قال المتنبي:

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُه الثَّانِي وحَاجَتُه مَا فَاتَهُ وفُضُولُ العَيْشِ أَشْغَالُ

حياتان:

قال ابن الرومي:

عُمْرُ الفَتَى ذِكْرُهُ لا طُولُ مُدَّتِهِ ومَوْتُهُ خِزْيُهُ لا يَومُهُ الدَّانِي

فَأَحْي ذِكْرَكَ بِالإِحْسَانِ تَفْعَلُهُ تُجْمَعْ بِهِ لَكَ فِي الدُّنْيَا حَيَاتَانِ

ضَبطُ الشِكاية

اخزن لسانك:

قال الشاعر:

لا تَشْكُ فَالنَّاسُ فِي الرَّزَايَا ثَلاثَةٌ ثُمَّ لا مَزِيدُ

إِمَّا صَدِيقٌ يُفَادُ غَمًّا أَو شَامِتٌ كَاشِحٌ حَسَودُ

أَوْ غَافِلٌ عَنْكَ مُسْتَرِيحٌ إِلَيْه شَكْوَاكَ لا تُفِيدُ

ومَنْ يُسْلِيكَ أَوْ يُوَاسِي لَمْ يَبْدُ شَخْصًا لَهُ الوُجُودُ

إلا أَحَادِيثَ لَفَّقُوهَا يُصْغِي لَهَا الجَاهِلُ البَلِيدُ

بثُّ هَمكَ لأصحابِ المروءةِ:

قال بشار بن برد:

وَلا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي مُرُوءَةٍ يُواسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

اكتم سرك:

قال أسامة بن منقذ:

لا تُطْلِعَنَّ لِسَانَ شَكْوَى بائِح ضَجِرًا عَلى سِرِّ الفُؤَادِ الكَاتِمِ

واعْلَمْ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا فِيه بَنُو الدُّ نْيَا يَزُولُ زَوَالَ حلْمِ النَّائِمِ

شكوى لأصحاب المروءة:

قال القاضي الفاضل:

لَسْتُ أَشْكُو إلا لِمَرْجُو نَفْع فَعَلَى ذَاكَ لَسْتُ أَشْكُو لِخَلْقِ

مَا رَأَيْتُ الشَّكْوَى تَفُكُّ خِنَاقًا بَلْ أَرَاهَا تَزِيدُنِي فِي الخَنْقِ

المتاعب ستزول:

قال أسامة بن منقذ:

لا تُودِعَنَّ عَنْ سَمْعِ أَخٍ شَكِيَّةً فَالقَلْبُ أَوْلَى بِالَّذِي أَجَنَّا

وكُلُّ مَا نَشْكُوه مِنْ زَمَانِنَا نَزُولُ عَنْهُ أَوْ يَزُول عَنَّا

الجهول:

قال المعري:

وإِنَّ امرأً يَشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ ويَسْخُو بِمَا فِي نَفْسِهِ لَجَهُولُ[1]

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.

الحقارة والاحتقار

إياك والازدراء:

قال صالح بن عبد القدوس:

لا تَحْقِــرَنَّ مِــن الأَيَّــامِ مُحْتَقَــرًا ... كُلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزَى بِالذِي اكْتَسَبا

قَدْ يَحْقِرُ المَرْءُ مَا يَهْوَى فَيَرْكَبُهُ ... حَتَّـى يَكُـونَ إِلَـى تَوْرِيطِهِ سَـبَبا

عَامِل الناس بما تحب أن يعاملوك به:

قال القسيم بن الهذيل:

لا تَحْقِــرَنَّ ذَا بُؤْسَــةٍ أَنْ تُنيلَــه ... وإنْ كَانَ بَيْنَ النَّاسِ وَهُو حَقِيرُ

فَـإِنْ عَسَى أَنْ يَرْفَعَ الدَّهْرُ طَرْفَهُ ... ولله رَاعٍ بالعِبَــادِ بَصِيرُ

فَيلقَاكَ يَوْمًا ثُمَّ يُجْزِيكَ مِثْلَهَا ... وأَنْــتَ إِلَيْهَا عِنْدَ ذَاكَ فَقِيــرُ

ليست الأشياء بضخامتها:

قال التهامي:

إنْ يُحْتَقَــرْ صِــغَرًا فَــربَّ مُفَخَّــمٍ ... يَبْـدُو ضَـئِيلَ الـشَّخْصِ للنُّظَّـارِ

إنَّ الكَوَاكِـبَ فِـي عُلُـوِّ مَحَلِهَـا ... لَتُـرَى صِـغَارًا وهِـيَ غَيْـرُ صِـغَارِ

القليل إلى القليل كثير:

قال الشاعر:

لا تَحْتَقِــرْ أَمْــرَ القَلِيــلِ فَطَالَمَــا ... رَأَيْنَـا قَلِيـلَ الأَمْـرِ جَـزَّ كثِيـرَهُ

رُبَّ أشعث أغبر:

قال محمد النيسابوري:

فَلا تَحْقِرَنْ خَلْقًا مِن النَّاسِ عَلَّه ... وَلِـيُّ إِلـهِ العَـالَمِينَ وَلا تَـدْرِي

فَذُو القَدْرِ عِند الله يَخْفَى عَلَى الوَرَى ... كَمَا خَفِيَتْ عَنْ عِلْمِهِمْ لَيْلَةُ القَـدْرِ

قال أبو الفتح البستي:

لا تَحْقِــرَنَّ المَــرْءَ إِنْ رَأَيْــتَ لَــهُ   دَمَامَــــةً أَوْ رَثَاثَــــةَ الحُلَـــــلِ
فَالنَّحْـــلُ شَـــيءٌ عَلَـــى ضُـــؤُولَتِهِ   يَـشْتَارُ مِنْـه الفَتَـى جَنَـى العَـسَلَ
لا تحْقِـــرَنَّ أخًـــا وإِنْ أَبْـــصَرْتَهُ   لَكَ جَافِيًـا وَلِمَـا تُحِـبُّ مُنَافِيًـا[1]

ذل السؤال وشرف الاستغناء

ازهد فيما في أيدي الناس:

قال أعرابي:

عَلام سُؤالُ النَّـاسِ والـرِّزْقُ وَاسِـعُ   وأَنْتَ صَـحِيحٌ لَمْ تَخُنْـكَ الأَصَـابِعُ
وفِي العَيْشِ أَوْطَارٌ وفِي الأرضِ مَذْهَبٌ   عَرِيضٌ وبَابُ الرِّزْقِ فِي الأَرْضِ وَاسِعُ
فَكُنْ طَالِبًا للرِّزْقِ مِـنْ رَازِق الغِنَـى   وَخَـلِّ سُـؤَالَ النَّـاسِ فَـالله صَـانِعُ

إن مع العسر يسرا:

قال الحسن بن عبيد:

حَـصِّنِ الوَجْـه الَّـذِي إِنْ لَمْ تَـصُنْهُ   بَقِيْــتَ وأَنْــتَ فِي الــدُّنْيَا ذَلِيــلُ
وعِـــشْ حُـــرًا ولا يَحْمِلْـــكَ ضُرّ   عَــلَى مَرْعَــى لَــهُ غِــبّ وَبِيــلُ
فَلَــيْسَ الــرَّأْيُ إلا الــصَّبْر حَتَّــى   يُـذِيلَ اليُـسرَ مِـنْ عُـسْرٍ مُـذِيلُ
ألَــيْسَ لِكُـــلِّ آفلـــةٍ طُلُـــوعٌ   بَـــلَى، وَلِكُـــلِّ طَالِعَـــةٍ أُفُـــولُ

الترفع عن الخلق الدنيء:

قال أبو العتاهية:

أَتَـــــدْرِي أَيَّ ذُلٍّ فِي الـــــسُّؤَالِ   وفِي بَـــذْلِ الوُجُـــوهِ إِلى الرِّجَـــالِ

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.

إِذَا كَـانَ الـسُّؤَالُ بِبَـذْلِ وجْهِـي فَـلا قُرِّبْـت مِـن ذَاكَ النَّـوَالِ
مَعَـاذَ الله مِـنْ خُلُـقٍ دَنِيٍّ يَكُـونُ الفَـضْلُ فِيـه عَـلَيَّ لا لِي

الله أكرم مأمول:

وقال أبان بن عثمان:

مَا لِي تِلادٌ ولا اسْتَطْرَفْتُ مِن نَشَبٍ ومَـا أُؤمِّـلُ غَـيْرَ الله مِـن أَحـدٍ
إِنِّي لأُكْـرِمُ وَجْهِـي أَنْ أُوجهَـهُ عِنْد السُّؤَالِ لِغَيْرِ الوَاحِدِ الصَّمَدِ
عِـزُّ القَنَاعَـةِ والإِيـمَانُ يَمْنَعُنِـي مِـن التَّعَـرُّضِ لِلْمَنَّانَـةِ النَّكِـدِ
رَضِـيتُ بِـالله فِي يَـوْمِي وفِي غَـدِهِ والله أَكْـرَمُ مَـأْمُولٍ لبعْـدِ غـدِ

الحرمان والعجز:

قال يونس بن عبيد:

إنَّ الوُقُـوفَ عَـلى الأَبْـوابِ حِرْمَـانُ والعَجْزُ أَنْ يَرْجُوَ الإِنْسَانَ إِنْسَانُ
فَـلَا تَأمَّـلْ مَخْلُوقًـا وتَقْـصُدُه إِنْ كَـان عِنْـدَك بِـالرَّحْمنِ إِيـمَانُ
عَطَـاؤُهْ لَـك إِنْ أَعْطَاكَـهُ ضِـعَةٌ فَكَيْفَ إِنْ كان بعدَ المَطْلِ حِرْمَـانُ
ثِقْ بِالَّـذِي هُـوَ يُعْطِـي ذَا ويَمْنَـعُ ذَا فِي كُـلِّ يَـوْمٍ لَـهُ فِي خَلْقِـهِ شَـانُ(١)

الموت سؤال الرجال:

قال الشاعر:

يَـا أَيُّهَـا المُتْعَـبُ بِـذُلِّ الـسُّؤَالِ وطَالِبُ الحَاجَاتِ مِـنْ ذِي النَّـوَالِ
لا تَحْـسَبَنَّ المَـوْتَ مَـوتَ الـبِلَى فَـإِنَّمَا المَـوْتُ سُـؤُالُ الرِّجَـالِ
كِلاهُمَـا مَـوْتٌ ولَكِـنَّ ذا أَعْظَـمُ مِـنْ ذَاكَ لِـذُلِّ الـسُّؤَالِ(٢)

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس،لابن عبد البر القرطبي.
(٢) روضة العقلاء وبهجة الفضلاء- لأبي حاتم البستي.

وقال حبيب الطائي:

ذُلُّ السُّؤَالِ شَجًى فِي الحَلْقِ مُعْتَرِضٌ ... من دُونِهِ شَرَقٌ مِـنْ خَلْفِـهِ حَـرَضُ

مَا مَاءُ كَفِّكَ إنْ جَـادَتْ وإنْ بَخِلَـتْ ... مِنْ مَـاء وجْهِـي إِذَا أَفْنَيْتُـهُ عِـوَضُ

إنِّي بِأَيْـــسَر مَـــا أَدْنَيَـــتُ مُنْبَـــسِطٌ ... كَمَا بِأَكْثَرِ مَـا أَقْـصَيتُ مُنْقَـبِضُ(١)

ترفع عن السؤال :

قال الشاعر:

مَـا اعْتَـاضَ بَـاذِلُ وجْهِـهِ بِـسُؤَالِهِ ... عِوَضًـا ولَـوْ نَـالَ الغِنَـى بِـسُؤَالِ

وإِذَا الـــسُّؤَالُ مَـــع النَّـــوَالِ وزَنْتَـــهُ ... رَجحَ السُّؤَالُ وخَفّ كُلُّ نَـوَالِ(٢)

وقال أحمد الأنباري:

لَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ مِـن البُخْـلِ لِلْغَنِـي ... وَللبُخْـلُ خَـيْرٌ مِـنْ سُـؤَالِ بَخِيـلِ

لَعَمْــرُكَ مَــا شَيءٌ لِوَجْهِــكَ قِيمَــةٌ ... فَـلا تَلْـقَ إِنْـسَانًا بِوجْـهِ ذَلِيـلِ(٣)

سل الله من فضله:

وقال آخر:

إِذَا أَذِنَ اللهُ فِي حَاجَـــــــــــــةٍ ... أَتَـــاكَ النَّجَـــاحُ عَـــلى رِسْـــلِهِ

فَــلا تَــسْأَلِ النَّــاسَ مِــنْ فَــضْلِهِمْ ... ولَكِـــنْ سَـــلِ اللهَ مِـــنْ فَـــضْلِهِ

وقال آخر:

لا تَـــسْأَلَنَّ بَنِـــي آدَمَ حَاجَـــةً ... وسَـــلِ الَّـــذِي أَبْوَابُـــهُ لا تُحْجَـــبُ

اللهُ يَغْـــضَبُ إِنْ تَرَكْـــتَ سُـــؤَالَهُ ... وبُنَيَّ آدمَ حِـينَ يُـسأَلُ يَغْـضَبُ(٤)

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٢) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٣،٤) المستطرف للأبشيهي.

وقال ابن دقيق العيد:

وقَائِلَــةٍ مَــاتَ الكِــرَامُ فَمَــنْ لَنَــا ... إِذَا عَــضَّنَا الــدَّهْرُ الــشَّدِيدُ بِنَابِــهِ

فَقُلْــتُ لَهَــا مَــنْ كَــانَ غَايَــةُ قَــصْدِهِ ... سُــؤْلًا لِمَخْلُــوقٍ فَلَــيْسَ بِنَابِــهِ

إِذَا مَاتَ مَنْ يُرْجَى فَمَقْصُودُكَ الذِي ... تُرْجِينَــهُ بَــاقٍ فَلُــوذِي بِبَابِــهِ(١)

اللجوء إلى الله:

وقال آخر:

لَمَّــا افْتَقَــرْتُ لِــصَحْبِي مَــا وَجَــدْتُهُمُ ... لَجَــأْتُ لله لَبَّــانِي وأَغْنَــانِي

وَاهًا عَلَى بَذْلِ وَجْهِي لِلْوَرَى سَـفَهًا ... فَلَــوْ بَــذَلْتُ إِلى مَــوْلاي وَالانِي(٢)

استغن عن الناس:

قال الشاعر:

إِنَّ الغِنَــى عَــنْ لِئَــامِ النَّــاسِ مَكْرُمَــةٌ ... وعَنْ كِــرَامِهُم أَدْنَــى إِلى الكَــرَمِ(٣)

لا تسأل الناس:

قال آخر:

لا تَــسْأَلَنَّ المَــرْءَ ذَاتَ يَدَيْــهِ ... فَيُحْقِرَنَّــكَ مَــنْ رَغِبْــتَ إِلَيْــهِ

المَــرْءُ مَــا لَمْ تَرجُــهُ لَــكَ مُكْــرِمٌ ... فَإِذَا رَجَــوْتَ المَرْءَ هُنْــتَ عَلَيْـهِ(٤)

نفوس الكبار

حسن الفطنة:

اللبيب تكفيه الإشارة، وتغنيه عن العبارة، وقد يحتاج الإنسان ولا يسأل؛ لأن صاحبه أغناه عن ذل السؤال:

وفِي الــنَّفْسِ حَاجَــاتٌ وفِيــكَ فَطَانَــةٌ ... سُــكُوتِي عَنْهــاَ مَنْطِــقٌ وَدَلِيــلُ

(١،٢) المستطرف للأبشيهي.

(٣،٤) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

سعي الوشاة:

لَـئِنْ كُنـتَ قـدْ بُلِّغْـتَ عَنِّـي وِشَـايَةً   لَمُبْلِغُكَ الـوَاشِي أَغَـشُّ وأَكْـذَبُ

الأدب نسب:

مَــنْ فَاتَــهُ نَــسَبٌ فَلْيَطْلُــبِ الأَدبَــا   فَفِيــهِ مَنْبَهَــةٌ إنْ حَــلَّ أو ذَهَبَــا

إنَّ الأدِيــبَ ليُحْيِــي ذِكْــرَ والِــدِهِ   كَالغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ حَيْثُمَا انْسَكَبَا

الشدائد:

وَلا خَــيْرَ فِي مَــنْ لا يُــوطِّنُ نَفْــسَهُ   عَلى نَائِبَاتِ الـدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

دعوة إلى الصلح:

تَعــالَوْا نَــصْطَلحْ وتَكُــونُ مِنَّــا   مُعَــاوَدةٌ بِــلا عــدِّ الــذُّنُوبِ

فَــإِنْ أحْبَبْــتُمُ قُلْــتُمْ وقُلْنَــا   فَــإِنَّ القَــوْلَ أشْـفَى لِلْقُلُــوبِ

تأدب:

وأَرَاهُ يُــصْغِي لِلْحَــدِيثِ بِقَلْبِــهِ   وبِــسَمْعِهِ ولَعَلَّــهُ أَدْرَى بِــهِ

الصمت خير:

إِذَا نَطَــقَ الــسَّفِيهُ فَــلا تُجِبْــهُ   فَخَـيْرٌ مِـنْ إجَابَتِـهِ الـسّكُوتُ

فَــإِنْ جَاوبْتَــهُ فرَّجْــتَ عَنْــهُ   وإنْ خَلَّيتَــهُ كَمَــدًا يَمُــوتُ

ظلم على ظلم:

قال طرفة بن العبد:

وَظُلْـمُ ذَوي القُربَـى أَشَـدُّ مَـضَاضَةً   على النَّفْسِ مِنْ وقْعِ الحُسَامِ المُهنـدِ

جهد في غير طائل:

قال المتنبي:

وأُكْــبِرُ نفــسِي عــنْ جَــزَاءٍ بغَيْبَــةٍ   وكُلُّ اغْتِيابٍ جُهْدُ مَنْ لا لَهُ جُهْدُ

وبضدها تتميز الأشياء:

ضِـــدانِ لَمّـــا اسْـــتَجْمَعَا حَـــسُنَا والـشَّيءُ يُظهِـرُ حُـسْنَهُ الـضِّدُّ

رجال للشدائد وآخرون للمطاعم:

قال عمرو بن الغوث:

وإِذَا تَكُــونُ كَرِيهَــةٌ أُدْعَــى لَهَــا وإذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُـدعَى جُنـدبُ

التغاضي عن زلات الإخوان:

قال بشار بن برد:

إِذَا كُنْـتَ فِي كُـلِّ الأمُـورِ مُعاتِبًـا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْـقَ الَّـذِي لا تُعَاتِبُـهْ

فعِـشْ واحِـدًا أَوْ صِـلْ أَخَـاك فَإِنَّـهُ مُقَـارِفُ ذَنْـبٍ مَـرةً ومُجَانِبُـهْ

إِذَا أَنْتَ لمْ تـشْرَبْ مِـرارًا عَـلى القَـذَى ظمِئْتَ، وأيُّ النّاسِ تَـصْفُو مَـشَارِبُهْ

شموخ وأنفة:

قال البعيث بن حريث:

ولَـسْتُ وإنْ قُرِّبْـتُ يَوْمًـا بِبَـائِعٍ خَلاقِـي ولا مَجْـدِي ابْتِغَـاءَ التَّحَبُّـبِ

لؤم وسوء طبع:

إذَا كَـانَ الطِّبَـاعُ طِبَـاعَ سُـوءٍ فَـلا أَدبٌ يُفِيـدُ ولا أَدِيـبُ

فاز الجسور:

مَـنْ راقـبَ النـاسَ لمْ يَظْفـرْ بحاجتِـهِ وفَـازَ بالطَّيِّبَـاتِ الفَاتِـكُ اللَّهِـجُ

القناعة بالقليل:

أَلا إِنْ لَمْ يَكُـنْ إِبِـلٌ فَمِعْـزَى كأنَّ قُرُون جِلّتِها[1] العِـصِيُّ[2]

فَتُوسِـعُ أَهْلَهَـا أَقِطًـا وسَـمْنًا وَحَـسْبُكَ مِـنْ غِنًـى شِـبعٌ وَرِيُّ

---

(١) جلتها: حسنها.

(٢) العِصِي: جمع عصا.

الجد في العمل:

لا يـــضيرُ العَجـــزُ ذَا الجِـــدِّ ولا يَنْفَـعُ المَحْـرُومَ إِيـضَاعٌ وكَـدُّ

الأشرار يصنعون الفتن

قال أحد الشعراء:

كَـــذَا المَـــاءُ إنْ حَرَّكتْـــهُ يَـــدٌ طَفَـا عَكَـرٌ رَاسِـبٌ فِي إِنَائِـه

وقال آخر:

لا تَحْقِـــرنَّ صَـــغِيرًا في مُخَاصَـــمةٍ إنَّ البَعُوضَةَ تُدْمِي مُقْلَـةَ الأَسَـدِ

ولِلـــشَّرارةِ حِقـــرٌ حِـــينَ تَنْظُرُهـــا وربَّـمَا أَضْرَمـتْ نَـارًا عَـلَى نَكَـدِ

لا صلاح من المفسدين:

أَيُرْجَـــى بِـــالجَرَادِ صَـــلاحُ أمْـــرٍ وقَدْ جُبِلَ الجَـرَادُ عَـلَى الفَسَادِ؟

حيرة وضلال:

تَكَـــاثَرتِ الظِّبَـــاءُ عَـــلى خِـــرَاشٍ فَـمَا يَـدْرِي خِـرَاشٌ مَـا يَـصِيدُ

العادة والطبـع

التدرج في الأمور:

قال البستي:

إذا فَطَمْـتَ امـرأً عَـنْ عَـادَةٍ قَـدُمَتْ فاجْعَل لَـهُ يَـا عَقِيـلُ الفَـضَلَ تَـدْرِيجَا

ولا تُعَتِّـــق إِذَا قَوَّمْـــتَ ذَا عِـــوَجٍ فَـربَّما أَعْقَـبَ التَقْـوِيم تَعْوِيجَـا

النشأة والعادة:

قال المتنبي:

ويَنْـــشَأُ نَاشِـــئ الفِتْيَـــانِ مِنَّـــا عَـلَى مَـا كَـانَ عَـوَّدَه أَبُـوُه

وقال أيضًا:

إِذَا اعْتَـــادَ الفَتَـــى خَـــوْضَ المَنَايَـــا فَـأَهْونُ مَـا يَمُـرُّ بِـه الوُحُـولُ

بناء مستحكم:

قال الشاعر:

نَصَحْتُكَ لا تَأْلَفْ سِوى العَادَةِ الَّتِي   يَسُركَ مِنْهَا مَنْشَأٌ ومَصِيرٌ

فَلَمْ أَرَ كَالعَادَاتِ شَيْئًا بِنَاؤُهُ   يَسِيرٌ، وأَمَّا هَدْمُه فَعَسِيرُ

إلف لا يزول:

قال المعري:

طَبْعٌ خُلِقْتَ عَلَيْهِ لَيْسَ بِزَائِلٍ   طُولَ الحَيَاةِ وَآخَرٌ مُتَعَلَّمُ

وقال أيضًا:

نَهَانِي عَقْلِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ   وطَبْعِي إِلَيْهَا بِالغَرِيزَة جَاذِبِي

الطبع غلاب:

قال الشاعر:

لِكُلِّ امْرِئ لا بُدَّ يَوْمًا سَجِيَّةٌ   يَصِيرُ إِلَيْهَا غَيْر مَا يَتَخَلَّقُ(١)

قال ذو الأصبع:

كُلُّ امْرِئ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِيمَتِهِ   وإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلاقًا إِلى حِينِ

سوء الظن قبح:

وقال أيضًا:

طِبَاعُ النَّاسِ مُنْكَشِفٌ قَذَاهَا   لِمَنْ يُبْلَى بِهِمْ فِي حَالَتَيْهِ

يُسِيءُ الظَّنَ مُحْتَاجُ إِلَيهِمْ   ومَنْ قَصَدُوا بِحَاجَتِهِمْ إِلَيْه

فَلا البَأْسَاءُ تَرْفَعُه لَدَيْهِم   ولا العَلْيَاءُ تَرْفَعُهُم لَدَيْهِ(٢)

---

(١) أروع ما قيل في الحكمة، إميل ناصيف.

(٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.

الجديد والتجديد والتطور

في التأني السلامة:

قال أحمد شوقي:

ومَـــعَ المُجَـــدِّدِ بالأَنَـــاةِ سَـــلامَةٌ ... ومَـعَ المُجَـدِّدِ بِالحِجَـاجِ عِثَـارُ

نظرة مستقبلية:

قال خير الدين الزركلي:

خُـذْ فِي حَـدِيث غَـدٍ ومَـا يَتْلُـو غَـدًا ... مُتَجِـــدِّدًا إنّ الزمـــانَ تَجَـــدَّدَا

واسْـدِلْ عَـلَى المَـاضِي الحِجَـابَ فَإِنَّـهُ ... زَمَـــنٌ تَنَـــاثَرَ عِقْـــدُهُ وتَبَـــدَّدَا

مــا أَمْــسُ مَــا آثَــارُ أمْــسِ وَأَهْلِــهِ ... عِــبرٌ أَمرَّتهـا العُـصُور لِتَـشْهَدَا

لن يرجع الماضي:

قال البحتري:

إنَّ البُكَـــاءَ عـــلى مَـــاضِيَّ مَكْرُمَـــةٌ ... لَوْ كَـانَ مَـاضٍ إِذَا بَكَّيْتُـه رَجَعَـا

الحياة تدافع:

قال أحمد قنديل:

إِنَّ الحَيَـــاةَ تَـــدَافُعٌ وتَـــسَارَعٌ ... والمَوْتُ فِي لَوْنَيْه شِـيمَتُهُ الرُّكُـودُ

لَمْ يَـــدْرِ أَلْـــوَانَ الحَيَـــاةِ وطَعْمَهَـــا ... مَنْ بَاتَ مُنْزَوِيًـا يُرَافِقُـه الجُمُـودُ

يَخْـشَى التَّمَـــردَ والتَّمَـــردُ لَمْ يَـــزَلْ ... بَـابٌ إِلى طُـرقِ المُفِيـدِ جَدِيـدُ

الحياة في الحركة:

قال معروف الرصافي:

لَعَمْـــرُكَ إِنَّ الـــدَّهْرَ يَجْـــرِي لِغَايَـــةٍ ... فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَـا سـعِيدًا فَبَـارِهِ

لَقَـدْ فَـازَ مَـنْ بَـارَى جَدِيدَيْـهِ جِـدَّةً ... وخَـابَ الَّـذِي فِي جِـدِّهِ لَمْ يُبَـارِهِ

ولَيْـسَتْ حَيَـاةُ النَّـاسِ إلا تَجَـدُّدًا ... مَع الدَّهْرِ فِي إِينَاسِـهِ واخْـضَرارِهِ

ومَـا النَّـاسُ إلا المَـاءُ يُحْيِيــهِ جَرْيُــهُ ويُرْدِيــهِ مُكْــثٌ دَائِــمٌ فِي قَــرَارِهِ

سنن الحياة ثابتة:

قال يعقوب صروف:

ولِلتَّطَــــوَّرِ أَحْكَــــامٌ مُقَــــرَّرَةٌ والنَّفْسُ والجِسْمُ فِي الأحْكَامِ سِيَّانِ

ولا بُــدَّ لِلْعِلْــمِ مِــنْ يَــوْمٍ يَفُــوزُ بِهـا يُبَــيِّنُ الحَــقُّ فِيــه خَـيْرَ تِبْيَـانِ[1]



(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.



البَابُ السَّابِعُ

العقل والعقلاء



من صفات العاقل

اجتناب المكاره:

قال المنصور: «ليس العاقل من يتحرز من الأمر الذي يقع فيه حتى يخرج منه، إنَّما العاقل من يتحرز من الأمر الذي لم يقع فيه، حتى لا يقع فيه»(١).

كامل العقل وناقص العقل:

وقال عبدالله بن الحسن بن المثنى: «الكامل العقل يرى الرأي بعد ما يفكِّر، والناقص العقل لا يراه بديهة ولا بعد أن يفكر»(٢).

اتزان:

وقال بعض الحكماء: «يعرف العاقل بحسن سمته، وطول صمته، وصحة تصرفه»(٣).

وقيل للقمان: من العاقل؟ فقال: «الذي لا يصنع في السر ما يستحي منه في العلانية»(٤).

معرفة العواقب:

وقال بعض العلماء: «العاقل من يرى بأول رأيه آخر الأمور، ويهتك عن مهماتها ظلم الستور، ويستنبط دقائق القلوب، ويستخرج ودائع الغيوب»(٥).

تجربة واختيار:

قيل: «العاقل يقدم التجريب قبل التقريب والاختبار»(٦).

تفكر:

وقال الحسن البصري: «لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الأحمق من وراء لسانه، فإذا أراد أن يقول قال»(٧).

(١، ٢) المقتطف من أزاهر الطرف لابن سعيد الأندلسي.

(٣، ٤) المخلاة للعاملي.

(٥، ٦) روض الأخيار لمحمد قاسم.

(٧) حدائق الأزاهر للغرناطي.

تغافل الفطن:

قالوا: «العاقل فطن متغافل»[(١)].

تدرج:

وقالوا: «العاقل يقي ماله بسلطانه، ونفسه بماله، ودينه بنفسه»[(٢)].

مودة متصلة:

وأيضًا: «العاقل دائم المودَّة، والأحمق سريع القطيعة»[(٣)].

أولويات:

وقال عمر ﷺ: «ليس العاقل من عرف الخير من الشر، بل العاقل من عرف خير الشرين»[(٤)].

اجتناب الظنون والمكاره:

وقال بزرجمهر: «العاقل لا يرجو ما يعنِّف برجائه، ولا يسأل ما يخاف منعه، ولا يمتهن ما لا يستعين بالقدرة عليه»[(٥)].

الناهي:

سئل أعرابي عن العقل متى يعرف؟ قال: «إذا نهاك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل»[(٦)].

معرفة وجدّ:

وقالوا: «على العاقل أن يكون عالمًا بأهل زمانه، مالكًا للسانه، مقبلًا على شانه»[(٧)].

أجود ما قيل في العقل والعقلاء

مروءة وشرف:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «مروءة الرجل عقله وشرفه حاله»[(٨)].

(١-٨) العقد الفريد لابن عبد ربه.

ثلاثة حِسَان:

قال الأحنف بن قيس: «العقل خير قرين، والأدب خير ميراث، والتوفيق خير قائد»(١).

العقل القوي:

وعن العتبي عن أبيه قال: «العقل عقلان، فعقل تفرد الله بصنعه، وعقل يستفيده المرء بأدبه وتجربته، ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلّا بصحة العقل المركب، فإذا اجتمعا في الجسم قوّى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة نور البصر»(٢).

الألمعية:

قيل لحكيم: ما العقل؟ قال: «الإصابة بالنظر، ومعرفة ما لم يكن بما كان»(٣).

إحياء العقل:

وكتب عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى بعض عماله: «أما بعد فإن العقل المنفرد لا يُقْوى به على أمر العامة، ولا يكتفى به في أمر الخاصة، فأحي عقلك بعلم العلماء والأشراف من أهل التجارب والمروءات.. والسلام»(٤).

لا يشرى بمال:

قالوا: «كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل، فإنَّه كلما كثر كان أغلى، ولو بيع ما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله، أول شرف العقل أنه لا يشترى بالمال»(٥).

العقل نجاة وغنى:

وقال حكيم: «العقل بلا أدب فقر، والأدب بغير عقل حتف، وبلوغ

(١،٢) العقد الفريد ١/ ٢٢٦.

(٣) نثر الدر لأبي سعد منصور بن حسين الآبي.

(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٥) محاضرات الأدباء لأبي القاسم الأصبهاني.

وشرف المنزلة بغير عقل إشفاء على الهلكة، ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه»[١].

مثيل إبليس:

قال الحجاج يومًا: «العاقل من يعرف عيب نفسه. قال عبد الملك: فما عيبك؟ قال: أنا حسود حقود. قال عبد الملك: ما في إبليس شر من هاتين»[٢].

خصال العاقل:

وقيل: للعاقل خصال يعرف بها: يحلم عمَّن ظلمه، ويتواضع لمن هو مثله، ويسابق بالبر من هو فوقه، وإذا رأى باب فرصة انتهزها، لا يفارقه الخوف، ولا يصحبه العنف، يتدبر ثم يتكلم، فإن تكلم غَنِم، وإن سكت سلم، وإن اعترضت له فتنة، اعتصم بالله ثم تنكَّبها»[٣].

خير المواهب وشرها:

وقال بعض الحكماء: «خير مواهب الملك العقل، وشر مصائبه الجهل»[٤].

العمل والأمل:

وكان يقال: «الجاهل يعتمد على أهله، والعاقل يعتمد على عمله»[٥].

اللباب:

وقيل: «نظر العاقل بقلبه وخاطره، ونظر الجاهل بعينه وناظره»[٦].

قيادة حكيمة:

وقال ابن المعتز: «بأيدي العقل تمسك أَعِنَةَ النفوسِ من اتباع الهوى»[٧].

تعب الناس وراحتهم:

وقال بعض الحكماء: «العاقل من نفسه في تعب والناس منه في راحة،

---

(١) محاضرات الأدباء لأبي القاسم الأصبهاني.

(٢، ٣) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٤- ٧) النهج المسلوك للشيزري.

والأحمق من نفسه في راحة والناس منه في تعب»[(١)].

قائد وسائق:

وقال بعض الحكماء: «العلم قائد والعقل سائق والنفس حرون، فإذا كان قائد بلا سائق أحجمت النفس وإذا كان السائق بلا قائد عدلت يمينًا وشمالًا، فإذا اجتمع القائد والسائق سارت طوعًا أو كرهًا»[(٢)].

فساد الخصال:

وقال علي بن عبيدة: «العقل ملك والخصال رعية، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها». فسمعه أعرابي فقال: هذا كلام يقطر عسله[(٣)].

نقص الفضول:

وقال بعضهم: «إذا كملت العقول نقص الفضول»[(٤)].

وقال حكيم: «إذا لم يكن عقل الرجل في أغلب الأشياء عليه، كان هلاكه في أغلب الأشياء عليه»[(٥)].

العقل زينة الأشياء:

قيل: «كل شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى التجارب»[(٦)].

الرأي مرآة:

قيل: «الرأي مرآة العقل، فمن أردت أن ترى صورة عقله فاستشره»[(٧)].

درجات:

قال سحبان بن وائل: «العقل بالتجارب؛ لأن عقل الغريزة سُلَّمٌ إلى عقل التجربة»[(٨)].

التغاضي:

وقال معاوية: «العقل مكيال، ثلثه فطنة وثلثاه تغافل»[(٩)].

(٢،١) النهج المسلوك للشيزري.

(٣-٧) روض الأخيار لمحمد بن قاسم.

(٩،٨) العقد الفريد لابن عبد ربه.

التيقن فطنة:

وقالوا: «ظنُ العاقل كهانة»[١].

كمال العقل:

ويقال: «العقل إدراك الأشياء على حقائقها، فمن أدرك شيئًا عـلى حَقِيقَتِـهِ فقد كَمُلَ عقله»[٢].

أغنى الغنى:

وقال علي: «لا مال أعود من عقل، ولا فقر أضَّر من جهل»[٣].

الرأي الحاد:

قال المتنبي:

لَـوْلا العُقُـولُ لَكَـانَ أَدْنَـى ضَـيْغَمٍ أَدْنَـى إِلَى شَرَفٍ مِـن الإِنْـسَانِ

وَلَـــرُبَّمَا طَعَــــنَ الفَتَــــى أَقْرَانَــــهُ بِالرَأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأَقْـرَانِ[٤]

العقل نسب:

قال آخر:

العَقْــلُ حُلَّــةُ فَخْــرٍ مَــنْ تَــسَرْبَلَهَا كَانَتْ لَهُ نَسَبًا تُغْنِى عَـن النَّسَبِ

والعَقْـلُ أَفْـضَلُ مَـا فِي النَّـاسِ كُلِّهِـم بِالعَقْلِ يَنْجُو الفَتَى مِنْ حُرْمَةِ الطَلَبِ[٥]

أفضل نصيب:

قال ابن دريد:

وأَفْــضَلُ قَــسْمِ اللهِّ لِلْمَــرْءِ عَقْلُــهُ فَلَيْسَ مِنَ الخَـيْرَاتِ شَيءٌ يُقَارِبُـهُ

يَعِـيش الفَتَـى بِالعَقْـلِ فِي النَّـاسِ إِنـه عَـلَى العَقْـلِ يَجْـرِي عِلْمُـه وتَجَارِبُـهْ

يَــشِينُ الفَتَـى فِي النَّــاسِ قِلَّــةُ عَقْلِـهِ وإنْ كَرُمَــتْ أعْرَاقُـه ومَنَاسِــبُهْ

(١،٢) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٣) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٤) المستطرف للأبشيهي.

(٥) نهاية الأرب للنويري.

إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ ومَآرِبُهْ[(1)]

فقد الحياة أهون:

قال آخر:

مَا وَهَبَ اللهُ لِامرِئٍ هِبَةً أَشْرَفُ مِنْ عَقْلِهِ ومِنْ أَدَبِهْ

هُمَا حَيَاةُ الفَتَى فَإِنْ عُدِمَا فَإِنَّ فَقْدَ الحَيَاةِ أَجْمَلُ بِهْ[(2)]

أعلى المنازل:

قال الشاعر:

يُعدُّ رَفِيعَ القَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلاً وإنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبِ

وإنْ حَلَّ أرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ ومَا عَاقِلٌ فِي بَلْدَةٍ بِغَرِيبِ[(3)]

حمار جديد:

قال آخر:

ومَنْ كَانَ ذَا مَالٍ ولَمْ يَكُ عَاقِلًا فَذَاكَ حِمَارٌ حَمَّلُوه مِن التِّبْرِ

أَرَى العَقْلَ مِرَآةَ الطَّبِيعَةِ إِذْ بِهِ نَرَى زَهْوة الأَشْيَاء فِي عَالَمِ الفِكْرِ[(4)]

المال بين المدح والذم

الصنم الجديد:

قال الحسن البصري: «لكل أمة وثن يعبدونه، وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم».

وقال سعيد بن المسيب: «لا خير فيمن لا يكسب المال، ليكف به وجهه، ويؤدي به أمانته، ويصل به رحمه».

(١، ٢) نهاية الأرب للنويري.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٤) جواهر الأدب لأحمد الهاشمي، دار الفكر ١٤٠٣هـ.

الخير الحق:

قال أمية بن الصلت:

إِذَا اكْتَسَبَ المَالَ الفَتَى مِنْ وُجُوهِهِ ... وأَحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ

ومَيَّزَ فِي إِنْفَاقِهِ مَا بَيْنَ مُصْلِحٍ ... مَعِيشَتَهُ فِيمَا يَضُرُّ ويَنْفَعُ

وأَرْضَى بِه أَهْلَ الحُقُوقِ ولَمْ يُضِعْ ... بِه الذُخْرَ زَادًا لِلَّتِي هِي أَنْفَعُ

فَذَاكَ الفَتَى لا جَامِعُ المَالِ ذَاخِرًا ... لأَوْلادِ سُوءٍ حَيْثُ جَاءُوا وأَرْضَعُوا

اللباس الجديد:

قال الشاعر:

إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي المَجَالِسِ كُلِّهَا ... تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وجَلَالَا

فَهُمُ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَاد فَصَاحَةً ... وهُمُ السِّلاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالاً

مالك ما قدمت:

قال قيس بن عاصم:

سَأُودِعُ مَالِي الحَمْدَ والأَجْرَ كُلَّهُ ... فَلا أَجْرَ فِي الدُّنْيَا ولا الحَمْدُ دَائِمُ

فَرِحْتُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْه وإِنَّنِي ... عَلَى حَبْسِ مَا أَخَّرْتُ مِنْهُ لَنَادِمُ

قليل المال لا يرضي أحدًا:

قال الشاعر:

إِذَا قَلَّ مَالُ المَرْءِ قَلَّ صَفَاؤُه ... وضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وسَمَاؤُهُ

وأَصْبَحَ لا يَدْرِي وإِنْ كَانَ حَازِمًا ... أَقُدَّامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ

إِذَا قَلَّ مَالُ المَرْءِ لَمْ يَرْضَ عَقْلَهُ ... بَنُوهُ ولَمْ يَغْضَبْ لَهُ أَوْلِيَاؤُهُ

فَإِنْ مَاتَ لَمْ يُفْقَدْ ولَمْ يَحْزَنُوا لَهُ ... وإِنْ عَاشَ لَمْ يَسْرُرْ صَدِيقًا بَقَاؤُهُ

حقيقة الفقر والغنى

أمور نسبية:

قال المغيرة بن خنباء:

وَمَا الفَقْرُ يُـزْرِي بِالرِّجَـالِ ولا الغِنَـى ولَكِنْ قُلُوبُ القَوْمِ لِلْقَومِ تَقْـدَحُ

الغنى غنى النفس:

قال ابن سعدان:

تَقَنَّـعْ بِـمَا يكْفِيـكَ والْـتَمِس الرِّضَـا فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَتُـصْبِحُ أَمْ تُمْـسِي

فَلَـيْس الغِنَـى عِـنْ كَثْـرَةِ المَـالِ إِنَّـمَا يَكُونُ الغِنَى والفَقْرُ مِـن قِبَـلِ الـنَّفْسِ

وقال بكر بن أذينة:

كَـمْ مِـنْ فَقِـيرٍ غَنِـيٍّ الـنَفْسِ نَعْرِفُـهُ ومِنْ غَنِيٍّ فَقِـيرِ الـنَّفْسِ مِـسْكِينِ

الفقر خير مع الطاعة:

قال محمود الوراق:

يَـــا عَائِـــبَ الفَقْـــرِ أَلا تَزْدَجِـــرْ عَيْـبُ الغِنَـى أَكْثَـرُ لَـوْ تَعْتَـبِرْ

مِـــنْ شَرَفِ الفَقْـــرِ ومِـــنْ فَـــضْلِهِ عَلَى الغِنَى إِنْ صَـحَّ مِنْـكَ النَّظَـرْ

أَنَّـــكَ تَعْـــصِى كَـــي تَنَـــالَ الغِنَـــى ولَـسْتَ تَعْـصِى اللهَّ كَـي تَفْتَقِـرْ

التجمل أفضل:

قال الشاعر:

وعَاقِبَـــةُ الـــصَّبْرِ الجَمِيـــلِ جَمِيلَـــةٌ وأَحْسَنُ أَخْلاقِ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ

وَلا عَـارَ أَنْ زَالَـتْ عَـن المَـرْءِ نِعْمَـةٌ وَلكـنَّ عَـارًا أَنْ يَـزُولَ التَّجَمُّـلُ

غنى النفس:

قال الشاعر:

مَـــنْ كَـــانَ ذَا مَـــالٍ كَثِـــيرٍ فَلَـــمْ يَقْنَـــعْ فَـــذَاكَ الْمُـــوسِرُ الْمُقَـــتِّرُ

الفَقْــرُ فِي الــنَّفْسِ وفِيهَــا الغِنَــى وفِي غِنَى النَّفْسِ الغِنَى الأكْـبَرُ[١]

خير الدنيا والآخرة:

قال حكيم: «الفقر مجمع العيوب، ووجدت خير الدنيا والآخرة في شـيئين وشرهما في شيئين، فخيرهما: الغنى والتقى، وشرهما: الفقر والفجور»[٢].

الغريب هو الفقير:

قال الشاعر:

فَقْـــرُ الفَتَــى يُــذْهِبُ أَنْــوَارَهُ مِثْلُ اصْفِرارِ الشَّمْسِ عِنْدَ المَغِيبِ

واللهِ مَــا الإنْــسَانُ فِي قَوْمِــهِ إِذَا بُـلِي بِـالفَقْرِ إلاّ كغَرِيــبِ[٣]

كل شيء ضده:

قال الشاعر:

يَمْــشِي الفَقِــيرُ وَكُــلُّ شَيءٍ ضِــدُّهْ والنَّــاسُ تُغْلِــقُ دُونَــهُ أَبْوَابَهَــا

وتَــرَاهُ مَبْغُوضًــا ولَــيْسَ بِمُــذْنِبٍ وَيَرَى العَـدَاوةَ لا يَـرَى أَسْـبَابَهَا

حَتَّــى الكِــلابُ إِذَا رَأَتْ ذَا ثَــرْوَةٍ خَضَعَتْ لَدَيْـهِ وحَرَّكَـتْ أَذْنَابَهَـا

وإِذَا رَأَتْ يَوْمًــا فَقِــيرًا عَــابِرًا نَبَحَتْ عَلَيْه وكَشرَتْ أَنْيَابَهَـا[٤]

عيش غير طيب:

وقال آخر:

جُــرُوحُ اللَّيَــالِي مَــا لَهُــنَ طَبِيــبُ وعَيْشُ الفَتَى بِالفَقْرِ لَيْسَ يَطِيـبُ

وحَــسْبُكَ أَنَّ المَــرْءَ فِي حَــالِ فَقْــرِهِ تُحَمِّقُــهُ الأقْــوَامُ وهَــوُ لَبِيــبُ

ومَــنْ يَغْــتَرِرْ بِالحَادِثَــاتِ وصَرْفِهَــا يَبِتْ وَهْوُ مَغْلُوبُ الفُؤادِ سَـلِيبُ

ومَـا ضَرَّني أَنْ قَـالَ أَخْطَـأتَ جَاهِـلٌ إِذَا قَالَ كُلُّ النَّاسِ أَنْتَ مُصِيبُ[٥]

(١) المحاسن والمساوئ ـ لأحمد بن إبراهيم البيهقي.
(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.
(٣-٥) المستطرف للأبشيهي.

الغنى منفعة وليس منقبة

زينة الغنى الإنفاق:

قال أبو العتاهية:

أَجَلَّـكَ قَـوْمٌ حِـينَ صِرْتَ إِلى الغِنَـى فَكُـلُّ غَنِـيٍّ فِي العُيُـونِ جَلِيـلُ
إِذَا مَالـت الـدُّنْيَا إِلى المَـرْءِ رَغَّبَـتْ إِلَيْه ومَـالَ النَّـاسُ حَيْـثُ يَمِيـلُ
ولَـيْسَ الغِنَـى إِلا غِنـًى زيَّـن الفَتَـى عَـشيَّة يَقْـرِى أوْ غَـدَاة يُنِيـلُ

الصمت أفضل:

قال الشاعر:

قَـدْ أَنْطَقَـتِ الـدَّرَاهِمُ بَعْـدَ عِـيٍّ أُنَاسًـا طَالَمَـا كَـانُوا سُـكُوتَا
فَـمَا عَـادُوا عَـلَى جَـارٍ بِخَـيْرٍ ولا رَفَعُـوا لِمَكْرُمَـةٍ بُيُوتَـا
كَـذَاك المَـالُ يُنْطِـقُ كُـلَّ عَـيٍّ ويَتْرُكُ كُـلَّ ذِي حَسَبٍ صَـمُوتَا

الغنى رفعة:

قال الشاعر:

لَعَمْـرُكَ إِنَّ المَـالَ قَـدْ يَجْعَـلُ الفَتَـى سَنِيًا وإِنَّ الفَقْرَ بِـالمَرْءِ قَـدْ يُـزْرِى
فَـمَا رَفَـع الـنَّفْسَ الدَّنِيئَـةَ كَـالغِنَى ولا وَضَعَ النَّفْسَ الكَرِيمَـة كَـالفَقْرِ[1]

شأن المال:

قال الشاعر:

لا تَسْأَلِي النَّـاسَ مَـا مَجْدِي ومَـا شَرَفِي الـشَّأْنُ فِي فِـضَّتِي والـشَّأْنُ فِي ذَهَبِـي
لَـوْ لَمْ يَكُـنْ لِي مَـالٌ لَمْ يَطـأ أَحَـدٌ بَـأبِي وَلَمْ يَعْرِفُـوا مَجْـدِي ومَجْـدَ أَبِي

انقطعت البشاشة:

قال الشاعر:

وكُـلُّ مُقـلٍّ حِـينَ يَغْـدُو لِحَاجَـةٍ إلى كُلِّ مَنْ يَغْـدُو مِـن النَّـاسِ مُـذْنِبُ

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ـ لابن عبد البر القرطبي.

وكَـانَ بَنُـو عَمِّـي يَقُولُـونَ مَرْحَبًـا فَلَمَّا رَأَوْنِي مُعْدَمًا مَاتَ مَرْحَبُ

صلاح المال:

قال الشاعر:

أَبَـا مُـصْلِحٍ أَصْـلِحْ وَلاتَـكُ مُفْـسِدًا فَإِنَّ صَلاح المَالِ خَيرٌ مِـن الفَقْـرِ

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ المَـرْءَ يَـزْدَادُ عِـزَةً عَلَى قَوْمِهِ إنْ يَعْلَمُـوا أَنَّـه مُثْـرِي

شكوى محروم:

قال الشاعر:

ذَرِينِـي لِلْغِنَـى أَسْـعَى فَـإِنِّي رَأَيْـتُ النَّـاسَ شَرُّهُـم الفَقِـيرُ

وأَبْعَـدُهُم وأَهْـوَنُهُم عَلَـيْهِم وإنْ أَمْـسَى لَـهُ حَـسَبٌ وَخِـيرُ

ويُقْـصِيه النَّـدِيُّ وتَزْدَرِيـهِ حَلِيلَتُـهُ ويَنْهَـرُهُ الـصَّغِيرُ

وتَلْقَـى ذَا الغِنَـى ولَـهُ جـلالٌ يَكَـادُ فُـؤَادُ صَـاحِبِه يَطِـيرُ

قَلِيـلٌ ذَنْبُـهُ والـذَّنْبُ جَـمٌّ ولَكِـنْ لِلْغِنَـيِّ رَبٌّ غَفُـورُ(١)

تَقَـلُّبُ الأحوال لأصحَابِ الأموال

تحقيق الغاية:

قال الشاعر:

كَـمْ مِـن فَقِـيرٍ بَعْـدَ جَهْـدٍ وحَاجَـةٍ هُو اليَوْمَ مَحْسُودٌ وقَدْ كَان يُـرْحَمُ

أمل ورجاء:

قال الشاعر:

قَـدْ يَكْثُـرُ المَـالُ يَوْمًـا بَعْـدَ قِلَّتِـهِ ويُكْتَسَى الغُصْنُ بَعْدَ اليُبْسِ بِـالوَرَقِ

تقلب الأحوال:

قال الشاعر:

كَـمْ مِـن غَنِـيٍّ رَأَيْـتُ الفَقْـرَ أَدْرَكَـهُ ومِـنْ فَقِـيرٍ غَنِيًـا بَعْـدَ إِقْـلالِ

(١) عيون الأخبار ـ لابن قتيبة.

وقال آخر:

كَـــمْ مِـــنْ غَنِـــيٍّ كَـــانَ بِالمَـــالِ مُثْرِيًـــا هُوَ اليَوْمَ مَرْحُومٌ وقَدْ كَانَ يُحْسَدُ

وقال آخر:

كَـــمْ مِـــنْ فَتـــىً كَـــانَ ذَا ثَـــرْوَةٍ رَمَتْـه الحَـوَادِثُ حَتَّـى افْتَقَـرْ[1]

في التأني السلامة:

قال القطامي:

قَـدْ يُـدْرِكُ المُتَـأَنِّي بَعْـضَ حَاجَتِـهِ وقَدْ يَكُونُ مَع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَـلُ[2]

إن أدنتني فقد أغنتني:

قيل لابن زياد: لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الـدنيا، فقـال: «هـي وإن أدنتني منها فقد أغنتني عنها»[3].

مر موسر بالشعبي فتزعزع له، فقيـل لـه في ذلـك، فقـال: «رأيـت ذا المـال مهيبًا»[4].

وعوتب ابن أبي ليلى لتخفره لغني مرَّ به فقال: «إن تعظيـم ذوي المـال شيء جعله الله في القلوب لا يُستطاع دفعه»[5].

مهابة:

وقيل: «إذا أيسرت فكل رجل رجلك وإذا افتقرت أنكرك أهلك»، وقيل: «العسرة والعشرة لا يجتمعان»[6].

---

(١) المحاسن والمساوئ ـ إبراهيم بن محمد البيهقي.

(٢) فرائد الخرائد في الأمثال ـ لأبي يعقوب يوسف بن طـاهر الخـوبي ـ نـشر الرئاسـة العامـة لرعايـة الشباب، الدمام ـ السعودية.

(٣-٦) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.

طريق المجد:

وقال قيس بن سعد: «اللهم ارزقني حمدًا ومجدًا، فإنَّه لا حمد إلا بأفعال ولا مجدَ إلَّا بمال»[١].

صلاح المال صلاح الدين والشرف:

وقال بعض الحكماء: «من أصلح ماله، فقد صان الأكرمين: الدين والعرض»[٢].

علاج:

وكان يقال: «الدراهم مراهم لأنها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح»[٣].

حكم في الأكل والطعام

اعتدال:

قال ابن عباس -رضي الله عنهما: «كُلْ ما شئت، والبسْ ما شئت، ما أخطأك إسراف ومخيلة»[٤].

نِعَمٌ لا تُحصى:

اجتمع فرقد السبخى والحسن على مائدة فَأُتى بجام خبيص، فأبى فرقد أن يأكل. وقال: أخاف أن لا أؤدى شكر الله تعالى عليه فقال الحسن: «كل فلنعمة الله عليك في الماء البارد أعظم منها في الخبيص»[٥].

تمام الأدب في المأكل:

قيل: إذا جمع الطعام أربعًا فقد كمل، إذا كان حلالًا، وكثرت عليه الأيدي، وسمي الله في أوله، وحمد في آخره. وقال طاووس: «من سمى الله على طعامه لم يسأله عن نعيمه»[٦].

(١-٣) أدب الدنيا والدين للماوردي.

(٤-٦) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.

علاج:

سئل طبيب: أي أوقات الطعام أحمد؟ فقال: «أما من قدر فإذا جاع، ومن لم يقدر فإذا وجد»(١).

اختيار صعب:

قيل: «العشاء متخمة وتركه مهرمة»(٢).

دوام الصحة:

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «من أراد البقاء -ولا بقـاء- فليبـاكر الغـذاء، وليخفف الرداء، وليُقِلَّ غشيان النساء»(٣).

قسوة القلب:

وقال الفضيل بن عياض: «خصلتان يُقَسِّيانِ القلبَ: كثرة الكـلام، وكثـرة الأكل»(٤).

فوائد:

دعا الحجاج رجلاً إلى غذائه فقال: قد تغذيت. قال: إنَّك لتباكر الغذاء. قـال: لخلال ثلاث: «إن ناجيت رجلاً لم يجد في خلوفًا، وإن شربت ماءً شربته على ثقل، وإن حضرت قومًا على طعام حضرتهم ومعي بقيةٌ من غرض»(٥).

ميزة الجوع:

وكان يقـال: «نعـم الإدام الجـوع، مـا ألقيـت إليـه شـيئًا إلا قبلـه وطـاب عنده»(٦).

الزهد ترك المحرمات:

سئل الفضل عَمَّنْ يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد؟ فقـال: «مـا للزهد وأكل الخبيص(٧) ليتك تأكل وتتقي الله، إنَّ الله لا يكره أن تأكل الحلال

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.
(٢-٥) بهجة المجالس لابن عبد البر.
(٦) المستطرف للأبشيهي.
(٧) الخبيص: اللذيذ من الطعام.

إذا اتقيت الحرام، انظر كيف برُّك بوالديك وصلتُك للرحم وكيف عطفُك على الجار. وكيف رحمتُك للمسلمين وكيف كظمُك للغيظ، وكيف عفوُك عمن ظلمك، وكيف إحسانُك إلى من أساء إليك، وكيف صبرُك واحتمالُك للأذى؟ أنت إلى أحكام هذا أحوج من ترك الخبيص»(١).

طلب الصحة:

وقال الحارث بن كلدة: «إذا تغدى أحدكم، فلينم على غدائه، وإذا تعشى، فليخط أربعين خطوة»(٢).

حميّة وأدب:

وقال فرقد السبخي: «إذا أكلتم فشدوا الإزار على أوساطكم، وصغروا اللقمة وشدّوا المضغ، ومصوا الماء، ولا يحل أحدكم إزاره فيتسع معاه، ويأكل كل واحد ما بين يديه»(٣).

إعانة على مروءة:

وكان ابن هبيرة يباكر الغداء، فسئل عن ذلك، فقال: «إنَّ فيه ثلاث خصال: أما الواحدة فإنَّه يَشُدَّ المِرَّةِ، والثانية: أنه يطيب النكهة، والثالثة: أنَّه يعين على المروءة. فقيل له: وكيف يعين على المروءة؟ قال: إذا خرجت من بيتي وقد تغدَّيت، لم أتطلع إلى طعام أحدٍ من الناس»(٤).

وسيلة لا هدف:

قيل لبُقراط: ما لك تُقل الأكل جدًا؟ قال: «إنِّي إنّما آكل لأحيا، وغيري يحيا ليأكل»(٥).

(١-٤) المستطرف للأبشيهي.

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه.

سبب الداء:

وأجمع الأطباء على أنَّ رأس الداء كله إدخال الطعام على الطعـام، وقـالوا: «احذروا إدخال اللحم على اللحم؛ فإنَّه ربَّما قتل السباع في القفر، وأكثر العلل كلها إنَّما يتولد من فضول الطعام»(١).

وسائل الصحة والمتعة:

قال الحجاج بن يوسف للباذون طبيبه: صف لي صفة آخـذ بهـا نفـسي ولا أعدوها فقال له: «لا تتزوج من النساء إلا شابة، ولا تأكل اللحم إلاّ فَتِيًّـا، ولا تأكله حتى تنعم طبخه، ولا تشرب دواء إلَّا من علة، ولا تأكل من الفاكهة إلَّا نضيجَها، ولا تأكل طعامًا إلَّا أجدت مـضغه، وكَـلْ مـا أحببـت مـن الطعـام واشرب عليه، فإذا شربت فلا تأكل، ولا تحبس الغائط ولا البول، وإذا أكلـت بالنهار فنم، وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة»(٢).

توسط:

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال: «هل اتخمت قط؟ قال: لا، قال: وكيف ذلك؟ قال: «لأنَّا إذا طبخنا أنضجنا، وإذا مضغنا دققنـا، ولا نكـظَّ المعـدة ولا نخليها»(٣).

المروءة:

وقال الأحنف: «جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإنِّي أبغض الرجـل أن يكـون وصَّـافاً لبطنـه وفرجـه، وإن المـروءة أن يـترك الرجـل الطعـام وهـو يشتهيه»(٤).

وصية صحية:

وأوصى رجلاً ابنه: «إذا أكلت فضُمَّ شفتيك، ولا تتلفتنَّ يمينًا وشمالًا، ولا تتَخذن خلالك قصبًا، ولا تلقمن بسكين أبدًا، وإذا كان في يدك سكِّين وأردت

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٣-٤) عيون الأخبار لابن قتيبة.

التقامًا فضعها على مائدتك ثم التقم، ولا تجلس فوق من هو أسنُّ منك وأرفع منزلة، ولا تتخلل بعود آس، ولا تمسح بثياب بدنك، ولا ترق ماءً وأنت قائم»[١].

قليل يضر:

قال بختشيوع: «أكل القليل مما يضر أصلح من أكل الكثير مما ينفع»[٢].

مرض وهرم:

وقال ثابت بن قرة: «ليس أضرُ بالشيخ من أن تكون له جارية حسناء وطباخ حاذق، لأنَّه يكثر من الطعام فيسقم، ومن الجماع فيهرم»[٣].

وقال علي ﷺ: «من أراد البقاء والإبقاء: فليجود الغذاء، وليأكل على نقاء، ويشرب على ظماء، ولْيُقِلَّ من شُرْبِ الماء، ويتمدد بعد الغداء، ويتمشى بعد العشاء، ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء، ودخول الطعام على البطنة من شر الداء، وأكل القديد بالليل معين على الفناء»[٤].

منافع قلّة الغذاء والنوم

مدح وذم:

قال القاضي عياض: «لم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلة الغذاء والنوم وتُذَم بكثرتهما، لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وجَالِبَةٌ لأدواء الجسد وحقارة النفس، وامتلاء الدماغ، وقلتهما دليل على القناعة ومِلك النفس، ومسببة للصحة وصفاء الخاطر، وحدَّة الذهن، كما أنَّ كثرة النوم دليل على الضَعف والفسولة، ومسببة للكسل وقساوة القلب وغفلته وموته، وتضييع العمر في غير نفعه، وكثرة النوم من كثرة الأكل والشرب»[٥].

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة.

(٢) زهر الآداب للقيرواني.

(٣، ٤) البركة في فضل السعي والحركة للوصابي، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.

(٥) الشفا للقاضي عياض.

فتور:

قال لقمان لابنه: «يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة»(١).

القصد والتوسط:

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إيَّاكم والبطنة، فإنَّها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم، مؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد في قُوتِكم فهو أبعد من السرف، وأصَّح للبدن، وأقوى على العبادة، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»(٢).

لمن يصلح العلم؟

قال سفيان الثوري: «بقلة الطعام يملكُ سهر الليل». وقال سحنون: «لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع»(٣).

الخسران المبين:

وقال بعضهم: «لا تأكلوا كثيرًا فتشربوا كثيرًا، فترقدوا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا»(٤).

اتفاق بين المتباعدين:

قال ذو الرياستين: «ما عجبت لاتفاق الأطباء على ثلاث كلمات: قال طبيب الروم: كُلْ قليلًا ولا تكن عليلًا. وقال طبيب فارس: كُلْ قصدًا لا تلقى من الكظة جهدًا. وقال طبيب الهند: كُلْ قدرًا لا تضيق به صدرًا»(٥).

صحة الروح والبدن:

وقال حكيم: «صحة الجسم قلة الطعم، وصحة الروح اجتناب الإثم»(٦).

(١-٤) الشفا للقاضي عياض.

(٥،٦) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

عقوبات:

وقال يحيى بن معاذ: «من أكل حتى شبع عوقب بثلاث: يلقى الغطاء على قلبه، والنعاس على عينيه، والكسل على جسمه»(١).

طريق الهبوط:

وقال ابن المقفع: «كانت ملوك الأعاجم إذا رأت الرجل نهمًا شرها أخرجوه من طبقة الجد إلى باب الهزل ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار»(٢).

إضاءة:

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «البطنة تُذْهِبُ الفطنة»(٣).

قبح الخمر حتى في الجاهلية

قال العباس بن هشام: حرَّم رجالٌ الخمرَ في الجاهلية تكرمًا وصيانة لأنفسهم، منهم عامر بن الظرب حيث قال في ذلك:

سَوُولَةٌ لِلفَتَى مَا لَيْسَ فِي يَدِهِ ... ذَهَّابَةٌ بِعُقُولِ القَوْمِ والمَالِ

أَقْسَمْتُ بِاللهِ لَا أَسْقِيهَا وأَشْرَبُهَا ... حَتى يُفَرِّقَ تُرْبُ القَبَرِ أَوْصَالِي

تُورِّثُ القَوْمَ أَضْغَانَا بِلا إِحَنٍ ... مُزْرِيةٌ بِالفَتَى ذِي النَجْدَةِ الحَالِي(٤)

مثالب ومعايب:

وحرَّم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك:

لعَمْرُكَ إِنَّ الخَمْرَ مَا دُمْتَ شَارِبًا ... لَسَالِبَةٌ مَالِي ومُذْهِبَةٌ عَقْلِي

وتَارِكَتِي ضِمْنَ الضِّعَافِ قُواهُمُ ... ومُورِثَتِي حَرْبَ الصَّدِيقِ بِلا نَبَلِ(٥)

إفساد الرجال:

وحرَّم صفوان بن أميَّة بن محرِّثِ الكناني الخمر في الجاهلية وقال في ذلك:

---

(١) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٢،٣) المستطرف للأبشيهي.

(٤،٥) الأمالي لأبي علي القالي.

رَأَيْــتُ الخَمْـــرَ صَـــالِحَةً وفِيهـــا مَنَاقِـبُ تُفْسِدُ الرَّجُـلَ الكَـرِيمَا
فَـــــلا واللهِ أَشْرَبُهَـــــا حَيَـــــاتِي ولا أَشْـفِي بِهَـا أَبَـدًا سَـقِيمًا(١)

تحريم حتى الموت:

وحرَّم عفيف بن معد يكرب عمَّ الأشعث بن قيس الخمر وقال:

وقائلـــــةٍ هَلُـــــمَّ إلى التَّـــصَابِي فَقُلْـتُ عَفَفْـتُ عَـمَّا تَعْلَمِينَـا
وَودَّعْـــتُ القِـــدَاحَ وقَـــدْ أَرَانِي بِهَـا فِي الـدَّهْرِ مَـشْغُوفًا رَهِينًـا
وحَرَّمْـــتُ الخُمُـــورَ عَـــلَيَّ حتَّـــى أَكُـونَ بِقَعْـرِ مَلْحُـودٍ دَفِينًـا(٢)

مفارقة:

وحرَّم سويد بن عدّي بن عمرو الطائي الخمر وأدرك الإسلام:

تَرَكْـتُ الـشِّعْرَ واسْـتَبْدَلْتُ مِنْـه إِذَا دَاعِـي مُنَـادِي الـصُّبْحِ قَامَـا
كِتَـابَ اللهَّ لَـيْسَ لَـهُ شَرِيـكٌ وودَّعْـتُ الُمدَامَـة والنَّـدَامَى
وحرَّمْـتُ الخُمُـورَ وقَـدْ أَرَانِي بِهَا سَـدْكًا وإنْ كَانَـتْ حَرَامَـا(٣)

عزة المرء في ترك الخمر:

وقال عفيف بن معد يكرب أيضًا:

فَـــلا واللهِ لا أُلْفَـــي وقومًـــا أُنَـازِعُهُم شَرَابـا مَـا حَيِيـتُ
أَبَـــى لِي ذَاكَ آبَـــاءٌ كِـــرَامٌ وأَخْـوَالٌ بِعـزِّهِمُ رُبِيـتُ(٤)

أصناف من البشر

لا أستطيع النطق:

الخرس عن قول الحق قد يكون له مبرر من المبررات أحيانًا، وقد يـضعف عنه بعض الناس كل حين، أو بعضًا من الوقت:

(١-٤) الأمالي لأبي علي القالي.

قَالَتْ الضُّفَدَعُ قَوْلًا فَسَّرَتْهُ الحُكَمَاءُ
فِي فَمِي مَاءٌ، وهلْ يَنْطِقُ مَنْ فِي فِيهِ مَاءُ...؟

حواجز:

الوصول إلى ذوي الشأن الذين بيدهم مقاليد الأمور قد يكون من العسر بمكان بحيث يصعب الوصول إليه.

يعبر الشاعر عن ذلك بقوله:

إِذَا مَا أَتَيْنَاهُ فِي حَاجَةٍ رَفَعْنَا الرِّقَاعَ لَهُ بالقَصَبْ
لَهُ حَاجِبٌ دونَهُ حَاجِبٌ وحَاجِبُ حَاجِبِهِ يَحْتَجِبْ

آفة الأخبار:

نقلة الأخبار هم آفتها، حيث ينقلون ما لم يُقَلْ، ويتقولون على الناس بغير ما هو صريح، وقد يجر الأمر مشاكل لا تحصر.

وهُمْ نَقَلُوا عنِّي الَّذِي لَمْ أَقُلْ بِهِ ومَا آَفَةُ الأَخْبَارِ إلا رُواتُها

راقب الله وحده:

أصحاب الجرأة في الحق والجسارة على العمل هم الذين يفوزون بما يأملون، والذين يراقبون الناس ويطلبون رضاهم فغالبًا ما يخسرون.

مَنْ راقَب النَّاسَ لمْ يَظْفَرْ بِحَاجتِهِ وفَازَ بالطَّيِّباتِ الفَاتِكُ اللَّهِجُ

سيادة الجهلَة:

صلاح الحال مُرتهَنٌ بوجود الأخيار من العلماء وأهل الرأي، فإن ابتعدوا عن مقاعدهم ولم يقوموا بواجبهم فسدت الحياة:

تُهدَى الأُمُورُ بأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تولَّوا فَبِالأَشْرَارِ تَنْقَادُ
لا يُصْلِحُ النَّاس فَوضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ ولا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

إذا فسد الصالحون:

وإذا فسد الصالحون المصلحون وانحرفوا عن النهج السوى فقُل: على الدنيا الفناءُ.

المِلْحُ يُصْلِحُ كُلَّ مـا يُخْشَى عَلَيْه مِنَ الفَسَادْ
فَإِذَا الفَسَادُ جَرَى عَلَيْهِ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الرَّمَادْ

ضلال وبوار:

إذا انقلبت الأمور، فَقُدِّمَ مَنْ حَقُه التأخير، وأُخِّرَ مَنْ حَقُه التقديم، فلا تنتظر غير البوار وغير الكساد.

وقَدْ تَمْلِكُ الأُنثَى، وقدْ يُلثَمُ الحَصَا ويُتَّبعُ الأغْوَى، ويُسْجَدُ لِلْقِرْدِ

أصناف الرجال وأصناف النساء:

قال أبو علي: أخبرنا شيخ من بني العنبر قال: «كان يقال: النساء ثلاث: فهينة لينة عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش، ولا تعين العيش على أهلها. وأخرى وعاء للولد، وأخرى غُلٌّ قُمِلٌ يضعه الله في عنق من يشاء. والرجال ثلاثة: فهين لين، عفيف مسلم، يصدر الأمور مصادرها، ويوردها مواردها. وآخر ينتهي إلى رأي ذي اللب والمقدرة فيأخذ بقوله وينتهي إلى أمره، وآخر حائر بائر لا يأتمر لرشد ولا يطيع لمرشد»(١).

طوائف ومنافع:

قال معاوية لصعصعة بن صوحان: صف لي الناس، فقال: «خُلِق الناس أطيافًا، فطائفة للعبادة، وطائفة للتجارة، وطائفة خطباء، وطائفة للبأس والنجدة، وطائفة فيما بين ذلك، يكدِّرون الماء، ويُغلون السعر، ويضيقون الطريق»(٢).

(١،٢) الأمالي لأبي علي القالي.

المتواضع والمتجبر:

قال بعض البلغاء: «الناس في الولاية رجلان: رجل يجل العمل بفضله ومروءته، ورجل يجل بالعمل لنقصه ودناءته، فمن جُلَّ عن عمله، ازداد به تواضعًا وبشرًا، ومن جُلَّ بعمله لبس به تجبرًا وتكبرًا»(١).

أنواع الناس:

قال حكيم: «الناس ثلاثة: غني وفقير ومستزيد، فَالغَنِي من أُعطي ما يستحقه، والفقير من منع حقه، والمستزيد الذي يطلب الفضل بعد الغنى»(٢).

وقال أيوب بن القرية: «الناس ثلاثة: عاقل وأحمق وفاجر، فالعاقل، الدِّينُ شريعته، والحلمُ طبيعته، والرأيُ الحسنُ سجيته، وإن نطق أصاب، وإن سمع وَعَى، وإن كلِّمَ أجاب، والأحمق إن تكلم عجل، وإن حدَّث وهِل، وإن استنزل عن رأيه نزل، وأما الفاجر، فإن ائتمنته خانك، وإن صحبته شانك»(٣).

وقال ابن المعتمر السلمي: «الناس ثلاثة أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط، فالفقراء موتى، إلاّ من أغناه الله بعز القناعة، والأغنياء سكارى إلاّ من عصمهُ الله تعالى بتوقع الغير، وأكثر الخير مع أكثر الأوساط، وأكثر الشر مع أكثر الفقراء والأغنياء لسخف الفقر وبطر الغنى»(٤).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الرجال ثلاثة: رجل عفيف عاقل مسلم ينظر في الأمور فيوردها مواردها ويصدرها مصادرها إذا شكلت على عجزة الرجال وضعفتهم، ورجل يُلبس عليه رأيه، فيأتي ذوي الرأي والمقدرة فيستشيرهم وينزل عند ما يأمرون به، ورجل جاهل لا يهتدي لرشد، ولا يشاور مرشدًا»(٥).

(٤،١) أدب الدنيا والدين ص ٢٣٦.

(٢) الأمالي لأبي علي القالي.

(٥،٣) بهجة المجالس لابن عبد البر.

منازل الناس:

قال العاملي: «الناس على ثلاث منازل: الأولياء وهم الذين باطنهم أفضل من ظواهرهم، والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء، والجهال وهم الذين علانيتهم بخلاف أسرارهم، لا ينصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم»(١).

الرجولة ميزان:

وقال الحسن: «الناس ثلاثة: فرجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل، فأما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة، وأما نصف الرجل فالذي له رأي ولا يشاور، وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي لا رأي له ولا يشاور»(٢).

الناس رجلان:

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «الدنيا دار ممر لا دار مقر، والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فأعتقها»(٣).

أصناف الناس:

وقال أفلاطون: «الناس ثلاثة: خَيِّرٌ وشرير ومهين، فالخَيِّرُ هو الذي إذا أقصيته قبض نفسه عنك، ولسانه من سوء الذكر لك، وذكر حسنًا إن كان تقدَّم منك، والشرير يقبض نفسه عنك، ويطلق لسانه في ذكر معايبك، وربَّما تعدَّى إلى الكذب عليك، والمهين لا يقبض نفسه عنك، ولا يزال متضرعًا لعفوك، ومودَّة هذا مقرونة باستقامة حالك وصلاح أمورك، فإن انتقلا، انتقل عنك بمودته»(٤).

(١، ٢) المخلاة للعاملي.

(٣) نثر الدر للآبي.

(٤) لباب الآداب لابن منقذ.

معرفة الغير ومعرفة النفس:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الرجال أربعة: رجل يدري ويـدري أنـه يدري، فذلك العالم فاسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذلك الناسي فذكروه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فذلك الجاهل فعلِّموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذلك الأحمق فارفضوه»[١].

الناس بين الرفض والقبول:

قال أبو حامد الغزالي: «واعلـم أنَّ النـاس ثلاثـة: رجـل تنتفـع بـصحبته، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفـع بـه، ورجـل لا تقـدر أيضًا على أن تنفعه وتتضرر به، وهـو الأحمـق أو سـيئ الخلـق فهـذا ينبغـي أن تتجنبه، فأما الثاني فلا تتجنبه لأنَّك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به»[٢].

طريق السؤدَد

صفات السيادة:

قال أبو عمرو بن العلاء: «كان أهل الجاهلية لا يسوِّدون إلَّا من كانت فيـه ست خصال وتمامها في الإسلام سابعة: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلـم، والبيان، والحسب، وفي الإسلام زيادة العفاف».

معوقات السيادة:

وقديمًا قيل: «خصلتان لا يسود صاحبهما: الاستطالةُ في الأقرباء، والبطرُ في الأغنياء».

مرتقى عالٍ:

قال الهذلي:

وإنَّ سِـــــيَادَةَ الأَقْـــــوَامِ فَـــــاعْلَمْ ... لَهَـــا صَـــعْدَاءُ مَطْلَبُهَـــا طَوِيـــلُ

(١) حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي.

طريق السيادة:

قال المرار بن سعيد:

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ قَبِيلَةً فَبِالحِلْم سُدْ لَا بِالسَّفَاهِة والشَّتْمِ

عوامل الشرف:

قال عبيد بن الأبرص:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْمَل بِرَأْيٍ ولَمْ تُطِع أُولِي الرَأْيِ لَمْ تَرْكَنْ إِلى أَمْرِ مُرْشِدِ

ولَمْ تَجْتَنِبْ ذَمَّ العَشِيرَة كُلِّهَا وتَدْفَع عَنْهَا بِاللِّسَانِ وبِاليَدِ

وتَحْلُم عَنْ جُهَّالِهَا وتَحُوطُهَا وتَقْمَع عَنْهَا نَخْوَة المُتَهَدِد

فَلَسْتَ ولَوْ عَلَّلتَ نَفْسَك بِالمُنَى بِذِي سُؤْدَدٍ بَادٍ ولا قُرْبِ سُؤدِدِ[1]

في الجهاد والكفاح

شجاعة:

الشجعان لا يرهبون الموت ولا يهابونه، لأنهم ملاقوه حتمًا يومًا ما.

وإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ المَوتِ بُدٌّ فَمِنَ العَارِ أَنْ تَظَلَّ جَبَانًا

مهارة:

كثرة العَدَد والعُدَدِ لم تعد تخيف أحدًا، إذ العبرة بالنوعية لا بالكمية، ومن قديم قال المتنبي:

إنَّ السِّلاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ ولَيْسَ كُلُّ ذَواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

دعوة إلى الجهاد:

ويدعو علي محمود طه إلى الجهاد ويحثُّ عليه، ويبين أنه طريق استعادة المقدسات، وينعى على الأمة فرقتها وضعفها.

يقول:

أخِي جَاوزَ الظَّالِمُونَ المَدَى فُحَقَّ الجِهَادُ وحَقَّ الفِدَا

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ـ لابن عبد البر القرطبي.

ثم يقول يوسف العظم:

يَـا قُـدْسُ إنْ طَالَـتْ بِنَـا فُرْقَـةٌ فَـسَيْفُنَا يَـا قُـدْسُ لَـنْ يُغْمَـدَا

عش عزيزا:

ويرثي عنترة العبسي للجبناء الذين يفرون من اللقاء يوم الكريهة، مبينًا أن المرء إما أن يعيش عزيزا وإما أن يموت كريما.

يقول:

وإِذَا الجَبَـانُ نَهَـاكَ يَـومَ كَرِيهَـةٍ خَوْفًا عَلَيْكَ مِنَ ازْدِحَامِ الجَحْفَلِ

فَـاعْصِ مَقَالَتَـهُ، ولا تَحْفِـلْ بِهَـا واقْـدِمْ إِذَا حُـقَّ اللِّقَـا فِي الأَوَّلِ

واخْـتَرْ لِنَفْـسِكَ مَنْـزِلًا تَعْلُـو بِـهِ أَوْ مُتْ كَرِيمًا تَحْتَ ظِلِّ القَسْطَلِ

اثنان لا يجتمعان:

وقد بيّن رسول الله ﷺ أنه لا يجتمع على امرئ غبار المجاهدين الذي تثيره خيولهم مع دخان جهنم يوم القيامة[1]، وأن المجاهدين أحياء عند ربهم يرزقون، أخذ هذا المعنى المجاهد الورع عبدالله بن المبارك فقال:

يَـا عَابِـدَ الحَـرَمَينِ لَـوْ أَبْـصَرْتَنَا لَعَلِمْـتَ أَنَّـكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَـبُ

مَـنْ كَـانَ يَخْـضِبُ خَـدَّهُ بِدُمُوعِـهِ فَنُحُورُنَـا بِـدِمَائِنَا تَتَخَـضَّبُ

أَوْ كَـادَ يُتْعِـبُ خَيْلَـهُ فِي بَاطِـلٍ فَخُيولُنَـا يَـومَ الـصَّبِيحَةِ تَتْعَـبُ

رِيـحُ العَبِـيرِ لَكُـمْ ونَحْـنُ عَبِيرُنَـا رَهْجُ[2] السَّنَابِكِ والغُبَارُ الأَطْيَبُ

ولَقَـدْ أَتَانَـا مِـنْ مَقَـالِ نَبِيِّنَـا قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لا يَكْـذِبُ

لَا يَـسْتَوِي غُبَـارُ خَيْـلِ اللهِ فِي أَنْفِ امْرِئٍ ودُخَانُ نَارٍ تُلْهِبُ

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ١٤)، وأحمد (٢/ ٥٠٥)، والحاكم (٤/ ٢٦٠) عن أبي هريرة ﷺ. قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) الرهج: بالسكون والفتح أي الغبار.

هَـــذَا كِتَـــابُ الله يَنْطِـــقُ بَيْنَنَـــا لَـيْسَ الـشَّهِيدُ بِمَيِّـتٍ لا يَكْـذِبُ

تحت ظلال السيوف:

وقال أيضًا :

كُنَّــا جِبَــالًا فِي الجِبَـــالِ ورُبَّـــمَا سِرْنـا عَـلَى مَـوجِ البِحَـارِ بِحَـارَا

بِمَعَابِـــدِ الإِفْـــرِنْجِ كَـــانَ أذانُنَـــا قَبْـلَ الكَتَائِـبِ يَفْـتَحُ الأمْـصَارَا

لَمْ تَـــنْسَ أَفرِيقيَـــا ولا صَـــحْرَاؤُهَا سَـجَداتنَا والأرْضُ تَقْـذِفُ نَـارًا

كُنَّــا نُقَـــدِّمُ لِلـــسُّيوفِ صُـــدُورَنَا لَمْ نَخْـشَ يَوْمًـا غَاشِـمًا جَبـارًا

وكَـأَنَّ ظِـلَّ الـسَّيْفِ ظِـلُّ حَدِيقَـةٍ خَـضْرَاءَ تُنْبِـتُ حَولَهَـا الأزْهـارَا

لَمْ نَخْــشَ طَاغُوتًـــا يُحَارِبُنَـــا ولَـــوْ نَـصَبَ المَنَايَـا حَولَنَـا أَسْـوَارًا

نَـدْعُو جِهَـارًا لا إِلَـه سِـوَى الـذِي صَـنَعَ الوُجُـودَ وقَـدَّرَ الأَقْـدَارَا

ورؤُوسُـــنَا يَـــا رَبِّ فَـــوْقَ أَكُفِّنَـــا نَرْجُـو ثَوابَـك مَغْـنَمًا وجِـوَارًا

دعوة الحق:

دعوة الحق لا ينصاع لها طواغيت الأرض، لأنهم لا يريدون أن يعرفـوا أن الله واحد لا شريك له، وأنهم لا يملكون من الأرض شيئًا، ولذا فهم يحـاربون الدعوة ورجالها، الـذين يتحملـون الـضر والأذى راضـين بجـوار الله مغـنمًا، وبثوابه أجرًا.

حب الأوطان:

حب الأوطان والمحافظة عليها ديدن الإسلام، وإعلان رسول الله ﷺ حبه لمكة بعد أن أخرج منها دليل على ذلك، ومحافظته على المدينـة مـن أن يقـتحمها الأحزاب دليل آخر، ودعوته أن يحبب الله إليهم المدينة كما حبـب إلـيهم مكـة دليل آخر، والأدلة أكثر من أن تحصى.

فحب الأوطان والخلان والأقارب والجيران كل هذا مرغوب مقبول يقـره الإسلام ويحرص عليه ويحض عليه بالقول والفعل.

وقد استشعر أمير الشعراءأحمد شوقي ذلك فقال:

ولِلأَوْطَـــانِ فِي دَمِ كُـــلِّ حُـــرٍ يَــدٌ سَــلَفَتْ ودَيْــنٌ مُــستَحَقُّ
ولِلْحُرِّيـــــةِ الحَمْـــــراءِ بَـــــابٌ بِكُــلِّ يَــدٍ مُــضرَّجَةٍ يُــدَقُّ

العيش في أرب النفوس:

والمتنبي يعتبر الموت في الحرب حياة، لأن الحياة الحقة في مقـصود النفـوس ومرادها.

يقول:

فَمَـــوتِي فِي الـــوَغَى عَـــيْشٌ لأنِّي رَأَيْـتُ العَـيْشَ فِي أَرَبِ النُّفُـوسِ

عش عزيزًا:

والمتنبي يدعو إلى العيش الكريم أو الموت الكريم وسط معمعـة الـسلاح، وإلاّ فإن لم تكن هذه أو تلك كانت الحياة الذليلة أو الموت غـير مَأْسُـوفٍ عـلى الفقيد.

عِـشْ عَزِيـزًا، أَوْ مُـتْ وأَنْـتَ كَـرِيمٌ بَـيْن طَعْـنِ القَنَـا وخَفْـقِ البُنُـودِ
فَــرؤوسُ الرِّمَــاحِ أَذْهَــب لِلْغَــيْظِ وأَشْــفَى لِغِــل صَــدْرِ الحَقُــودِ
لا كَـــمَا قَـــدْ حَيِيــتَ غَــيرَ حَمِيــدٍ وإذَا مِـــتّ مِـــتّ غَــيْرَ فَقِيـــدِ

عدلت فأمنت فنمت:

وَرَاعَ صَـاحِبَ كِـسْرَى أَنْ رَأَى عُمَـرًا بَيْنَ الرَّعِيَّـةِ عَطِـلاً وَهُـو رَاعِيهَـا
وعَهْـــدُهُ بِمُلُـــوكِ الفُـــرْسِ أَنَّ لَهَـــا سُوْرًا مِنَ الجُنْدِ والأَحْـراسِ يَحْمِيهَـا
رَآه مُــــسْتغْرِقًا فِي نَوْمِــــهِ فَــــرَأى فِيـهِ الجَلالَـةَ فِي أَسْـمَى مَعَانِيهَـا
فَوقَ الثَّرَى تَحْتَ ظِلِّ الـدَّوْحِ مُشْتَمِلاً بِـبُرْدَةٍ كَـادَ طُـولُ العَهْـدِ يُبلِيهَـا

فَهـــانَ فِي عَيْنِـــهِ مَـــا كَـــانَ يُكْـــبِرُهُ مِـــن الأَكَـــاسِرِ والـــدُّنْيَا بِأَيْـــدِيهَا
وقَـــالَ قَوْلَـــةَ حَـــقٍ أَصْـــبَحَتْ مَـــثَلاً وأَصْبَحَ الجِيلُ بَعْدَ الجِيلِ يَرْوِيهَـا
أَمِنْـــتَ لَمَّـــا أَقَمْـــتَ العَـــدْلَ بَيْـــنهمُ فَنِمْـتَ نَـوْمَ قَرِيـرِ العَـيْنِ هَانِيهَـا

لقد كنا فماذا نحن الآن؟

لا بَـــارَكَ اللهُّ فِي يَـــوْمٍ نُـــسَامُ بِـــهِ ضَـيْمًا فَيَـبْرأُ مِنَّـا مَجْـدُ مَاضِـينَا
أَلَمْ نَكُـــنْ وبِحَـــارُ الكَـــونِ مَـــسْرَحُنا نُلقَـى عَـلى أَيِّهَـا شِـئْنا مَراسِـينَا
أَلَمْ نَكُـــنْ لِبَنِـــي الـــدُّنْيَا أَسَـــاتِذَةً حَتَّى حُروفُ الهِجَا مِـنْ صُـنْعِ أيـدِينَا
يَجْلُو لَنـا الأُفـقُ أنْ تَزْحَـفْ جَحَافِلُنَـا وتُكْسَفُ الشَّمْسُ إِنْ تَلْمَـعْ مَواضِـينَا

خضوع الأعداء:

ومَـا خَـضَعَ الفِـرِنْجُ لَـدَيْكَ حَتَّـى رَأَوْا مَـا لا يُطَـاقُ مِـنَ الكِفَـاحِ
ومَـــا سَـــأَلُوكَ عَقْـــدَ الـــصُّلْحِ وُدًّا ولَكِـــنْ خَـــوفَ مَعْلَمِـــهِ رواحٍ
مـــلأتَ بِلادَهُـــمُ سَـــهلا وحَزْنًـــا أُسُـــوْدًا تَحْـتَ غَابَـاتِ الرِّمَـاحِ

العزة والذلة

ومَـا يُقِـيمُ عَـلى ضَـيْمٍ يُـرَادُ بِـهِ إلا الأذلانِ عَـيْرُ الحَـيّ والوَتَـدُ
هـذَا عـلَى الخَـسْفِ مَرْبـوطٌ برُمّتِـهِ وذَا يُـشَجُّ فَـلا يَرثـى لـه أَحَـدُ

التفاخر والإعجاب

كل فتاة بأبيها معجبة:

قُـــــوّادُ معركــــةٍ وُرَّادُ مُهْلِكَـــــةٍ أَوْتَـــادُ مَمْلَكَـــةٍ آَسَـــادُ مُحْـــتَرِبِ

هُمُ الرجال:

قال أحمد شوقي:

بلـوتَهُمْ فتحـدثْ كـمْ شـددتَ بهـمْ منْ مُضْمَحِلٍ، وكَمْ عمَّرتَ منْ خَرِبِ
وكَـمْ ثَلمـتَ بِهِـمْ مـنْ مَعْقـلٍ أَشِـبِ وكَمْ هَزمْتَ بهمْ منْ جَحْفلٍ لجِبِ
وكَـمْ بَنْيـتَ بِهِـم مَجْـدًا، فَـمَا نبـشوا في الهَدْمِ ما لَيْس فِي البُنيانِ مِنْ صَخَبِ

وقال حمزة بن الضليل البلوي:

لَقَـدْ أُقْحِمَـتَ حَتـى لَـسَتْ تَـدْري ... أَسَــعْدُ اللهَّ أَكثَــرُ أَمْ جُـــذَامُ

وقال الفرزدق:

منّــا الــذِي جَمَــعَ المُلُــوكَ وبَيْــنَهم ... حَـرْبٌ يُـشَبُّ سَـعِيرُهَا بِـضِرَامِ

أعَلِمْـتَ يَـومَ عُكـاظَ حـينَ لقيتَنـي ... تَحْتَ العَجَاجِ، فَمَا شَـقَقْتَ غُبـارِي

وقال أبو فراس الحمداني:

شَرينَــا وبعْنَــا بالــسِّيُوفِ نُفُوسَــنَا ... ونَحْـنُ أُنَـاسٌ بالـسِّيوفِ نُتَـاجرُ

وصُــنَّا نِــسَاءً نَحْــنُ أَوْلَى بِــصَوْنِها ... رَجعْنَ، ولَمْ تُكْـشَفْ لَهُـنَّ سَـتَائرُ

وقال :

خُلِقْــتُ مــنَ الحَدِيــدِ أَشَــدُّ بَأْسًــا ... وقَـدْ بَـلِيَ الحَدِيـدُ ومَـا بَلِيـتُ

وإِنِّي قَــدْ شَرِبْــتُ دَمَ الأَعَـــادِي ... بِأَقْحَـافِ الـرُّؤوسِ ومَـا رَوِيـتُ

وقال عنترة:

ونَحْـــنُ العَـــادِلُونَ إِذَا حَكَمْنَـــا ... ونَحْـنُ المُـشْفِقُونَ عَـلى الرَّعِيّـة

وقال المتنبي:

أَنَــا الــذِي نَظَــرَ الأَعمَــى إِلى أدَبِي ... وأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَـنْ بِـهِ صَـمَمُ

الإقدامُ لا الإحجام

مــنْ لمْ يمُــتْ بالــسَّيفِ مَـاتَ بِغَـيْرِهِ ... تَعَدَدَتْ الأَسْبَابُ والمَوتُ واحِـدُ

أَخلِقْ بذِي الـصَّبرِ أنْ يَحْظَـى بِحَاجتِـهِ ... ومُدْمِنُ القَرْعِ للأبْوابِ أنْ يَلِجَـا

خُذِ الوقتَ أخذَ اللِّصِّ واسْرِقْهُ واخْتلسْ ... فَوائِــدَهُ بالطِّيــبِ أو بالتَّطَايُــبِ

ولا تَتَعلَّـــــلْ بالأَمَـــــانِي فإنَّهـــــا ... مَطَايَا أحَادِيثِ النُّفُوس الكَواذِبِ

إذَا كُنْـــتَ ذَا رَأْيٍ فكـــنْ ذَا عَزِيمَـــةٍ ... فَــإِنَّ فَـسَادَ الـرَّأْيِ أَنْ تَـتَرددَا

ولا تُمْهِــلِ الأعْــدَاءَ يَوْمًــا بِقُــدَرةٍ وبادرْهُم أَنْ يَمْلِكُـوا مِثْلَهَـا غـدَا

قيمة الحرية والأحرار

الحرية وليدة الجهاد:

قال أحمد شوقي:

ولِلْحُرِّيَــــةِ الحَمْـــــرَاءِ بَـــــابٌ بِكُــــلِّ يَـــدٍ مُــضَرَّجة يــــدَقُ

الشقاءُ في عزةٍ خيرٌ من الراحةِ في ذلٍ:

قال عنترة:

لا تَـــسْقِني مَــــاءَ الحَيَــــاةِ بِذِلَــــةٍ بَلْ فَاسْقِنِي بِالعزِّ كَـأْسَ الحَنْظَـلِ

مَــــاءُ الحَيَــــاةِ بِذِلَّــــةٍ كَجَهــــنَّم وجَهَــنَّمٌ بِــالعِزِّ أَطيــبُ مَنْــزِلِ

اطرحْ الذلَ جانبا:

قال المتنبي:

إِنْ كُنْــتَ تَــرْضَى أَنْ تَعِــيش بِذِلــةٍ فَــلا تَــسْتِعدَّنَّ الحُــسَامَ اليَمَانِيَــا

فَــمَا يَنْفَــعُ الأُسْــدَ الحَيَــاءُ مِــنَ الطَّــوَى ولا تُتَّقَــى حَتَّــى تَكُــونَ ضَــوَارِيَا

مطالب رتبة الأحرار:

قال أبو الفتح البستي:

إِنْ كُنْــتَ تَطْلُــبُ رُتبَــةَ الأَحْــرَارِ فَاعْمَــدْ لِحِلْــمٍ رَاجِــح وَوَقــارِ

وحَــذَارِ مِــن سَــفَهٍ يَــشِينُكَ وَصْــمُهُ إِنَّ التَّـــــسَفُّه بــــالمُرُوءةِ زَارِي

وذَرِ الــسَّفِيهَ إِذَا تَــصَدَّى لامْــرِئٍ مُــتَحَلِّمٍ ونَحَــاهُ بِــالأَضْرَارِ

سمو الأحرار عن الدناءة:

قال محمد الفراتي:

الحُــــرُّ يَــــأْبَى أَنْ يَبِيــــعَ ضَــــمِيرَهُ بِجَمِيعِ مَا فِي الأَرْضِ مِـنْ أَمْـوَالِ

وَلَكِــمْ ضَــمَائِرُ لَــوْ أَرَدْتَ شِرَاءَهَــا لَمَلَكْــتَ أَغْلاهَــا بِرُبْــعِ رِيَــالِ

شَـتَّانَ بَـيْنَ مُـصَرِّحٍ عَـنْ رَأْيِـهِ   حُـرٍّ، وبَـيْنَ مُخَـادِعٍ خَتَّـالِ
يَـرْضَى الـدَّنَاءَةَ كُـلُّ نَـذْلٍ سَـاقِطٍ   إنَّ الـدَّنَاءَةَ شِـيمَةُ الأَنْـذَالِ

الرزية العظيمة:

قال الأصمعي:

لَعَمْـرُكَ مَـا الرَّزِيَّـةُ فَقْـدُ مَـالٍ   وَلا فَـرَسٌ يَمُـوتُ وَلا بَعِـيرُ
ولَكِـنَّ الرَّزِيَّـةَ فَقْـدُ حُـرٍّ   يَمُـوتُ لِمَوْتِـهِ خَلْـقٌ كَثِـيرُ[1]

وقال المنفلوطي: «لو عـرف الإنـسان قيمـة حريتـه المسلوبة منـه، وأدرك حقيقة ما يحيط بجسمه وعقله من القيود، لانتحر كما ينتحـر البلبـل إذا حبـسه الصياد في القفص، وكان ذلك خيرًا له من حياة، لا يرى فيها شعاعًا من أشـعة الحرية ولا تَخْلُصُ إليه نسمةٌ من نسماتها».

الحرية حياة:

وقال أيضًا: «الحرية هـي الحيـاة... لا سـبيل إلى الـسعادة في الحيـاة إلَّا إذا عاش فيها الإنسان حرًا مطلقًا لا يسيطر على عقله وفكره ووجدانه مسيطر إلا أدب النفس».

وقال عمر بن الخطاب ﵁: «متى استعبدتم النـاس وقـد ولـدتهم أمهـاتهم أحرارًا»[2].

الحنين إلى الأوطان

دلائل الكرام:

قال أبو عمرو بن العلاء: «مما يدل على كرم الرجل وطيب غريزتـه، حنينـه إلى أوطانه، وحبه متقدمي إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه»[3].

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.
(٢) أروع ما قيل في الحكمة ، إميل نصيف.
(٣) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما: «لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه»[١].

وقيل لأعرابي: «كيف تصبرون على جفاء البادية وضيق العيش؟ فقال: لولا أن الله أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد»[٢].

قال الحكماء: «الحنين من رقة القلب، ورقة القلب من الرعاية، والرعاية من الرحمة، والرحمة من كرم الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرشدة، وطهارة الرشدة من كرم المحتد».

قال بزرجمهر: «من أمارات العاقل بره لإخوانه، وحنينه لأوطانه، ومداراته لأهل زمانه»[٣].

حرمة الأوطان:

قالت الهند: «حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك، لأن غذاءك منهما وغذاءَهما منه»[٤].

وقال بعضهم:

بِلادٌ أَلِفْنَاهَا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... وقَدْ يُؤْلفُ الشَّيءُ الذِي لَيْسَ بِالحَسَنْ

ونَسْتَعذِبُ الأَرْضَ التِي لا هَواءَ بِهَا ... ولا مَاؤُهَا عَذْبٌ ولكِنَّها وَطَنْ[٥]

الحب الأول:

قال الطائي:

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حيث شِئْتَ مِنَ الهَوَى ... مَا الحُبُّ إلا لِلْحَبِيبِ الأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ الفَتَى ... وَحَنِينُهُ أَبَدًا لأَوّلِ مَنْزِلِ[٦]

---

(١) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٢-٤) رسائل الجاحظ.

(٥) المستطرف للأبشيهي.

(٦) المحاسن والمساوئ للبيهقي.

لزوم الأوطان سعادة الإنسان:

قيل لأعرابي: «ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولـزوم الأوطـان والجلـوس مـع الإخوان. قيل: فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان»[1].

حنين وشجى:

قال الشاعر:

إِذَا مَا ذَكَرْتُ الثَّغْـرَ فَاضَـتْ مَـدَامِعِي ... وَأَضْـحَى فُـؤَادِي نُهْبَـةً لِلْهَمَاهِـمِ

حَنِينًـا إلى أَرْضٍ بِهَـا اخـضَرَّ شَـارِبِي ... وحُلَّتْ بِهَـا عَنِّـي عُقُـودُ الـتَّمَائِمِ

وأَلْطَـفُ قَـوْمٍ بِـالفَتَى أَهْـلُ أَرْضِـهِ ... وأَرْعَـاهُم لِلْمَـرءِ حَـقَّ التَّقَـادمِ[2]

الوطنيّة الربّانيّة:

إن الوطنية الربانية شعيرة من شعائر الله، وحب الوطن من الإيمان، والدين وحدة كاملة بحلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وشعائره التي تنتظم وجـوه الحيـاة والعبادة كلها، فمن أبطل شيئًا من ذلك فقد مرق من دينه، وفسق عن أمر ربه، ولو ملأ الدنيا جهادًا في سبيل الوطن والوطنية... وهذا حق اليقـين ولـتعلمنّ نبأه بعد حين. فعلى من يدعى الوطنية الربانية أن يقوم بالشعائر كلها، عليـه أن يقيم الصلاة فهي صلب الصلة بالله عز وجل، وعليه أن ينـزه مجالـسه وأنديتـه واجتماعاته عما حرّم الله، كالخمر والقمار وتبرج النساء، ومـا شـابه ذلـك، وأن يكون في سيرته الشخصية، وحياته الخاصة كما رسم الله للمؤمنين مـن عبـاده، وأن يعلن الغيرة، بل يعلن الحرب عـلى كـل باطـل يغـضب الله، وكـل منكـر يستعلن به الجهلةُ في كل مكان، وعليه أن يعمل لوجه الله، لا ريـاء النـاس ولا لجر المغانم الذاتية، وأن يجعل الوطن ميدانًا للجهـاد في سـبيل الحـق، عليـه أن يجعله ميدانًا يتقرب فيه إلى الله بطيب الأعـمال، ولا وثنًـا تقـرب إليـه الـدماء، وتنتهي إليه الهمم والآمال، ودعوى تجري عـلى اللـسان، دون أن يتحقـق بهـا

(١،٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي.

القلب ويصدقها العمل، فهذا هو الباطل الذي يجب ألا يركن إليه عاقل، وهو الروح الخبيث الذي يمحق البركة، ويحبط العمل، ويجعل صاحبه تافه الفكـر، فارغ القول غير جدير بالنظر والالتفات[1].

التحذير من الماديين:

ساقهم تفكيرهم الماديّ إلى ضربٍ خطر من الإِلحاد فهو (الماديّ) بإنكاره ما وراء المادة قد رفـض أن يعـترف بجنـة ونـار، وبعـث ونـشور، وحـساب وجزاء، وعذاب ونعيم في القبر أو بعد القبر، فراحوا يظنون أن عمر الإنسان موقوت بهذه الأيام التي يقضيها في حياته الدنيا، وأن القبر إن هو إلا الخاتمـة الموحشة لهذه الدنيا الناضرة الجميلة، فإن لم يبادر باغتنام أوسع ما يمكن مـن مغانمها ومتعها وشهواتها، ذهب محرومًا إلى الفناء الأصم حيث لا رجعة ـ في زعمه ـ فأفزعه هذا المصير، وأقبل به عـلى الـشهوات العاجلـة في نهـم يـشبه الجنون، لا دين يردعه، ولا أدب يحجزه، ولا يطيق أن يذاد عنها بنـصيحة أو قانون[2].

مظاهر الجاهلية الحديثة:

العمل الصالح أعظم أجرًا، وأرفع قدرًا عند فساد المجتمعات، واضطراب الأحوال: حين يجور الأمـراء، ويـترف الأغنيـاء، ويتجـبر الأقويـاء، ويـداهن العلماء، وتشيع الفاحشة، ويظهر المنكر، ويختفي المعروف، وهو مـا يعـبر عنـه علماؤنا القدامى بـ (ظهور الفتن) وما نعـبر نحـن عنـه بــ(الجاهليـة الحديثـة) فالعاملون بدين الله ولدين الله في تلك الحال كأنما هـم صـحابة جـدد، حيـث الدين في إدبار والجاهلية في إقبال[3].

(١،٢) تذكرة الدعاة ص ١٠،١٦.

(٣) الوقت في حياة المسلم، للقرضاوي، ص ٥٨.

أزمة فقدان الشخصية ومقومات الحضارة في الأمة:

إن هناك أزمة تعيشها الأمة الإسلامية وهي أزمة الشخصية... أزمة فقدانها لشخصيتها، ومقومات حضارتها الغنية ذات الصبغة الروحية والإنسانية أمام حضارة مادية قدمت الكثير من الخدمات إلى الشعوب في النواحي المادية والتكنولوجية، ولكنها جففت منابع الروح عند الإنسان، ورسمت له دائرة ضيقة من الأهداف، دائرة محصورة بالحياة المادية ضمن عمر قصير، حياة تجري في صراع مادي مرير بعيدا عن القيم الإنسانية.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذه النظرة الناقصة والضيقة للحياة وللإنسان تصاعد نسبة الجرائم والانتحار والإدمان على المخدرات والكحول، وزيادة نسبة الطلاق، وتفكك أواصر العائلة.

الإنسان في نظر الإسلام:

إن الإنسان في نظر الإسلام ليس شقين منفصلين: شقا أرضيا «يعمل» وشقا سماويا «يتعبد»، وإنما العبادة عمل والعمل عبادة، والإنسان بشقيهِ شيء واحد، لأنه منذ مولده الأول قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله ممتزجتين غير منفصلتين، ومن ثم فليس شيء في كيانه منفصلًا عن بقية الكيان، الروح والعقل والجسم، كيان واحد.

والعمل والعبادة كيان واحد.

والدنيا والآخرة كيان واحد.

وكل عمل يقوم به الإنسان صادر عن كيانه كله، وكل لحظة من حياته هي للدنيا والآخرة في آن، ومن هنا لا تنقسم الأعمال إلى قسمين: قسم لقيصر وقسم لله، وإنما تكون كلها لله، ويدخل قيصر في ملكوت الله ويخضع لدستور الله(١).

---

(١) منهج الفن الإسلامي ص ٤٠.

الخارجون عن الصراط:

الأرض بكل مَنْ فيها وما فيها خاضعة لله، وينبغي أن يحكمها هدى الله. أخلاق الناس وتقاليدهم... علاقات بعضهم ببعض... شؤونهم الفردية والجماعية.. سلوكهم الجنسي، وسلوكهم الاقتصادي، وسلوكهم الاجتماعي.. سِلْمهم وحربهم... سياستهم الداخلية والخارجية.. مشمولة كلها بدستور الله، منظمة بمقتضى ذلك الدستور، ورقابة الله تشملها كلها، ولا تترك منها شيئًا للأهواء التي تنتاب البشر فتخرجهم عن الصراط[١].

حقوق الأفراد المالية:

قرر (الإسلام) لكل محتاج حقه فيما تَجْبِيه الحكومة من المال، الذي هو مال الله، فإذا تعطل عن العمل، أسعفته الدولة بما يعينه، إن عجز عن تدبير عمل له... وإذا نزلت به مصيبة في نفسه أو ماله وجب على الحكومة أن تقدم له الذهب والفضة... وإذا أدركته الشيخوخة فأقعدته عن العمل، ففي بيت المال (خزانة الدولة) حقوقه مذخورة له، لمثل هذا اليوم. فإذا توفي وترك ذرية ضعافًا فقراء لا كافل لهم، فالإمام ـ الحاكم ـ ملزم بتدبير أمرهم حتى يغنيهم الله من فضله[٢].

قسمة الأعمال كقسمة الأرزاق

لكل وجهة:

قال الحافظ ابن عبد البر: «إنَّ عبدالله العمري العابد كتب إلى مالك يحضه على النفير والعمل، فكتب إليه مالك: إنَّ الله قسم الأعمال، كما قسم الأرزاق، فَربَّ رجلٍ فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا

---

(١) منهج الفن الإسلامي ص ٤٠.

(٢) تذكرة الدعاة ص ٨٤.

فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبرٍ»[١].

ما لا بد منه للإنسان

خير ما أعطى الإنسان:

قال حبيب الجلاب: «سألت ابن المبارك: ما خير ما أُعطى الإنسان؟ قال: غريزة عقل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: حسن أدب. قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخ شقيق يستشيره. قلت. فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل»[٢].

الاغتراب في الميزان

حنين:

قال الطائي:

نَقِّل فُؤَادكَ حَيْثُ شِئْتَ مِن الهَوَى ... مَا الحُبُّ إلا لِلْحَبِيبِ الأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُه الفَتَى ... وحَنِينُهُ أَبَدًا لأَوَّلِ مَنْزِلِ

غربة الأشمر:

قال آخر:

تَغَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي أُؤمِّلُ ثَرْوَةً ... فَلَمْ أُعْط آمَالِي وطَالَ التَّغَرُّبُ

فَمَا لِلْفَتَى المُحْتَالِ فِي الرِّزْقِ حِيلَةً ... وَلا لِجُدُودٍ جَدَّها الله مَذْهَبُ

عزة:

قال زهير:

فَقِرِّي فِي بِلادِك إنَّ قَوْمًا ... مَتَى تَدْعُو بِلادُهُم يَهُونُوا

(١،٢) سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين الذهبي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢ ـ مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

مرعى للسهام:

وقال آخر:

لا أَلْفَيَنَّـــكَ ثَاوِيًــا فِي غُرْبَــةٍ إِنَّ الغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ(١)

الغربة شقاء:

قال الشاعر:

لَقُــرْبُ الــدَّارِ فِي الإِقْتَــارِ خَــيْرٌ مِـنَ العَـيْشِ المُوسَّـعِ فِي اغْـتِرَابِ

ليث في غير مكانه:

قال الشاعر:

لا يعْــدمُ المَــرْءُ شَــيْئًا يَــسْتَعِينُ بِــهِ وَمَنْعُــهُ بَــيْنَ أَهْلِيــهِ وأَصْــحَابهْ

ومَــنْ نَــأَى عَــنْهُم قَلَّــتْ مَهَابَتُــهُ كَاللَّيْثِ يُحقرُ لَّمَا غَـابَ عَـنْ غَابِـهْ(٢)

ما قيل في الاغتراب

القناعة كنز:

قال الشاعر:

حَتَّــى مَتَــى أَنَــا فِي حِــلٍّ وتِرْحَــالِ وطُــولِ سَـعْيٍ وإِدِبْـارٍ وإِقْبَـالِ

ونَــازِحِ الــدَّارِ لا أَنْفَــكُّ مُغْتَرِبًــا عَنِ الأَحِبَّـةِ لا يَـدْرُون مَـا حَـالِي

بِمَغْـرِبِ الأَرْضِ طَـوْرًا ثُـمَّ مَـشْرِقِهَا لا يَخْطُرُ المَوْتُ مِـنْ حِـرْصِي عَـلَى بَـالِي

لَــوْ قَنَعْــتُ أَتَــانِي الــرِّزْقُ فِي دِعَــةٍ إِنَّ القُنُوعَ الغِنَـى لا كَثْـرَةُ المَـالِ(٣)

ضرر للجميع:

وقال آخر:

يَــا رَحْمَتَــا لِلْغَرِيــبِ فِي البَلَــدِ النَــا زِح مَــاذَا بِنَفْــسِهِ صَــنَعَا

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ـ لابن عبد البر القرطبي.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ـ لأبي إسحاق القيرواني.

(٣) روض الأخيار لمحمد بن قاسم.

فَـــارَقَ أَحْبَابَـــهُ فَـــمَا انْتَفَعُـــوا ... بِالعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَمَـا انْتَفَعَـا[(١)]

آمال:

وقال آخر يدعو:

وَرُدَّ كُــلَّ شَـــتِيتٍ عَـــنْ أَحبَّتِـــهِ ... وكُلَّ ذِي غُرْبَـةٍ يَوْمًـا إِلَى الـوَطَنِ

وارْحَـــمْ تَقَطُّعَهُـــم فِي كُــلِّ مُهْلِكَـــةٍ ... وامنُنْ بِلُطْفِكَ يا ذَا الطَّوْلِ والمِنَنِ[(٢)]

ذلُ الغربة:

قال الشاعر:

وإِنَّ اغْـتَرَابَ المَـرْءِ مِـنْ غَـيْرِ حَاجَـةٍ ... وَلا فَاقَـةٍ يَـسْمُو لَهَـا لعَجِيـبُ

فـصَبٌّ امْـرِئٍ ذُلًا ولَـوْ أَدْرَكَ الغِنَـى ... ونَـالَ ثَـرَاءً أَنْ يُقَـالَ غَرِيـبُ[(٣)]

فرج قريب:

قال الشاعر:

سَـــلِ اللهَ الإِيـــابَ مِـــنَ المَغِيـــبِ ... فَكَـمْ قَـدْ ردَّ مِثْلَـكَ مِـنْ غَرِيـبِ

وسَـلِ الحُـزْنَ مِنْـكَ بِحُـسْنِ ظَـنٍ ... ولا تَيْأَسْ مِـن الفَـرَجِ القَرِيـبِ[(٤)]

الغربة أذى:

وقال آخر:

إِنَّ الغَرِيـــبَ ولَـــوْ يَكُـــونُ بِبَلْـــدَةٍ ... يُجْبَـى إِلَيْـهِ خَرَاجُهَـا لغَرِيـبُ

وأَقَـلُّ مَـا يَلْقَـى الغَرِيـبُ مِـن الأَذَى ... أَنْ يُـسْتَذَلَّ وأَنْ يُقَـالَ كَـذُوبُ[(٥)]

صرخة في واد:

وقال آخر:

إِنَّ الغَرِيـــبَ إِذَا يُنَـــادِي مُوجَعًـــا ... عِنْـدَ الـشَّدَائِدِ كَـانْ غَـيْرَ مُجَـابِ

فَـإِذَا نَظَـرْتَ إِلى الغَرِيـبِ فَكُـنْ لَـهُ ... مُتَرَحِّمًـا لِتَبَاعُـدِ الأَحْبَـابِ[(٦)]

(٢،١) روض الأخيار لمحمد بن قاسم.

(٣-٦) المحاسن والأضداد للجاحظ.



البَابُ الثَّامِنُ

العدل والحكم



العدل أساس الحكـم

أخوان لا ينفصلان:

قال أردشير لابنه: «يا بني، إنَّ الملك والعدل أخوان لا غنى لأحـدهما عـن الآخر، فالملك أسٌّ والعدل حارس، والبناء ما لم يكن له أسٌّ فمهدوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع، يا بني: اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهـل الجهـاد، وبـشرك لأهـل الـدين، وسرك لمـن عنـاه مـا عنـاك مـن ذوي العقول»(١).

العدل في الظاهر والباطن:

قال الحكماء: «مما يجب على السلطان أن يلتزمه العدل في ظاهر أفعاله لإقامـة أمر سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة أمـر دينـه، فـإذا فـسدت الـسياسة ذهـب السلطان، ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، لا يقـوم سـلطان لأهـل الكفر والإيمان إلاّ بهما، ولا يدور إلاّ عليهما، مع ترتيب الأمور مراتبها، وإنزالهـا منازلها، وينبغي لمن كان سلطانًا أن يقيم على نفسه حجَّة الرعية، ومـن كـان مـن الرعية أن يقيم على نفسه حجَّةَ السلطان، وليكن حكمُه على غـيره مثـل حكمـهِ على نفسه، وإنَّما يَعـرفُ حقـوق الأشـياء مـن يعـرف مبلـغَ حـدودهِا ومواقـع أقدارها، ولا يكون أحد سلطانًا حتى يكون قبل ذلك رعية»(٢).

العدل أساس الملك:

قال حكيم: «عدل الملك حياة الرعية وروح المملكة، فما بقاء جسد لا روح فيه. فيجب على من حكَّمه الله تعالى في عباده ومَلَّكه شيئًا مـن بـلاده أن يجعـل العدل أصل اعتماده وقاعدة استناده، لما فيه من مصالح العباد وعـمارة الـبلاد، ولأنّ نِعَمَ الله يجب شكرها، وأن يكون الـشكر عـلى قـدرها، ونعمـة الله عـلى السلطان فوق كل نعمة، فيجب أن يكون شكره أعظم من كل شكر، وأفـضل

(١،٢) العقد الفريد ١/ ٢٣،٢٤.

ما يشكر به السلطان لله تعالى إقامة العـدل فـيما حكمـه فيـه، ولمـا كـان خطـر السلطان جسيمًا، ونفعه عميمًا، كان أجره عند الله عظيمًا، ومقامه في الجنَّة كريمًا، ولو لم يكن في أجر العدل ما فيه، لكانت مصالح الملك وعمارة الممالك تقتضيه، ولذلك كان كسرى وغيره من كفرة الملوك في غاية العدل، مع أنَّهم لا يعتقدون ثوابًا ولا عقابًا، لأنَّهم علموا أنَّ بالعدل صلاحَ ملكهم وبقاءَ دولـتهم وعـمارةَ بلادهم»(١).

قالوا: «لا سلطان إلَّا برجال، ولا رجال إلَّا بمال، ولا مال إلَّا بعـمارة، ولا عمارة إلاّ بعدل وحسن سياسة»(٢).

العدل أخصب:

قال حكيم: «عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان»(٣).

وقيل أيضًا: «يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحًا أحـوج ما تكون الأرض إليه»(٤).

لو رتعْتَ لرتعوا:

لما أوتي عمر بن الخطاب ﷺ بتاج كسرى وسِوَارَيْهِ قال: إن الذي أدَّى هـذا لأمين. قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله، يؤدّون إليك ما أديـت إلى الله تعالى، فإن رتعت رتعوا(٥).

الإمام العادل:

قال الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز: الإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويُـسْمِعهم، وينظـر إلى الله ويُـريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلَّكَكَ الله –عـز وجـل–

---

(١) تحرير الأحكام ـ بدر الدين بن جماعة.

(٢،٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٩،٥.

(٤) بهجة المجالس ١/ ٣٤٥.

(٥) العقد الفريد ١/ ٣١.

كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعيالـه، فبـدّد المـال وشرد العيـال، فـأفقر أهله، وفرق ماله.

الإمام والناس:

لما استُخْلِفَ عمر بن عبدالعزيز أرسل إلى سالم بن عبد الله يستشيره، فقـال له: اجعل الناس أبًا وأخًـا وابنًـا، فـبرّ أبـاك، واحفـظ أخـاك، وارحـم ابنـك (بتصرف)[1].

حسن الرد وجمال القول وسرعة العارضة:

خطب أبو جعفر المنصور فحمدالله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله.

فقام إليه رجل من عُرض الناس، فقال: أُذَكِّرَكَ الله الذي ذكَّرْتَنا به يا أمـير المؤمنين. فأجابه أبو جعفر: سمعًا وطاعة لمن ذكَّر بالله، وأعوذ بالله أن أُذْكَّرَ به وأنساه فتأخذني العزةُ بالإثم «قد ضللت إذًا وما أنا مـن المهتـدين» وأمـا أنـت فوالله ما الله أردتَ بها، ولكن ليقال: قال فعوقب فصبر، وأهون بها لو كانـت، وأنا أحذركم أيها الناس أختها[2].

حفظ الأسرار:

لا تُفْـــــشِ سِرَّكَ إِلاّ إِلَيْـــــكَ فَـإِنَّ لِكُـلِّ نَـصِيحٍ نَـصِيحًا

وإِنِّي رَأَيْـــتُ غُـــواةَ الرِّجَـــالِ لا يَتْرُكُـونَ أَدِيـمًا صَـحِيحًا

وقال الحطيئة يهجو:

أَغُرْبَــالًا إِذَا اسْـــتُودِعْتَ سِرًّا وكَانُونًـا عَـلَى الُمتَحَـدِّثِينَا

غيّرته الولاية:

قيل لعبد الله بن الحسن: إن فلانًا غيّرته الولاية، قال: منْ ولي ولايـة يراهـا أكبر منه تغيَّر لها، ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها.

(١، ٢) العقد الفريد ١/ ٣١.

غضب الحليم:

قال النابغة الجعدي:

ولا خَـيْرَ فِي حِلْـمٍ إذَا لَمْ يَكُـنْ لَـهُ بَـوادِرُ تَحْمِـي صَـفْوَه أَنْ يُكَـدَّرَا

ميثاق من تولى الوظائف

القوى الأمين:

كان زياد إذا وَلَّى رجلًا عملًا قال له: «خذ عهدك وسر إلى عملك، واعلـم أنَّك مصروف رأس سنتك وأنَّك تصير إلى أربع خلال فاختر لنفسك، إنـا إن وجدناك أمينًا ضعيفًا استبدلنا بك لضعفك، وسلَّمتك من معرَّتنا أمانتك، وإن وجدناك قويًا خائنًا استهنَّا بقوتك وأحسنَّا على خيانتك أَدبكَ، وأوجعنا ظهرك وثقلنا غرمك، وإنْ جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين، وإن وجـدناك أمينًا قويًا زدنا في عملك، ورفعنا ذكرك، وكثرنا مالك وأوصأنا غبك»(١).

موازنة:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «دلوني على رجل أستعمله على أمـر قـد أهمنـي. قالوا: كيف تريده؟ قال: إذا كان في القوم وليس أمـيرهم كـان كأنـه أمـيرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنَّه رجل مـنهم. قـالوا: لا نعلمـه إلاّ الربيـع بـن زيـاد الحارثي. قال: صدقتم: هولها»(٢).

أهل العذر:

استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم، فقال لـه بعـض أصـحابه: «عليك بأهل العذر. قال: ومن هم؟ قال: الـذين إن عـدلوا فَهُـوَ مـا رجـوت منهم، وإن قصروا قال الناس: قد اجتهد عمر»(٣).

---

(١) الأمالي لأبي علي القالي.

(٢،٣) عيون الأخبار لابن قتيبة.

صفات القاضي النزيه:

أحضر الرشيد رجلاً ليوليه القضاء فقال له: «إنِّي لا أحسن القضاء ولا أنـا فقيه، فقال الرشيد: فيك ثلاث خلال: لك الشرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة، ولك حلم يمنعك من العجلة، ومن لم يعجل قلَّ خطؤه، وأنت رجـل تشاور في أمرك ومن يشاور يكثر صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك مـن تتفقـه به، فولي فما وجدوا فيه مَطَعنًا»(١).

الزم الجادة:

وقال أبرويز لصاحب بيت المال: إنّى لا أعذرك في خيانة درهم، ولا أحمدك على صيانة ألف ألف؛ لأنَّك إنَّما تحقن بذلك دمَك، وتقيم أمانتك، فـإن خُنـت قليلًا خنت كثيرًا، واحترس من خصلتين: النقـصان فـيما تأخـذ والزيـادة فـيما تعطي، واعلم أنِّي لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والقوة على العدو إلاّ وأنت عندي آمن من موضعه الذي هو فيه وخواتمه التي هي عليـه... فـلا تتعوض بخير شرًا، ولا برفعة ضِعَةً، ولا بسلامةٍ نَدامةً، ولا بأمانةٍ خِيانةً»(٢).

نصائح لمخالطي السلاطين

الرضا على كل حال:

قال ابن المقفع: «ينبغي لمن خدم السلطان أن لا يغتر به إذا رضي، ولا يتغير له إذا سخط، ولا يستثقل ما حمَّله، ولا يلحف في مسألته»(٣).

بُعْدٌ وَحَذَر:

وقال أيضًا: «لا تكن صحبتك للسلطان إلاّ بعد رياضة منك لنفسك عـلى طاعتهم، فَكُنْ حافظًا إذا ولّوكَ، حذرًا إذا قرَّبوك، أمينًا إذا ائتمنوك، ذلـيلًا إذا

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة.

(٢،٣) العقد الفريد لابن عبد ربه.

حرموك، راضيًا إذا أسخطوك، تُعلِّمهم وكأنَّك تتعلم منهم، وتؤدبهم وكأنَّـك تتأدب بهم، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر، وإلاّ فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر»(١).

حرص على زيادة القَدْر:

قال حكيم: «إذا زادك السلطان تأنيسًا فـزده إجلالًا، وإذا جعلـك أخًـا فاجعله أبًا، وإذا زادك إحسانًا فزده فعل العبد مع سيده، وإذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء عليه، فعليك بالدعاء له، ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة، فإن ذلك شبيه بالوحشة والغربة»(٢).

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

وقال بزرجمهر: «إذا صحبت ملكًا من الملوك، فلا تطعه في معصية خَالقك، فإن إحسانه إليك فوق إحسان الملك، وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعـه»، وقـال: «اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار؛ لأنَّهم إنَّما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة، وإن طال أنسك بهم تزدد غمًا»(٣).

أدب مخالطة السلطان:

قال ابن عباس –رضي الله عنهما: «قال لي أبي: يا بني، إنِّي أرى أمير المؤمنين يستخليك، ويستشيرك ويقدمك على الأكـابر مـن أصـحاب محمـد ﷺ، وإنِّي أوصيك بخلال ثلاث: لا تفشين له سرّا، ولا يجرّبَنَ عليك كـذبًا، ولا تغتـابن عنده أحدًا، قال الشعبي: قلت لابن عبَّاس كل واحدة منهن خـير مـن ألـف، قال: إي والله، ومن عشرة آلاف.. وقالوْا: صحبة السلطان بالحذر، والـصديق بالتواضع، والعدو بالجهر، والعامة بالبِشْرِ، ولا تحكم لأحدٍ بحسن رأي الملك إلاّ بحسن أثره»(٤).

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٢– ٤) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي.

في مجلس السلطان:

قال قيس بن عاصم المِنقري: «لا تَغْشَ السلطان حتى يَمَلَّك، ولا تقطعه حتى ينساك، ولا تجلس له على فراش ولا وساد، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين؛ فإنَّه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام لـه، فيكون قيامك زيادة له ونقصانًا عليك»(١).

مواءمة:

قال حكيم: «علِّم السلطان وكأنَّك تتعلم منه، وأشر عليه وكأنَّك تستشيره، وإذا أحللت السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك، فإياك والدخولُ بينه وبين بطانته؛ فإنَّك لا تدري متى يتغير منك، فيكونوا عونًا عليك، وإياك أن تعادي من إذا شاء أن يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل»(٢).

تعامُلٌ:

قال عبدالله بن المقفع: «إذا نزلت من السلطان بمنزلة الثقة فلا تلزم الدعاء له في كل كلمة، فإن ذلك يوجب الوحشة ويلزم الانقباض»(٣).

اتخذ من الغير ستارًا:

قال حكيم: «ينبغي لمن صحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة وإن استثقلها، وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خُرقٍ حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن يضرب له الأمثال، ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه»(٤).

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ.

(٢) المستطرف للأبشيهي.

(٣،٤) العقد الفريد لابن عبد ربه.

الرأي يقبله العدو:

قال الحكماء: «إذا نزلت من الملك بمنزلة الثقة فاعزل عنه كـلام الملـق، ولا تكثر من الدعاء له في كل كلمة، فإنَّ ذلك يشبه حال الوحـشة والغربـة، إلَّا أن تكلمه على رؤوس الناس فلا تسأل عمَّا وَقَّرَه وعظَّمه. وإذا أردت أنت أن يقبل قولك فصحِّح رأيك ولا تشوبنَّه بـشيء مـن الهـوى؛ فـإنَّ الـرأي يقبلـه منـك العدو، والهوى يردُّه عليك الصديق»[(١)].

الأبكم:

قال الشيزري: «اعلم أنَّه إذا أخلصك الملك لخاصـته، وجعلـك مـن أهـل مجالسته، فالزم الصمت، واستعمل الوقار، ولا تحدثه بادئًا، ولا تُعـد حـديثك عليه ثانيًا، ولا تفصل حديثًا بحديث، ولا تعارض أحدًا في حديث، واخفـض من صوتك، واختصر في لفظك، ولا تغتـب أحـدًا عنـده، وإن كثـرت عيوبـه وعظمت ذنوبه»[(٢)].

شروط السلامة:

وقال أيضًا: «وإذا كان لك إلى المَلكِ حاجة فلا ترفعها إليه ما لم يكن وجهه بسيطًا، وقلبه نشيطًا، وليكن على مقدار حقك لا على عزمك، وإذا طلبتها منـه فقصِّر المقال، وتَوقَ المَلال، ولا يحملك فرط ميله إليك عـلى التبـسط عليـه في السؤال، فتنحط رتبتك، وتذهب حُرمتك».

وإذا تحدّث الملك فأقبـل عليـه بوجهـك، وأصـغ إليـه بـسمعك، واشـغل بحديثه خاطرك، وبمنظره ناظرك، واسمعه استماع مستظرف لحديثه، مستبـشر به، واحذر أن تعاتبه على تَقَصُدٍ أو تلومه في تدبير؛ فإن ذلك يفضي إلى مقتـك، وبعدك منه بعد قربك، ولا تكاشفه النصيحة في الجلوة، ولا تنبسط في الخلـوة، فإن النصح في الملأ تقريع، والتبسط عليه تضييع»[(٣)].

---

(١) نهاية الأرب للنويري.

(٢،٣) النهج المسلوك للشيزري.

أصول في المؤاكلة والمجالسة:

وقال أيضًا: «وإذا جلست على موائد الملوك فلا تكن في الطعـام شَرِهـا، ولا في الأكل نَهِمًا، وكُلْ مما يليك، وأطِلْ المضغَ في فِيك، واجعـل نظـرك إلى الطعام الذي بين يديك ولا تنظر إلى من حواليك، ولا تأكل بكـل الأصـابع وقمْ عن المائدة وأنت جائع، ولا تحدقْ ببـصرك إلى مـا يحـضر مـن طرائـف الألوان، بل يكـون نظـرك إلى المَلـكِ عنـد كلامـه، والإطـراق عنـد مـضغه لطعامه، ولا تنقل من الصحفة إلى الرغيف شيئًا مـن اللحـم، ولا تتعـرض لمشمشة العظم، ولا تحول اللقمة من جانـب فِيـكَ إلى الجانـب الآخـر، ولا يُسمع لمضغك وبلعك صوتٌ ظاهر؛ لأنَّ المقصود من طعام الملـك الـشرف بمؤاكلته والتجمل بلطف كرامته، ومن قام عن الطعام لغسل يده فسبيله أن يبعد عن حضرته إلى الموضع الذي خـصَّ بمرتبتـه، ولا يبـصق في الطـشت بصاقًا يعلو صوته، ولا يستعمل بيديه التفرقعُ ولا بِفِيه التنخـعُ، ولا يـدْلُكُ بالمنديل يديه، بل يمسح به يديه وشفتيه، ولا يظهر في يديه شيء من الخـلال على حال من الأحوال»(١).

تحذير:

وقال أيضًا: «وإذا قرَّبك بأنسه وأَدْناك من مجلسه، فـالزم الاحـترام وقابلـه بالإعظام، ولا يخرجنك ما تراه من أنسه إلى الـصياح ومكـروه المـزاح، وإيـاك وإزالة الحشمة، وإضاعة الحرمة، والهزل في الكلام، والـشره في أكـل الطعـام، فإنَّ هذه الأحوال تدعو الملك إلى المَلَال، ولا تسارر في مجلسه إنسانًا، ولا تحدق إلى أحدٍ من الغلمان»(٢).

(١،٢) النهج المسلوك للشيزري.

من تجارب الأمراء السلف للأمراء الخلف

الوالي الناجح:

قال عمر بن الخطاب ﵁: «لن يقيم أمر الناس إلَّا امرؤ حصيف العقدة، بعيد الغور، لا يطلع الناس منه على غوره ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يقيم أمر الله في الناس إلَّا رجل يتكلم بلسانه كله، يخاف اللهَ في الناس ولا يخاف الناسَ في الله».

ومن كلام أمراء الفرس: «لا ملك إلَّا برجال، ولا رجال إلَّا بمال، ولا مال إلَّا بعمارة، ولا عمارة إلَّا بعدل».

السياسة:

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه: «يا أمير المؤمنين، ما السياسة؟ فقال: هيبة الخاصة، مع شدَّة عفتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف منها».

كونوا كما تطلبون:

صعد عبدالملك المنبر فقال في خطبته: «يا معشر رعيتنا، سألتمونا سيرة أبي بكر وعمر ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية أبي بكر وعمر، ولكن نسأل الله أن يعين كلًا على كلٍ»[(١)].

حسن معاملة:

قال عمر بن عبدالعزيز ﵁: «إنِّي لأُجمع أن أُخْرِجَ للمسلمين أمرًا من العدل، فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم، فأُخرج معه طمعًا مع طمع الدنيا، فإن نفرت القلوب من هذا، سكنت إلى هذا».

سياسة:

قال معاوية: «لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ، ابن عبد البر القرطبي.

ذاك؟ قال: كنت إذا مدُّوها خليتها، وإذا خلَّوها مددتها»[١].

منغصات الصبر:

قال الوليد بن عبدالملك: «لم أر أحلى من جني عافية الصبر، لولا مرارة ما أنفقت عليه من العمر وقطعت فيه من مسافة التسويف».

مصلحة الناس أولا:

قال المتوكل: «إذا خرج توقيعي إليك بما فيه مصلحة للناس فأنفذه ولا تراجعني فيه، وإذا خرج بما فيه حيف على الرعية فراجعني فإنْ قلبي بيد الله -عز وجلَّ».

نصيحة أهل التجارب:

قال أبو جعفر المنصور: «اسمع من أهل التجارب، ولا تردن على ذوي الرأي من ثقاتك النصيحة فتمنعها لرهبتهم منك، وأنت أحوج ما تكون إليها ثم لا تكون لك عليهم حجَّة».

تعجيل بالإحسان:

قال زياد: «إن تأخير جزاء المحسن لؤم، وتعجيل عقوبة المسيء دناءة، والتثبت في العقوبة ربما أدى إلى سلامة منها، وتأخير الإحسان ربما أدى إلى ندم لم يكن صاحبه أن يتلافاه»[٢].

من نصائح العقلاء للملوك

نصيحة جامعة:

قال حكيم ناصحًا للملوك: «يجب على الملك الفاضل أن يُحصِّن عقله من العجب، ووقاره من الكبر، وعطاءه من السرف، وصرامته من العنف، وحياءه من البلادة، وجاهه من التهاون، وإمضاءه من العجلة وعقوبته من الإِفراط، وعفوه من تعطيل الحقوق، وصمته من العي، واستئناسه من البذاء، وخلوته

---

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري.

(٢) المقتطف من أزاهر الطرف ، لابن سعيد الأندلسي.

من الإِضاعة، وعزماته من اللجاجة، وأناته من الملالة، وفرحاته من البطر، وروعاته من الاستسلام»[(١)].

وأوصى ملكٌ من ملوك اليمن ولي عهده قائلاً: «أوصيك بتقوى الله، فإنَّك إنْ تتقه يهدك وَيَكْفك ويرض عنك، ومتى يرض ربٌّ عن عبدٍ يُرضه، وآمرك أن لا تعجل فيما تخاف منه الفوت، فإنَّ العجلة مندمة، وإذا شككت في أمرٍ فشاور من ينصح لك، وإنْ اتَّهمت فاستبدل، وإذا استكفيت فاختر، وإذا قُلت فاصدق، وإذا وعدت فأنجز، وإذا أوعدت في حق فأنفذ، واعلم أنك إن ضبطت حاشيتك، ضبطت قاضيتك».

بطانة الخير:

ونصح بعض الحكماء مَلِكَ بلاده قائلاً له: «اتق مَنْ فوقك يتقيك مَنْ تحتك، وكما تحب أن يفعل بك فافعل برعيتك، وانظر كلَ حَسنٍ فالزمه، واستكثر من مثله، وكل قبيح فارفضه، وبالنصحاء يستبين لك ذلك، وخيرهم أهل الدين، وأهل النظر في العواقب، ولا تستنصح غاشًا، ولا تستغش ناصحًا، فربَّما غشَّ العاقل إذا وُتِر أو حرم أو كان ضعيف الورع، ولكل طبقة مهنة، وكل ذي علم بأمر فهو أولى به، وإنَّما رأيت آفة الملوك في ثلاثة أمور، فاحسم عنك واحدًا وأحكم اثنين: اتبَاع الهوى، وتولية من لا يستحق، وطي أمور الرعية عن الراعي، فإنَّك إن ملكت هواك لم تعمل إلَّا بالحق، وإنَّ ولَّيت المستحق كان عونًا لك على ما يجب، ولم تضع الأمور على يديه، وإذا تناهت إليك الأمور من أمور الرعية على حقائقها، عاش الوضيع، وحذر الرفيع، وأمسك الظلوم وأمِن المظلوم»[(٢)].

(١، ٢) لباب الآداب لابن منقذ.

صلاح الدين والدنيا:

قال الزهري: «ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبدالملك، فقال: يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك، وآخرتك ودنياك، قال: لا تَعِدْ أحدًا عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يَغرنَّك مرتقى سهلًا، إذا كان المنحدر وعرًا، واعلم أنَّ الأعمال جزاء فاحذر العواقب، وللدهر تاراتٌ فكن على حذر»(١).

وأحسنوا إن الله يحب المحسنين:

ودخل بعض العقلاء على سلطان فقال له: «إنَّ أحقَّ النّاس بالإحسان من أحسن الله إليه، وأولاهم بالإنصاف من بسط يديه بالقدرة، فاستدم ما أوتيت من النِّعم بتأدية ما عليك من الحق»(٢).

أيام العدل والإنصاف:

وقال رجل ينصحُ المأمون: «يا أمير المؤمنين، إذا استشن ما بينك وبين الله فابلله، فقلت: بماذا يا صاحب الخير؟ قال: بالاقتداء به في الإحسان إلى عباده، فإنَّه يحب الإحسان إليهم كما تحب الإحسان من حاشيتك إلى ولدك، ووالله ما أعطاك الله القدرة عليهم إلاّ لتصبر على إحسانك إليهم بالشكر على حسناتهم، والتغمد لسيئاتهم، وأي شيءٍ أوجهُ لك عند ربِّك من أن تكون أيامك أيام عدلٍ وإنصاف وإحسان وإشفاق، ورأفة ورحمة»(٣).

من جوامع الإسلام:

قال سعيد بن عامر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنِّي موصيك بكلمات من جوامع الإسلام ومعالمه، اخش الله في الناس، ولا تخش الناس في الله، ولا يخالف قولك فعلك، فإن خير القول ما صدقه الفعل، وأحِبّ لقريب المسلمين

---

(١) لباب الآداب لابن منقذ.

(٢،٣) سراج الملوك للطرطوشي.

وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، وفضِّ الغمرات إلى الحق حيث علمته، ولا تخف في الله لومة لائم»[١].

إن خيرًا... وإن شرًا...:

ودخل نسج بن الأزد على معاوية فقال: «اتق الله يا معاوية، واعلم أنّك كل يوم يخرج عنك، وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلَّا بُعدًا ومن الآخرة إلَّا قربًا، وعلى إثرك طالب لا تفوته، وقد نصب لك عَلَمٌ لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلم، وما أوشك أن يلحقك الطالب، وإنَّا وما نحن فيه وأنت زائل، والذي نحن صائرون إليه باق، إن خيرًا فخير وإنّ شرًا فشر»[٢].

صولة الكريم واللئيم:

وقال عمرو بن العاص، لمعاوية: «يا أمير المؤمنين لا تكونن بشيءٍ من أمور رعيتك أشَدَّ تفقدًا منك لخلة الكريم، أن تعمل في سدِّها، وَلطغْيَانِ اللئيم أن تعمل في قلعه، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإن الكريم يصول إذا جاع واللئيم إذا شبع»[٣].

التوسط في الأمور:

وقال أبرويز لابنه سيرويه: «لا توسعن على جندك سعة يستغنون بها عنك، ولا تضيقن عليهم ضيقًا يضجون به منك، ولكن أعطهم عطاءً قصدًا، وامنعهم منْعًا جميلاً، وابسط لهم في الرجاء، ولا تبسط لهم في العطاء»[٤].

العفو عند المقدرة:

وقال المنصور لولي عهده: لا تبرم أمرًا حتى تفكر فيه، فإن فكرة العاقل مرآته، تريه حسناته وسيآته، واعلم أنَّ الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا تصلحه إلاّ الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس

(١–٣) الجوهر النفيس لابن الحدّاد.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه.

بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص النّاس عقلًا من ظلم من هو دونه»[١].

التحذير من مصاحبة الملوك

خطر عظيم:

قال حكيم: «إياك وصحبة الملوك؛ فإنَّك إن لازمتهم ملّوك، وإنْ تركتهم أذلوك، يستعظمون في الثواب رد الجواب، ويستصغرون في العقاب ضرب الرقاب»[٢].

الانتفاع بالنار:

وقال آخر: «مثل السلطان مثل النار لا ينتفع بها إلا على بعد»[٣].

السعادة المفقودة:

جاء في كليلة ودمنة: «لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك؛ فإنَّهم لا عهد لهم، ولا وفاء، ولا قريب، ولا حميم، ولا يرغبون فيك إلا أن يطمعوا فيما عندك، فيقربوك عند ذلك، فإن قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك، ولا وُدَّ للسلطان ولا إخاء، والذنب عنده لا يغفر»[٤].

خوف:

قيل للعتابي: لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الأدب؟ قال: «لأنِّي رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيءٍ، ويرمي من السور في غير شيءٍ، ولا أدري أي الرجلين أكون»[٥].

دلال وجبروت:

وقال معاوية لرجل من قريش: «إياك والسلطان؛ فإنّه يغضب غضب الصبي ويبطش بطش الأسد»[٦].

(١ – ٣) محاضرة الأبرار لابن العربي.

(٤–٦) الجوهر النفيس لابن الحداد.

الخروج بغير دين:

قال ابن مسعود ﷺ: «إنّ الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينـه، فيخـرج ولا دين له، قيل له: ولم؟ فقال: لأنَّه يرضيه بسخط الله»[١].

بعد عن الصدق والحقيقة:

وقال حذيفة: «إياكم ومواقع الفتن، قيل: وما هي؟ قال: أبـواب الأمـراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه»[٢].

قبيح بالعلماء:

وقال سحنون: «ما أسمج بالعَالِمِ أن يؤتى إلى مجلسه فلا يُوجد فيُـسأل عنـه فيقال: هو عند الأمير»[٣].

في كليلة ودمنة: «ثلاثة لا يسلم منها إلَّا القليل: صحبة الـسلطان، وائـتمان النساء على الأسرار، وشرب السم على التجربة»[٤].

وكان يقال: «لقد خاطر بنفسه من ركب البحـر، وأعظـم منـه خطـرًا مـن صحب السلطان»[٥].

الغرور[٦]:

وقال مـزدك: «أحـق الأمـور بالتثبـت فيهـا الـسلطان، فإنـه مـن صـحب السلطان بغير عقل، فقد لبس شعار الغرور»[٧].

صفات السلطان:

والعرب تقول: «السلطان ذو عَدَوات وذو بدوات وذو تَدارؤ، تريد أنّه سريع الانصراف، كثير البدوات هجَّام على الأمور، وأصله من الدرء، وهو الدفع»[٨].

(١-٣) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٤-٨) سراج الملوك للطرطوشي.

عادات مستهجنة:

من البدع الغريبة التي ابتكرها الغربيون، وقلدهم فيها ـ للأسف ـ بعض المسلمين أن يقيم أحدهم ـ كلما انقضت سنة من عمره ـ حفلًا بهيجًا، يقدم فيه ما لذ وطاب من الطعام والشراب، يسميه الناس «عيد ميلاد».

وقد تواضع الناس على طقوس وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان؛ كإضاءة شموع بعدد سنوات عمر المختص به أو عقودها، ثم يتم إطفاؤها في حركة مسرحية وتبادل التهاني والهدايا بهذه المناسبة.

وكان أولى بالإنسان العاقل ـ بدلًا من هذا التقليد الأعمى الذي لا معنى له ولا فائدة منه ـ أن ينتهز هذه المناسبة من انقضاء عام من حياته ليقف وقفة تأمل وتفكير، كما يقف التاجر الواعي على رأس كل عام ليراجع سجلاته وموجوداته وديونه، ليدرك ما له وما عليه، وليعرف خسائره من أرباحه، سائلًا الله أن يكون يومه خيرًا من أمسه، وغده خيرًا من يومه.

كان أولى بالإنسان العاقل أن يحاسب نفسه على سنة كاملة انسلخت من عمره، سيسأله الله عنها، وهي ليست بالزمن القليل.

كان أولى بهذا الإنسان العاقل أن يأسى على نفسه بما انهدم من بنيان عمره، وما انْطَوَى من كتاب حياته، فكل يوم يمضي إنما هو ورقة من شجرته قد ذوت وسقطت.

ورحم الله الحسن البصري حين قال: يا بن آدم، إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

وكان أبو علي الدقاق ينشد:

كُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ يَأْخُذُ بَعْضِي يُورِثُ القَلْبَ حَسْرَةً، ثُمَّ يَمْضِي

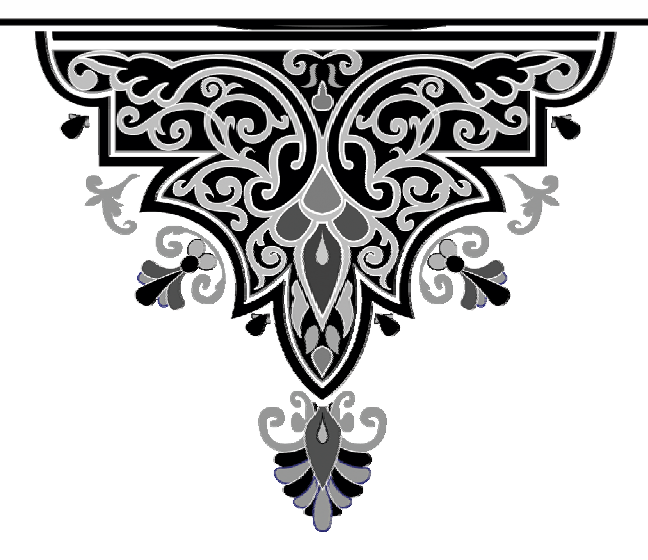
وقال آخر:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالأَيَّامِ نَقْطَعُهَا وكُلُّ يَوْمٍ مَضَى جُزْءٌ مِنَ العُمْرِ



البَابُ التَّاسِعُ

وصايا وحكم



من وصايا الآباء للأبناء

التقوى عماد الظهر:

كتب عمر بن الخطاب ﵁ إلى ابنه عبدالله في غيبة غابها: «أما بعد، فإنَّه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى جلاء بصرك، وعماد ظهرك، فإنَّه لا عمل لمن لا نيَّة له، ولا أجر لمن لا حسنة له، ولا جديد لمن لا خلق له»(١).

تحذير وتجلد وأمل:

أوصى عمير بن حبيب- وكان بايع النبي ﷺ - بَنِيهِ فقال: «يا بَنِيَّ، إياكم ومخالطة السفهاء، فإنَّ مجالستهم داء، وإنَّه من يحلم عن السفيه يُسَر بحلمه، ومن يُجِبْهُ يندم، ومن لا يَقَر بقليل ما يأتي به السفيه يقرَّ بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف، أو ينهى عن المنكر، فليوطِّن نفسه قبل ذلك على الأذى وليوقن بالثواب من الله - عز وجل، إنَّه من يوقن بالثواب من الله- عز وجل لا يجد مسَّ الأذى»(٢).

جالس العلماء لا الجهلاء:

وأوصى أعرابي ابنه قائلاً: «جالس أهل العلم، فإنْ جهلت علموك، وإن زللت قَوَّموك، وإنْ أخطأت لم يُفَنِّدوك، وإن صحِبْت زانوك، وإن غبتَ تفقدوك، ولا تجالس أهل الجهل، فإنَّك إن جهلت عَنَّفُوك، وإنْ زللت لم يُقَوِّمُوك، وإن أخطأت لم يُثبِتُوكَ»(٣).

آداب التعلم:

قال الحسن لابنه: «يا بني إذا جالست العلماء، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلَّم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثًا وإن طال حتى يمسك»(٤).

(١-٤) الأمالي لأبي علي القالي.

اكتساب الإخوان والأعوان:

أوصى أعرابي ابنه قائلاً: «ابذل المودَّة الصادقة تستفد إخوانًا، وتتخذ أعوانًا، فإنَّ العداوة موجودة عتيدة، والصداقة مُسْتَعْزَرَة بعيدة، جنِّب كرامتك اللئام، فإنَّهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا، وإنْ نزلت شديدة لم يصبروا»(١).

ائتلاف قلوب الأبرار:

قال بعض الحكماء لابنه: «يا بني اقبل وصيتي وعهدي، إنَّ سرعة ائتلاف قلوب الأبرار، كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الأنهار، وبُعدَ قلوب الفجار من الائتلاف، كبُعدِ البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على أرِي واحد، كن يا بني بصالح الوزراء أغنى منك بكثرة عدَّتهم، فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها، والحجر قادح حمله قليل غناؤه»(٢).

كِرَام مقدرون:

لما احتضر قيس بن عاصم قال لبنيه: «يا بني احفظوا عني ثَلاثًا فلا أحد أنصح لكم مني: إذا أنا مِتُّ فسوِّدُوا كباركم، ولا تسودوا صغاركم، فيحقر الناس كباركم، وتهونوا عليهم، وعليكم بحفظ المال فإنَّه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم والمسألة فإنَّها آخر كسب الرجل»(٣).

الحزم والتواني:

وقال عبدالملك بن مروان لابنه الوليد، وكان وليَّ عهده: «يا بني اعلم أنَّه ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه الرعيّة إلا حزم أو توان»(٤).

الحكمة والأدب:

وقال بعض الحكماء لابنه: «يا بني عليك بالحكمة والأدب، فلئن يذم الزمان فيك خير من أن يعاب بك»(٥).

(١، ٢) الأمالي لأبي علي القالي.

(٣) الكامل في اللغة والأدب للمبرّد.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٥) نثر الدر لأبي سعد الآبي.

كرم الطبيعة وظهور النقمة:

لما حضرت عبد الله بن شدَّاد بن الهاد الوفاة دعا ابنًا له يقال له محمد فقال: «يا بنيَّ إنِّي أرى داعي الموت لا يقلع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع، وإنِّي موصيك بوصية فاحفظها: عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكر الله وحسن النية في السر والعلانية، فإن الشكور يزداد، والتقوى خير زاد، ولا تزهدنَّ في معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب، فكم من راغب قد كان مرغوبًا إليه، وطالب أصبح مطلوبًا ما لديه، واعلم بأنَّ الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرى الهوان، وكن أي بني جوادًا بالمال في موضع الحق، بخيلًا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، وإن أحمد بخل الحُرّ، الضنُّ بمكتوم السر، أي بني إن غُلبت يومًا على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإن الكريم يحتال، والدنيَّ عيال، وكذا أحسن ما تكون في الظاهر حالًا، أقل ما تكون في الباطن مالًا، فإنَّ الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الإنقاد نعمته.

أي بني، وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنَّك لست بالشاهد، فإنَّك إن أمضيتها حيالها، رجع العيب على من قالها، وكان يقال: الأريب العاقل هو الفطن المتغافل.

أي بني، لا تؤاخ امرأً حتى تعاشره، وتتفقد موارده ومصادره، فإذا استطعت العشرة، ورضيت الخبرة فواخه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة، وإذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط، فإنه قد كان يقال أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما، وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار فإنَّه عار»[١].

(١) الأمالي لأبي علي القالي.

إياك وما يعتذر منه:

وقال الأشعث بن قيس لبنيه: «يا بَنِيَّ، لا تذلوا في أعراضكم وانخدعوا في أموالكم، ولتخفَّ بطونكم من أموال الناس، وظهوركم من دمائهم، فإن لكل امرئٍ تبعة، وإياكم وما يعتذر منه أو يُسْتَحْيَى، فإنَّما يعتذر من ذنب ويستحى من عيب وأصلحوا المال لجفوة السلطان وتغير الزمان، وكفوا عند الحاجة عن المسألة، فإنّه كفى بالرد منعا، وأجملوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدرًا، وامنعوا النساء من غير الأكفاء، فإنّكم أهل بيت يتأسى بكم الكريم، ويتشرف بكم اللئيم، وكونوا في عوام الناس ما لم يضطرب الجبل، فإذا اضطرب الحبل فالحقوا بعشائركم»(١).

كما تدين تدان:

وقال حكيم لبنيه: «يا بني، إياكم والجزع عند المصائب، فإنّه مجلبة للهم، وسوء ظنٍّ بالربّ، وشماتةٌ للعدو، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ولها آمنين، فإنِّي والله ما سخرت من شيء إلاّ نزل بي مثله، فاحذروها، وتوقعوها، فإنما الإنسان في الدنيا غرض تتعاوره السهام، فمجاوز له، وَمُقَصِّرٍ عنه، وواقع عن يمينه وشماله، حتى يصيبه بعضها، واعلموا أن لكل شيء جزاءً ولكل عمل ثوابًا وقد قالوا: كما تدين تدان، ومن برَّ يومًا بُرَّ به»(٢).

وصية جامعة:

وقال لقمان لابنه: «لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها، فإنَّك لم تخلق لها، وما خلق الله خلقًا أهون عليه منها، فإنَّه لم يَجْعَلْ نعيمها ثوابًا للمطيعين، ولا بلاءها عقوبة للعاصين. يا بني، لا تضحك من غير عجب، ولا تمش في غير أرب، ولا تسأل عما لا يعنيك. يا بني، لا تضيع مالك، وتصلح مال غيرك، فإنَّما لك ما قدَّمت، ولغيرك ما تركت. يا بني، إنَّه من يَرحَم يُرحم،

(١، ٢) العقد الفريد لابن عبد ربه.

ومن يصمت يسلم، ومن يفعل الخير يغنم، ومن يَفْعَل الباطل يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم، يا بني، زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك، فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء»[(١)].

درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

قال عبدالملك بن مروان لبنيه: «كفوا الأذى، وابذلوا المعروف، واعفوا إذا قدرتم، ولا تبخلوا إذا سئلتم، ولا تلحفوا إذا سألتم، فإنَّه من ضيَّق ضُيِّقَ عليه، ومن أعطى أخلف الله عليه»[(٢)].

خير الآباء وخير الأبناء:

وقال علي بن الحسين لابنه: «يا بني إنَّ الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذرني منك، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودَّة إلى التفريط فيه، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له»[(٣)].

وكتب علي بن أبي طالب ﷺ إلى ابنه محمد بن الحنفية يوصيه: أن تفقه في الدين وعوِّد نفسك الصبر على المكروه، وَكِلْ نفسك في أمورك كلها إلى الله – عز وجل–، فإنَّك تَكِلُها إلى كاف حريز، ومانع عزيز، وأخلص المسألة لربِّك فإنَّ بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة له، واعلم أنَّ من كان مطيته الليل والنهار فإنَّه يسار به وإن كان لا يسير، فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة، فإن قدرت أن تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك، وإن كنت غير قابل نصيحتي إياك فاعلم علمًا يقينًا أنَّك لن تبلغ أملك، ولا تعدو أجلك، فإنَّك في سبيل من كان قبلك، فأكرم نفسك عن كل دنية وإنْ ساقتك إلى الرغائب، فإنَّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضًا، وإياك أن توجف بك مطايا الطمع وتقول متى ما أُخِّرت نزعت، فإن هذا أَهْلَكَ مَنْ هَلَكَ قبلك، وأمسكْ عليك لسانَكَ فإن تلافيك ما فرط من صمتك، أيسر عَلَيْكَ من إدراك

(١-٣) العقد الفريد لابن عبد ربه.

ما فات من منطقك، واحفظ ما في الوعـاء بـشدِّ الوكـاء، فحـسن التـدبير مـع الاقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد، والحزمة مع العفة خير من الغنى مـع الفجور، والمرء أحفظ لسره، ولربَّما سعى فـيما يـضره، وإيـاك والاتكـال عـلى الأماني، فإنَّها بضائع النَّوكى(١)، وتثبط عن الآخرة والأولى، ومـن خـير حـظ الدنيا القرين الصالح، فقارن أهل الخير تكـن مـنهم، وبـاين أهـل الـشر تـبن عنهم، ولا يغلبنَّ عليك سوء الظنِّ فإنَّه لن يدع بينك وبين خليل صـلحًا، أذْكِ قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب، واعلم أنَّ كفـر النعمـة لـؤم، وصـحبةَ الأحمق شؤم، ومن الكرم منع الحرم، ومن حلم ساد، ومن تفهم ازداد، امحـض أخاك النصيحة، حسنة كانـت أو قبيحـة، لا تـصرم أخـاك عـلى ارتيـاب، ولا تقطعه دون استعتاب، وليس جزاء من سرك أن تسوءه، الـرزق رزقـان: رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك، واعلم يا بني أنه مَالَكَ من دنيـاك إلَّا مـا أصلحت به من مثواك، فأنفق من خيرك، ولا تكن خازنًا لغيرك، وإن جزعت على ما يفلت من يديك، فاجزع على ما لم يصل إليك، ربَّما أخطأ البصير قصده، وأبصر الأعمى رشده، ولم يهلك امرؤ اقتصد ولم يفتقر مـن زهـد، مـن ائـتمن الزمان خانهُ، ومن تعظم عليه أهانـه، رأس الـدين اليقـين، وتمـام الإخـلاص اجتناب المعاصي، وخير المقال ما صدَّقه الفعال، سل عن الرفيق قبل الطريـق، وعن الجار قبل الدار، واحمل لصديقك عليك، واقبل عذر مـن اعتـذر إليـك، وأخِّر الشر ما استطعت، فإنك إذا شئت تعجلته، لا يكن أخوك على قطيعتـك أقوى منك على صلته، وعلى الإِساءة أقوى منك على الإحسان، لا تُمَلِّكَنَّ المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها، فإنَّ المرأة ريحانة، وليـست برمانـة، فـإنّ ذلـك أدوم لحالها وأرخى لبالها، واغضض بصرها بسرِّك، واكففها بحجابك، وأكرم الذين

---

(١) النوكى: الحمقى.

بهم تصول فإذا تطاولت تطول، أسأل الله أن يلهمك الشكر والرشد ويقويك على العمل بكل خير، ويصرف عنك كل محذور برحمته. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[١].

من وصايا العقلاء الموجزة

لِتكن لك غاية:

قال موسى بن عمران للخضر -عليهما السلام: «إنِّي قد حُرِمْتُ صُحبتك فأوصني؟ قال: إيَّاك واللجاجة والمشي في غير حاجة، والضحك من غير عجب»[٢].

وقال أبو بكر لعمر -رضي الله عنهما- في وصيته إياه: «إذا جنيت جِنًى فكفَّ يدك، أو يشبع مَنْ جنيت له، مَنْ نازعتك نفسك إلى شركتهم، فكن فيهم كأحدهم، ولا تستأثر عليهم، واعلم أنَّ ذخيرة الإمام تهلك دينه وتسفك دمه»[٣].

أصول:

أوصى عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- صديقه جندب بن عبد الله الأنصاري قائلاً له: «أوصيك يا جندب ونفسي بتوحيد الله، وإخلاص العمل لله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإن كلَّ خير أتيت بعد هذه الخصال مقبول، وإلى الله مرفوع، ومَنْ لم يكمِّل هذه الأعمال ردَّ عليه ما سواها، وكن في الدنيا كالغريب المسافر، واذكر الموت، ولتهن الدنيا عليك، فكأنّك قد فارقتها، وصرت إلى غيرها، واحتجت إلى ما قدمت، ولم تنتفع بشيءٍ مما خلفت»[٤].

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٢-٤) بهجة المجالس لابن عبد البر.

موبقات:

وأوصى حكيم أحد الملوك قائلاً: «ولا ينبغي للملك أن يكون كذابًا ولا بخيلًا ولا حسودًا ولا جبانًا. فإنَّه إن كان كذابًا ثم وعد خيرًا لم يُرج أو أوعد شرًا لم يخش، وإن كان بخيلاً لم يناصحه أحد، ولا يصلح الملك إلّا بالمُنَاصحة، وإن كان حسودًا لم يشرف أحدًا، ولا يصلح الناس إلا بأشرافهم، وإن كان جبانًا اجترأ عليه عدوه، وضاعت ثغوره»(١).

موت القلب:

وعن الأحنف بن قيس -رحمه الله- قال: «قال لي عمر -رضوان الله عليه- يا أحنف من كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومن مزح استخف الناس به، ومن أكثر من شيءٍ عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قَلَّ ورعه مات قلبه»(٢).

والآخرة خير وأبقى:

وقال معاذ بن جبل ﷺ في وصيته: إنّه لا بُد لك من نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه، فإنَّه سيمرُّ على نصيبك من الدنيا فينتظمه انتظامًا، ويزول معك حيث ما زُلت»(٣).

اتق الله:

كتب إلى عبد الله بن الحسن صديقٌ له: «أوصيك بتقوى الله عز وجل، فإنَّه جعل لمن اتَّقاه من عباده المخرج مما يكره، والرزق من حيث لا يحتسب»(٤).

---

(١) كتاب الآداب لجعفر شمس الخلافة.

(٢-٤) لباب الآداب لأسامة بن منقذ.

أفضل الوصايا للمسافرين

وصية جامعة:

أوصى بعض الحكماء صديقًا له وقد أراد سفرًا فقال: «إنَّك تدخل بلدًا لا يعرفك أهله، فتمسك بوصيتي تستعن بها فيه، عليك بحسن الشمائل فإنها تدل على الحرية، ونقاء الأطراف فإنَّها تشهد بالملوكية، ونظافة البزة فإنَّها تنبئ عن النشء في النعمة، وطيب الرائحة فإنَّها تظهر المروءة، والأدب الجميل فإنّه يكسب المحبة، وليكن عقلك دون دينك، وقولك دون فعلك، ولباسك دون قدرك، والزم الحياء والأنفة، فإنكَ إن استحييت من الغضاضة اجتنبت الخساسة، وإن أنفت عن الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة».

برّ السلف وتحقيق الشرف:

قال الأصمعي: «سمعت أعرابيًا يوصي آخر أراد سفرًا فقال: آثر بعملك مَعَادَك، ولا تَدَع لشهوتك رشادك، وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك إلى الهدى، ويجنبك الردى، واحبس هواك عن الفواحش، وأطلقه في المكارم، فإنك تبرّ بذلك سلفك وتشيد به شرفك».

كن تقيًا بشوشا:

وأوصت أعرابية ابنها في السفر فقالت: «يا بني، إنَّك تجاور الغرباء وترحل عن الأصدقاء ولعلك لا تلقى غير الأَعداء، فخالط الناس بجميل البشر، واتق الله في العلانية والسر».

تحذيرات نافعة:

وقال أبان بن تغلب: شهدت أعرابية توصي ولدًا لها أراد سفرًا وهي تقول: أي بني، اجلس أمنحك وصيتي، وبالله توفيقك. قال أبان: فوقفت مستمعًا لكلامها، مستحسنًا لوصيتها فإذا هي تقول: أي بني، إياك والنميمة فإنَّها تزرع الضغينة، وتفرق بين المتحابين، وإياك والتعرض للعيوب فَتُتخذ غرضًا، وخليق ألا يَثْبتَ الغرضُ على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضًا إلاّ

كَلَمَتْهُ، حتى يَهِيَ(١) ما اشتد من قوته، وإياك والجود بدينك، والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريمًا يَلن لمهزَّتك، ولا تهزز اللئيم فإنَّه صخرة لا يتفجر ماؤها، ومثِّل بنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه، ومن كانت مودته بشره وخالف منه ذلك فعله، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها. ثم أمسكت، فدنوت منها، فقلت لها: بالله يا أعرابية، إلّا ما زدته في الوصية، قالت: أو قد أعجبك كلام العرب يا حضري؟ قلت: نعم! قالت: الغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ربطتها وسربالها»(٢).

فوائد السفر:

تَغَرَّبْ عَنْ الأَوْطَانِ في طَلَبِ العُلاَ ... وسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوائِدِ

تَفْرِيجُ هَمٍّ، واكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ ... وعِلْمٌ وآدَابٌ، وصُحْبَةُ ماجِدِ

الإنسان بين الأمل والأماني

في سبيل المجد:

قال علي بن مقرب:

إنَّمَا تُدْرَكُ غَايَاتُ الْمُنَى ... بِمُسِرٍ أو طِعَانٍ وجَلاَدِ

واللَّبِيبُ الحَقُ لاَ يَخْدَعُهُ ... لَمَعَانُ الآل عَنْ حِفْظِ المَزَادِ

أمانيُّ خدّاعة:

قال ابن عرام:

نَمِيلُ مَعَ الآمَالِ وهْيَ غُرُورُ ... ونَطْمَعُ أَنْ تَبْقَي وذَلِكَ زُورُ

---

(١) وَهَى الرجلُ: يَهِي وَهْيًا ووُهِيًا: حمق وضعف (المعجم الوسيط/ وهى).

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ـ لأبي إسحاق القيرواني.

الحرص الشديد:

قال عائشة التيمورية:

كَـمْ ذَا نُهَنِّـئُ بِالآمَـالِ أَنْفُـسَنَا حَتَّى كَأَنَّ الفَتَى طُول المَدَى بَاقِي

في الأمل سعة:

قال الطغرائي:

أُعلِّـلُ الـنَّفْسَ بِالآمَـالِ أَرْقُبُهَـا مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْلاَ فُسْحَةُ الأَمَلِ

كفاح دؤوب:

قال مصطفى الماحي:

يُجَاهِـدُ المَـرْءُ والآمَـالُ تَدْفَعُـهُ ولَـيْسَ يَظْفَـرُ إِلاَّ بِالَّـذِي قُـدِرَا

من المنى ما لا يدرك:

قال المتنبي:

مَـا كُـلُّ مَـا يَتَمَنَّـى المَـرْءُ يُدْرِكُـهُ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لاَ يَشْتَهِي السَّفِنُ

وقال: عبد الله بن المخارق:

كَـمْ مِـنْ مُؤَمِّـلِ شَيءٍ لَـيْس يُدْرِكُـهُ والمَرْءُ يُزْرِي بِـهِ فِي دَهْـرِهِ الأَمَـلُ

يَرْجُـو الثُّـواءَ ويَرْجُـو الخُلْـدَ مُجْتَهِـدًا ودُونَ مَا يَرْتَجِي الأَقْدَارُ والأَجَـلُ

أمانيّ مختلفات:

قال أبو الفتوح البستي:

يَـا مَـنْ يُؤَمِّـلُ أَنْ يَعِـيشَ مُـسَلِّمًا جَذْلاَنَ لاَ يُدْهَى بِخَطْبٍ يُحْزِنُ

أَفْرَطْـت فِي شَـطَطِ الأَمَـانِي فَاقْتَـصِدْ واعْلَمْ بِـأَنَّ مِـنَ المُنَـى مَـا يَفْـتِنُ

إِن الأَمَـانَ مِـنَ الزَّمَـانِ بِمُمْكِـنٍ ومِنَ المُحَالِ وُجُودُ مَـا لاَ يَمْكِـنُ

مَعْنَـى الزَّمَـانِ عَـلى الحَقِيقَـةِ كَاسْـمِهِ فَعَـلامَ تَرْجُـو أَنَّـه لا يُـزْمِنُ

الآمال عون على المشقات:

قال أحمد بن يحيى الغيلاني:

بِكُلِّ بِلاَدٍ أَمْ بِكُلِّ مَظَنَّةٍ أخو أمل مِنَّا يُحَاوِلُ مَطْمَعَا

كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلنَّوَى وكَأَنَّمَا حَرَامٌ عَلَى الأَيَّامِ أَنْ تَتَجَمَّعَا

إنَّ لِلآمَالِ فِي أَنْفُسِنَا لَذَّةً ينْتَعِشْ مِنْهَا مَا ذَبَلْ

لَذَةً يَحْلُو بِهَا الصَّبْرُ عَلَى غَمَراتِ العَيْشِ والخَطْبِ الجَلَلْ[1]

عِبَر وعظات

١ ـ سبحانَ اللهّ! في النَّفسِ كِبْرُ إبليسَ، وحسدُ قابيل، وعتوُّ عادٍ، وطغيانُ ثمودَ، وجرأةُ نمرود، واستطالةُ فرعونَ، وبغيُ قارونَ، وقِحَةُ هامانَ، وهوى بلْعَام، وحِيَلُ أَصحابِ السَّبتِ، وتمرُّدُ الوليدِ، وجهلُ أَبي جهلٍ.

٢ ـ وفيها من أَخلاقِ البهائم حرصُ الغرابِ، وشَرَهُ الكلبِ، وَرُعونةُ الطاووسِ، ودناءةُ الجُعلِ، وعقوقُ الضبِّ، وحقْد الجملِ، ووثُوب الفهدِ، وصولةُ الأَسد، وفسق الفأرةِ، وخُبْثُ الحيّةِ، وعبثُ القردِ، وجمعُ النملةِ، ومكرُ الثعلبِ، وخفّةُ الفراشِ، ونوم الضَّبُعِ.

غيرَ أَنَّ الرياضةَ والمجاهدةَ تُذْهِبُ ذلكَ، فمن استرسلَ مع طبعِهِ فهو من هذا الجُنْدِ، ولا تصلحُ سِلْعَتُهُ لعقدِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[2]، فما اشترى إِلَّا سلعةً هذَّبَها الإِيمانُ فخرجتْ من طبعِها إِلى بلدٍ سكّانُهُ التائبونَ العابدونَ.

٣ ـ سَلِّمِ المبيعَ قبلَ أَنْ يتلفَ في يدِكَ فلا يقبله المشتري.

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش.

(٢) التوبة: ١١١.

قد علمَ المشتري بعيبِ السِّلْعةِ قبلَ أَنْ يشتريَها، فسلِّمْها ولكَ الأَمانُ من الرَّدِّ.

* قَدْرُ السِّلعة يُعْرَفُ بقَدْرِ مشتريها والثمنِ المبذولِ فيها والمنادي عليها، فإذا كانَ المشتري عظيمًا والثمنُ خطيرًا والمنادي جليلاً كانتِ السلعةُ نفيسةً.

يَا بَائِعًا بيْعَ الهَوانِ لو اسْـ ـتَرْجَعْتَ ذَا البَيْع قَبلَ الفَوتِ لَمْ تَخِبِ

وبَائِعًا طِيبَ عَيْشٍ مَا لَهُ خَطَرٌ بطَيفِ عَيْشٍ مَن الآلاَمِ مُنْتَهَبِ

غُبِنْتَ والله غُبْنًا فَاحِشًا ولَدَى يومِ التَّغَابُنِ تَلْقَى غَايةَ الحَرَبِ

وَوَارِدًا صَفْوَ عَيْشٍ كلُّه كَدَرٌ أمامَك الوِرْدَ حَقًّا لَيْسَ بالكَذِبِ

وحَاطبَ اللَّيلِ في الظَّلماءِ مُنْتَصِبًا لِكلِ دَاهِيةٍ تُدْنِي مِنَ العَطَبِ

تَرْجُو الشِّفاءَ بأَحْداقٍ بها مَرَضٌ فَهَلْ سَمِعْتَ بِبُرْءٍ جَاءَ من عَطَبِ

ومُفْنِيًا نَفْسَه فِي إِثْرِ أَقبحِهِم وصفًا لِلَطْخِ جَمَالٍ فيه مُسْتَلَبِ

وَوَاهِبًا نَفْسَه مِنْ مِثْلِ ذَا سَفَهًا لَوْ كُنْتَ تعرف قَدْرَ النَّفسِ لم تَهَبِ

شَابَ الصِّبا والتَّصَابِي بَعدُ لَمْ يَشِبِ وضَاعَ وقتُكَ بَيْنَ اللَّهوِ واللعبِ

وشَمسُ عُمْرِكَ قَدْ حَانَ الغُروبُ لها والفَيءُ في الأُفُقِ الشَّرقيِّ لَمْ يَغِبِ

وفازَ بالوَصْلِ مَنْ قَدْ جدَّ وانْقَشَعَتْ عَن أُفْقِهِ ظُلُماتُ اللَّيْلِ والسُّحُبِ

كَمْ ذَا التَّخلُّفُ والدُّنيا قدِ ارْتَحَلَتْ ورُسْلُ رَبِّكَ قَدْ وافَتْكَ فِي الطَّلَبِ

مَا فِي الدِّيارِ وقَدْ سَارَتْ رَكَائِبُ مَنْ تَهْواهُ للصَّبِّ مِن شُكْرٍ ولا أَرَبِ

فَأَفْرِشِ الخَدَّ ذيّاكَ التُّرَابَ وقُلْ مَا قَالَه صَاحِبُ الأَشواقِ والحُقُبِ

ما رَبْعُ ميّةَ مَحْفُوفًا يَطِيفُ بِهِ غَيْلانُ أَشْهَى لَهُ مِنْ خَدِّكِ التَّرِبِ

مَنَازِلًا كَانَ يَهْواهَا ويأْلَفُها أَيَّامَ كَانَ مُنَالُ الوصْلِ عَنَ كَثَبِ

ولا الخُدُودُ ولَوْ أَدْمَيْنَ مِنْ ضَرَجٍ أَشْهَى إِلَى نَاظِرِي مِن رَبْعِكِ الخَرِبِ

وكُلّما جُلِّيَتْ تِلْكَ الرُّبوعُ لَهُ | يَهْوَي إليها هَوِيَّ المَاءِ في الصَّبَبِ
أحيى لَهُ الشَّوقُ تَذْكارَ العُهُودِ بِهَا | فَلَوْ دعا القَلْبَ للسَّلْوانِ لَمْ يُجِبِ
هَذَا وكَمْ منزلٍ في الأَرضِ يألَفُهُ | ومَا لَه في سِوَاها ـ الدَّهرَ ـ مِنْ رُغُبِ
مَا في الخِيامِ أَخُو وَجْدٍ يُريحُك إنْ | بَثَثْتُه بَعْضَ شَأنِ الحُبِّ فاغْتَرِبِ
وَأَسْرِ في غَمَراتِ اللّيْلِ مُهْتَدِيًا | بِنَفحَةِ الطِّيبِ لا بالعُودِ والحَطَبِ
وعَادِ كُلَّ أَخَي جُبنٍ ومعْجِزةٍ | وحارِبِ النَّفْسَ لا تُلقيكَ في الخِرَبِ
وخُذْ لِنَفْسكَ نُورًا تَسْتَضِيءُ بِهِ | يَومَ اقْتِسَامِ الوَرَى الأَنوارَ بالرُّتَبِ

* * *

إنْ كَانَ يُوجِبُ صَبْرِي رَحْمَتِي فَرِضا | بِسُوءِ حَالِي وَحِلٌّ لِلضَّنَا بَدَني
مَنَحْتُكَ الرُّوحَ لا أَبغي لَهَا ثَمَنًا | إلاّ رِضَاكَ، ووَافَقْري إلى الثَّمَن!

* * *

أَحِنُّ بأَطرَافِ النَّهَارِ صَبَابَةً | وبِاللَّيلِ يَدْعُونِي الهَوَى فأُجيبُ

* * *

وإذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ العِشْقِ بُدٌّ | فَمِنَ العَجْزِ عِشْقُ غيرِ الجميلِ

* * *

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِعَيشٍ مُعَجَّلٍ | كَفَانِيَ مِنْه بَعْضُ مَا أَنا فِيهِ
ولَكِنَّمَا أَسْعَى لمُلْكٍ مُخَلّدٍ | فَوا أَسَفا إنْ لَمْ أَكُنْ بِملاقِيهِ

* يا مَنْ هو مِنْ أَرَبابِ الخبرة! هل عرفتَ قيمةَ نفسِكَ؟ إنّما خُلِقتِ الأكوانُ كلُّها لك.

* يا مَنْ غُذّيَ بلبانِ البرِّ، وقُلِّبَ بأيدي الألْطافِ! كلُّ الأَشياءِ شجرةٌ وأنت الثمرةُ، وصورةٌ وأنت المعنى، وَصَدَفٌ وأنتَ الدُّرّ، ومَخِيضٌ وأنت الزّبْد.

* منشورُ اختيارِنا لك واضحُ الخطِّ، ولكنَّ استخراجَك ضعيفٌ.

* مَتى رُمْتَ طلبي فاطْلُبْني عندَكَ، اطْلُبْني منكَ تَجِدْني قريبًا، ولا تَطْلُبْني من غيرِكَ؛ فأَنا أَقربُ إِليك منه.

* لو عَرَفْتَ قَدْرَ نفسِكَ عندنا ما أَهنْتَها بالمعاصي، إِنّما أَبْعَدْنا إِبليسَ إِذ لم يسجدْ لك، وأَنت في صُلبِ أَبيك، فواعجبًا كيف صالحْتَه وتركْتَنا! لو كانَ في قلبِكَ محبّةٌ لَبانَ أَثرُها على جسدِك.

ولمّا ادَّعَيْتُ الحُبَّ قالَتْ كَذَبْتَني ... أَلستُ أَرَى الأَعْضَاءَ مِنْكَ كواسِيَا

* لو تغذّى القلبُ بالمحبّةِ لذهبتْ عنه بِطْنَةُ الشهواتِ.

ولَوْ كُنْتَ عُذْرِيَّ الصَّبَابةِ لَمْ تَكُنْ ... بَطِينًا وأَنْسَاكَ الهَوَى كَثْرَةَ الأَكْلِ

* لو صحَّتْ محبَّتُكَ لاستوحشْتَ ممّن لا يُذكِّرُك بالحبيبِ.

* واعجبًا لمن يدّعي المحبّةَ ويحتاجُ إِلى مَن يُذكّره بمحبوبِهِ، فلا يَذْكُرَه إِلاّ بمذَكِّر.

* أَقلّ ما في المحبّةِ أَنّها لا تُنسيكَ تذكُّرَ المحبوبِ.

ذَكَرْتُكِ لاَ أَنّي نَسِيتُكِ سَاعَةً ... وأَيْسَرُ مَا فِي الذِّكرِ ذِكرُ لِسَانِي

إِذا سافرَ المحبُّ للقاءِ محبوبِهِ ركبتْ جنودُهُ معَه، فكانَ الحبُّ في مُقَدِّمةِ العسكرِ، والرجاءُ يحدو بالمَطِيِّ، والشوقُ يسوقُها، والخوفُ يجمعُها على الطريقِ، فإِذا شارفَ قدومَ بلدِ الوصلِ خرجتْ تَقَادُمُ[1] الحبيبِ باللقاءِ.

فَداوِ سُقْمًا بِجسمٍ أَنْتَ مُتلِفُه ... وَابْرِدْ غَرَامًا بِقَلْبٍ أَنْتَ مُضْرِمُهُ

ولا تَكِلْني عَلَى بُعْدِ الدّيارِ إِلى ... صَبْرِي الضَعيفِ فَصَبْرِي أَنْتَ تعْلمُهُ

تَلَقَّ قَلْبِي فَقَدْ أَرْسَلْتُه عَجَبًا ... إِلى لِقَائِكَ والأَشْواقُ تَقْدُمُهُ

---

(١) جمعُ (تقدمة) وهي: مقدمة الشيء.

فإذا دخلَ على الحبيبِ أُفيضتْ عليه الخِلَعُ[1] من كلِّ ناحيةٍ لِيُمْتَحنَ: أَيسكنُ إليها فتكونَ حظَّه، أَم يكونُ التفاتُهُ إلى من أَلبسَه إيّاها؟

* ملأوا مراكبَ القلوبِ متاعًا لا تَنْفُقُ إلَّا على الملكِ، فلمّا هبَّتْ رياحُ السَّحرِ أَقلعتْ تلكَ المراكبُ، فما طلعَ الفجرُ إلَّا وهي بالميناءِ.

* قطعوا باديةَ الهوى بأَقدامِ الجِدِّ، فما كانَ إلاّ القليلُ حتّى قَدِموا من السَّفرِ، فأَعقبهم الرَّاحةَ في طريقِ التلقِّي، فدخلوا بلدَ الوصلِ وقد حازوا ربحَ الأَبدِ.

* فَرَّغَ القومُ قلوبَهم من الشَّواغِلِ فضُرِبَتْ فيها سُرادِقاتُ المحبّةِ، فأَقاموا العيونَ تحرسُ تارةً وترشُّ أُخرى.

* سُرادقُ المحبّةِ لا يُضْرَبُ إلَّا في قاعٍ نزهٍ فارغٍ.

نَزِّهْ فؤادَكَ مِنْ سِوَانَا والْقَنَا ... فَجَنَابُنَا حِلٌّ لِكُلِّ مُنَزِّه

الصَّبرُ طِلَّسْمُ لِكَنْزِ وِصَالِنَا ... مَنْ حَلَّ ذَا الطِلَّسْمَ فَازَ بِكَنْزِهِ

* اعرفْ قَدْرَ ما ضاعَ منكَ وابكِ بكاءَ مَن يدري مقدارَ الفائِت.

* لو تخيّلْتَ قُرْبَ الأَحبابِ لأَقمتَ المأْتمَ على بُعْدِكَ.

* لوِ استنشقتَ رِيحَ الأَسحارِ لأَفاقَ منك قلبُكَ المخمورُ.

* مِنَ استطالَ الطريقَ ضَعُفَ مشيُهُ:

ومَا أَنْتَ بالمُشْتَاقِ إنْ قُلتَ بَيْنَنَا ... طِوالُ اللَّيالي أَو بَعيْدُ المَفَاوِزِ

* أَمَا علمتَ أَنَّ الصادقَ إذا همَّ أَلقى بينَ عينيهِ عزمَه.

* إذا نزلَ (آبُ) في القلبِ حَلَّ (آذارُ) في العين.

* هانَ سهرُ الحرَّاسِ لمّا علموا أَنَّ أَصواتَهم بِسمعِ الملِكِ.

---

(١) هي الجوائز والعطايا.

* مَنْ لاحَ له حالُ الآخرةِ هانَ عليه فراقُ الدُّنيا.

* إذا لاحَ للباشِقِ[١] الصيدُ نسيَ مألوفَ الكفِّ.

* يا أَقدامَ الصبرِ، احملي؛ بَقِيَ القليلُ.

* تذكَّرْ حلاوةَ الوصالِ يَهُنْ عليكَ مُرُّ المجاهدةِ.

* قد علمتَ أَينَ المنزلُ؛ فاحْدُ لها تَسِرْ.

* أَعلى الهِمَمِ هِمَّةُ مَنِ استعدَّ صاحبُها لِلقاءِ الحبيبِ، وقدَّمَ التقادُمَ بينَ يدي المُلتقى، فاستبشرَ بالرِّضا عند القُدُومِ؛ ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[٢].

* الجنّةُ ترضى منكَ بأَداءِ الفرائضِ، والنَّارُ تندفعُ عنكَ بتركِ المعاصي، والمحبّة لا تقنعُ منكَ إلاّ ببذلِ الرُّوحِ.

* لله ما أَحلى زمانًا تسعى فيه أَقدامُ الطاعةِ على أَرضِ الاشتياقِ!

* لَمّاَ سلَّمَ القومُ النفوسَ إلى فرائضِ الشَّرْعِ علّمها الوِفاق في خلافِ الطَّبعِ، فاستقامتْ مع الطاعةِ كيفَ دارتْ معها.

وإنّي إذا اصطكّتْ رِقابُ مَطِيِّهم ... وثَوَّبَ حادٍ بالرِّفاقِ عَجُولُ

أُخالفُ بَيْنَ الرَّاحتَيْنِ عَلَى الحَشَا ... وأَنْظُرُ أَني مُلْثَمٌ فأَمِيلُ

فوائد وحكم

معنى ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٌ﴾[٣]:

قال: القرحُ: الجراح، والقرح كأنه ألم الجراح. وأطاف: أَلَمَّ. وانشدنا أبو بكر -رحمه الله- قال أنشدنا عبدالرحمن عن عمه قال: أنشدتني عِشرقَة المحاربية- وهي عجوز حيزبون[٤]زولة:

---

(١) الباشق: من الجوارح، يشبه الصقر، ويتميز بجسم طويل ومنقار قصير، جمعه: بواشق. (المعجم الوسيط/ بشق).

(٢) البقرة: ٢٢٣.

(٣) آل عمران: ١٤٠.

(٤) حيزبون: المرأة العجوز.

جَريتُ مع العُشَّاقِ في حَلْبَةِ الهَوى فَفُتَّهم سَبْقًا وجِئْتُ عَلَى رِسْلِي
فما لَبَس العُشَّاقُ مِنْ حُللِ الهَوى ولا خَلَعُوا إلاّ الثِّياب الّتي أُبلِي
ولاَ شَرِبُوا كَأسًا مِن الحُبّ مُرَّةً ولا حُلْوةً إلاّ شَرابُهُم فَضْلِي

قال أبو عليّ: قال أبو بكر: الحيزبون: التي فيها بقية من الشباب، والزولة: الظريفة، والزول: الظريف، وقوم أزوال، والزّول أيضًا: الداهية، والزّولُ: العجب. وقال لي غير أبي بكر: الحيزبون العجوز، ولم يَحُد لها وقتًا.

وأنشد أبو الميّاس للقطاميّ:

إلى حَيْزَبُون تُوقِدُ النَّارَ بَعْدَما تَلفَّعَتِ الظَّلْماءَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

معنى الحافرة:

﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾[1] أي إلى خلقنا الأول.

وأنشد ابن الأنباري:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلعٍ وشِيبٍ معاذَ الله مِن سفهٍ وعارِ

أي: أأرجع إلى الصِّبا بعدما شبتُ وصلعتُ.

توبة مطلوبة

خبر مجنون ليلى لما سار به أبوه إلى بيت اللهّ الحرام. قال: أخبرني عبدالله ابن خلف قال أخبرني أحمد بن زهير قال أخبرني مصعب بن عبد الله الزبيري عن بعض أهله عن أبي بكر الوالبي قال: أخبرت أن أبا المجنون قال له حين سار به إلى بيت اللهّ الحرام وكان أخرجه ليستشفى له، وتعلّق بأستار الكعبة: قل اللهمّ ارِحْنِي من ليلى ومن حُبّها، وَتُبْ إلى اللهّ مما أنت عليه.

فتعلّق بأستار الكعبة وقال: اللهمّ مُنَّ عليّ بلَيْلى وقربها فزجره أبوه وجعل يُعنفه.

(١) النازعات: ١٠.

فأنشأ يقول:

يَقَرُّ لعَيْنِي قُرْبُها ويَزِيدُنِي بِهَا عَجَبًا مَنْ كَانَ عِنْدِي يَعِيبُها
وكَمْ قَائِلٍ قَدْ قَال تُبْ فَعَصَيْتُهُ وتلْكَ لَعَمْرِى خَلَّةٌ لاَ أُصِيبَها

قال أبو بكر: وزادنا غيره:

فَيَا نَفْسُ صَبْرًا لَسْتُ واللهَّ فَاعْلَمِي بِأَوَّلَ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبُهَا

أفهذا جزاء الإحسان؟

قال الأصمعي:

من أمثال العرب: «رُبَّ عجلة تَهَبُ ريثا» يراد بـه: ربـما استعجل الرجـل فألقاه استعجاله في بطء.

ويقال: «جوزى جزاء سنمّار».

وسنمار: إنسان كان عمل أُطُمًا لبعض الملوك، فقال له: إن نُزِعَ هـذا الحجـر تداعى بناؤك، فأمر به، فرُمي من فوق الأُطم لئلا يعلم به أحد غـيره، يـضرب مثلاً للرجل: يُحْسِنُ فَيُجْزَى بإحسانه شرًا.

كلمة طيبة ووجه بشوش:

حدّثنا أبو عبد الله قال أخبرني أحمد بـن يحيـى عـن ابـن الأعـرابيّ عـن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

مكتوب في الحكمة:

يا بُنيّ، لتكُنْ كلمتك طيّبة، ووجهك بَسْطًا، تكـن أحـبّ إلى النـاس ممـن يعطيهم العطاء.

وأنشدنا أبو عبد الله:

وكَمْ مِنْ مُليم لَمْ يُصَبْ بِمَلاَمَةٍ ومتّبعٍ بالذَّنْبِ لَيْسَ لَهُ ذَنْبُ
وكَمْ مِنْ مُحِبٍّ صَدَّ مَنْ غَيْرِ بُغْضَةٍ وإنْ لَمْ يَكُنْ فِي وُدّ خُلّتِهِ عَتْبُ

حسن التأدب والتلطف:

حدثنا أبو بكربن دريد قال: حدثنا عبدالأوّل قال: سمعت الكتنجي يقول: أمْلَقتُ[١] حتى لَمْ يَبْقَ في منزلي إلاّ بارية فدخلتُ إلى دار المتوكل فلم أزل مُفكرًا، فحضرني بيتان، فأخذتُ قصبة وكتبت على الحائط الذي كنتُ إلى جنبه:

الــرِّزْقُ مَقْــسُومٌ فَأَجْمِــلْ فِي الطَّلَــبْ ... يَــأْتِي بِأَسْبَابٍ ومِـنْ غَـيْرِ سَـبَبْ

فاسْــــتَرْزِقِ اللهَ فَفِـــي اللهِ غِنًــــى ... اللهُ خَــيْرٌ لَــكَ مِــنْ أبٍ حَــدِبْ

قال: فركب المتوكل في ذلك اليوم حمارًا وجعل يطوف في الحجرةِ ومعه الفتح بن خاقان، فوقف على البيتين وقال: من كتب هذين البيتين؟ وَقَال للفتح أقرأ هذين البيتين، فاستحسنهما وقال: من كان في هذه الحجرة. فقيل: الكتنجي: فقال: أغفلناه وأسأنا إليه، وأمر لي بِبَدْرَتين.

ترفع عن البخل:

حدثنا أبو الحسن جحظة البرمكي عن حماد بن إسحاق الموصليّ وحدّثنا أبو بكر الأنباري. قال: حدثنا أبو العباس أحمدبن يحيى ثعلب النحوي قال: حدّثنا حمّاد عن أبيه قال: دخلت يومًا على الرشيد فقال لي: يا إسحاق أنشدني شيئًا من شعرك، فأنشدته:

وآمِـرَةٍ بِالبُخْـلِ قُلْـتُ لَهَـا اقْـصِري ... فَــذَلِكَ شَيءٌ مَــا إلَيْــهِ سَــبِيلُ

أَرَى النَّـاسَ خِـلانَ الجَـوادِ ولا أَرَى ... بَخِـيلًا لَــهُ فِي العَــالَمِين خَلِيــلُ

ومِنْ خَـيْرِ حَـالاَتِ الفَتَـى لَـوْ عَلِمْتَـهُ ... إذَا نَــالَ شَــيْئًا أَنْ يكُــونَ يُنِيــلُ

فَــإنِّي رَأَيْــتُ البُخْــلَ يُــزْرِي بِأَهْلِــهِ ... فَأَكْرَمْـتُ نَفْـسِي أَنْ يُقَـالَ بَخِيـلُ

عَطَــائِي عَطَــاءُ الْمُكْثِــرِينَ تَكَرّمًــا ... وَمَـالِي كَـمَا قَـدْ تَعْلَمِـينَ قَلِيـلُ

---

(١) أي: افتقرت (المعجم الوسيط/ ملق).

وكَيْفَ أَخَافُ الفَقْرَ أو أَمْ أُحْرمُ الغِنَى ورَأيُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ جَمِيلُ

كرم في المحل والفقر:

أنشد أبو بكر بن دريد –رحمه الله– لبعض الأعراب:

إنِّي حَمَدتُ بَنِي شَيْبَانَ إذْ خَمَدَتْ نَيرَانُ قَوْمِي وَشَبَّتْ فِيهِمُ النَّارُ

ومِنْ تَكرُّمِهم فِي المَحْلِ أنَّهم لاَ يُعْرَفُ الجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارُ

حَتَّى يَكُونَ عَزِيزًا مِنْ نُفُوسِهِمُ أَوْ أَنْ يَبِينَ جَمِيعًا وهْوُ مُخْتَارُ

كَأَنَّهُ صَدَعٌ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِهِ لِعِتَاقِ الطَّيْرِ أَوْكَارُ

أهلي:

وأنشد أيضًا:

نَزَلْتُ عَلَى آل المُهَلَّب شَاتِيًا غَرِيبًا عن الأَوْطَانِ في زَمَنِ المَحْلِ

فَمَا زَال بِي إِكْرَامُهُمْ وافْتِقَادُهُم والتِفَاتُهم حَتَّى حَسِبْتُهُمُ أَهْلِي

أسماء الزوجة:

وحليلة الرجلُ: امرأته، وحليلتُه أيضًا: جارته التي تحالُه وتنزل معه قال الشاعر:

ولَسْتُ بِأَطْلَسِ الثَّوْبَيْنِ يُصْبِي حَلِيلَتَه إِذَا هَجَعَ النِّيَامُ

وعِرسُ الرجل: امرأته أيضًا: قال امرؤ القيس:

كَذَبْتَ لَقَدْ أَصْبَي عَلى المَرْءِ عِرسَهُ وأَمْنَع عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِي

وهو أيضًا عِرسُها.

وهي طَلَّتُهُ أيضًا قال الشاعر:

وإنْ امْرَؤٌ فِي النَّاسِ كُنْتُ ابن أمِّه تَبَدّلَ مِنّي طلَّةً لَغَبِينُ

دَعَتْك إِلَى هَجْرِي فَطَاوَعْتَ أَمْرَها فَنَفْسُك لاَ نَفْسِي بِذَاكَ تُهِينُ

وقال آخر:

أَلا بَكَـــرَتْ طُلّتـــي تَعْــذِلُ وأَسْـماءُ فِي قَوْلِهـا أعْــذَلُ

تريــدُ سُــليمَاك جمــع الــتِّلا دِ والـضَّيْفُ يَطْلُـبُ مَـا يَأْكُـلُ

وربضه ورُبضُه، أيضًا، والرَّبَضُ: كلُّ ما أويتَ إليه، قال الشاعر:

جَـاءَ الــشِّتَاءُ وَلَمَّـا أَتَّخِـذْ رَبْـضًا يَا وَيْحَ كَفِّيَ مِن حَفِر القَـرامِيصِ

والقرموصُ: حُفرة يحتفرها الصائد إلى صدره فيدخل فيها إذا اشتد عليه البرد، والقرموص، أيضًا مبيض القطاة. وقعيدة الرجل أيضًا: امرأته، قال الأسعر الجعفي:

لَكِــنْ قَعِيــدةَ بَيْتِنَــا مَجْفُــوَّةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَـدْرِهَا ولَهَـا غِنَـى

وزوجُه أيضًا، قال الأصمعي: ولا تكاد العرب تقول زوجتُه، وقال يعقوب: يقال: زوجته، وهي قليلة، قال الفرزدق:

وإِنّ الَّـذِي يَـسْعَى لِيُفْـسِدَ زَوْجَتِـي كَسَاعٍ إِلَى أُسْدِ الـشَّرَى يَـسْتَبِيلُها

وهي بعْلُه أيضًا وبعلتُه، وأنشد الفراء:

شَرُّ قَـــرِينٍ لِلْكَبِـــيرِ بَعْلَتُــــه تولـغُ كَلْبًـا سُـؤْرَه أَوْ تَكْفِتُـهُ

يعني: أن امرأته قد تقذَّرَته حين كبر، فإذا شرب لبنًا وبقي سؤرُه - والسؤر بقية الشراب - في الإناء تولغه كَلْبًا أو تكفته أي تقلبه على الأرض وقال الراجز أيضًا:

أَقُـــوُل إِذَا حَوْقَلْـــتُ أَوْ دَنَـــوْتُ وبَعْضُ حَيْقَـالِ الرِّجَـالِ المَـوْتُ

مَـــا لِي إِذَا أَنْزَعَهَـــا صَـــأَيْتُ أكِـــبَرٌ غَـــيَّرَنِي أَمْ بَيْـــتُ

وهي شهلته أيضًا: أنشد أبو بكر الأنباري:

لَـهُ شَـهْلَةٌ شَـابَتْ وَمَـا مَـسَّ جَيْبَهـا وَلا راحَتَيْهَـا الشَّـشْنَتَينِ عَبِـيرُ

والشهلة أيضًا: العجوز، قال الراجز:

بَاتَتْ تُنَزِّي دَلْوَهَا تَنْزِيا   كَمَا تُنَزِّي شَهْلَةٌ صَبِيًّا

وجثلته ومعزِّبَتهُ: امرأته. وقال غيره: وحوبتُه أيضًا.

وقال أبو زيد: والحوبة: القرابة من قِبل الأم.

وكذلك كل ذي رحم محرم. قال يعقوب: الحوبةُ: الأمّ.

بطولة مزعومة:

حدثنا أبو بكر –رحمه الله– قال أخبرنا عبدالرحمن وأبو حاتم والأشنانداني والرياشي قالوا كلهم: سمعنا الأصمعي يقول:

كنت بالبادية فرأيت امرأة عند قبر وهي تبكي وتقول:

فَمَنْ لِلسُّؤَالِ ومَنْ لِلنَّوالِ   ومَنْ لِلْمَقَالِ ومَنْ لِلْخُطُبْ

ومَنْ لِلْحُمَاةِ ومَنْ لِلْكُمَاةِ   إِذَا مَا الكُمَاةُ جَثَوْا للرُّكَبْ

إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ   فَتَى المَكْرُماتِ قَرِيعُ العَرَبْ

فَقَدْ مَاتَ عِزُّبَنِي آدَمٍ   وقَدْ ظَهَرَ النُّكدُ بَعْدَ الطَّرَب

قال: فمِلْتُ إليها فقلت لها: من هذا الذي مات هؤلاء الخلقُ كلهم بموته؟ فقالت: أو ما تعرفه؟ قلت: اللهم لا، فأقبلت ودموعها تنحدر وإذا هي مقَّاء برشاء ثرماء، فقالت: فديتُك! هذا أبو مالك الحجّام ختنُ أبي منصور الحائك! فقلت: عليك لعنة اللهّ! والله ما ظننت إلاّ أنه سيد من سادات العرب.

قال أبو علي: قريع الشول: فحلها، والقريح: الفحل من الرجال الشجاع، والمقّاء: الطويلة.

والأسقُّ: الطويل، والمققُ: الطُّول.

والثرماء: التي قد سقطت ثنيَّتاهَا.

شبع وعداوة:

وهذا رَجُل من بَنِي تَمِيم كَانَ أَسِيرًا فَكَتَبَ إِلَى قَوْمِه:

إِنَّ الـذِّئَاب قَـد اخْـضَرَّتْ بَرَاثِنُهَـا وَالنَـاسُ كُلُّهـم بَكْـرٌ إِذَا شَـبِعُوا

يُرِيدُ أَنّ النَاس كلُهم أخصبُوا وأنهم عدو لكم كبكربن وائل.

نكبة جائحـة

بطانة الخير وبطانة السوء:

قال محمد بن كعب القُرظي يومًا لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه:

لا تتَّخـذنَّ وزيـرًا إلاّ عالمًـا، ولا أمينًـا إلاّ بالجميـل معروفًـا، وبـالمعروف موصوفًا؛ فإنهم شركاؤك في أمانتـك، وأعوانـك عـلى أمـورك، فـإن صـلحوا أصلحَوُا، وإن فسدوا أفسدوا.

اعتزاز:

وحدّثنا أبو بكربن دريد قال: أخبرنـا عبـدالرحمن عـن عمـه قـال: رأيـتُ بالبادية امرأة على راحلة لها تطوف حول قبر وهي تقول:

يَــا مَــنْ بِمَقْتَلِــهِ زَهَــا الــدَّهْرُ قَـدْ كَـانَ فِيـكَ تَـضَاءَلَ الأَمْـرُ

زَعَمُــوا قُتِلــتَ ومَــا لَهُــم خَــبُرُ كَـذَبُوا وقَـبْرُكَ مـا لَهُـمْ عُـذْرُ

يَــا قَــبْرُ سَــيِّدنَا المِجــنَّ سَــمَاحَةً صَــلَّى الإِلــهُ عَلَيْــكَ يَــا قَــبْرُ

مَـا ضَرّ قَـبْرًا فِيـه شِـلْوُك سَـاكِنٌ إلاّ يَمُــــر بِأَرْضِــــهِ القَطْــــرُ

فَلَيَنْبَغِــي سَــمَاحُ جُــودِكَ فِي الثَّــرَى وَلْيُــورِقَنَّ بِقُرْبِــكَ الــصَّخْرُ

وإِذَا غَــضِبْتَ تَــصَدّعتْ فَرَقــا مِنْـكَ الجِبَـالُ وخَافَـكَ الـذُّعْرُ

وإِذَا رَقَــدْتَ فَأَنْــتَ مُنْتَبِــهٌ وإِذَا انْتَبهْـتَ فَوجْهُـكَ البَـدْرُ

واللهَّ لَــوْ بِــكَ لَمْ أَدَعْ أَحَــدًا إِلا قتلتُــه لَفَــاتَنِي الــوِتْرُ

قال: فدنوت منها لأسألها عن أمرها فإذا هي ميتة.

حزن قاتل:

قصة البنين السبعة الذين هوت عليهم الصخرة وما قال فيهم أبوهم من الشعر وشرح غريبه.

حدثنا أبو بكر -رحمه الله- قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال أخبرني يونس قال: كان لرجل من بني ضبة في الجاهلية بنون سبعة، فخرجوا بأكلب لهم يقتنصون، فأوَوْا إلى غار فَهَوَتْ عليهم صخرة فأتت عليهم جميعهم، فلما استراث أبوهم أخبارهم، اقتفى آثارهم حتى انتهى إلى الغار، فانقطع عنه الأثر، فأيقن بالشر، فرجع وأنشأ يقول:

أَسَبْعَةُ أَطْوَادٍ أَسَبْعَةُ أَبْحُرِ ... أَسَبْعَةُ آسَادٍ أَسَبْعَةُ أَنْجُمِ

رَزِئْتُهُم فِي سَاعَةٍ جَرَّعَتْهُم ... كُؤُوسَ المَنَايَا تَحْتَ صَخْرٍ مُرضَّم

فَمَنْ تَكُ أَيَّامُ الزَّمَانِ حَمِيدَةً ... لَدَيْه فَإِنِّي قَدْ تُعرَّقنَ أَعْظُمِي

بَلَغْنَ نَسِيسِي وارْتَشَفْنَ بُلاَلَتِي ... وصَلَّيْنَني جَهَر الأَسَى المُتَضَرِّم

أَحِينَ رَمَانِي بالثَّمَانِينَ مُنْكِبٌ ... مِنَ الدَّهْرِ مُنّحٍ فِي فُؤَادِي بأَسَهُم

رُزِئتُ بِأَعْفَادِي الذِينَ بِأَيْدِيِهم ... أَنُوءُ وأَحْمِي حَوْزَتِي وأَحْتَمِي

فَإِنْ لَمْ تَذبْ نَفْسِي عَلَيْهِم صَبَابَةً ... فَسَوْفَ أَشْرَبُ دَمْعَها بَعْدُ بِالدَّم

ثم لم يلبث بعدهم إلاّ يسيرًا حتى مات كمدًا.

فراسة:

ما وصفت به هند ابنها معاوية -رحمهما الله- وهي تُرَقِصه.

وحدّثنا أبو بكر قال: حدّثني عمر عن أبيه عن هشام قال: قالت هند بنت عتبة وهي تُرقص ابنها معاوية -رحمه الله:

إِنَّ بُنَيَّ مُفرقٌ كَرِيمُ ... مُحَبَّبٌ فِي أَهْلِهِ حَلِيمُ

لَيْسَ بِفَحَّاشٍ ولاَ لَئِيم ... ولاَ بطُخْرُورٍ ولا سَؤُوم

صَخْرُبَنِي فِهرٍ بِهِ زَعِيم لاَ يُخْلِفُ الظَّنَ ولاَ يَخِيمُ

قال أبو علي:

يخيم: يَجْبُنُ، يقال: خام عن قرنه، ويمكن أن يكون يخيم في هذا الموضع يخيب، أَبْدَلْت من الباء ميمًا كما قالوا: طِين لازب ولازم.

صنف من الناس:

حدثنا أبو بكر –رحمه الله– قال: حدثنا عبدالرحمن عن عمه قال: سمعت عمي يقول: سمعت أعرابيًا ينشد:

كِلاَبُ النَّاسِ إنْ فَكَّرْتَ فِيهم أَضَرُّ عَلَيْكَ مِنْ كَلْب الكِلاَبِ

لأنَّ الكَلْبَ لاَ يُؤْذِي صَدِيقًا وإنَّ صَدِيقَ هَذَا فِي عَذَابِ

ويَأْتِي حِينَ يَأْتِي فِي ثِيَابٍ وقَدْ حُزِمَتْ عَلَى رَجُلٍ مُصَابِ

فَأَخْزَى اللهُ أَثْوَابًا عَلَيْهِ وأَخْزَى اللهُ مَا تَحْتَ الثِّيَابِ

طلاقٌ ألذُ من عرسٍ:

أنشد أبو علي –رحمه الله– شاهدا على أن الحِنَّة هى الزوجة:

مَا أَنْتَ بِالحِنَّةِ الوَدُودِ ولاَ عِنْدَك خَيْرٌ يُرْجَى لِمُلْتَمِس

إنما هو: ما أنت بالحنة الولود. قال أبو عبيدة: تزوج قتادة اليشكري أرنبَ الحنفية فلم تلد له ونشزت عليه فطلّقها وقال:

تَجَهَّزِي لِلطَّلاَقِ واصْطَبِرِي ذَاكَ دَوَاءُ الجَوَامِسِ الشُّمْسِ

مَا أَنْتِ بِالحَنَّةِ الوَلُودِ ولاَ عِنْدَك خَيْرٌ يُرجَى لِمُلْتَمِسِ

لَيْلَتِي حِينَ بِتِّ طَالِقَةً أَلَذُّ عِنْدِي مِنْ لَيْلَةِ العُرْس

لا يبعد:

قال أبو علي: وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحوي لأعرابي مات ابنه وهو غائب:

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِيمَنْ كَانَ حَاضِرُه إِذْ أَلْبَسُوه ثِيَابَ الفُرْقَةِ الجُدُدَا
وطَيَّبُوه ومَا ظَنُّوا بِطِيبِهِمُ لَعَمْرُكَ لَمْ يَمْدُدْ إِلَيْهِ يَدا
قَالُوا وهُمْ غُصُبٌ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ نَرْجُو لَكَ اللهَ والوَعْدَ الذِي وَعَدَا
قَلَّ الغِنَاءُ إِذَا لاَقَى الفَتَى تَلَفًا قَوْلُ الأَحِبَةِ لاَ يَبْعُدْ وقَدْ بَعُدَا

قال أبو علي:

بَعِدَ: هَلَكَ.

بَعُدَ: نأى.

أنشد أبو عليّ -رحمه الله- في تصحيح آخر هذا الخبر شعر أوّله:

إنّ الذِّئابَ قَدْ اخْضَرَّتْ بَرَاثِنُهَا والنَّاسُ كُلّهُم بَكْرٌ إِذَا شَبِعُوا

وقال: يريد أن الناس كلهم عدو لكم إذا شبعوا كبكربن وائل.

لم يرد الشاعر هذا المعنى:

لأن الناس كلهم لم يكونوا عدوًا لبني تميم ولا أقلّهم، وإنما يريد إذا شبعوا هاجت أنفاسهم وطلبوا الطوائل والثارات في أعدائهم، فكانوا لهم كبكربن وائل لبني تَميم.

شاطره المال

كتب كلثوم بن عمرو إلى صديق له يستجديه:

حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثنا موسى بن علي الختليّ قال: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي قال: حدّثنا الأصمعي قال: حدثنا بعض العبابين قال: كتب كلثوم بن عمرو إلى صديق له: أما بعد أطال الله بقاءك وجعله يَمتدُّ بك إلى رضوانه والجنة، فإنك كنت عندنا روضة من رياض الكرم، تبتهج النفوس بها، وتستريح القلوب إليها، وكنّا نعفيها من النجعة، استتمامًا لزهرتها، وشفقة على خضرتها، وادخارًا لثمرتها، حتى أصابتنا سنة كانت عندي قطعة من بني

يوسف، واشتدَّ علينا كَلْبُهَا وغابت قِضَتُها، وكذبتنا غَيومُها، وأَخْلَفَتْنا بروقُها، وفقدنا صالح الإخوان فيها، فانْتَفَعْتُـكَ وأنـا بانتجـاعي إيـاك شـديد الـشفقة عليك، مع علمي بأنك موضع الرائد، وأنك تُغَطِّي عين الحاسد، والله يعلم أني ما أعدّك إلاّ في حومة الأهل. وأعلم أن الكريم إذا استحيا مـن إعطـاء القليـل ولم يحضره الكثير لم يعرف جودُه، ولم تَظهر همَّتُه وأنا أقول في ذلك:

ظِلُّ اليَـسَارِ عَـلَى العَبّـاسِ مَمْـدُودُ ... وقَلْبُــه أَبَــدًا بالبُخْــلِ مَعْقُــودُ
إِنّ الكَرِيمَ ليُخْفِـي عَنْـكَ عُـسْرَته ... حَتَّـى تَـرَاه غَنِيًـا وهْـوَ مَجْهُـودُ
ولِلْبَخِيــلِ عَــلَى أَمْوَالِــهِ عِلَــلٌ ... زُرقُ العُيـونِ عَلَيْهَـا أَوْجُـهٌ سُـودُ
إِذَا تَكرَّمـتَ عَـنْ بَـذْلِ القَلِيـلِ ولَمْ ... تَقْـدِرْ عَـلَى سَـعَةٍ لَمْ يَظْهَـر الجُـودُ
بُــثَّ النَّــوَالَ ولاَ يَمْنَعْــكَ قِلَّتُــه ... فَكُـلّ مـا سَـدَّ فَقْـرًا فَهْـوَ مَحْمُـودُ

قال: فشاطره مَاله حتى أعطاه إحدى نعليه ونصف قيمة خاتمه.

عصيان القلوب:

أنشدنا أبو بكربن دريد قال: أنشدنا أبو حاتم لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود:

فَلَو أَكَلَتْ مِنْ نَبْـتِ دَمْعِـي بَهِيمَـةٌ ... لَهُـيِّجَ مِنْهَـا رَحْمَـةً حِـينَ تَأْكُلُـه
ولَوْ كُنْتُ فِي غُلٍّ فَبُحْـتُ بِلَـوْعَتِي ... إِلَيْــه للانَــتْ ورَّقــتْ سلاســله
ولَمَّا عَصَانِي القَلْبُ أَظْهَـرْتُ لوعـةً ... وقُلْـتُ أَلاَ قَلْــبٌ بِقَلْبِـي أُبَادِلُـهُ

التــأبــي

قصيدة السموءل بن عادياء:

قال أبو علي: وقرأت على أبي بكر للسَّموءل بن عادياء اليهودي:

إِذَا المرءُ لَمْ يُدْنِسْ مِـن اللُّـؤْم عِرْضَـهُ فَكُـــلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيــــه جَمِيــــلُ

إِذَا المَرءُ لَمْ يَحْمِـلِ عَـلَى الـنَّفْسِ ضَـيمها فَلَـيْسَ إِلَى حُـسْنِ الثَّنَـاءِ سَـبِيلُ

تُعيِّرنـــا أَنَّـــا قَلِيـــلٌ عَدِيـــدُنا فَقُلْــتُ لَهَــا إِنَّ الكِــرَامَ قَلِيــلُ

ومَـا قَـلَّ مَـنْ كَانَـتْ بَقَايَـاهُ مِثْلَنَـا شَـبَابٌ تَـسَامَي لِلْعُـلاَ وكُهُـولُ

وَمَـا ضَرَّنَـا أَنَّـا قَلِيـلٌ وجَارُنَـا عَزِيــزٌ وجَــارُ الأَكْثَـرِينَ ذَلِيــلُ

لَنَـا جَبَــلٌ يَحْتَلُّــهُ مــنْ نُجِــيرُه مَنِيـعٌ يَـردُّ الطَّـرْفَ وهُـو كَلِيـلُ

رسى أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّـرَى وسَـمَا بِـهِ إِلَى الـنَّجْمِ فَـرْعٌ لاَ يُـرَامُ طَوِيـلُ

وإِنَّـا لَقَـومٌ مَـا نَـرَى القَتْـلَ سُـبَّةً إِذَا مَــا رَأَتْــهُ عَــامِرٌ وسَــلُولُ

يُقَـرِّبُ حُـبُّ المَـوْتِ آجَالَنَـا لَنَـا وتَكْرَهُــــهُ آجَــــالُهُم فَتَطُــــولُ

ومَـا مَـاتَ مِنَّـا سَـيِّدٌ حَتْـفَ أَنْفِـهِ ولاَ طُـلَّ مِنَّـا حَيْـثُ كَـانَ قَتِيـلُ

من المشتري؟

أنشد أبو بكربن الأنباري قال: أنشدني أَبي لابن الدمينة:

أَلاَ يَـا حِمَـى وَادِي المِيَـاهِ قَتَلْتِنِـي إِبَاحُـكِ لِي قَبْـلَ المَـمَاتِ مُبِـيح

وَلِي كَبِـدٌ مَقْرُوحَـةٌ مَـنْ يَبِيعُنِـي بِهَـا كَبِـدًا لَيْـسَتْ بِـذَاتِ قُـرُوح

أَبَى النَّاسُ ويَبَ النَّاسِ لاَ يَـشْتَرُونَهَا ومَنْ ذَا الذِي يَشْرِى دَوَى بِـصَحِيح

قال أبو بكر: الدَّوَى: المرض الشديد (المرض).

والدَّوَى: الرجل الشديد المرض.

والدَّوَى: الرجل الأحمق.

حساب وعذاب:

سأل رجل عليًا ﷺ قال: صف لنا الدنيا. فقال: وما أصف لك من دار أوّلها عناء وآخرها فناء، من صحّ فيها أَمِن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر حزن، ومن استغنى فتن، حلالها حساب، وحرامها عذاب.





البَابُ العَاشِرُ

عيـون مــن الحكمـة من كـلام الكبـار



عيونٌ من الحكمة
من كلام عمر بن الخطاب

أقوى أسباب الهلاك:

قال عمر ﷺ: «إِياكم والبطنة فإِنَّها مكسلة عن العبادة، مفسدة للجسم، مؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد في قوتكم فإِنَّه أبعد من السَّرَفِ، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»[١].

موت القلب:

وَقال- رضى الله - للأحنف بن قيس: «يا أحنف من كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيءٍ عرف به، ومن كثر كلامه، كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قلُّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه»[٢].

بين الناس والسلطان:

كتب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ: «لا تؤخر عمل اليوم لغد، فتتدارك عليك الأعمال، وإن للناس نَبْوةً عن سلطانهم أو نفرة، أعوذ بالله من أن يدركني، وإياكم وضغائن محمولة، ودنيا مؤثرة، وأهواء متبعة»[٣].

الحسب الحقيقي:

قال ﷺ: «حَسبُ الرجل دِينُهُ، ومروءَتُه خُلُقُه، وأصلُهُ عقْلُه»[٤].

قاض عادل:

وقال ﷺ: «القاضي لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع».

اعرف بواعثك:

وقال ﷺ: «إن من صلاح توبتك أن تعرف ذنبك، وإنّ من صلاح عملك أن ترفض عجبك، وإن من صلاح شكرك أن تعرف تقصيرك»[٥].

(١-٥) المجتبى لابن دريد.

التواضع:

وقال ﷺ: «رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على مـن لقيـت مـن المسلمين، وأن ترضى بالدون من المجلس، وأن تكره أن تُذكر بالبر والتقوى»(١).

اعرف نفسك أولا:

وقال ﷺ: «كفى بالمؤمن من الغيِّ ثلاث: يعيب على الناس بما يأتي بـه، ويبـصر من عيوبهم ما لا يبصر من عيوب نفسه، ويؤذي جليسه فيما لا يعنيه»(٢).

فضائل:

وقال ﷺ: «أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند القدرة، وما أقـبح مجازاة القادر على سوء صنيع المقدور عليه»(٣).

علامات الإيمان الصحيح:

وقال ﷺ: «ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس»(٤).

وسئل ﷺ: يا أمير المؤمنين من السيد؟ فقال: «الجواد حين يُسأل، والحلـيم حين يُستجهل، والكريم المجالسة لمن جالسه، والحسن الخلق لمن جاوره»(٥).

خلوص النية:

وقال أيضًا: «من خلصت نيته كفاه الله – تعالى– ما بينه وبين النّاس، ومـن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله – عز وجل، فما ظنك في ثـواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته»(٦).

صحبة:

وقال: «جالسوا التوابين فإنَّهم أرق شيءٍ أفئدة»(٧).

(١–٣) تنبيه الغافلين للسمرقندي.

(٤، ٥) الجوهر النفيس لابن الحداد.

(٦،٧) حلية الأولياء للأصبهاني.

غنيمة:

وقال: «الشتاء غنيمة العابدين»[(١)].

زينة الرخاء:

وقال ﷺ: «عليكم بـإخوان الـصدق تعيـشوا في أكنـافهم، فـإنَّهم زينـة في الرخاء وعدة للبلاء»[(٢)].

أهمية الشعر:

وقال أيضًا: «من أفضل ما أعطيت العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته، فيستعطف بها الكـريم، ويـستنزل بهـا اللئـيم، والـشعر أدنـى مُـرُوءَةِ الشريف، وأعلى مروءة الوضيع»[(٣)].

وصايا جامعة:

وقال أيضًا: «من عرَّض نفسه للتهمة فلا يلومنَّ من أساء بـه الظـن، ومـن كتم سرَّه كانت الخِيَرَة بيده، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه، ولا تظن بكلمة خرجت من امرئٍ مـسلم شرًا وأنـت تجـد لهـا في الخـير مخرجًا، وعليك بإخوان الصدق فَجِدَّ في اكتسابهم ولا تهَـاون في الحلـف بـالله فيهينك، وعليك بالصدق ولو قتلـك، ولا تعتـز إلى مـن لا يغنيـك، واعتـزل عدوّك، واحذر صديقك إلَّا الأمينَ، والأمين من خشي الله تعالى»[(٤)].

فراسة:

وقال أيضًا: «من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه»[(٥)].

خوف كبير:

وقال أيضًا: «أخوف ما أخاف عليكم شُح مطاع، وهوى متبع، وإعجـاب المرء بنفسه»[(٦)].

---

(١) حلية الأولياء للأصبهاني.

(٢، ٣) المقتطف لابن سعيد الأندلسي.

(٤) لباب الآداب لابن منقذ.

(٥،٦) حدائق الأزاهر للغرناطي.

احتراز:

وقال ﷺ: «كنا ندع تسعة أعشار من الحلال مخافة أن نقـع في الـشبهة أو في الحرام»(١).

خذ بالأحوط:

وقال: «إذا اشـتريت بعـيرًا فاشـتره ضـخمًا، فـإن لم توافـق كرمًـا وافقـت لحمًا»(٢).

الطمع:

وقال: «ما شيء أذهب لعقول الرجال من الطمع»(٣).

خوف الله:

وقال: «لا يقيم أمر الله في الناس، إلاّ رجل يتكلم بلسانه كله، يخـاف الله في الناس ولا يخاف الناس في الله»(٤).

الرجل:

وقال: «من أَدَّى الأمانة، وكفَّ عن أعراض المسلمين، فهو الرجل»(٥).

لا سلامة في الدنيا:

وقال: «ما كانت على أحد نعمة إلاّ كان لها حاسد، ولو كـان الرجـل أقـوم من القدح لوجد له غامزًا»(٦).

---

(١) حدائق الأزاهر للغرناطي.

(٢) تنبيه الغافلين للسمرقندي.

(٣-٦) بهجة المجالس لابن عبد البر.

عيون من الحكمة
من كلام عثمان بن عفان

سلامة القلب:

دخل عثمان رضي الله عنه على العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه يعوده فقال: أوصني وزودني فقال له: الزم خواص تصب عوام، ودع مصانعة الناس، وعليك بسلامة القلب، وحفظ اللسان، تصب بهما سرورًا، ومن أمَّنَه الناسُ على أعراضهم استقاموا له بموادتهم»[١].

خوف شديد:

وقال رضي الله عنه: «لو أنِّي بين الجنَّة والنار، ولا أرى إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير»[٢].

وقال: «ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفظع منه»[٣].

هيبة السلطان:

وقال رضي الله عنه: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[٤].

آخر منازل الدنيا:

وقال أيضًا: «رؤية القبر مبكية، لأنه أول منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا، فمن شُدِّد عليه فما بعده أشد، ومن هوّن عليه فما بعده أهون»[٥].

العبرة بالأفعال لا بالأقوال:

وارتج عليه يومًا وهو يخطب فقال: «سيجعل الله بعد عسر يسرًا، وبعد عيٍّ بيانًا، وأنتم إلى إمامٍ فعَّال أحوج منكم إلى إمامٍ قوّال»[٦].

أبواب الصدق:

وقال لرجل: «عليك بالصدق فإنَّه يُعرف في ثلاث: في حفظ اللسان، وترك المصانعة، واستواء السر والعلانية»[٧].

---

(١) المجتبى لابن دريد.

(٢) حلية الأولياء للأصبهاني.

(٣-٦) المقتطف لابن سعيد الأندلسي.

(٧) بهجة المجالس ٢/ ٢٤٨.

كلٌ مَجْزِيٌّ بِعَمله:

وقال أيضًا: «ما من عامل يعمل عملاً إلا كساه الله رداء عمله»(١).

حين تطهر القلوب:

وقال: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله عز وجل»(٢).

عيون من الحكمة
من كلام علي بن أبي طالب

أفضل الكنوز:

قال علي ﷺ: «المعروف أفضل الكنوز، وأحصن الحصون، لا يزهدنك فيه كفْر من كفرك، فقد يشكرك عليه من لم تستمتع منه بشيء، وقد يدرك بشكر الشاكر ما يضيع الجحود الكافر»(٣).

لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟:

وقال أيضًا: «لا تكن ممن يرجو الآخرة، بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول أمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطى منها لم يشبع، وإن منع لم يقنع، يعجز عن ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويبغض الطالحين وهو منهم»(٤).

شمروا عن سواعدكم:

وقال أيضًا: «إنَّ الله وَقَّتَ لكم الآجال، وضرب لكم الأمثال، وألبسكم الرياش، وأرقع عليكم المعاش، وآثركم بالنعم السوابغ، وتقدم إليكم بالحجج البوالغ، وأوسع لكم بالرفد الروافع، فشمروا فقد أحاط بكم الإحماء، وأرهن لكم الجزاء»(٥).

(١، ٢) الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

(٣-٥) المجتبى لابن دريد.

لا تضيع الفرصة:

وقال أيضًا: «الفُرص تَمر مرَّ السحاب، فإذا مرَّت بكم فانتهزوها»(١).

قيمة المشورة:

وقال أيضًا: «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»(٢).

كفى بالبخل داء:

وقال أيضًا: «حسب البخيل من بُخله سوء ظنه بربه، ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية»(٣).

لمن تجمع المال؟:

وقال عليه الرضوان: «إنَّما تُخلِّف مالك لأحد رجلين: رجل عمل فيه بطاعة الله تعالى، فسعد بما شقيت فيه، ورجل عمل فيه بمعصية الله تعالى، فشقي بما جمعت له»(٤).

حفظ السر:

وقال أيضًا: «سِرُّك أسيرك، فإذا تكلمت به صرتَ أسيره»(٥).

السخاء والحياء:

وسئل عن السخاء فقال: «ما كان منه ابتداء فهو سخاء، وما كان منه من مسألة فحياء وتكرم»(٦).

خطأ وجنون:

وقال: «الإعجاب ضِدُّ الصواب، وآفة الألباب»(٧).

ظالم مظلوم:

وقال: «لن يصل الحسد إلى المحسود حتى يقتل الحاسد نفسه بغمٍّ دائم، وعقلٍ هائم وهمٍّ لازم، وما رأيت ظالمًا يتشبه بالمظلوم إلا الحاسد»(٨).

(١-٣) الجوهر النفيس لابن الحداد.

(٤، ٥) لباب الآداب لابن منقذ.

(٦-٨) النهج المسلوك للشيزري.

الأمير والأسير:

وقال: «أَفْضُلْ على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكـن نظـيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره»(١).

طبع:

قال: «عداوة الضعفاء للأقوياء والسفهاء للحلماء والأشرار للأخيار، طمع لا يستطاع تغييره»(٢).

طرق المكاسب:

قال: «ما خاب امرؤ عدل في حكمه وأطعـم مـن قوتـه وادخـر مـن دنيـاه لآخرته»(٣).

لئن شكرتم:

وقال: «ما أنعم الله على عبدنعمة فشكرها بقلبه إلاّ استوجب المزيد عليهـا قبل ظهورها على لسانه»(٤).

عيون من الحكمة
من كلام الحسن بن علي

كرم ونـجدة ومروءة:

قـال الحـسن بـن عـلى -رضي الله عـنهما: «الكـرم هـو التـبرع بـالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحلِّ، وأما النَّجدة: فالذبُّ عن الجـار في المواطن، والإقدام في الكريهة. وأما المروءة، فحفظ الرجل دينه، وإحرازه نفسه من الدنس وقيامه لضيفه، وأداء الحقوق وإفشاء السلام»(٥).

العفو شيمة الكرام:

وقال ﷺ: «لو أنَّ رجلًا شتمني في أذني هذه، واعتذر إلي في أذني هذه لقبلت عذره»(٦).

(١-٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد.

(٥) الجوهر النفيس لابن الحداد.

(٦) بهجة المجالس لابن عبد البر.

البخل:

وسئل ﷺ عن البخل؟ فقال: «هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلفًا، وما أمسكه شرفًا»(١).

ابن رسول الله:

وسأل علي بن أبي طالب ﷺ ابنه الحسن: يا بني كَمْ بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع قال: وكيف؟ قال: الإيمان ما سمعناه بآذاننا وصدَّقناه بقلوبنا، واليقين ما رأيناه بأعيننا فتيقنا، وبين السمع والبصر أربع أصابع. فقال: أشهد أنك ابن رسول الله»(٢).

استغلال الكثير:

وقيل له: من الجواد؟ فقال: «الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى على نفسه يعد ذلك حقوقًا»(٣).

نصف العلم:

وقال أيضًا: «حسن السؤال نصف العلم»(٤).

خير المال:

وقال أيضًا: «خير المال ما وقي به العرض»(٥).

الران:

وقال أيضًا: «الذنب على الذنب يظلم القلب حتى يسود»(٦).

أنصاف:

وقال أيضًا: «التقدير نصف العيش، والتوزر نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم»(٧).

(١،٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد.

(٣) لباب الآداب لابن منقذ.

(٤) المقتطف لابن سعيد الأندلسي.

(٥، ٦) المخلاة للعاملي.

(٧) حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي.

أغنى الناس:

وقال أيضًا: «عليك بالقناعة تكن من أغنى الناس، وأدِ الفرائض تكن من أعبد الناس»(١).

السؤال:

وقال أيضًا: «إن المسألة لا تصلح إلا في غرمٍ فادح، أو فقر مدقع أو حمّالة مفظعة»(٢).

القرآن شفاء:

وقال: «إن هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجل جالٍ بصره، ولَيُلْجِم النصفة قلبه، فإنَّ التَّفْكِيرَ حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»(٣).

السلام قبل الكلام:

وقال: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»(٤).

ذاتية الحركة:

وقال: «التبرع بالمعروف والإِعطاء قبل السؤال من أكبر السؤدد»(٥).

الحق أبلج:

وقال:

الحَقُّ أَبْلَجُ مَا يُخِيلُ سَبِيلُهُ ... والحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُوُ الأَلْبَابِ

عيون من الحكمة من كلام معاوية بن أبي سفيان

الرفق والأناة:

قال ﷺ: «إنَّ التفهم في الخير زيادة ورشد، وإن المتثبت مصيب، وإنَّ الْعَجُولَ مخطئ، وإنَّ من لم ينفعه الرفق ضرَّه الغرق، وإنَّ من لم تعظه التجارب لم يدرك المعالي، ولم يبلغ الرجل أعلى المبالغ حتى يغلب حلمه جهله، والعاقلُ

---

(١) محاضرة الأبرار لابن العربي.

(٢- ٥) نثر الدر للآبي.

يسلم مـن الزلـل، بالتثبـت وتـرك العجلـة، ولا يـزال الْعَجُـولَ يجتنـى ثمـرةَ الندمِ»[١].

أقرب الطرق إلى الغاية:

وقال ﷺ: «لا أضع لساني حيث يكفيني مـالي، ولا أضـع سـوطي حيـث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، فإذا لم أجد من الـسيف بُدًّا ركبته»[٢].

أفضل العطاء:

وقال أيضًا: «أفضل ما أعطي الرجل العقل والحلـم، وإذا ذُكِـر ذكـر، وإذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا غـضب كظـم، وإذا قـدر غفـر، وإذا أسـاء استغفر، وإذا وعد أنجز»[٣].

الركون إلى المعالي:

وقال ﷺ: «إنَّ أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وإن أنقص النـاس عقلًا من ظلم من هو دونه»[٤].

الحلم العظيم:

وقال أيضًا: «إنِّي لأرفع نفسي أن يكون لي ذنب أوسع من حلم»[٥].

القيادة في الخير:

وقال لابنه يزيد: «إن كنت بعدي قائدًا بالخير فإنَّه يُعفـى عـن الـشر، ومـا صنعت من شيء فليكن بينك وبين الله سر ترجوه له، وتأمله به، وإياك والقتل فإن الله قاتل القاتلين»[٦].

(١ – ٣) المجتبى لابن دريد.

(٤، ٥) النهج المسلوك لابن نصر الشيزري.

(٦) الجوهر النفيس لابن الحداد.

بين الشدة واللين:

وقال: «ليس بين أن يملك السلطان رعيته أو تملكه إلّا الحزم والتَّواني، وكماله أمران: شدَّة في غير إفراط، ولين في غير امتهان»(١).

ترفع وتسامٍ:

وقال: «إنِّي لأرفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكبر من حلمي، وعورة لا يواريها ستري»(٢).

سياسة الملوك:

وقال: «لا ينبغي للملك أن يظهر منه غضبٌ أو رضًا إلا لثواب أو عقاب»(٣).

وقال: «لو كان بيني وبين الناس خيط عنكبوت أو شعرة ما انقطعت، إذا جذبوا أرسلت ، وإذا أرسلوا جذبت»(٤).

الرفق:

قال: «من وليناه من أمورنا شيئًا فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل»(٥).

أحب الناس:

وقال: «أحب الناس إليّ من له عندي يد، ثم أحبهم إليّ بعده من لي عنده يدٌ»(٦).

لذة الغيظ:

وقال: «ما وجدت شيئًا ألذَّ عندي من غيظ أتجرَّعه، ولم يعرفْ قيمة الأبَّهة من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ»(٧).

قتل بغير سلاح:

وقال: «ليس في خلال الشر أشر من الحسد، لأنَّه قد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود»(٨).

(١-٤) سراج الملوك للطرطوشي.

(٥-٨) بهجة المجالس لابن عبد البر.

من جوامع الكلم:

وقال: «كُلْ قليلاً تعمل طويلاً، والزم العفاف تسلم من القول، واجتنب الرياء يشتد ظهرك عند الخصوم»(١).

الأجوبة السديدة عن الأسئلة المفيدة

معاداة الصديق:

قيل لبزرجمهر: «ما بال معاداة الصديق أقرب مأخذًا من مصادقة العدو؟ فقال: لأنَّ إنفاق المال أهون من كسبه، وهدم البناء أسهل من رفعه، وكسر الإناء أيسر من إصلاحه»(٢).

اختبار:

قال الإسكندر لديوجانس: «بم يعرف الرجل أصدقاءه؟ قال: بالشدائد، لأن كل أحد في الرخاء صديق»(٣).

وفاء:

قيل لبعض الحكماء: بأي شيءٍ تعرف وفاء الرجل ودوام عهده دون تجربة واختبار فقال: «بحنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وتلهفه إلى ما مضى من زمانه»(٤).

احترام المؤدب:

وقيل للإسكندر: «ما بالك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك؟ فقال: «لأنَّ أبي سبب حياتي الفانية، ومؤدبي سبب حياتي الباقية»(٥).

أسباب الرشاد:

قيل لبرزجمهر: «أي الاكتساب أفضل؟ فقال: «العلم والأدب كنزان لا ينفدان، وسراجان لا يُطفآن، وحلتان لا تبليان، من نالهما نال أسباب الرشاد وعرف طريق المعاد وعاش رفيعًا بين العباد»(٦).

---

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٢، ٣) الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي.

(٤،٥) المخلاة للعاملي.

(٦) زهر الآداب للقيرواني.

أفضل الملوك:

وقيل لكسرى: أي الملوك أفضل؟ قال: «الذي إذا جاورتـه وجدتـه علـيمًا، وإذا خبرته وجدته حكيمًا، وإذا أغضب كان حليمًا، وإذا ظفر كـان كـريمًا، وإذا استمنح منح جسيمًا، وإذا وعد وفىَّ وإن كـان الوعـد عظـيمًا، وإذا شُـكي إليـه وُجِد رحيمًا»[1].

العلم والمال:

وقيل لبزرجمهر: العلم أفضل أم المال؟ فقال: «بل العلم. قيل: فما لنـا نـرى العلماء على أبواب الأغنياء، ولا نكاد نرى الأغنياء على أبواب العلماء؟ فقـال: ذلك لمعرفة العلماء منفعة المال وجهل الأغنياء بفضل العلم»[2].

الرأي عند من لا يقبل منه:

كتب أفلاطون إلى سقراط: «أي النـاس أحـق بالرحمـة؟ ومتـى تـضيع أمـور الناس، وبم تتلقى النعمة من الله عز وجل؟ فكتـب إليـه: أحـق النـاس بالرحمـة ثلاثة: البَرُّ يكون في سلطان الفاجر، فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع، والعاقل في تدبير الجاهل هو الدهر متعب مغمـوم، والكـريم يحتـاج إلى اللئـيم فهـو الـدهر خاضع ذليل، وتضيع أمور الناس إذا كان الرأي عند مـن لا يقبـل منـه، وتتلقـى النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته»[3].

من سلالة النبي ﷺ:

وقال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بـن الحـسين رضي الله عنه: هـل رأيـت الله حـين عبدته؟ فقال: لم أكن لأعبد من لم أره قال: فكيـف رأيتـه، قـال: لم تـره الأبـصار بمشاهدة العيان، ورأته القلوب بحقائق الإيمان ولا يـدرك بـالحواس، ولا يـشبه

---

(١) زهر الآداب للقيرواني.
(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي.
(٣) لباب الآداب لابن منقذ.

بالناس، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجوز في القضيات، ذلك الله لا إله إلا هو، فقال الأعرابي: الله أعلم حيث يجعل رسالته»[١].

الاقتصاد:

قيل لبعض الحكماء: ما الحزم؟ قال: «سوء الظن، قيل: فما الصواب؟ قال: المشورة، قيل: فما الرأي الذي يجمع القلوب على المودَّة قال: كف بذول، وبشر جميل، قيل: فما الاحتياط؟ قال: الاقتصاد في الحب والبغض»[٢].

تشبيه:

سئل بقراط: ما الإنسان أثور ما يكون بدنه إذا شرب الدواء؟ فقال: «كما أن البيت أكثر ما يكون غبارًا إذا كنس»[٣].

أصعب الأشياء:

سئل سولون: أي شيء أصعب على الإنسان؟ قال: «الإمساك عن الكلام بما لا يعنيه»[٤].

بين الزيادة والنقصان:

قال لقمان لابنه: «أي بنى أي شيءٍ أقل؟ وأي شيءٍ أكثر؟ وأي شيء أحلى؟ وأي شيءٍ أبرد؟ وأي شيءٍ آنس؟ وأي شيءٍ أوحش؟ وأي شيءٍ أقرب؟ وأي شيءٍ أبعد؟ فقال: أمّا أقل شيءٍ فاليقين، وأما أكثر شيء فالشك، وأمّا أحلى شيءٍ فروح الله بين العباد يتحابون بها، وأما أبرد شيء فعفو الله عن عباده وعفو الناس بعضهم عن بعض، وآنس شيءٍ حبيبك إذا أغلق عليك وعليه باب واحد، وأوحش شيء جسد إذا مات، فليس شيءٌ أوحش منه، وأقرب شيءٍ فالآخرة من الدنيا، وأبعد شيءٍ فالدنيا من الآخرة»[٥].

(١، ٢) زهر الآداب للقيرواني.

(٣، ٤) الكشكول للعاملي.

(٥) روضة العقلاء للبستي.

لها من اسمها نصيب:

سأل رجل بعض الزهاد فقال: أخبرني عن الدنيا، فقال: «جَمَّة المصائب رَنْقَة المشارب، لا تُمتِع صاحبًا بصاحب»[(١)].

رأي في السياسة:

سأل الوليد بن عبدالملك أباه عن السياسة فقال: «هيبة الخاصة مع صدق مودَّتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الضائع فإن شكرها أقرب الأيادي إليها»[(٢)].

داء لا دواء له:

قيل لبعض الحكماء: ما الداء العَياء؟ فقال: «حسد ما لا تناله بقول ولا تدركه بفعل»[(٣)].

كفٌّ عن الهوى:

قال أبو علي: «سمعت ابن خير الوراق، وقد سأل أبا بكر بن دريد، فقال له: مم اشْتُقَّ العقل؟ فقال: من عِقال الناقة، لأنه يعقل صاحبه عن الجهل أي: يحبسه ولهذا قيل: عقل الدواء بطنه أي أمسكه»[(٤)].

جواب سديد:

وقيل لأعرابي: «أيسرك أن تكون أحمق ولك مائة ألف درهم؟ قال: لا، قيل له: ولِمَ؟ قال: لأنَّ حماقةً واحدة تأتي على المائة ألف درهم، وأبقى أحمق معدمًا»[(٥)].

(١، ٣، ٤) الأمالي لأبي علي القالي.

(٢) عيون الأخبار ١/ ١١.

(٥) حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي.

خير الأشياء في الحياة

* خير الآداب ما حصل لك ثمره وظهر عليك أثره.

* خير المواهب العقل وشَرُّ المصائب الجهل.

* خير الأموال ما أنفق منه، وخير الأعمال ما وُفِّقَ فيه.

* خير العلم ما نفع، وخير الوعظ ما ردع، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

* خير الأمور ما سرك في يومك وأسعدك في داريك.

* خير الأشراف من تَخلى عن الشر وخلا من الكبر، وشر الأنذال من سعى بالإخوان وزهد في الإحسان.

* خير الأنصار مطاوعة الأقدار، وشر الأعداء مخالفة القضاء.

* خير الإخوان من يغفر لك زللك ويحقق أملك، وشر الإخوان من يمنعك ما هو واجب لك ويلزمك ما هو ساقط عنك.

* خير الأمور أوساطها.

* خير حظك من دنياك ما لم تنل.

* خير العفو ما كان عن قدرة.

* خير الخِلال حفظُ اللسان.

* خير الفقه ما حاضرت به.

* قال ابن السماك: «خير الإخوان أقلهم مصانعة في النصيحة، وخير الأعمال أحلاها عاقبة، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار، وأشرف السَّلاطين ما لم يخالطه بطر، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرًا، وخير الإخوان من لم يخاصم، وخير الأخلاق أعونها على الورع، وإنَّما يختبر وُدُّ الرجل عند الحاجة والفاقة»[1].

---

(١) زهر الآداب للقيرواني.

بين الثقة والطمأنينة:

وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «خير الإِخوان من أحدثت لك رؤيته ثقة به، وأهدت إليك غيبته طمأنينته إليه»[١].

حزم بغير روية:

قال يحيى بن أكثم:

الرِّفْــقُ يُمْـــنٌ والأَنَــاةُ سَــعَادَةٌ فَاسْـتَأْنِ فِي رِفْـقٍ تُـلاقِ نَجَاحَـا

لاَ خَـــيْرَ فِي حَـــزْمٍ بِغَـــيْرِ رَوِيَّـــةٍ والشَّكُ وهْنٌ إِنْ أَردتَ سَرَاحًا[٢]

شر الأشياء في الحياة

شرور:

* جاء في كليلة ودمنة: «شر المال ما لا ينفق منـه، وشر الإِخـوان الخـاذل، وشر السلطان من خافه البريء، وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن»[٣].

* * *

* كان يقال: «شرَّ الأمـراء أبعـدهم مـن القُـرَّاء، وشرُّ القُـرَّاء أقـربهم مـن الأمراء»[٤].

* * *

* شر المال ما أخذ من الحرام وصرف في الآثام[٥].
* شر الفعال ما جلب المذام[٦].
* شر الأقوال ما أوجب الملام.
* شَر الآراء ما خالف الشريعة، وشر الأعمال ما هدم الصنيعة.

---

(١) الصداقة والصديق للتوحيدي.

(٢) النهج المسلوك للشيزري.

(٣، ٤) عيون الأخبار لابن قتيبة.

(٥) فرائد الخرائد في الأمثال ـ لأبي يعقوب الخويبي.

(٦) نهاية الأرب للنويري.

* قال صالح بن عبدالقدوس:

شَرُّ المَوَاهِــبِ مَــا تَجُــودُ بِــهِ   فِي غَــيْرِ مَحْمَــدَةٍ ولاَ أَجْــرِ

من علامات الأشياء

علامات اللئيم:

* قال ابن المقفع: «من علامات اللئيم المخادع أن يكون حسن القول، سيئ الفعل، بعيد الغضب، قريب الحسد، حمولًا للفحش، مجازيًا بالحقد، متكلفًا للجود، صغير الخطر، متوسعًا فيما ليس له، ضيِّقًا فيما يملك»(١).

علامات الأحمق:

* وقال حكيم: «من علامات الأحمق كثرة الالتفات، وسرعة الجواب، والثقة بكل أحد»(٢).

علامات الجاهل:

* وقال آخر: «من علامات الجاهل أن تراه مولعًا بحلاوة العاجل، غير مبال بالعواقب، ولا معتبرًا بالمواعظ، ليس يعجبه إلاّ ما ضرَّهُ، إن أصاب فعلى غير قصد، وإن أخطأ فهو الذي لا يحسن به غيره، لا يستوحش من الإِساءة، ولا يفرح بالإِحسان»(٣).

علامات السالكين:

* قال الحارث المحاسبي: «من علامات الصادق في معرفة ربه أنَّه إذا نظر اعتبر، وإذا صمت تفكَّر، وإذا تكلَّم ذكر، وإذا منع صبر، وإذا أعطي شكر، وإذا ابتلي استرجع، وإذا جُهِلَ عليه حلم وإذا علم تواضع، وإذا عَمِلَ رفق، وإذا سئل بذل، شفاء للقاصد، وعون للمسترشد، حليف صدق، وكهف بر، قريب الرضا في حق نفسه، بعيد الهمة في حق الله تعالى، نيته أفضل من عمله،

---

(١) الأدب الصغير لابن المقفع.

(٢،٣) نهاية الأرب للنويري.

وعمله أبلغ من قوله، معقله الحق، وموطنه الحياء، ومعلومه الـورع، وشـاهده الثقة، له بصائر من نور يبصر بها، وحقائق من العلم ينطـق بهـا، ودلائـل مـن اليقين يعبِّر عنها»(١).

علامات المرائي:

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «من علامات المرائي أن يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أُثْنِيَ عليه، وينقص إذا ذُمَّ»(٢).

علامات العاقل:

قال حكيم: «من علامات العاقل خمسة أشياء: لا يتكلف ما لا يطيـق، ولا يسعى لما لا يدرك، ولا ينظر فيما لا يعنيه، ولا ينفق إلاّ بقـدر مـا يكـسب، ولا يطلب من الجزاء إلاّ بمقدار ما عنده من العناء»(٣).

صفات حسن الخلق:

قال بعض السلف: «من علامات حسن الخلق أن يكون كثير الحياء، قليـل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا، وصولًا، وقورًا، صـبُورًا، شـكورًا، رضـيًا، حلـيمًا، رفيقًـا عفيفًا، شـفيقًا، لا لعانًـا، ولا سـبابًا، ولا نمامًـا ولا مغتابًـا، ولا عجـولًا، ولا حقودًا ولا بخيلًا، ولا حسودًا، بشاشًا، هشاشًا، يحـب في الله ويـبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله».

---

(١) رسالة المسترشدين للمحاسبي.

(٢) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.

(٣) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

لقمانيات

الإنصاف ميزان:

❊ قال لقمان لابنه: «إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، فإن أنصفك في غضبه، وإلا فدعه»(١).

❊ ❊ ❊

أوقات لا بد منها:

وقال: «لا ينبغي للعاقل أن يجعل نفسه تخلى من أربعة أوقات: فوقت منها يناجي فيه ربَّه، ووقت يحاسب فيه نفسه، ووقت يكسب فيه لمعاشه، ووقت يخلو فيه بينه وبين نفسه وبين لذتها في غير محرم ليستعين بذلك على سائر الأوقات»(٢).

❊ ❊ ❊

الدَّين والعافية:

❊ وقال: «نقلت الصخر وحملت الحديد فلم أر شيئًا أثقل من الدَّيْن، وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر ألذَّ من العافية»(٣).

❊ ❊ ❊

سلامة من الشر:

❊ وقال: «يا بني، إنَّ غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة حسن العقل، لأن العبد إذا حسن عقله غطى ذلك عيوبه، وأصلح مساوئه، ورضي عنه خالقه، وكفى بالمرء عقلًا أن يسلم الناس من شره»(٤).

❊ ❊ ❊

(١-٤) نثر الدر لأبي سعد بن منصور بن الحسين الآبي.

قل الحق وإن كان مرًا:

* وقال لابنه: «يا بني لا تمارين حكيمًا، وَلا تجادلن لجوجًا، ولا تعاشرن ظلومًا، ولا تصاحبنَّ متهمًا. يا بني من قصَّر في الخصومة خصم، ومن بالغ فيها أثم، فقل الحق ولو على نفسك، ولا تبال من غضب»؟[1].

* * *

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ ...﴾:

قال لقمان: «لا تدع النظر في مساويك كل وقت، لأنَّ ترك ذلك نقص من محاسنك»[2].

* * *

الدِّين والمال:

* وقال: «يا بني، خصلتان إذا أنت حفظتهما فلا تبال ما ضيعت بعدهما: دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك»[3].

* * *

بين العلماء والحكماء:

* وقال: «يا بني، عليك بمجالس العلماء، واستمع كلام الحكماء، فإنَّ الله يحيي القلب الميت بالحكمة كما يحيى الأرض بوابل المطر»[4].

* * *

مشقة:

وقال أيضًا: «الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير»[5].

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر.
(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني.
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣٠/ ٢٩.
(٤) نثر الدر لأبي سعد الآبي.
(٥) المستطرف للأبشيهي.

﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾:

* وقال لابنه: «يا بني، أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيئًا أمرَّ من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك، ولكن اسأل الله تعالى من فضله، فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به»(١).

أحكم ما قالته العرب وأوجزه

* دخل الشعبي على عبدالملك، فقال: يا شعبي، أنشدني أحكم ما قالت العرب وأوجزه، فقال: يا أمير المؤمنين، قال امرؤ القيس:

١ ـ صُبَّتْ عَلَيْهِ ومَا تَنْصَبُّ من أُمَمٍ ... إنَّ الشِّفَاءَ عَلى الأَشْقَينِ مَصْبُوبُ

وقول زهير:

٢ ـ ومَنْ يَجْعَلْ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ ومَنْ لاَ يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَم

وقول النابغة:

٣ ـ ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لاَ تَلُمْهُ ... عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّب

وقول عدي بن زيد:

٤ ـ عَنِ المَرْءِ لاَ تَسَلْ وسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَإِنَّ القَرِينَ بِالمُقَارَنِ يَقْتَدِى

وقول طرفة:

٥ ـ سَتُبْدِى لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ... ويَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تزودِ

وقول عبيد بن الأبرص:

٦ ـ وكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ ... وغَائِبُ المَوْتِ لاَ يَؤُوبُ

---

(١) المستطرف للأبشيهي.

وقال لبيد:

٧ ـ إِذَا المَـرْءُ أَسْرَى لَيْلَـةً ظَـنَّ أَنَّـه قَضَى أَمَلًا والمَرْءُ مَا عَـاشَ عَامِـلُ

وقول الأعشى:

٨ ـ ومَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لاَ يَزل يَـرَى مَـصَارِع مَظْلُـومٍ مُجـرا ومُـسْحَبَا

وقول الحطيئة:

٩ ـ مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لاَ يُعْدَمْ جَوَازِيـهِ لاَ يَذْهَبُ العُرفُ بَيْنَ الله والنَّـاسِ

وقال الحارث بن عمرو:

١٠ ـ فَمْنَ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمِد النَّـاسُ أَمْـرَهُ ومَنْ يَغوَ لاَ يَعْدِم عَلى الغَيِّ لاَئِـمًا

وقول الشماخ:

١١ ـ وكُلُّ خَلِيلٍ غَيْرِ هَاضِمِ نَفْسِهِ لِوَصْلِ خَلِيـلٍ، صَـارِمٌ أَوْ مُعَـاذرُ

فقال عبدالملك: حججتك يا شعبي بقول طفيل الغنوي:

١٢ ـ وَلاَ أُجَالِسُ جَـارِي فِي حَلِيلَتِـهِ ولاَ ابْـنِ عَمِّـي غَـالَتَنِي إِذًا غُـولُ

حَتَّـى يُقَـالُ إِذَا دلِّيـتُ فِي حَـدَثٍ أَيْنَ ابْنُ عَوْفٍ أَبُـو قِـرَّانَ مَجْعُـولُ(١)

أحكم ما قالته العرب من السرور

١ ـ قيل لحزيم الناعم: ما السرور؟ فقـال: الأمـن فـإِنِّي رأيـت الخـائف لا عَيَشَ له. قال: زدني. قال الصحة، فإِنِّي رأيت المريض لا عيش له. قـال: زدني. قال: الغنى، فإِنِّي رأيت الفقير لا عيش له.

٢ ـ وقيل للحسن بن سهل: ما السرور؟ فقـال: توقيـع جـائز وأمـر نافـذ. وقيل لعبد الله بن الأهتم: ما السرور؟ قال: رفـع الأوليـاء، ووضـع الأعـداء، وطول البقاء مع الصحة والنماء.

(١) الجليس الصالح الكافي للنهرواني.

٣ ـ وقيل لضرار بن عمـرو: مـا الـسرور؟ فقـال: إقامـة الحجـة واتـضاح الشبهة.

٤ ـ وقيل لأعرابي: ما السرور؟ فقال: «إقبال الزمان، وعز السلطان، وكثرة الإخوان»[١].

قال عبد الله بن الحسن بن الحسن: «من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكـان، والأناة بعد الفرصة».

قال زين العابدين: «إياك ومعاداة الرجال فإِنَّكَ لـن تعـدم مكـر حلـيم أو مفاجأة لئيم».

قال المكتفي بالله: «الخمول مع الصحة خير من النباهة مع العلة».

قال الوليد بن عبد الملك: «والله لأجمعن المال جمع من يعيش أبدًا، ولأفرقنه تفريق من يموت غدًا».

قال سليمان بن عبدالملك: «قد أكلت الطيب، وركبـت الفـاره، وامتطيـت العذراء، فلم تبق لي لذة إلا صديق تسقط بيني وبينه مؤونة التحفظ».

قال المنتصر: «لذة العفو أهيب من لذة التشفي، لأن لذة العفو يلحقها حمـد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم».

قال القائم بأمر الله: «كنت لا أحفل بشكوى الغريب؛ لأنِّي لا أتوقع ذلك، حتى بُلِيتُ بالغربة فصرت لا أرحم إلَّا الغريب».

خير المَقَال ما صدقه الفِعال[٢].

الكرامة في الانصاف:

قال حكيم: «من كانت فيه سبع خصال لم يعدم سـبعًا: مـن كـان جـوادًا لم يعدم الشرف، ومن كان ذا وفاء لم يعدم المقـة (الحـب)، ومـن كـان صـدوقًا لم

---

(١) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٢) مقتطف من أزاهر الطرف، لابن سعيد الأندلسي.

يعدم القبول، ومن كان شكورًا لم يعدم الزيادة، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد، ومن كان منصفًا لم يعدم العافية، ومن كان متواضعًا لم يعدم الكرامة»(١).

أفضل الأشياء عند الحكماء

* كان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره، فقال له قيصر يومًا: ما أفضل العقل؟ قال: معرفة المرء بنفسه، قال: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قال: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه، قال: فما أفضل المال؟ قال: ما قُضِيَتْ به الحقوق(٢).

* * *

* قيل لأعرابي: أي شيء أمتع؟ فقال: «ممازحة المحبِ، ومحادثة الصديق، وأماني تقطع بها أيامك»(٣).

* * *

* وسئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييدًا للعقل، وأيها أشد إضرارًا له؟ فقال: «أشدها تأييدًا له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت. وأشدها إضرارًا به: الاستبداد، والتهاون، والعجلة»(٤).

أحلى الأشياء:

وسئل بعض الحكماء: أي الأشياء أحلى؟ قال: «النصر على العدو بعد الهزيمة، والاستغناء بعد الحاجة، والغلبة للمتكلم»(٥).

(١-٣) الأمالي، لأبي علي القالي.

(٤، ٥) حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي.

حِكَمٌ متشعبة

وفاء وإحسان:

تجربة شاعرنا مع الناس تجربة واقعية، إنه يصحب الأخيار من البشر ويحرص على الوفاء لهم، واحتمال إيذائهم، يحسن إلى المحسنين، ويكف شره عن المسيئين:

وكُنْتُ إذَا صَحِبتُ خِيارَ قَوْمٍ ... صَحِبْتُهُمُ وشِيمَتِيَ الوَفَاءُ

فَأُحْسِنُ حِين يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُم ... وأحْتَمِلُ الإِسَاءَة إِنْ أَسَاؤوا

يبقى الود:

في العتاب إحياء واستمرار للود، وإذا انقطع العتاب بين الناس، امتلأت الصدور بالشكوك والضغائن، فتقطعت الأواصر.

إِذَا ذَهَبَ العِتَابُ فَلَيْسَ وُدٌّ ... ويَبْقَى الوُدُّ مَا بَقِي العِتَابُ

الحلم والأدب:

إذا بلغ الإنسان غاية مناه، فقد أصبح معرضًا للنقصان والخسران، وتجارب الحياة خير شاهد فهي تصفو وتتكدر، وتسيء وتسر، ومن أجل ذلك فلا يستغنى غني بماله عن حلم عن الجاهلين، وأدب مع الأرذلين.

يقول أبو العتاهية:

وإِذَا اسْتَوتْ لِلنَّمْلِ أَجْنِحَةٌ ... حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطَبُهْ

إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ ... فَرَأَيْتُه لَمْ يَصْفُ لِي حَلَبُهْ

حِلْمُ الفَتَى مِمَّا يُزَيِّنُهُ ... وتَمَامُ حِلْيَةِ فَضلِهِ أدبُهْ

احتمال الشدائد:

والمرء ما لم يحتمل شدائد الحياة فَقَدَ عنصر الخير، وأصبح عرضة للشرور:

ولاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُوطِّنُ نَفْسَه ... عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

كرامة:

الرجال يتماسكون أمام الكبراء، ولا تذوب ذواتهم في غـيرهم مهـما كانـت المغريات:

وَلَـسْتُ وإنْ قُرِّبْـتُ يَوْمًـا بِبَـائِعٍ خَلاقِي ولا مَجْـدِي ابْتِغَـاء التَّحَبـبِ

ظلْم فوق ظلْم:

الظلم كله بغيض مقيت، وظلم الأقربين أشد مقتًا وأعظم بغضًا.

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَـضَاضَةً عَلَى الـنَّفَسِ مِـنْ وَقْـعِ الحُـسَامِ المُهَنَّـدِ

أعط القوس باريها:

لكل شخص حرفته التي يجيدها، والتي بـرع فيهـا، ولا يـستطيع أحـد أن يقوم بكل ما يقوم به غيره من مهن أو حرف ولذا قيل:

يَا بَارِيَ القَوْسِ بَرْيًا لَسْتَ تُحْـسِنُها لاَ تُفْسِدَنْها، وأَعْطِ القَوْسَ بَارِيهَـا

الحر تكفيه الإشارة:

وطباع الأحرار تأبى الامتهان، ولذا فإنها تنزجر عـن الـشر بالإشـارة دون العبارة، وطباع الأرقاء لا تكتفي بالعبارة، بل لا بد من العنف:

العَبْـــــدُ يُقْـــــرَعُ بِالعَـــــصَا والحُـــــرُّ تَكْفِيــــهِ الإِشَـــــارَهْ

عدوي من نفسي:

قد يكون العدو معك في ملبسك يصاحبك في حلِّك وترحالك، وقد يكون الصديق معك دائمًا بنصحه وفهمه ويقظته، ولذلك قيل: عدو الرجـل حمقـه، وصديقه عقله.

قيمة الإنذار:

كل من أنذرك فقد أبلغك العذر، وقد قيل:

أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَر.

عندَ الامتحانِ يُكرَمُ المرءُ أو يهان.

الصديق عند الضيق:

عند النازلة تعرف أخاك.

خبير بالأمور:

أعلمُ من أين تؤكل الكتف.

السعي نحو ذوي العقول:

في بيته يُؤتَى الحَكَمُ.

الصدق:

إِذَا قَالَـــتْ حـــذَام فَـــصَدِّقُوهَا فَـإِنَّ القَـوْلَ مَـا قَالَـتْ حـذام

إذا كان الغراب دليل قوم:

قدْ ضلَّ منْ كانتْ العُميَانُ تهدِيهِ.

كل مصيبة دون الموت هينة:

كلُّ شيءٍ أخطأَ الأنفَ جَلَلْ (سهل).

حكم متناثرة في أبواب شتى

وسائل النجاح:

قال الأصبهاني: «أجمعوا على أنَّ الظفر مأسور بالصبر، والقدرة مقرونة بالحيلة، والإِدراك موصول بالتأني»[1].

قال صالح بن عبد القدوس: «ما شيء إلا وفيه منفعة. فقال بعض من حضره: لو علق رجل بإحدى يديه أي منفعة فيه؟ قال: لا يعرف إبطه»[2].

الاعتدال:

قال أبو الأسود الدؤلي: «إذا كنت في قوم فحدِّثهم بقدر سنِّك، وخاطبهم بلفظ محلك، ولا ترتفع عن الواجب فتستقل، ولا تنحط فتحتقر»[3].

(١ – ٣) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

لا تسأل غير نفسك:

وقال ابن دريد: «لا تسأل غير نفسك عـن أمـرك، ولا تـسمع منهـا إلا مـا يزكيه علمك، وتحققه عندك بالفعل، فإنك بـك أعلـم، فـإن رضـيت خفيـان أمورك المستورة فلا تدخلنك الشبهة في صحة ذلك عنـد الجميـع، وتبجـيلهم لك عليه»(١).

تحكَّمْ في نفسك:

وقال بعضهم: «ذو القدرة على نفسه والأصـيل في رأيـه يـزداد اتـساعًا في الجميل وانبساطًا في المعروف وتكرمًا في أخلاقه، إذا توافت آماله إليه، لاسـيما إذا نال سلطانًا، فإن السلطان يبـدي مكنـون الجـوهر، وعنـده يـسقط الـشك والدعوى الكاذبة، وتصير سريرة أخلاق صاحبه علانية»(٢).

صُن نفسك:

وقال آخر: «امنع نفسك من عرضك بما لا ينكـرون مـن فعلـك، واطلـب التعظيم في قلوبهم بصيانة نفسك، واسـتبق مروءتـك بـالغنى عـنهم، وتـألف ودَّهم بالبشر لهم، واحتجب عن بغيهم بترك الاستطالة، واستتر من الـشامتين بحسن العزاء عند النوائب»(٣).

غرورالمنى:

وقال آخر: «تجنبوا المُنـى فإنَّهـا تـذهب ببهجـة مـا خـولتم، وتستـصغرون مواهب الله عندكم، وتعقبكم الحسرات على ما وهمتموه منهـا أنفـسكم وهـي مكيدة من مكائد إبليس للعبد، وخَتَل له عن الشكر واسـتدراج إلى استـصغار عظيم المواهب»(٤).

وقال آخر: «لا راحة لحريص، ولا غنى لذي طمع، والمرء عنـد مـن رجـا، وبئس الـشعار الحـسد، والافتقـار يمحـق الأقـدار، والبطـر يـسلب النعمـة، والإنصاف يؤلف القلوب»(٥).

(١ – ٥) المجتبى لابن دريد.

حسن التفضل:

وقال آخر: «استعطاف المتجني مؤونة على الإنصاف، وظلم للعهـد، وإنّـما يحسن التفضل بـين الأوداء عـلى التبـاذل بـصحة النيـات وسـلامة الغيـب في المعاملة، ومن اكتسب ما يجب منك بغير عدل عليك عـرض نفـسه لإتهـام مـا يضمر، واستكراه ما استزاد من البر»[١].

صحبة العقلاء:

وقال حكيم: «العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنَسُ منه بلين العيش مع السفهاء»[٢].

الحكيم:

وقال محمد بن الحنفية: «ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف، من لم يجد من معاشرته بُدًا حتى يجعل الله له من ذلك فرجًا ومخرجًا»[٣].

الامتحان:

وقال يحيى بن معاذ الرازي: «إذا أحب الله عبدًا ابتلاه، فـإن صـبر اجتبـاه، وإن رضي اصطفاه، وإن سخط نفاه وأقصاه»[٤].

صداقة وعداوة:

قال يونس النحوي: «لا تعادين أحدًا وإن ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدنَّ في صداقة أحدٍ وإن ظَنَنْتَ أنّه لا ينفعك، فإنَّك لا تدري متـى تخـاف عـدوَّك، وترْجو صديقك، ولا يعتـذر إليـك أحـد إلا قبلـت عـذره، وإن علمـت أنـه كاذب»[٥].

حسن التدبير:

وقال حكيم: «حسن التدبير مع المال القليل خير من سـوء التـدبير مـع المـال الكثير، لأن حسن التدبير قد يكثر القليل، وسوء التدبير يمحق الكثير»[٦].

---

(١) المجتبى لابن دريد.

(٢-٦) البصائر والذخائر للتوحيدي.

أصون عِرْضي بمالي لا أدنسه:

وقال حكيم: «أفضل الفعال صيانة العرضِ بالمال»[١].

احفظ نفسك:

وقال آخر: «أنت حرز نفسك إن صحبت من هو دونك»[٢].

النصيحة الخالصة:

وقال آخر: «امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة»[٣].

جواب الحمقى:

وقال آخر: «السكوت عن الأحمق جوابه»[٤].

المهابة:

وقال آخر: «ارفض أهل المهانة تلزمك المهابة»[٥].

جوامع الكلم:

وقال جعفر الصادق: «من أخرجه الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه بلا مال، وأعزَّه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله - عز وجل- أخاف الله - عز وجل- منه كلَ شيء، ومن لم يخف الله - عز وجل- أخافه الله من كلِ شيء، ومن رضي من الله - عز وجل- باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل، ومن لم يشح من طلب المعاش خفَّت مؤونته، ونَعِمَ أهله، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ونطق بها لسانه وبصَّره عيوب الدنيا، داءها ودواءَها، وأخرجه من الدنيا سالمًا إلى دار السلام»[٦].

الجرأة على الحرام:

وقال عيسى -عليه السلام: «إن مرتكب الصغيرة والكبيرة سيان، فقيل: وكيف ذلك؟ فقال: الجرأة واحدة، وما عفَّ عن الدُّرَّة من يسرق الذَّرة»[٧].

(١-٧) الكشكول للعاملي.

فضيلة العقل ورذيلة الجهل:

قال بعض الحكماء: «من فضيلة العقل أن كل إنسان يحب أن يُـرى بـصورته، ومن رذيلة الجهل أن ليس أحدٌ يحب أن يُنظر إليه بصورته أو بسماته»(١).

احترم نفسك:

وقال آخر: «من احترام المرء نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه»(٢).

أحسن الصدق:

وقال آخر: «الصدق كله حسن، وأحسنه أن يقول العالم لما جهلـه: لا علـم لي به»(٣).

لا تفتخر بعملك:

وقال أيضًا: «لا تفتخر بما فعلت في يومك، فإنَّك لا تدري ما ينتج الغد»(٤).

افعل الخير:

وقال أيضًا: «سرح خيرك على الماء تجده في غابر الأيام»(٥).

عسر ويسر:

وقال بعض الحكماء: «البَلاءُ رديفُ الرخاء، والأمنُ حليف الخوف، وبعـد العسر اليسر، وليس صفو إلّا وله كدر»(٦).

العدم أجدى:

وقالوا أيضًا: «الفاقة خير من غنى البخيل، والمجهول عند السلطان الجـائر خير من ذي الجاه المعروف عنده، والعقم خير من الولد الأحمق»(٧).

العاقبة المذمومة:

وقال حكـيم: «لا يحملنَّـك الحـرص في أمـورك عـلى التَّمَقُّـتِ إلى النـاس والإِخافة لهم فتعطي من نفسك أكثر ما تأخذ لها، وكل إجابـة عـن غـير رضـا فهي مذمومة العاقبة»(٨).

(١ – ٨) لباب الآداب لابن منقذ.

قيمة العلم والمال:

وقال آخر: «اطلب في الحياة العلم والمال تَحُزِ الرئاسةَ على الناس، لأنَّهم بين خاصٍّ وعام، فالخاصة تفضلك بما تحسن، والعامة تفضلك بما تملك»(١).

الغريب:

قال بزرجمهر: «الغريب من لم يكن له حبيب»(٢).

من حقوق الشرف:

وقال الحكماء: «من حقوق الشرف أن تتواضع لمن دونك، وتنصف من هو مثلك، وتقبل على من هو فوقك»(٣).

لا طلب ولا تضييع:

وقال الشعبي: «العلم كله في كلمتين: لا تتكلف ما كفيت، ولا تضيع ما استكفيت»(٤).

امتحان:

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «انظر عقل الرجل عند حديثه، وحلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما عليك بحلم المرء إذا لم يغضب وأمانته ما لم يطمع وعقله ما لم يتكلم، ولا تدري أين أنت من صاحبك حتى تقع على أحد شقيه»(٥).

السماع أولى:

وقال أبو الدرداء: «أنصف أذنيك من فِيك، فإنَّما جعل الله لك أذنين اثنتين ولسانًا واحدًا لتسمع أكثر مما تقول»(٦).

وسائل كاشفة:

وقال حكيم: «لا تنال الراحة إلا بالتعب، ولا يقطع الحسام إلا بالضرب، ولا يجري الجواد إلا بالركض، ولا تدرك غاية إلا بالسعي إليها»(٧).

---

(١) لباب الآداب لابن منقذ.

(٢-٧) المخلاة للعاملي.

اجتهاد:

وقال عمروبن العاص ﷺ: «اعمل لدنياك عمل من يعـيش أبـدًا، واعمـل لآخرتك عمل من يموت غدًا»[١].

وسطية:

قال الشافعي: «الانقباض عن الناس مكسبة للعـداوة، والانبـساط إلـيهم مجلبة لِقُرَنَاءِ السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط»[٢].

دريء المفاسد:

قال أبو سليمان الداراني: «ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلـب مـن صيام سنة وقيامها»[٣].

الصديق الألوف:

وقال قس بن ساعدة: «تقاربوا بالمودّة ولا تتكلوا بالقرابة، لا يباع الصديق الأَلُوف بالأُلُوف»[٤].

خيانة:

وقال شقيق البلخي: «عمرك أمانَة الله أَمَّنَـك عليهـا فـلا تخـن في أمانتـك بمعاصيه»[٥].

اجتهاد وتروٍّ:

قال الحسن: «التقدير نصف الكسب والتؤدة نصف العقل، وحسن طلـب الحاجة نصف العلم»[٦].

فضائل:

وقالوا: «لا عقلَ كالتدبير، ولا ورعَ كالكف، ولا حَسبَ كحـسن الخُلـق، ولا غنى كرضا عن اللهّ، وأحقُ ما صُبِرَ عليه ما ليس إلى تغييره سبيل»[٧].

(١ – ٥) المخلاة للعاملي.

(٦،٧) العقد الفريد لابن عبد ربه.

قمم:

وقالوا: «أفضل البر الرحمة، ورأس المودّة الاسترسال، ورأس العقوق مكاتمة الأدنين، ورأس العقل الإصابة بالظن»[(١)].

السعيد:

وقالوا: «التفكر نور، والغفلة ظلام، والجهالة ضلالة، والعلم حياة، والأول سابق، والآخر لاحق، والسعيد من وُعِظَ بغيره»[(٢)].

أتزعم أنك جرم صغير...؟:

وقالوا: «ابن آدم هو العالم الكبير الذي جمع الله فيه العالم كله، فكان فيه بسالة الليث، وصبر الحمار، وحرصُ الخنزير، وحذر الغراب، ورَوَغَان الثعلب، وضرع السنور، وحكاية القرد، وجبن الصفرد»[(٣)].

خالف النفس والشيطان واعصهما:

وقال الحسن: «أقدعوا[(٤)] هذه النفوس فإنَّها طُلَّعةٌ، وحادثوها بالذكر فإنَّها سريعة الدثور، فإنَّكم إلَّا تقدعوها تنزع بكم إلى شَرِ غاية»[(٥)].

إحسان وإساءة:

وقالوا: «إحسان المسيء أن يكفَّ عنك أذاه، وإساءة المحسن أن يمنعك جدواه»[(٦)].

اعرف نفسك:

وقال سفيان: «من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه»[(٧)].

آفات مهلكات:

قالوا: «لكل شيءٍ آفة، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الرياء، وآفة الحياء الضعف، وآفة اللب العُجْبُ، وآفة الظرف الصَّلَف، وآفة الجود السرف، وآفة الجمال التيه، وآفة السؤدد الكِبرُ، وآفة الحلم الذلُ»[(٨)].

(١-٣) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٤) قدع فلانًا عن الشيء: كفَّهُ ومنعه. (المعجم الوسيط: قدع).

(٥-٧) العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٨) بهجة المجالس لابن عبد ربه.

قيمة التجارب:

وقالوا: «التجارب ليس لها غاية والعاقل يستزيد منها إلى غير نهاية»(١).

وتزودوا:

وقالوا: «من الفساد إضاعة الزاد»(٢).

فاسأل الله:

وأيضًا: «من أَلْح في المسألة على غير الله، استحق الحرمان»(٣).

غاية النصيحة:

وأيضًا: «من أحبَّك نهاك، ومن أبغضك أغراك»(٤).

للناصح حق:

وقالوا: «من بَذل لك نصحه فاحتمل غضبه»(٥).

وفاء مفقود:

وقالوا: «من مدحك بما لا يعلم منك جهرًا، ذَمَّك بما لا يعلم منك سرًا»(٦).

قيمة:

وقالوا: «الكتاب مفيد: علمُ من سلف، باقٍ لمن خلف»(٧).

الزيادة والسلامة:

وقالوا: «في الإنصاف للعلماء زيادة، وفي الإنصاف للجُهَّال سلامة»(٨).

ذل المتكبرين:

وقالوا: «لا يرتفع الرجل فوق قدره إلاّ لذُلٍّ يجده في نفسه»(٩).

مبادرة:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إنكم في مهل، ومن ورائه أجل، فبادروا في مهل آجالكم، قبل أن تنقطع آمالكم، فتردكم إلى سوء أعمالكم»(١٠).

(١-٩) بهجة المجالس لابن عبد ربه.

(١٠) زهر الآداب للقيرواني.

حساب عسير:

وقال أيضًا: «إنَّ المَلِكَ إذا ملك زهَّـده الله في مالـه، ورغبـه في مـال غـيره، وأُشرب قلبه الإشفاق، فهو يسخط على الكثـير، ويحـسد عـلى القليـل، جـذل الظاهر، حزين الباطن، حتى إذا وجبت نفسه، ونضب عمـره، وضـحا ظلـه، حاسبه فأشدَّ حسابه وأقل عفوه»(١).

أقوى أسباب القطيعة:

وقال علي بن الحسين ـ رحمه الله: «المـراء يفـسد الـصداقة القديمـة، ويحـل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون به المغالبـة، والمغالبـة مـن أمـتن أسـباب القطيعة»(٢).

الطبع والتطبع:

قال جعفر الصادق: «من تخلَّق بالخلق الجميـل، ولـه خُلـق سـوء أصـيل، فتخلقه لا محالة زائل، وهو إلى خلقه الأول آيل، كطلي الذهب عـلى النحـاس، ينسحق، وتظهر صفرته للناس»(٣).

لا يغرنك شاهد غائب:

وقال الحجاج في خطبة له: «أما بعد: فإنَّ الله كتب على الدنيا الفناء، وعـلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كُتِبَ عليه البقاء، ولا بقاء لما كُتِبَ عليـه الفنـاء، فـلا يغـرنكم شـاهد الـدنيا عـن غائـب الآخـرة، وأقـصروا مـن الأمـل لقـصر الأجل»(٤).

أفضل الناس:

قال عبد الملك بن مروان: «أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وعفـا عـن قدرة، وأنصف عن قوة»(٥).

وضيع:

وقال السفاح: «إنَّ من أدنى الناس ووضعائهم من عدَّ البخل حزمًا والعفو ذلًا»(٦).

(١-٦) زهر الآداب للقيرواني.

تحفة وحياء:

وقال علي بن عبيدة الريحاني: «احِم وُدَّك فإنَّه عرضك، وصُنْ الأنْس بـك، فإنَّه يغزر حظك، ولا تستكثر من الطمأنينة إلا بعد استحكام الثقة، فإنَّ الأُنْس سريرة العقل، والطمأنينة بذلة المتحـابين، ولـيمس لـك بعـدهما تحفـةٌ تمنحهـا صاحبك، ولا حِبَاء توجب به الشكر على من اصطفيت»[1].

لبيب عاقل:

وقال صالح بن جناح: «إنَّ من الناس من إذا هوى عمـى، ومـنهم مـن إذا هوى أبصر مرَّة وعمي أخرى، ومنهم من إذا هوى لم يكـد يخفـى عليـه شيءٌ، وهو اللبيب العاقل، الحليم الكامل، الذي إن أعجبه أمر نظر إلى هواه وعقلـه، فإن اتفقا أتبعهما، وإنْ اختلفا اتبع عقله وترك هواه، وكان أمـره معتـدلًا يـشبه بعضه بعضًا، وقليل ما هم»[2].

ادعهم بالفضل:

وقال أيـضًا: «لا تـدع النـاس إلى بـرِّك، وإجـلال أمـرك، وتعظـيم قـدرك بالمعاتبة، ولكن ادعهم إلى ذلك بما تستوجبه منهم، وانظر الأمر الذي أكرم بـه من هو أبعد منك، وقرِّب به من أنت أقرب منه فالزمه، فإنَّك إن تلزمه لم تحتج معه إلى معاتبة، ولا اسـتبطاء حـق، لأنَّـك إنْ دعـوتهم إلى تكرمتـك بغـير مـا تستوجب التكرمة به، فإنَّما دعوتهم إلى إهانتك، إما بكلام يجرحك، وإما بفعال تقدحك، وإن دعاهم إلى ذلك فـضلك أجـابوا إمـا بثنـاء يرفعـك، أو بجـزاء ينفعك»[3].

كن على حذر:

«كن من الكريم على حذر إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إن مازحته، ومن الفاجر إن عاشرته»[4].

---

(١) زهر الآداب للقيرواني.

(٢-٤) رسالة الأدب والمروءة ضمن رسائل البلغاء، تصنيف محمد كرد علي.

ثلاثيات في الحكمة

مواطن الحكم على الناس:

قال حكيم: «ثلاثة لا تُعرف إلا عند ثلاثـة، ذو البـأس لا يعـرف إلَّا عنـد اللقاء، وذو الأمانة لا يُعرف إلَّا عند الأخذ والعطاء، والإخوان لا يُعرفون إلاّ عند النوائب»(١).

استفت قلبك:

وقال آخر: «ثلاثة لا تكـون إلَّا في ثلاثـة: الغنـى في الـنفس، والـشرف في التواضع، والكرم في التقوى»(٢).

أيهم أنت؟:

قال المأمون: الرجال ثلاثة: فرجل كالغذاء لا يُستغنى عنه، ورجل كالدواء يُحتاج إليه حينًا، ورجل كالداء لا يُحتاج إليه أبدًا»(٣).

مواطن الحكم:

قال لقمان: «ثلاثة لا يُعرفون إلا عند ثلاثة مواطن: الحليم عنـد الغـضب، والشجاع عند الحرب، والأخ عند الحاجة»(٤).

أحبها لنفسي:

وقال الخليل بن أحمد: «ثلاثة أحبها لنفسي ولمن أريد رشده: أحب أن أَكُونَ بيني وبين ربي من أفضل عباده، وأكون بيني وبين الخَلق أوسطهم، وأكون بيني وبين نفسي من شرهم»(٥).

سلوى:

وقيـل: «ثلاثـة ينـسين المـصائب: مـر الليـالي، والمـرأة الحـسناء، ومحادثـة الرجال»(٦).

(١-٣) حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي.

(٤) نثر الدر لأبي سعد الآبي.

(٥،٦) حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي.

جلاء البصر:

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «ثلاث تجلو البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن»(١)،

ابتعد عنهم:

قال مسلم بن قتيبة: «لا تطلبن حاجتك إلى واحد من ثلاثة: لا تطلبها إلى الكذاب فإنَّه يُقَرِّبُها وهي بعيدة، ويُبعدها وهي قريبة، ولا تطلبها إلى الأحمق فإنَّه يريد أن ينفعك وهو يضرك، ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأكلة فإنَّه يجعل حاجتك وفاءً لحاجته»(٢).

مساوئ وقبائح:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «ثلاث من القوافر: جار مقامة إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها، وامرأة إن دخلت عليها لَسَنَتْك، وإنْ غبت عنها لم تأمنها، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك وإنْ أسأت قتلك»(٣).

من حقائق الإيمان:

قال حكيم: «ثلاثة من حقائق الإيمان: الاقتصاد في الإنفاق، والابتداء بالسلام، والإنصاف من نفسك»(٤).

آراء مرفوضة:

قال ابن المقفع: «ثلاثة لا آراء لهم: «صاحب الخف الضيِّق، وحاقن البول، وصاحب المرأة السليطة»(٥).

فيهن رشد:

قال المأمون: «ثلاثة لا يعدم المرء الرشد فيهن: مشاورة ناصح، ومداراة حاسد، والتحبب إلى الناس»(٦).

---

(١) حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي.

(٢) الأمالي لأبي علي القالي.

(٣) عيون الأخبار.

(٤-٦) بهجة المجالس.

الكشف عن العقول:

قال يحيى بن خالد: «ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الكتاب على مقدار عقل كاتبه، والرسول على مقدار عقل مرسله، والهدية على مقدار عقل مهديها»(١).

مطلوب لا طالب:

قال الأحنف بن قيس: «ثَلاثٌ فِيَّ ما أَقُولهنَّ إلَّا ليعتبر مُعْتَبِرٌ ما دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أُدْع إليه يعني: السلطان، ولا حللت حبوتي إلى ما يقوم إليه الناس»(٢).

أدب الجلساء:

وقال عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما: «لجليسي عليَّ ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأوسع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا حدَّث»(٣).

مخاطر:

وفي كتاب كليلة ودمنة: «ثلاثة لا يسلم عليها إلا القليل: صحبة السلطان، وائتمان النساء على الأسرار، وشرب السم على التجربة»(٤).

هل أنت منهم:

عن يونس بن ميسرة قال: «ثلاثة يحبهم الله: من كره سوءًا يأتيه إلى أخيه وصاحبه، فذلك أَمِنَ أن يستحي من الله، ومن كان ذا رفعة من الناس فتواضع لله، فذلك عرف عظمة الله فيخاف مقته، ومن كان عفوه قريبًا من إساءته، فذلك تقوم به الدنيا»(٥).

---

(١) بهجة المجالس.

(٢، ٣) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٧٥.

(٤) نهاية الأرب للنويري.

(٥) المستطرف للأبشيهي.

همة عالية:

قال حكيم: «ثلاثة أشـياء لا تنـال إلا بارتفـاع همـة وعظـيم خطـر: عمـل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو»(١).

مهلكات:

قال الحسن: «أصول الشر ثلاثة: الحـرص والحـسد والكـبر، فـالكبر منـع إبليس من السجود لآدم، والحرص أخرج آدم من الجنَّة، والحسد حمل ابـن آدم على قتل أخيه»(٢).

افعلوا الخير:

وقال ميمون بن مهران: «ثلاثة تُؤدَّى إلى البَرِّ والفـاجر: الأمانـة تـؤدى إلى البَرِ والفاجر، والعهد يوفى بـه للـبَر والفـاجر والـرحم توصـل بـرَّة كانـت أو فاجرة»(٣).

أشياء نادرة:

وقال أيضًا: «ثلاثة لا شيء أقل منهن، ولا يـزددن إلَّا قلـة: درهـم حـلال تنفقه في حلال، وأخ في الله تسكن إليه، وأمين تستريح إلى الثقة به»(٤).

لا حيلة معها:

وقال أحدهم: «ثلاثة ليس لهن حيلة: فقر يخالطه كسل، وخصومة يداخلها حسد، ومرض يداخله هرم»(٥).

عناية واهتمام:

ثلاثة لا يستخف بهـم: «عامـل الـسلطان، والعـالم، والـصديق، لأنَّ مـن استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالعالِمِ أفسد دينه، ومن استخف بالصديق أفسد مروءته»(٦).

---

(١) روضة العقلاء لأبي حاتم البستي.

(٢) نثر الدر لأبي سعد الآبي.

(٣-٦) بهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي.

لكل وجهة:

قال أبو الدرداء ﷺ: «ثلاثة لا يحبهن غيري: أحب الموت اشتياقًا إلى ربي، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي، وأحب الفقر تواضعًا لربي» فذكر ذلك لابن شبرمة فقال: ولكني لا أحب واحدة من الثلاث، أما الفقر، فوالله للغنَى أحب إليَّ منه، لأنَّ الغنى به توصل الرحم، ويحج البيت، وتعتق الرقاب، وتبسط اليد بالصدقة، وأما المرض فوالله لئن أعافى فأشكر أحب إليَّ من أن ابتلى فأصبر، وأما الموت فوالله ما يمنعنا من حبِّه إلا ما قدمناه وسلف من أعمالنا فنستغفر الله[1].

حِسَان:

«ثلاث من أحسن شيءٍ فيمن كن فيه: جود لغير ثواب، ونصَب لغير دنيا، وتواضع لغير ذل»[2].

نفور وضيق:

«ثلاث فيهن كدر العيش: الجار السوء، والولد العاق، والمرأة السيئة الخلق»[3].

تجنب الندم:

وقال عمروبن العاص ﷺ: «ثلاثة لا يُندم على ما سلف إليهم: الله عز وجل فيما عمل له، والمولى الشكور فيما أُسدى إليه، والأرض الكريمة فيما بُـذِر فيها»[4].

خصال التآخي:

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما: «من لم تكن فيه ثلاث خصال فلا تؤاخه: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يطرد به فحشه، وخلق يعيش به في الناس»[5].

(١-٣) بهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي.

(٤، ٥) العقد الفريد لابن عبد ربه.

موجبات التقدير:

وقال محمد بن علي: «الكمال في ثلاثة: الفقه في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التقدير في المعيشة»(١).

أضرار:

وقال حكيم: «ثلاث تضر بأربابها، الإفراط في الأكل اتكالًا على الصحة، والإفراط في العمل اتكالًا على القدر، وتكلف ما لا يطاق اتكالًا على القوة»(٢).

أعمال غير مقيدة:

وقال آخر: «ثلاثة هن للكافر مثلهن للمسلم، من استشارك فانصح، ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه، ومن كان بينك وبينه رحم فصلها»(٣).

أسلحة الشيطان:

وقال آخر: «قال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاثة لم أطالبه بغيرها: إذا عجب بنفسه، واستكثر عمله، وتمنى على بلية»(٤).

كَذِبة:

وقال آخر: «ثلاثة لا يصدقون: صبر الجاهل على المصيبة، وعاقل أبغض من أحسن إليه، وحماة أحبت كنتها»(٥).

فساد العقل:

وقال آخر: «ثلاث يُسَرِّعْنَ إلى العقل الفساد: طول الكفاية، والتعظيم الدائم، وإهمال النفس»(٦).

كمال الإيمان:

وقال آخر: «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له»(٧).

(١، ٢) المجتبى لابن دريد.

(٣-٧) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

عقول المكارين:

قال الحارث المحاسبي: «واعلم أن كل عقل لا يصحبه ثلاثة أشياء فهو عقل مكار: إيثار الطاعة على المعصية، وإيثار العلم على الجهل، وإيثار الدين على الدنيا»(١).

جوانب الصدق:

وقال أيضًا: «الصدق في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به: صدق القلب بالإيمان تحقيقًا، وصدق النية في الأعمال، وصدق اللفظ في الكلام»(٢).

جوانب الصبر:

وقال أيضًا: «الصبر في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به: الصبر عن محارم الله، والصبر على اتباع أمر الله، والصبر عند المصائب احتسابًا لله»(٣).

القناعة:

وقال أيضًا: «القناعة في ثلاثة أشياء: قلة الغذاء بعد وجوده، وصيانة الفقر عند العدم وقلة الأسباب، والسكون إلى أوقات الله - عز وجل - مع حلول الفاقة»(٤).

الزهد:

وقال أيضًا: «الزهد في ثلاثة أشياء، لا يسمى زاهدًا إلا بها: خلع الأيدي من الأملاك، ونزاهة النفس عن الحلال، والسمو عن الدنيا بكثرة الأوقات» (٥).

السعادة:

وقال أيضًا: «الأنس في ثلاثة أشياء: أنس بالعلم والذكر في الخلوة، وأنس باليقين والمعرفة مع الخلوة، وأنس بالله عز وجل في كل حال»(٦).

---

(١) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٢-٦) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي.

صحة اليقين:

وقال أيضًا: «صحة اليقين في ثلاثة أشياء: سكون القلب إلى الثقة بالله، والانقياد لأمر الله، والإشفاق والوجل من سابق العلم»(١).

الخوف:

وقال أيضًا: «والخوف في ثلاثة أشياء: خوف الإيمان وعلامته: مفارقة المعاصي والذنوب، وهو خوف المريدين، وخوف السلف وعلامته: الخشية والإشفاق والورع، وهو خوف العلماء، وخوف الفوت، وعلامته: بذل الجهد في طلب مرضاة الله بوجود الهيبة والإجلال لله - عز وجل، وهو خوف الصدِّيقين»(٢).

المحبة:

وقال أيضًا: «والمحبَّة في ثلاثة أشياء لا يسمى محبًا لله - عز وجل- إلا بها: محبَّة المؤمنين في الله - عز وجل، وعلامة ذلك: كف الأذى عنهم، وجلب المنفعة إليهم، ومحبَّة الرسول لله - عز وجل، وعلامة ذلك: اتباع سنته قال الله جل ذكره: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٣) ومحبة الله - عز وجل- في إيثار الطاعة على المعصية»(٤).

ولا تظلم كل نفسٍ إلا عليها:

قال أبو عاصم النبيل: «ثلاثة عائدة على فاعلها: البغي، والمكر، والنكث، قال الله - عز وجل: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾(٥) وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾(٦) وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾(٧).

(١، ٢، ٤) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٥) يونس: ٢٣.

(٦) فاطر: ٤٣.

(٧) الفتح: ١٠.

سقوط الحيلة:

وقال حكيم: «ليس لثلاث حيلة: فقر يخالطه كسل، وخصومة يداخلها حسد، ومرض يداخله هرم»(١).

تحذير:

قال إبراهيم الخواص: «إيَّاك وصحبة اثنين: الأول ذو صبر إن حملك على حاله هلكت، والثاني شريف كلما تخلقت معه بخلق جميل يرى الفضل له عليك، وأنَّه يستحق ذلك منك لشرفه»(٢).

تقديم وتأخير:

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «ينبغي للملك أن يعمل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة في سلطان الغضب، وتعجيل المكافأة للمحسن، والعمل بالأناة فيما يحدث، فإنّ له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة في الطاعة من الرعية، وفي الأناة انفتاح الرأي واتضاح الصواب»(٣).

تعجيل الخير وستره:

وقال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: «احفظ عني ثلاثا: إذا صنعت معروفًا فعجِّله فإنَّ تعجيله تهيئته، وإن رأيت أنَّه كبير فصغره، فإن تصغيرك إياه أعظم له، وإذا فعلته فاستره، فإنَّه إذا ظهر من غيرك كان أكثر لقدره وأحسن في الناس»(٤).

تمام القوة:

وقال حكيم: «كل ملك لا يجتمع فيه ثلاث قوى فملكه مسلوب: القوة الأولى: قوة الحلم وثمرتها العفو، والقوة الثانية: قوة حفظ الرعية وثمرتها

(١، ٢) المخلاة للعاملي.

(٣، ٤) الجوهر النفيس لابن الحداد.

عمارة المملكة، والقوة الثالثة: قوة الشجاعة وثمرتها في الملوك الثبات وعند الجند الإِقدام»[١].

الشماتة الباقية:

وقال بعض العلماء: «ثلاثة تمنع عنهم الرحمة، وتنزل بهم الشماتة في ثلاثة أحوال: أحدهم المبذر لماله حين تنزل الفاقة به، الثاني: الشره النهم حين تصيبه الهيضة، والثالث الظالم المعتدي حين تنزل به العقوبة»[٢].

طعم الإيمان:

وقال ضمرة: «ثلاث من لم تكن فيه لم يجد طعم الإيمان: علم يحجزه عن جهل الجاهل، وورعٌ يحجزه عن المحارم، وخُلق يُعاشر به الناس»[٣].

رباعيات في الحكمة

حفظ الملك:

أربعة لا يزول معها ملك: «حفظ الدين، واستكفاء الأمين، وتقديم الحزم، وإمضاء العزم».

ضياع الملك:

أربعة لا يثبت معها ملك: «غش الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية».

مستحيلات:

أربعة لا مطمع فيها لعاقل: «غلبةُ القضاء، ونصيحة الأعداء، وتغييرُ الخُلُقِ، ورِضَا الخَلْقِ».

صناعة الحب:

أربعة تولد المحبة: «حسن البشر، وبذل البر، وقصد الوفاق، وترك النفاق».

(١، ٢) النهج المسلوك للشيزري.

(٣) محاضرة الأبرار لابن العربي.

منفّرات:

أربعة تتولـد مـن أربعـة: «الـشر مـن المـمازحـة، والـبغض مـن المكاوحـة، والوَحشة من الخلاف، والنَبْوَةُ من الاستخفاف».

سلامة الرأي:

أربعة تدل على صحة الرأي: «صحة الفِكر، وحفظ السر، وفرط الاجتهاد، وترك الاستبداد».

مسالك الدهاء:

أربعة يستدل بها على الدهاء: «تذرُّع الغصص، وانتهاز الفرص، واستمداد الآراء، ومداهنة الأعداء».

مسالك الجهل:

«أربعة تدل على الجهل: صحبة الجهول، وكثرة الفـضول، وطاعـة الهـوى، ومشاورة الحمقى».

تراجع:

أربعة تدل على الإِدبار: «سوء التدبير، وقبح التبذير، وقلة الاعتبار، وكثـرة الاغترار»(١).

القلب لا يحتمل:

* قيل لأبي عمرو الشيباني: لأي شيء يكون الثقيل أثقل على الإنسان مـن الحمل الثقيل؟ فقال: «لأن الثقيل يقعـد عـلى القلـب، والقلـب لا يحتمـل مـا يحتمل الرأس والبدن من الثقل».

مقاطعة دائمة:

* وقال الشاعر:

إِذَا جَلَـسَ الثَّقِيــلُ إِلَيْــكَ يَوْمًــا ... أَتَتْــكَ عُقُوَبــةٌ مِــنْ كُــلِّ بَــابِ

(١) فرائد الخرائد في الأمثال لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخوبي ـ نشر الرئاسة العامة لرعاية الشباب ـ السعودية.

فَهَـلْ لَـكَ يَـا ثَقِيـلُ إلى خِـصَالٍ تَنَـالُ بِبَعْـضِهَا كَـرَمَ المَـآبِ
إِلَى مَـالِي فَتَأْخُـذُهُ جَمِيعًـا أَحَـلُّ لَـدَيْكَ مِـنْ مَـاءِ السَّحَابِ
وتَنْتِـفُ لِحْيَتِـي وتَـدق أَنْفِـي ومَـا فِي فِيَّ مِـنْ ضِرْسٍ ونَـابِ
عَـلَى أَنْ لاَ أَرَاكَ ولاَ تَـرَانِي مُقَاطَعَـةً إِلَى يَـوْمِ الحِسَابِ

التعجل المحمود:

قال الأحنف بن قيس ﷺ: «لا تحمد العجلة إلا في أربعة مواضع: تزويج الأيم إذا وجد لها كفؤ، ودفن الميت، وركوب الأهوال، وصنع المعروف»[1].

إجماع الحكماء:

اجتمع حكماء العرب والعجم على أربع كلمات، وهي: «لا تُحَمِّل نفسك ما لا تطيق، ولا تعمل عملًا لا ينفعك، ولا تغتر بامرأة وإن عفت، ولا تثق بمال وإن كثر»[2].

التقدير الصحيح:

قال حاتم الأصم: «أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: قدر الشباب لا يعرفه إلا الشيوخ، وقدر العافية لا يعرفه إلا أهل البلاء، وقدر الصحة لا يعرفه إلا المرضى، وقدر الحياة لا يعرفه إلا الموتى»[3].

أمارات الأخوة:

وقيل: «أربع تعرف بهن الأُخُوَّة: الصفح قبل الاستقالة، وتقدُّم حسن الظن قبل التهمة، ومخرج العذر قبل العتب، وبذل الود قبل المسألة»[4].

احرص عليهن:

وقال الحسن: «أربع من كنَّ فيه ألقى الله عليه محبته، ونشر عليه رحمته: من برَّ والديه، ورفق بمملوكه، وكفل اليتيم، وأغاث الضعيف»[5].

(١-٣) الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٤،٥) بهجة المجالس لابن عبد البر.

أنفة مرفوضة:

«أربع لا ينبغي للشريف أن يأنف منهن: قيامه عن مجلسه لأبيه، وحديثه ضيفه، وقيامه على فرسه -وإن كان له مائة عبد- وخدمته العالم ليأخذ من علمه»(١).

الأخذ والترك:

ذكر بعض قريش عبد الملك بن مروان فقال: «كان آخذًا لأربع، تاركًا لأربع: يأخذ بأحسن الحديث إذا حَدَّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤنة إذا خولف، وبأحسن البشر إذا لقي، وكان تاركًا لمحادثة اللئيم، ومنازعة اللجوج، ومماراة السفيه، ومصاحبة المأفون»(٢).

جماع الأمر وتوارثه:

وقال الحسن البصري ﷺ: «لما هبط آدم أوحى الله إليه: أربع فيهن جماع الأمر لك ولولدك من بعدك، أما واحدة فلي، وأما الثانية فلك، وأما الثالثة فبيني وبينك، وأما الرابعة فبينك وبين الناس. أما التي لي: فتعبدني ولا تشرك بي شيئًا، وأما التي لك، فعملك أجزيكه أفقر ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك، فعليك الدعاء وعليَّ الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فتصاحبهم بما تحب أن يصاحبوك به»(٣).

أمور لا تقوم إلا بنفسها:

أربعة تحتاج إلى أربعة: «الحسب إلى الأدب، والسرور إلى الأمن، والقرابة إلى المودَّة والعقل إلى التجربة»(٤).

قال أردشير: «أربعة تؤدي إلى أربعة: العقل إلى الرياسة، والرأي إلى السياسة والعلم إلى التصدير، والحلم إلى التوقير»(٥).

(١-٣) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٤-٥) المستطرف للأبشيهي.

أربعة توصل إلى أربعة: «الصبر إلى المحبوب، والجِدُّ إلى المطلوب، والزهد إلى التقى، والقناعة إلى الغنى»[(١)].

أربعة لا تستغني عن أربعة: «الرعية عن السياسة، والجيش عن القادة، والرأي عن الاستشارة، والعزم عن الاستخارة»[(٢)].

أربع منجيات:

قال عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما: «أربع من كنَّ فيه بوِّئ بهن بيتًا في الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله، وإن أصاب دنيا استغفر الله، وإن جرت عليه نعمة، قال: الحمد لله، وإن أصابته مصيبة استرجع فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون»[(٣)].

قليلها كثير:

وقيل: أربعة أشياء لا يستقل قليلها «المرض والنار والدَيْن والعداوة»[(٤)].

زوال النعم:

أربعة يَزُلن بأربعة: «النعمة بالكفران والقدرة بالعدوان، والدولة بالإغفال، والحظوة بالإدلال»[(٥)].

وقاية المكروه:

قال فيثاغورس: «من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لاينزل به من المكروه ما ينزل بغيره: العجلة والعجب واللجاجة والتواني، فثمرة العجلة الندامة، وثمرة اللجاجة الجنون، وثمرة العجب البغضاء، وثمرة التواني الذِّلة»[(٦)].

نجاح وصلاح:

قال رجل لمِلك: «أوصيك بأربع خلال، ترضي بهن ربَّك، وتصلح بهن رعيتك: لا يغرنك ارتقاء السهل إذا كان المنحدر وعرًا، ولا تعدن عِدة ليس في

(١) المستطرف للأبشيهي.

(٢-٦) لباب الآداب لأسامة بن منقذ.

يدك وفاؤها، واعلم أنَّ لله نقمات فكن على حذرٍ، واعلم أنَّ للأعمال جزاءً فاتق العقاب»[١].

خور وضعف:

وقال حكيم: «أربعة أشياء تسرع انحلال النفس: تجرع المغايظ، وقصور الغارات، ورد النصائح، وتضاحك ذوي البخوت بذوي العقول»[٢].

قبائح بغيضة:

قال أنوشروان: «أربعة قبائح وهي في أربعة أقبح: البخل في الملوك، والكذب في القضاء، والحسد في العلماء، والوقاحة في النساء»[٣].

آداب مرعية:

قال الشافعي -رحمه الله: «في الأكل أربعة أشياء فرض، وأربعة سُنَّة، وأربعة آداب: أما الفرض فغسل اليدين والقصعة والسكين والمغرفة، وأما السنَّة، فالجلوس على الرجل اليسرى، وتصغير اللقم، والمضغ الشديد، ولعق الأصابع، وأما الآداب، فلا تمدد يدك حتى يمد من هو أكبر منك، وأن تأكل مما يليك، وقلة النظر في وجوه الناس، وقلة الكلام»[٤].

أصناف الرجال:

وقال ابن المقفع: «الرجال أربعة: اثنان تختبر ما عندهما بالتجربة، واثنان قد كفيت تجربتهما: فأما اللذان تحتاج إلى تجربتهما، فإنَّ أحدهما بَرٌّ كان مع أبرار، والآخر فاجر كان مع فجَّار، فإنك لاتدري لعل البرَّ منهما إذا خالط الفجار أن يتبدَّل فيصير فاجرًا، ولعلَّ الفاجر منهما إذا خالط الأبرار أن يتبدل فيصير برًا، فيتبدَّل البرُّ فاجرًا والفاجر برًّا، وأما اللذان قد كفيت تجربتهما، وتبين لك ضوء

(١) زهر الآداب للقيرواني.

(٢، ٣) كتاب الآداب، لجعفر بن شمس الخلافة.

(٤) المخلاة للعاملي.

أمرهما، فإنَّ أحدهما فاجر كان في أبرار، والآخر برٌ كان في فُجَّار»(١).

الاكتمال في الطعام:

وعن شهربن حوشب قال: «كان يقال: إذا اجتمع للطعام أربع فقـد كمـل كل شيءٍ: إذا كان أوَّله حلالًا، وذكر اسم الله تعالى عليه حين يوضع، وكثـرت عليه الأيدي، وحُمد الله تعالى حين يفرغ منه»(٢).

ساعات هامة:

وقال ابن المقفع: «على العاقل ـ ما لم يكن مغلوبًا - أن لايشغله شـغل عـن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربِّـه، وسـاعة يحاسـب فيهـا نفـسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يَصْدُقُونه عن عيوبه وينـصحونه في أمره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذَّاتها مما يحل ويجمل، فإنَّ هذه الساعات عون على الساعات الأخر، وإن اسـتجمام القلـوب وتوديعهـا زيـادة قـوة لهـا وفضل بلغة»(٣).

خماسيات في الحكمة

أشياء تستحق المجاهدة:

قال علي ﷺ: «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبـل لكـان قلـيلا: لايَرْجُوْنَّ أحدكم إلا ربَّه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي إذا سئل عما لايعلـم أن يقول لاأعلم، وإذا لم يعلم أن يتعلم، واعلموا أنَّ الصبر من الإيمان بمنزلـة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد»(٤).

معالم الإقامة:

قال الأحنف بن قيس: «لا ينبغي أن تنزل بلدًا حتى يكون فيه خمس خـصال:

(١، ٣) الأدب الصغير لابن المقفع.

(٢) لباب الآداب لابن منقذ.

(٤) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

سلطان قاهر، وقاضٍ عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار»[١].

أمارات الذل:

وقال الزهري: «الذُّل في خمسة أشياء: حضور المجلس بلا نسخة، وعبور المعبر بلا قطعة، ودخول الحمام بلا خادم، وتذلل الشريف للدنيء لينال منه، والتذلل للمرأة لينال من مالها»[٢].

أهل المروءة:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «مَنْ لم يكن فيه خمس فلا ترجوه لشيءٍ من الدنيا والآخرة: من لم يُعرف بالوثيقة في أرومته، والكرم في طبيعته، وبالدماثة في خلقه، وبالنبل في نفسه، وبالمخافة لربه»[٣].

هدر وهلاك:

وقيل: «خمسة أشياء أضيع شيء في الدنيا: سراج يوقد في الشمس، ومطر وابل في أرضٍ سبخة، وامرأة حسناء تُزف إلى عنين، وطعام يستجاد ثم يقدم إلى سكران أوشبعان، ومعروف تصنعه عند من لا يشكرك»[٤].

الباقيات الصالحات:

قال الأوزاعي: «خمسة كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنَّة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله»[٥].

الندم:

قال ابن المقفع: خمسة مفرطون في خمسة أشياء مندَّمون عليها: الواهن المفرِّط إذا فاته العمل، والمنقطع من إخوانه وصديقه إذا نابت النوائب، والمستمكن منه عدوه لسوء رأيه إذا تذكر عجزه، والمفارق للزوجة الصالحة إذا ابتلى بالطالحة، والجريء على الذنوب إذا حضره الموت»[٦].

(١-٥) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٦) الأدب الصغير لابن المقفع.

مأواهم الجنة:

وعن عمر ﷺ قال: «لولا ادعاء الغيب لشهدت على خمسة تقـرر أنهـم مـن أهل الجنَّة: الفقير صاحب العيال والمـرأة الـراضي عنهـا زوجهـا، والمتـصدقة بمهرها على زوجها، والراضي عنها أبوها، والتائب من الذنب»[(١)].

وسائل الكمال:

قال ابن السماك: الكمال في خمس: ألا يعيب الرجل أحـدًا بعيـب فيـه مثلـه حتى يصلح ذلك العيب من نفسه، فإنَّه لايفرغ من إصلاح عيب واحد، حتـى يهجم عليه آخر فتشغله عيوبه عن عيـوب النـاس. والثانيـة: ألا يطلـق لـسانه ويده حتى يعلم أفي طاعة أومعصية. والثالثة: ألا يلتمس من النـاس إلا مـثلما يعطيهم من نفسه. والرابعة: أن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم. والخامسة: أن ينفق الفضل من ماله ويمسك الفضل من حاله»[(٢)].

قبائح:

وقال بعض الحكـماء: «خمـسة أشـياء تقـبح في خمـسة: الحـرص في القُـرّاء، والحدة في الأمراء، والبخل من ذوي الأصول، والفحش من ذوي الأحساب، والفتوة من ذوي الأسنان»[(٣)].

وكان يقال: «خمسة تقـبح في خمـسة: ضـيقُ ذَرْعِ الملـوك، وسرعـةُ غـضب العلماء، وفحش النساء، ومرض الأطباء، وكذب القضاة»[(٤)].

راحة وسرور وصلاح:

وقال أردشـير: «أوصـيكم بخمـسة فـيهن راحـة أبـدانكم ودوام سروركـم وصلاح أموركم: الرضا بالقسم والقمع لفاحش، والحرص والتنزه من الحـسد،

(١) حدائق الأزاهر للغرناطي.
(٢) البصائر والذخائر للتوحيدي.
(٣) الجوهر النفيس لابن الحداد.
(٤) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

والتعزي عند مضنون به أدبر، ومرجو فات، وترك السعي فيما لايوافق نجحه وتمامه، فإنَّ من لم يرضَ بما قسم له طالت معاتبته، ومن فحش حرصه ذلت نفسه، ومن أتى إلى المنافسة والحسد لمن فوقه لم يزل مغمومًا، ومن أطال أساه على ما أدبر عنه لم يزل مهمومًا فيما لا منفعة فيه، ومن شغل نفسه بتمني الأشياء لم يخل قلبه من الأحزان، وحمل على نفسه عبئاً ثقيلًا ليس للراحة فيه غاية، ومن سعى فيما لاتمام له كانت عاقبته الحسرة والندامة»[١].

دعاء لا يسمع:

قال إبراهيم بن أدهم: «من دعى فلم يستجب له فلخمسة أشياء: عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن فلم تعملوا به، وقلتم: نحب الرسول ﷺ وتركتم سنته، وقلتم: نلعن إبليس وأطعتموه ، والخامسة: تركتم عيوبكم وأخذتم في عيوب الناس»[٢].

سداسيات في الحكمة

صحبة الأشرار:

قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا خير في صحبة من اجتمعت فيه ست خصال: إن حدَّثك كذبك، وإنْ حدَّثته كذَّبك، وإن ائتمنته خانك، وإن ائتمنك اتَّهمك، وإن أنعمت عليه كفرك، وإن أنعم عليك منَّ بنعمته»[٣].

عمارة الدنيا:

قال بعض الحكماء: «عمارة الدنيا منوطة بستة أشياء: أولها: التوفر على المناكح، وقوة الداعي إليها التي لو انقطعت لانقطعت أسباب التناسل معها، وثانيها: الحنو على الأولاد، الذي لو زال من الحيوان لزال سبب التربية وكان في ذلك الهلاك، وثالثها: انبساط الأمل الذي به يتعاظم الحرص على المعايش

---

(١) المجتبى لابن دريد.
(٢) جامع العلوم لابن عبد البر.
(٣) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

والمهن، والعمارة والعمل، ورابعها: عدم العلم بمبلغ الأجل الـذي يـصح بـه انبساط الأمل، وخامسها: اختلاف أحوال البشر في الغنـى والفقـر، وحاجـة بعـضهم إلى بعـض، فـإنَّهم لـو تـساووا في حالـة واحـدة هلكـوا في الجملـة، وسادسها: وجود السلطان إذ لولا هيبته لأهلك الناس بعضهم بعضًا»[1].

دعائم الملك:

وقال حكيم: «ينبغي للمَلِكِ أن يكون له ستة أشياء: وزير يثق بـه ويفـضي إليه بسره، وحصن يلجأ إليه إذا فزع، وسيف إذا نازل الأقران لم يخـف نَبْوَتَـه، وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابته نائبة حملها معه، وامرأة حـسناء إذا دخـل إليهـا أذهبت همّه، وطباخ حاذق إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه»[2].

السخاء الحقيقي:

قال آخر: «السخي من كانت فيه ست خصال: أن يكـون مـسرورًا، يَبْـذُلُ ماله، متبرعًا بعطائه، لايتبعه منًّا ولا أذًى، ولا يطلب عليـه عوضًـا مـن دنيـا، يرى أنه بما يفعله مؤديًا فرضًا، ويعتقد أنَّ الذي يقبل عطاءه قاضٍ له حقًا»[3].

العجلة أم الندامة:

وقال رجل لابنه: «يا بني: إيَّـاك والعجلـة فـإن العـرب كانـت تكنيهـا أُمَّ الندامة، لأن فيها عيوبًا ستة: يقـول صـاحبها قبـل أن يعلـم، ويجيـب قبـل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدِّر، ويحمد قبل أن يجرِّب، ويَنـدم قبل أن يختبر»[4].

للشرفاء وحدهم:

وقال رجل: «ست خصال لا يطيقها إلا من كانت نفـسه شريفـة: الثبـات عند حدوث النعمة الجسيمة، والصبر عند نـزول المـصيبة العظيمـة، وجـذب النفس إلى العقل عند دواعـي الـشهوة، وكـتمان الـسر، والـصبر عـلى الجـوع،

(١-٤) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

واحتمال الجار»[١].

خصال الجهال:

قال الحكماء: «ست خصال تُعرف في الجاهل: الغضب من غير شيءٍ، والكلام في غير نفع، والفطنة في غير موضع، ولا يعرف صديقه من عدوه، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد»[٢].

لوم النفس:

وقال بعضهم أيضًا: «ستة إذا أهينوا فلا يلومون إلا أنفسهم، المستخف بالسلطان، واللاعب مع الصبيان، ومعترض السكران، والمقبل بحديثه على من لايسمعه، ومن قعد مقعدًا ليس بأهل له، ومن تقدَّم إلى طعام لم يدع إليه»[٣].

إصابة السلطان:

وقالوا أيضًا: «إنما يؤتى السلطان من قِبل ست خلال: الحرمان، والفتنة، والهوى، والفظاظة، والزمان، والخرق، فأما الحرمان: فأن يُحرم من الأعوان والنصحاء والساسة، أهل الرأي والنجدة والأمانة أو يقصد بعض من هو كذلك منهم، وأمَّا الفتنة: فتحزب الناس ووقوع الحرب بينهم، وأما الهوى: فالإغرام بالنساء والدعة والشراب أو بالصيد وما أشبه ذلك، وأما الفظاظة: فإفراط الشدَّة حتى ينبسط اللسان بالشتم، واليد بالبطش في غير موضعهما، وأما الزمان: فهو ما يصيب الناس من السنين والموتان ونقص الثمرات والغرق وأشباه ذلك، وأما الخرق: فإعمال الشدَّة في موضع اللين وإعمال اللين في موضع الشدَّة»[٤].

---

(١) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٢) نهاية الأرب للنويري.

(٣) حدائق الأزاهر للغرناطي.

(٤) لباب الآداب لابن منقذ.

القرب من الجنة والبعد عن النار:

وقال علي ﷺ: «من جمع ست خصال لم يدع للجنَّة مطلبًا، بَلْ وَجَدَ عن النار مهربًا وهي: عرف الله تعالى فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فروَّضها، وعرف الآخرة فطلبها»[(١)].

المروءة:

وقال ربيعة: «المروءة ست خصال: ثلاث في الحضر، وثلاث في السفر، فأما التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، ومداعبة الرفيق، وأما التي في الحضر: فتلاوة القرآن، ولزوم المساجد، وعفاف الفرج»[(٢)].

كآبة وأحزان:

قال حكيم: «ستة لا تخطئهم الكآبة: فقير قريب العهد بالغنى، ومكثر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحقود والحسود، وخليط أهل الأدب وهو غير أديب»[(٣)].

قاتل نفسه:

قال حكيم: «ستة من مات منها فهو قاتل نفسه، من أكل طعامًا قد أكله مرارًا فلم يوافقه، ومن أكل فوق ما تطيق معدته، ومن أكل قبل أن يستمرئ ما أكل، ومن رأى بعض أخلاط جسده قد همَّ بهيجان ورأى دلائل ذلك فلم يستدركها بالأدوية المسكنة، ومن أطال حبس الحاجة إذ هاجت به، ومن أقام بالمكان الموحش وحده»[(٤)].

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر.

(٣، ٤) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

سباعيات في الحكمة

معرفة العقول:

وقال حكيم: «سبعة أشياء تدل على عقـول أصـحابها: المـال يكـشف عـن مقدار عقل صاحبه، والحجة تكشف عن مقدار عقل صاحبها، والمصيبة تـدل على مقدار عقل من نزلت بـه، والغـضب يـدل عـلى مقـدار عقـل الغـضبان، والكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه، والرسول يدل على مقدار عقـل مرسـله، والهدية تدل على مقدار عقل مهديها»(١).

سلامة في الدنيا والدين:

وقال بعض الحكماء: «اجتنب سبع خصال يشرح جسمك وقلبك، ويسلم دينك وعرضك: لا تحزن على ما فاتك، ولا تحمِّل على قلبـك هـمَّ مـا لم ينـزل بك، ولا تلم الناس على ما فيك مثله، ولا تطلب الجـزاء عـلى مـا تعمـل، ولا تنظر بالشهوة إلى ما لاتملك، ولا تغضب على من لايضره غـضبك، ولا تمـدح من يعلم من نفسه خلاف ذلك»(٢).

لا ملل:

قال المأمون: «سبعة أشياء لا تُمَل: أكل الخبز، وشرب الماء العـذب، وأكـل لحم الضأن، والثوب اللين، والرائحة الطيبة، والفـراش الـوطيء، والنظـر إلى كل شيء حسن»(٣).

توابع حسنة:

قال ابن المقفع: «سبعة أمور تَبَعٌ لسبع: فالمروءات كلها تبع للعقل، والرأي تبع للتجربة، والغبطة تبع لحسن الثناء، والـسرور تبـع للأمـن، والقرابـة تبـع للمودَّة، والعمل تبع للقدر، والجدة تبع للإنفاق»(٤).

(١، ٢) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٣) المخلاة للعاملي.

(٤) الأدب الصغير لابن المقفع.

وصية جامعة:

وعن أبي ذر ﷺ قال: «أوصاني خليلي بسبع: أن أنظر إلى من هـو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وبحب المساكين والدنو منهم، وأن لاأسأل أحدًا شيئًا، وأن أصل رحمي وإن أدبروا، وأن أقول الحق وإن كان مُرًّا، وأن أقـول لاحـول ولا قوة إلا بالله، وأن لا أخاف في الله لومة لائم»(١).

ثمانيات في الحكمة

خصال المؤمن:

وقال الصادق- رحمه الله: «ينبغي أن يكون في المؤمن ثـماني خـصال: وقـار عند الهزاهز، وصبر عنـد الـبلاء، وشـكر عنـد الرخـاء، وقنـوع بـما رزقـه الله عزوجل، ولا يظلم الأعداء، ولا يتحامل على الأصدقاء، وأن يكون بدنه معـه في تعب، والناس معه في راحة»(٢).

خصال القائد:

وقال بعض الحكماء: «ينبغي أن يجتمع في قائد الجيش ثـماني خـصال: وثبـة الأسد، واستلاب الحدأة، وختل الذئب، وروغـان الثعلـب، وصـبر الجمـل، وحملة الخنزير، وبكور الغراب، وحراسة الكركي»(٣).

صُنْ نفْسَكَ:

وقال آخر: «ثمانية إذا أهينوا فلا يلومـون إلا أنفـسهم: الآتي مائـدة لم يُـدْعَ إليها، والمتآمر على صاحب البيت في بيتـه، والـداخل بـين اثنـين في حـديث لم يُدْخِلاه فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس في مجلس ليس له بأهل، والمقبـل بحديثه على من لايسمعه منه، وطالب الخير من أعدائه، وراجـي الفـضل مـن عند اللئام»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩) والطبراني في الأوسط (٧٧٣٩) والبيهقي في شعب الإيمـان (٣٤٢٩) عـن أبي ذر ﷺ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٣): «رواه أحمد والطبـراني في الأوسـط بنحـوه وأحد إسنادي أحمد ثقات».

(٢- ٤) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

أحب الأبناء:

وقال لؤي بن غالب لامرأته: «أي بنيك أحب إليك؟ فقالـت: الـذي فيـه ثماني خلال: لايخامر عقله جهل، ولا يخالط حلمه سفه، ولا يلوي لسانه عَـيٌّ، ولا يفسد يقينه ظن، ولا يغير بره عقـوق، ولا يقـبض يـده بخـل، ولا يكـدر صنعه مَنٌّ، ولا يرد إقدامه جبن. قال: ومن هو؟ قالت: ولدك كعب»[١].

على الطريق:

وقال حكيم: «أشبه الناس بالرسول ﷺ من اجتمعت فيه ثماني خلال: من كان أحسنهم خلقًا، وأعظمهم حلمًا، وأبرَّهم بقرابته، وأشدهم حبًّا لإخوانه في دينه، وأصبرهم على الحق، وأكظمهم للغيظ، وأكرمهم عفـوًا، وأكثـرهم مـن نفسه إنصافًا»[٢].

مضيِّعَات:

وقالوا: «ثمانية من أضيع الأشياء: عالم بين جهال فلا يَسْأَلُونه عن علمه، وعلـم عند من لا يعمل به، ورأي صواب عند من لا يقبل منه، وآلـة جهـاد عنـد جبـان، ومسجد عند قوم لايصلون فيه، ومصحف عند من لايقرأ فيه، وطـول عمـر عنـد من لايتزود فيه للمعاد، ومال عند من لا ينفق منه في الحقوق والمواساة»[٣].

توافق:

ثمانية أشياء تحتاج إلى ثمانية لاتصلح إلا بها ولا تحسن إلا معهـا: العقـل إلى التجارب، والنجدة إلى الجسد، والحسب إلى الأمـن، والقرابـة إلى الـصداقة، والشرف إلى التواضع، والعمر إلى الصحة، والمال محتاج إلى الكفاية، والاجتهاد محتاج إلى التوفيق»[٤].

(١،٢) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٣، ٤) المخلاة للعاملي.

تساعيات في الحكمة

انقطاع الأطماع:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: «ارتجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه تسع كلمات، قطعت الأطماع عن اللحاق بواحدة منهن، ثلاث في المناجاة، وثلاث في العلم، وثلاث في الأدب، فأما التي في المناجاة فقوله: كفاني عزًّا أن تكون لي ربًّا، وكفاني فخرًا أن أكون لك عبدًا، أنت لي كما أحب فوفقني لما تحب، وأما التي في العلم فقوله: المرء مخبوء تحت لسانه، تكلموا تعرفوا، ما ضاع امرؤ عرف قدره، وأما التي في الأدب فقوله: أنعم على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحَتْجْ إلى من شئت تكن أسيره»(١).

وصية ربانية:

قال ﷺ: «**أوصاني ربي بتسع: بالإخلاص في السر والعلانية، وبالعدل في الرضا والغضب، وبالقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطى من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكرًا ونطقي ذكرًا، ونظري عبرًا**»(٢).

النعمة:

وقيل لحكيم: ما النعمة؟ قال: «هي في تسعة أشياء: في الغنى، فإنِّي رأيت الفقير لا ينتفع بعيش، والأمن فإنِّي رأيت الخائف لا ينتفع بعيش، والصحة فإنِّي رأيت المريض لا ينتفع بعيش، وحسن الخُلق فإنِّي رأيت الضجور لا ينتفع بعيش، والشباب فإنِّي رأيت الهرم لا ينتفع بعيش، والعز فإنِّي رأيت الذليل لا ينتفع بعيش، والوطن فإنِّي رأيت الغريب لا ينتفع بعيش، والإخوان فإنِّي رأيت الوحيد لا ينتفع بعيش، والزوجة الصالحة فإنِّي رأيت الأعزب لا ينتفع بعيش»(٣).

---

(١) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٢) ذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣٥٨) وقال: «رواه رزين».

(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر.

مهلكات:

وقال آخر: «تسع خـصال تـضُر وتَغُـر ولـيس لأحـد فيهـا عـذر: الحقـد، والحـسد، والبخـل، والجـبن، والغيبـة، والنميمـة، والخيانـة، والكـذب، والغدْر»(١).

شروط العلم:

وقال حكيم: «شروط العلم تسعة: العقل، والفطنة، والـذكاء، والـشهرة، والكفاف من العيش، والفراغ، وعدم الممانعة، وطول العمـر، ومعلـم عـارف سمح»(٢).

عشريات في الحكمة

مذامّ السفر:

قال حكيم: «في السفر عشر خصال مذمومة: مفارقة الإنـسان مـن يألفـه، ومصاحبة من لايشاكله، والمخاطرة بما يملكه، ومخالفة العادة في أكلـه ونومـه، ومباشرة الحر والبرد بجسمه، ومجاهدة البول في إمساكه، ومقاساة سوء عـشرة المكَّارين، وملاقاة الهوان من العشارين، والدهشة التي تناله عند دخوله البلد، والذل الذي يلحقه في ارتياد المنزل»(٣).

تحرز وصيانة:

وقال حكيم: «احفظ عشرًا من عشر: أناتك مـن التـواني، وإسراعـك مـن العجلة، وسخاءك من التبذير، واقتصادك من التقتير، وإقـدامك مـن الهـوج، وتحرزك من الجبن، ونزاهتك من الكبر، وتواضعك من الدناءة، وأنـسك مـن الاغترار، وكتمانك من النسيان»(٤).

(١، ٣، ٤) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٢) المخلاة للعاملي.

شجرة الإيمان:

وقال حكيم: «الإيمان في عشرة أشياء: المعرفة، والطاعة، والعلم، والـورع، والاجتهاد، والصبر، واليقين، والرضـا، والتـسليم، فأيهـا فقـد صـاحبه بطـل نظامه»(١).

سلامة الجسم:

قال العاملي: «عشر مـن عمـل بهـا دام في سـلامة بـدن وأعـضاء وصـحة وعافية، وهو: أن يباكر بالغذاء، ولا يتمسى في العشاء، ولا يُـدخل أكـلًا عـلى أكل، ولا يشرب على الريق، ولا يكثر من النكاح، وأن يحـذر مجامعـة العجـوز والحائض والمريضة والقبيحة المنظر، وأن لايكـتم بـولًا ولـو كـان راكبًـا، وأن يعرض نفسه على الخلاء قبل النوم، وعليه بالقيء في كل أسبوع مـرة، ويحـترز من الهواء والبرد بعد الخروج من الحمَّام»(٢).

متواليات:

قال ابن المقفع: «عشر لاتـصلح إلا بقرائنهـا: لاينفـع العقـل بغـير ورع، ولا الحفظ بغير عقل، ولا شدَّة البطش بغير شدَّة القلب، ولا الجمال بغير حلاوة، ولا الحسب بغير أدب، ولا السرور بغير أمن، ولا الغنى بغير جود، ولا المروءة بغـير تواضع، ولا الخفض بغير كفاية، ولا الاجتهاد بغير توفيق»(٣).

التحبب للأزواج:

قالت امرأة لابنتها: «كوني لزوجك أمة يكن لك عبدًا، واحفظي عني عشر خصال: الأولى: حسن المصاحبة، ففيها راحة القلب، والثانية: جمـال المعـاشرة بالسمع والطاعة، ففيها رضا الرب، والثالثة: التفقد لموضع عينه فلا تقع عينـه على قبيح منك، الرابعة: التعاهد لموضع أنفه، فلا يجد أنفه منك خبيث رائحـة،

(١) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

(٢) كتاب المخلاة للعاملي.

(٣) الأدب الصغير لابن المقفع.

الخامسة: الحفظ لماله بحسن التـدبير، الـسادسة: رعايـة حـشمه مـع التـدبير، السابعة: التعاهد لوقت طعامه، فحرارة الجوع ملهبة، الثامنة: الـسكوت عنـد منامه، فتنغيص النـوم مغـضبة، التاسـعة: عـدم إفـشاء سره، والعـاشرة عـدم عصيانه في أمره، فإن أفشيت سره لم تأمني مكره، وإن عصيت أمـره أوغـرت صدره».

السلامة والحرية:

ووصى أفلاطون أصحابه قائلًا: «أوصيكم بعشر خِلالٍ: لا تقبـل الرياسـة على أهل مدينتك، ولا تتهاون بالأمر الصغير الذي يتولد عنه الأمر الكبير، ولا تُلاح الغضبان، ولا تجمع في منزلك رئيسين يتنازعان الغلبة، ولا تفرح بسقطة غيرك، ولا تتصلف عند الظفر، ولا تضحك من خطأ غيرك، واقبل الخَطأ مـن الناس بنوع صواب، ولا تغرس البخل في منزلك، وصيِّر العقل عـن يمينـك، وصيِّر الحق عن يسارك فإنَّك تسلم دهرك ولا تزال حرًا»[1].

خِلال المكارم:

وقالت عائشة -رضي الله عنها: «خلال المكارم عشر تكون في الرجـل ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها اللهّ لمن أحبَّ: صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الـرحم، وحفـظ الأمانـة، والتـذمم للجـار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالضائع، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسـهن كلهن الحياء»[2].

خِلال الجفاء:

قال سفيان الثوري: «عشرة أشياء مـن الجفـاء: رجـل أو امـرأة يـدعو ولا يدعو لوالديه ولا للمؤمنين، ورجـل يقـرأ القـرآن ولا يقـرأ في كـل يـوم آيـة، ورجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين، ورجل يمر على المقابر ولم يسلِّم

---

(١) روض الأخيار لمحمد بن قاسم.

(٢) المخلاة للعاملي.

عليهم ولم يَدْعُ لهم، ورجل دخل مدينـة في يـوم الجمعـة ثـم خـرج ولم يـصل الجمعة، ورجل نزل في محلته عالِمٌ ولم يذهب إليه ليتعلم منـه شـيئًا مـن العلـم، ورجلان ترافقا ولم يسأل أحدها عـن اسـم صـاحبه، ورجـل دعـاه رجـل إلى ضيافة، فلم يذهب إلى الضيافة وشاب يضيع شبابه وهو فارغ ولم يطلب العلم والأدب، ورجل شبعان وجاره جائع ولا يعطيه شيئًا من طعامه»(١).

امتحان:

وقال حكيم: «عشرةٌ يُمتحنون عند أعمالهم: المقاتل عند الحـرب، والقـانع عند الحاجة، وذو التؤدة عند الغضب، والتاجر عنـد المبايعـة، والـصديق عنـد الشدائد، والعالِمُ عند العلم، والناسك عند الصبر على العبـادة، والجـواد عنـد العطاء، والأمين عند الوديعة»(٢).

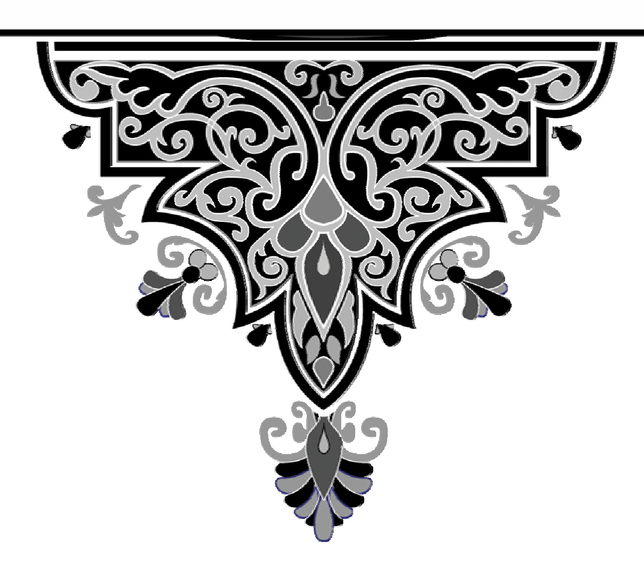


(١) المحاضرات في الأدب للحسن اليوسي.

(٢) تنبيه الغافلين للسمرقندي.



الحكمة
ضالـــة المؤمـــن



منثورات من حكم حِكيم الهند بَيْدَبَا[١]

تلازم

قال: «العلم والحياء إلفان، متآلفان لا يفترقان، متى فُقد أحـدهما لم يوجـد الآخر كالمتصافيين إن عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسـفًا عليه»[٢].

طلب المال:

وقال: «إنما المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقـاء حالـه وصـلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته في أعين الناس، واستغنائه عما في أيـديهم وصرفـه في وجه من صلة الرحم والإنفاق على الولد، والإفضال عـلى الإخـوان، فمـن كان له مال، ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يُعَد فقيرًا، وإن كان مـوسرًا، وإن هو أحسن إمساكه والقيام، لم يعدم الأمرين جميعًا من دنيـا: تبقـى عليـه وحمـد يضاف إليه»[٣].

الرفعة مجاهدة:

وقال: «إنَّ المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروءة، فـالمرء ترفعـه مروءتـه من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة، ومن لامروءة له يحط نفسه مـن المنزلـة الرفيعـة إلى المنزلـة الوضـيعة، وإن الارتفـاع إلى المنزلـة الـشريفة شـديد، والانحطاط منها هين، كـالحجر الثقيـل رفعـه مـن الأرض إلى العـاتق عَـسِر، ووضعه إلى الأرض هَيِن»[٤].

الخير الجامع:

وقال: «لاخير في القول إلا في العمل، ولا في الفِقْـهِ إلا مـع الـورع، ولا في الصداقة إلا مع النية، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفـاء، ولا في الحياة إلا مع الصحة، ولا في الأمن إلا مع السرور»[٥].

---

(١) بيدبا صاحب «كليلة ودمنة» والتي نقلها ابن المقفع إلى العربية فنسبت إليه.

(٢-٥) حكم بيدبا، بقلم عبد العزيز الجانجي- نشر وتوزيع مطبعة وادي الملوك- مصر.

لا جزاء على معروف:

وقال: «إن العقـلاء الكـرام لايبتغـون عـلى معـروف جـزاء، والمـودّة بـين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها، والكريم يود الكريم، واللئيم لايـود أحدًا إلا عن رغبة أورهبة»(١).

العقل والعمل:

وقال: «أشياء ليس لهـا ثبـات ولا بقـاء: ظـل الغمامـة في الـصيف، وخلَّـة الأشرار، والبناء على غير أساس، والمال الكثير، فالعاقل لايحـزن لقلّتـه، وإنَّـما مال العاقل عقله، وما قدم من صالح عمله فهو واثق بأنه لايـسلب مـا عمـل ولا يؤاخذ بشيء لم يعمله، وهو خليق ألا يغفل عـن أمـر آخرتـه، فـإن المـوت لايأتي إلا بغتة ليس له وقت معين»(٢).

حسن العاقبة:

وقال: «العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع الذي يخاف من عـدم تحملـه الجائحـة على نفسه وقومه لم يجزع من شدة الصبر عليـه لمـا يرجـو مـن أن يعقبـه صـبره حسن العاقبة، وكثير الخير فلم يجد لذلك ألمًا، ولم تكره نفسه الخضوع لمـن هـو دونه حتى يبلغ حاجته، فيغتبط بخاتمة أمره وعاقبة صبره»(٣).

الراحة والتعب:

وقال: «يعيش القانع الراضي مستريحًا مطمئنًا، وذو الحرص والشره يعيش ما عاش في تعب ونَصَبٍ»(٤).

عيون من الحكمة من كلام أرسطاطاليس

العدل قوام الملك:

قال أرسطاطاليس: «الحكيم العالم بستان، سياجهُ الدولة، والدولـة ولايـة تحرسها الشَّرِيعة، والشَّريعةُ سنَّة يـسنُّها الملـك، والملـكُ داعٍ يعـضده الجـيش،

(١-٤) حكم بيدبا، بقلم عبد العزيز الجانجي.

والجيش أعوان يكفيهم الرزق، والرزق مـال تجمعـه الرعيـة، والرعيـة عبيـد يستعبدهم العدل، والعدل مألوف وهو قوام العالم»[١].

الإحسان:

وكتب إلى الإسكندر ينصحه: «املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبَّـة منها، فإن مُلكك عليها بإحسانك هو أدوم بقـاء منـه باعتـسافك، واعلـم أنَّـما تملك الأبدان، فتحطها إلى القلوب بالمعروف، واعلم أنَّ الرعيـة إذا قـدرت أن تقول، قدرت أن تفعل، فاجتهد أن لاتقول، تسلم من أن تفعل»[٢].

أخفّ الأشياء:

قيل له: أي الأشياء ينبغي أن يقتنيها العاقل؟ قال: «الأشياء التي إذا غرقت سفينته سبحت معه»[٣].

وقال: «العقل سبب رداءة العيش»[٤].

زينة ومعاش:

وقـال أيـضًا: «الأدب يُكْـسِبُ الأغنيـاء زينـة، ويكـسب الفقـراء معاشًـا يعيشون به بين الإخوان»[٥].

تشبيه:

وقال أيضًا: «العاقل يوافق العاقل، والجاهل لايوافق العاقل ولا الجاهـل، ومثل ذلك المستقيم الذي ينطبق على المستقيم، فأما المعوج فإنَّه لا ينطبـق عـلى المعوج ولا على المستقيم»[٦].

أتبع السيئة الحسنة تمحها:

وقال للإسكندر: «احفظ عني ثلاث خصال؟ قال: وما هـن؟ قـال: صِـلْ عجلتك بتأنيك، وسطوتك برفقك، وضرَّك بنفعك! قـال: زدني، قـال: انـصر الحق على الهوى تملك الأرض ملك الاستعباد»[٧].

(١، ٢) الجوهر النفيس لابن الحدّاد.

(٣-٥) المجتبى لابن دريد.

(٦، ٧) نثر الدر لأبي سعد الآبي.

أجر على عمل:

وقال أيضًا: «لا ينبغي للملك أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرهًا، ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير»[١].

الناس على دين ملوكهم:

وقال أيضًا: «أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعًا لك»[٢].

رذائل مستترة:

وقال أيضًا: «ليس بين الفضيلة والرذيلة مرتبة ثالثة، فمن تكن أقواله دون أعماله فضائل فلا شك أنها رذائل»[٣].

انشغال بالمهمات:

وقال له رجل: بلغني أنَّك اغتبتني؟ فقال: «ما بلغ قدرك عندي أن أدع لك خلَّة من ثلاث، قال: وما الثلاث؟ قال: إما علم أعمل فكري فيه، وإما لذة أعلل فيها نفسي، وإما إقبال على عمل صالح»[٤].

ولا تنس نصيبك من الدنيا:

وقال أيضًا: «ينبغي للرجل أن يعطي نفسه لذَّتها في النهار ليكون ذلك عونًا لها على سائر يومه»[٥].

الاغتراب الحقيقي:

وقال أيضًا: «الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة»[٦].

عيون من الحكمة من كلام فيثاغورس

آفة الكلام:

قال فيثاغورس: «إنَّ أكثر الآفات إنَّما تعرض للحيوانات لعدم الكلام، وتعرض للإنسان من قبل الكلام»[٧].

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة.

(٢-٤) لباب الآداب لابن منقذ.

(٥) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٦) الكشكول للعاملي.

(٧) لباب الآداب لابن منقذ.

الوقاية:

وقال أيضًا: «من استطاع أن يمنع نفسه من أربعـة أشـياء، فهـو خليـق أن لاينزل به من المكروه ما ينزل بغيره: العجلة، واللجاجة، والعجب، والتـواني، فثمرة العجلة الندامة، وثمرة اللجاجة الجنون، وثمرة العجب البغضاء، وثمرة التواني الذلة»(١).

اللسان المبين:

وقال أيضًا وقد مرَّ بقروي عليه ثياب فاخرة وهو يتكلم فـيلحن في كلامـه فقال له: «يا هذا إمـا أن تـتكلم كلامًـا يـشبه لباسـك، أو تلـبس لباسًـا يـشبه كلامك»(٢).

لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك:

وقيل له: من الذي يسلم من معاداة الناس؟ قال: «مَنْ لم يظهر منه خير ولا شر، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنه إن ظهر منه خير عـاداه الأشرار، وإن ظهـر منه شر عاداه الأخيار»(٣).

الاستغناء:

وفخروا عنده بالمال وكثرته فقال: «ما حاجتي إلى المال الذي يعطيـه الحـظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء»(٤).

صعوبة:

وقيل له: «ما أصعب شيء عـلى الإنـسان؟ قـال: أن يعـرف نفـسه ويكـتم الأسرار»(٥).

الطريق واحد:

وقال: «يامعشر الأصدقاء ليس بين الموت في الغربة والوطن فرق، وذلـك أنَّ الطريق إلى الآخرة واحد في جميع المواضع»(٦).

---

(١) لباب الآداب لابن منقذ.

(٢) نثر الدر للآبي.

(٣) الكشكول للعاملي.

(٤-٦) المجتبى لابن دريد.

عيون من الحكمة من كلام سقراط

الشريعة علاج:

قال: «كما نحتاج إلى أطباء الأبدان لأبداننا، كذلك نحتاج إلى أطباء النفوس لأنفسنا، وأطباء الأديان لأدياننا وهم الآخذون لنا بالناموس، أعني الشريعة»(١).

النجدة:

وقال: «التهور ضد الجبن والاعتدال، بينهما فضيلة وهي النجدة»(٢).

شرطي يسرق:

وقال: «ما أصلح للرعية أن لايكون المرتَّب لدفع المظالم عنهم ظالمًا»(٣).

الحرية:

وقال: «الحرية أن لا يملكك الجهل، ولا تفعل ما لايوجبه العقل»(٤).

وقال: «الحرية هي الخروج عن استعباد الشهوات المذمومة في العقل»(٥).

هدف الساخرين:

وقال: «ومن قَبَلَ مديحًا ليس فيه فقد أحبَّ الكذب، واستهدف للسخرية»(٦).

فاستبقوا الخيرات :

وقال: «ابتداء الصنيعة أحسن من المكافأة عليها»(٧).

المحبة:

وقال: «المحبَّة الصحيحة هي التي لايصلحها نفع ولا يفسدها منع»(٨).

طبيب يداوي:

قال سقراط: «ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة المتطبب للمريض»(٩).

(١-٨) لباب الآداب لابن منقذ.

(٩) المجتبى لابن دريد.

وقال أيضًا: «اللذة خناق من عسل»[١].

تعليل مقبول:

وقيل له: لِمَ تعاشر الأحداث وأنت شيخ فقال: «الراضة إنَّما تروض مهارة الخيل لاما هرم منها»[٢].

تقليل المصائب:

وقال لتلامذته: «أقلوا من القُنْيَا تقل مصائبكم»[٣].

الكفاف راحة:

وقال له تلميذ: كيف لا أرى أيها الحكيم فيك أثر حزن؟ فقال: «لأنني لاأملك شيئًا إن فقدته أحزنني»[٤].

وقال: «ما اخترت أن تموت به فمت دونه»[٥].

القناعة عز:

وقال له رجل ورآه يأكل العشب: لو خدمت الملك لم تحتج أن تأكل الحشيش، فقال له: «وأنت لو أكلت الحشيش لم تحتج أن تخدم الملوك»[٦].

ضريبة العلم:

وقال: «إذا كان العالم غير مُعلمٍ قلَّ غناء علمه كما يقل غناء المكثر البخيل»[٧].

العزلة النافعة:

وقيل له: ما لك لا تشاهد الناس؟ قال: «لأنني وجدت الانفراد بالخلوة أجمع لدواعي السلوة، وعزٌ في الوحدة خيرٌ مِنْ ذلٍ في الجماعة، والوحدة أسهل من مداراة الخلطة»[٨].

كِرامٌ ولِئام:

وقال: «اللين جوهر الكرم، والشدَّة جوهر اللؤم»[٩].

(١،٢) المجتبى لابن دريد.

(٣-٩) نثر الدر لأبي سعد الآبي.

خطر الشهوات:

وقال: «لأن يكون الحر عبدًا لعبده، خير من أن يكون عبدًا لشهواته»(١).

مصيدة الرجال:

واستشاره فتى في التزوج فقال له: «احذر من أن يعـرض لـك مـا يعـرض للسمك في المصيدة، فإن الخارج منها يطلـب الـدخول فيهـا، والـداخل فيهـا يطلب الخروج منها»(٢).

الترفع وأهل الفضل:

وقيل له: بأي خصلة تفضل أهل زمانك؟ فقال: «بأن غرضهم في الحياة أن يأكلوا، وغرضي في الأكل أن أحيا»(٣).

صحة المقدمات وسلامة النتائج:

وقال: «العامة إذا رأت منازل الخاصة، حسدتها عليها وتمنت أمثالهـا، فـإذا رأت مصارعها بدَا لها»(٤).

وقال: «ليس ينبغي أن يقع التصديق إلا بما يصح، ولا العمل إلا بـما يحـل، ولا الابتداء إلا بما يحسن العاقبة»(٥).

ملك بغير محاسبة:

وقال له بعضهم: ما أفقرك! فقال: «لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجـع لنفسك عن التوجع لي، فالفقر ملك ليس عليه محاسبة»(٦).

انعدام المعرفة:

وقال: «لولا أنَّ قولي لا أعلم إخبارٌ بأنني أعلم لقلت أنِّي لا أعلم»(٧).

التواضع:

وقيل له: متى أثَّرت فيك الحكمة؟ فقال: «منذ حقرت نفسي»(٨).

---

(١) نثر الدر لأبي سعد الآبي.

(٢-٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

عيون من الحكمة من كلام أفلاطون

دعْ للعذر موضعًا:

قال أفلاطون: «ينبغي للذين يأخذون على أيدي الأحداث أن يَدَعُوا لهم موضعًا للعذر لا يضطرون إلى القحة بكثرة التوبيخ»(١).

لكل مقام مقال:

وقال أيضًا: «لا ينبغي للأديب أن يخاطب من لا أدب له، كما لاينبغي للصاحي أن يخاطب السكران»(٢).

أحباب الشرف:

وقال أيضًا: «محب الشرف هو الذي يتعب نفسه بالنظر في العلة»(٣).

قيمة العدل:

وقال أيضًا: «بالعدل ثبات الأشياء، وبالجور زوالها»(٤).

وقال أيضًا: «إيَّاكم والجور؛ فإنه أداة العطب، وعلَّة خراب البلاد»(٥).

عبيد السلطان:

وقال أيضًا: «لا يستخدمك السلطان لأنَّه يقدِّر فيك الزيادة عليه، وإنَّما يقيمك مقام الكلبتين لأخذ الجمرة التي لايقدر أن يأخذها بأصبعيه، فاجهد أن تكون بقدر زيادتك عليه في الأمر الذي تخدمه فيه»(٦).

حشفاء وسوء كيلة:

قال: «لا تصحبوا الأشرار، فإنَّهم يَمنُّونَ عليكم بالسلامة منهم»(٧).

بداية الضياع:

وقال: «أعرف إدبار الدولة من تملك الأحداث عليها»(٨).

(١-٣) المجتبى لابن دريد.

(٤) الجوهر النفيس لابن الحدَّاد.

(٥) الكشكول للعاملي.

(٦) النهج المسلوك للشيزري.

(٧،٨) لباب الآداب لابن منقذ.

شرار الناس:

وقال: «الأشرار يتبعـون مـساوئ النـاس، ويتركـون محاسـنهم، كـما يتبـع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد، ويترك الصحيح منه»(١).

بين العطاء والأخذ:

«لا يحملك الحِرصُ في أمـورك عـلى التمقـت إلى النَاس والإخافـة لهـم، فتعطي من نفسك أكثر ما تأخذ لها، وكل إجابة عن غـير رضـاً فهـي مذمومـة العاقبة»(٢).

أعداء نافعون:

«أعداء المرء في بعض الأوقات ربَّما كانوا أنفع من إخوانه، لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها، ويخاف شماتتهم فيضبط نعمته، ويتحـرز مـن زوالهـا بمقـدار جهده»(٣).

لا تنه عن خلق وتأتي مثله:

«ينبغي للملك أن يبتدئ بتقويم نفسه، قبل أن يشرع في تقويم رعاياه، وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظلٍ معوج من قبل تقويم عوده الذي هو ظل له»(٤).

الحكيم:

«سرورك بقليل التُّحَفِ مع فراغك له أحسن موقعًا عندك من أضعافه مـع اشتغالك عنه، فكثرة أشغالك مَذهلة عن وجود اللذات بكُلِّها، وليس بحكيم من ترك التمييز»(٥).

الصدق في الرضا والغضب:

«من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راضٍ عنك، ذمَّك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك»(٦).

(١-٦) لباب الآداب لابن منقذ.



مختارات
شعريــة متنوعــة



مختارات شعرية متنوعة

فضل الأنصار:

قال حسان بن ثابت[١]:

اللهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّهِ ... وَبِنَا أَقَامَ دَعَائِمَ الإِسْلَامِ
وَبِنَا أَعَزَّ نَبِيَّهُ وَكِتَابَهُ ... وَأَعَزَّنَا بِالضَّرْبِ وَالإِقْدَامِ
فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ تطِيرُ سُيُوفُنَا ... فِيهِ الجَمَاجِمَ عَنْ فِرَاخِ الهَامِ[٢]
يَنْتَابُنَا جبْرِيلُ فِي أَبْيَاتِنَا ... بِفَرَائِضِ الإِسْلَامِ والأَحْكَامِ
يَتْلُو عَلَيْنَا النُّورَ فِيهَا مُحْكَمًا ... قَسْمًا لَعَمْرُكَ لَيْسَ كالأَقْسَامِ
فَنَكُونُ أَوَّلَ مُسْتَحِلٍّ حَلَالِهِ ... وَمُحَرِّمٍ للهِ كُلَّ حَرَامِ
نَحْنُ الخِيَارُ مِنَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... وَنِظَامُهَا وَزِمَامُ كُلِّ زِمَامِ

قوة وعدالة :

قال صفي الدين الحلي[٣]:

وَفِتْيَةٍ إِنْ نَقُلْ أَصْغَوْا مَسَامِعَهُم ... لِقَوْلِنَا أَوْ دَعَوْنَاهُمْ أَجَابُونَا
قَوْمٌ إذا اسْتَخْصَمُوا كَانُوا فَرَاعِنَةً ... يَوْمًا وإِنْ حَكَمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
تَدَرَّعُوا الْعَقْلَ جِلْبَابًا فَإِنْ حَمِيَتْ ... نَارُ الْوَغَى خِلْتَهُمْ فِيهَا مَجَانِينَا
إِذا ادَّعَوْا جَاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً ... وَإِنْ دَعَوْا قَالَتِ الأَيَّامُ آمِينَا

افتخار بالقوم :

قال قريط بن أنيف:

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ[٤] لَهُمْ ... طَارُوا إِلَيهِ زُرَافَاتٍ[٥] وَوِحْدَانَا

---

(١) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار بيروت للطباعة والنشر، ص: ٢٣٣.
(٢) فراخ الهام: الأدمغة، والهام: الرؤوس.
(٣) بدائع الشعر، ص: ٢٣٣-٢٣٨.
(٤) في الأصل ناجزته وهي تصحيف.
(٥) زرافات: جماعات.

لاَ يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا
لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانَا

المبادرة إلى المكرمات:

لبعض بني قيس بن ثعلبة:

إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا[1]
إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الأَمْنِ أُغْلِينَا

فضائل عديدة:

قال ذو الأصبع العدواني:

كُلُّ امْرِئٍ صَائِرٌ يَوْمًا لِشِيمَتِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلاَقًا إِلَى حِينِ
إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ عَلَى الصَّدِيقِ وَلاَ خَيْرِي بِمَمْنُونِ
وَمَا لِسَانِي عَلَى الأَدْنَى بِمُنْطَلِقٍ بِالْمُنْكَرَاتِ وَمَا فَتْكِي بِمَأْمُونِ
عِنْدِي خَلاَئِقُ أَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ وَآخَرُونَ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ دُونِي

فروسية شاعر:

قال أبو الطيب المتنبي[2]:

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بِأَنَّنِي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ

(١) المصلي: تالي السابق.
(٢) ديوان المتنبي، دار صادر بيروت، ص: ٣٣٢-٤٨٢.

رِجْلاَهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَـدٌ وَفِعْلُـهُ مَـا تُرِيـدُ الْكَـفُّ وَالْقَـدَمُ
وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِـهِ حَتَّـى ضَرَبْتُ وَمَـوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
الْخَيْـلُ وَالليـلُ وَالْبَيْـدَاءُ تَعْرِفُنِـي وَالسَّيْف وَالـرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَـمُ

عيب خطير:

وقال أيضًا:

وَلَمَّـا صَـارَ وُدُّ النّـاسِ خِبًّـا[(١)] جَزَيْـتُ عَـلَى ابْتِـسَامٍ بابْتِـسَامِ
وَصِرْتُ أَشُـكُّ فِـيمَنْ أَصْـطَفِيهِ لِعِلْمِـي أَنَّـهُ بَعْـضُ الأَنَـامِ
يُحِـبُّ العَـاقِلُونَ عَـلَى التَّـصافي وَحُبُّ الجاهِلينَ على الْوِسَامِ[(٢)]
وآنَـفُ مِـنْ أَخِـي لأَبِي وَأُمِّـي إذَا مَـا لَمْ أَجِـدْهُ مِـنَ الْكِـرَامِ
أَرَى الأَجْـدَادَ تَغْلِبُهَـا كَثِـيرًا عـلى الأَوْلاَدِ أَخْـلاقُ اللِّئَـامِ
ولَـسْتُ بِقَـانِعٍ مـن كُـلِّ فَـضْلٍ بِـأَنْ أُعْـزَى إِلَى جَـدٍّ هُمَـامِ
عَجِبْـتُ لِمَـنْ لَـهُ قَـدٌّ[(٣)] وَحَـدٌّ[(٤)] وَيَنْبُـو[(٥)] نَبْـوَةَ القَـضِمِ[(٦)] الْكَهَـامِ[(٧)]
وَمَـنْ يَجِـدِ الطَّرِيـقَ إِلى الْمَعَـالي فَـلاَ يَـذَرِ المطِـيَّ بِـلاَ سَـنَامِ
وَلَمْ أَرَ فِي عُيُـوبِ النَّـاسِ شَـيْئًا كَـنَقْصِ الْقَـادِرِينَ عَـلَى الـتَّمامِ

طريق العز:

قال النميري:

يَقُولُـونَ فِي بَعْـضِ التَّـذَلُّلِ عِـزَّةٌ وعادَتُنـا أَنْ نُـدْرِكَ الْعِـزَّ بـالْعِزِّ

---

(١) الخبّ: الخداع.
(٢) الوسام: حسن الصورة.
(٣) القدّ: القامة.
(٤) الحدّ: اليأس.
(٥) ينبو السيف: يكل عن الضرب.
(٦) القضم من السيوف: المتثلم.
(٧) الكهام: الذي لا يقطع.

أَبَــى اللهُ لِي والأَكْرَمــونَ عَـشَيرتِي مَقامِي عَـلى دَحْـض(١) ونَـوْمِي علَى وَخْـز(٢)

تعفف وصبر:

قال الأَبيوردي:

قَضَتْ وَطَرًا مِنِّي اللَّيالِي فَلَـمْ أَبُـحْ بِشَكْوَى وَلَمْ يَـدْنَسْ عَـلَيَّ قَمِـيصُ

أُغـالِي بِعِـرْضِي والنَّوائِـبُ تَعْـتَرِي وَغَيْرِي يَبِيعُ الْعِرْضَ وَهْوَ رَخِيصُ

وَقَـدْ عَلِمَـتْ عَلْيَـا كِنَانَـةَ أَنَّنِـي عَلَى ما يَـزِينُ الأَكْـرَمِين حَـرِيصُ

أَصونُ عَلَى الأَطْماعِ وَجْهًـا لِـسَتْرِهِ إِذَا عَـبَسَ الـدَّهْرُ الْخَـؤُنُ وَبِـيصُ

فَظَهْرِي بِأَعْباءِ الْخَصاصَةِ(٣) مُثْقَـلٌ وَبَطْنِيَ مِنْ زادِ اللِّئَـامِ خَمِـيصُ(٤)

مكاثرة بالمكارم:

قال الطغرائي:

إِذَا حَـدَّثَتْكَ الـنَّفْسُ أَنَّـكَ مُـدْرِكٌ لِشَأْوِي فَطالِبْهَا بِمَثْـلِ خَصائِـصِي

نَزَاهَــةُ نَفْــسِي طالبــا وَسَــمَاحَتِي مُنِـيلاً وَصَـبْرِي لاحْـتِمالِ الْقَـوارِصِ(٥)

وَعِلْمِــي بِــمَا لَمْ يَحْـوِ خَــاطِرُ عَــالِمٍ وَغَوْصِي عَلَى مَا لَمْ يَنَلْ غَـوْصُ غَـائِصِ

وَتَرْكِـي أَخْـلاَقَ اللِّئَـامِ وَغَثَّهَـا(٦) إِلَى خُلُـقٍ يَـأْبَى الرَّذِيلَـةَ خَـالِصِ

جهاد عظيم:

قال قَطَرِيُّ بن الفجاءة:

أَقــولُ لَهَــا وَقَــدَ طــارَتْ شُــعاعًا مِنَ الأَبْطـالِ وَيْحَـكِ لَـنْ تُراعِـي

(١) دحضت حجته: بطلت.
(٢) الوخز: الطعن بالرمح.
(٣) الخصاصة: الفقر.
(٤) المخمصة: الجوع.
(٥) القرص: اللسع.
(٦) الغث: الحديث الرديء.

فإنَّــكِ لــو ســألتِ بقــاءَ يــومٍ على الأجل الذي لك لن تُطاعي
فَــصَبْرًا فِي مَجَــالِ المــوتِ صَــبْرًا فَــما نَيْــلُ الخُلُــودِ بِمُــسْتَطَاعِ
وَلاَ ثَــوْبُ البَقَــاءِ بِثَــوْبِ عِــزٍ فَيُطْوَى عَنْ أَخِي الخَنَعِ[1] الْيَرَاعِ
سَـبِيلُ المـوتِ غايَـةُ كُـلِّ حَـيٍ فَداعِيــهِ لأَهْــلِ الأَرْضِ داعِ
وَمــا لِلْمَــرْءِ خَــيْرٌ فِي حَيَــاةٍ إِذَا مَـا عُـدَّ مِـنْ سَـقَطِ المُتَـاعِ

كرم الضيافة:

وقال مسكين الدارمي:

لِحافِي لحافُ الضَّيفِ والبَيْتُ بَيْتُهُ ولَمْ يُلهِنــي عَنْـهُ غَـزالٌ مُقنَّـعُ
أُحَدِّثُـهُ إِنَّ الحَـدِيثَ مِـنَ الْقِـرَى وتَعلمُ نَفْسِي أَنَّه سوف[2] يَهْجَعُ

زيادة في الكرم:

قال حاتم الطائي:

وإِنِّي لأَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ[3] وَأَطْعَــنُ قِـدْمًا وَالأَسِـنَّةُ تَرْعُـفُ
وإنّي لأُعْطِــي ســائِلِي وَلَــرُبَّما أُكَلَّـفُ مَـا لاَ أَسْـتَطِيعُ فَـأَكْلَفُ

دراهم في الكرام في سفر مستمر:

قال جوية بن النضر:

إنّـا إذا اجْتَمَعَـتْ يَوْمًـا دَراهِمُنـا ظَلّتْ إِلَى طُرُقِ المعـروف تَسْتَبِقُ
مَا يَأْلَفِ الدّرهمُ الصياح[4] صَرّتنا لكِـنْ يَمُـرُّ عَلْيها وهـوَ مُنطَلِـقُ

---

(١) الخنع: الخضوع.
(٢) هكذا في الأصل والأحسن: وتكلأ عيني عينه حين يهجع.
(٣) في الأصل: سوأله وهي تصحيف.
(٤) هكذا في الأصل والأحسن: المضروب.

كرم وشجاعة:

قال أبو محجن:

لاَ تَسْأَلِ النَّـاسَ مَـا مَـالي وكَثْرتـهِ وسَائلِ النّاسَ مَا جُودِي ومَا خُلُقِي

أُعْطِي الحُسَامَ غَداةَ البَـيْنِ حِـصَّتَهُ وعَامِلُ الرُّمْحِ أُرْوِيهِ مِنَ الْعَلَقِ[١]

وَأَطْعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ عن عَرَضٍ وأَكْـتُمُ الـسِّرَّ فيـهِ ضَرْبَـةُ الْعُنُـقِ

وقال إبراهيم بن العباس:

خذِي خَبَرِي عَـنْ سَـائِرِينَ صَـحِبْتُهُمْ وَعَـنْ طَـارِقٍ أَوْ لاَئِـذٍ صَـحِبَانِي

خُذِي خَبَرِي يَوْمَ الْقِرَى عَنْ مَنَـاحِرِي وَيَوْمَ الوَغَى عَنْ مُنْـصِلِي وَسِـنَانِي

عناصر العزة:

قال الفرزدق:

لَنَا العِزَّةُ القَعْسَاءُ[٢] والعَـدَدُ الَّـذِي عَلَيْـــه إِذَا عُـــدَّ الحَـــصَى يَتَخَلّـــفُ

ومِنَّا الذِي لا تَنْطِـقُ النَّـاسُ عِنْـدَهُ ولَكِـــنْ هُـــوَ المُـــسْتَأذَنُ المُتَـــصَرِّفُ

تَـراهمُ قُعـودًا حَوْلَـهُ وعُيـونُهُمْ مُكَـسَّرَةً أَبْـصارُها مـا تَطَـرَّفُ[٣]

وبُنْيـانُ بَيْـتِ الله نَحْـنُ وُلاتُـهُ وبَيْـتٌ بَـأَعْلَى الـرامتَيْنِ مُـشرَّفُ

تَرَى النّاسَ ما سِرْنا يَسيرونَ خَلْفَنـا وَإِنْ نَحْـنُ أَوْمَأْنَـا[٤] إِلى النَّـاس وقَفُـوا

وَلاَ عِـــزَّ إِلا عِزُّنـــا قَـــاهِرٌ لَـــهُ ويَـسْأَلُنا النَّـصْف[٥] الـذَّلِيلُ فَنُنْـصِف

---

(١) العلق: الدم الغليظ.

(٢) القعساء: الثابتة.

(٣) تطرّف: من طبق الجفن على الآخر.

(٤) أومأنا: أشرنا.

(٥) النصف: من المناصفة وهي العدل.

اعتزاز بالشعر:

قال الأرجاني:

أَنَـا أَشْـعَرُ الفقهـاءِ غَـيرَ مُـدافعٍ ... فِي الْعَـصْرِ أَوْ أنـا أَفْقَـهُ الـشُّعَراءِ

شِعْري إِذَا مَا قُلْـتُ دَوَّنَـهُ الـوَرَى ... بِـالطَّبْعِ لاَ بِتَكَلُّـفِ الإِلْقَـاءِ

كالصَّوتِ في قُلَلِ[1] الجِبَالِ إِذَا عَـلاَ ... لِلـسَّمْعِ هـاجَ تَجَـاوُبَ الأَصْـداءِ[2]

التكثر بالفضائل:

قال أبو الفتح البستي:

قالوا رَضِيتَ بدونِ حَقِّك والْغِنَـى ... يَـسْمُو بِـصاحِبِهِ إِلى العَلْيـاءِ

فَـأَجَبتُهُمْ والقَـوْلُ مِنِّـي فَيْـصَلٌ ... يَحْكِي غِرارَ السَّيْفِ وَقْتَ مَـضاءِ[3]

حَـسْبي التَّكَثُّـرُ بالفَـضائِلِ إِنَّهـا ... ذُخْـرِي لِيَـوْمي شِـدَّةٍ وَرَخَـاءِ

فـإِذا تَمـادَى مَعْـشَرٌ فِي مَفْخَـرٍ ... كُنـتُ الأَحَـقَّ بِـسُؤْدَدٍ وعَـلاءِ

وغِنـايَ عَـنْ دُنيـايَ أَشْرَفُ زينَـةٍ ... مِـنْ أَنْ يَكـونَ بِنَيْلِهـا اسْـتِغْنَائِي

وقال علي بن إسماعيل:

أَنَـا مِـنْ قَـوْمٍ إِذا غَـضِبُوا ... أطْعَمُوا الأَرْماح حَبَّاتِ الْقُلُـوبِ

وَهُـمُ فِي الـسلْمِ كَالْمُـاء صَـفَا ... لِـصَديقٍ وحَمِـيمٍ وَقَرِيـبِ

فِـيهِمُ فَخْـرِي وفـيهِمْ قُـدْوَتِي ... وبِهِـمْ نِلْـتُ مِـنَ الْعَلْيـا نَـصِيبِي

وبِفَـضْلِ الله رَبِّي لَمْ أَزَلْ ... في مَرَاقِي العَزِّ والعَيْشِ الرطيـبِ

---

(١) القلل: جمع قلة: أعلى الجبل.

(٢) الصدى: الذي يجيب بمثل الصوت.

(٣) مضاء: نفذ.

معالي الأمور نِعْمَ المركب:

لَـــــيْسَ لِي إِلاَّ المَعَـــــالِي أَرَبٌ فَعَـلَى كاهِلِهَـا[1] صـارَ رُكـوبِي

إِنْ دَعـــا داعٍ إِلَى غَــيْرِ الْعُـــلَى لاَ تــرانِي لِــدُعاهُ مِــنْ مُجِيــبِ

وقال البحيري:

دَعــونِي فِي القِتــالِ أَمُــتْ عَزِيــزًا فَمَــوْتُ الْعِــزِّ خَــيْرٌ مِــن حَيــاتِي

وقال الطغرائي:

لَعَمْرِي مـا الْفَخَـارُ بِكَسْبِ مَـالٍ وَلاَ يُدْعَى الْغَنِـيُّ مِـنَ السَّـرَاةِ[2]

سَـتَذْكُرُنِي المَعَـامِعُ[3] كُـلَّ وَقْـتٍ عَـلَى طُـولِ الْحَيَـاةِ إِلَى المَـماتِ

فَـذَاكَ الـذِّكْرُ يَبْقَـى لَـيْسَ يَفْنَـى مَـدَى الأَيَّــامِ فِي مــاضٍ وَآتِ

الفضائل الذاتية هي المعتبرة:

أَبَـى الله أَنْ أَسْـمُو بِغَـيْرِ فَـضائِلِي إِذا مـا سَـمَا بِالمَـالِ كُـلُّ مُـسَوَّدِ

وَإِنْ كَرُمَــتْ قَــبْلِي أَوَائِــلُ أُسْرَتِي فَـإِنِّي بِحَمْـدِ الله مَبْـدَأُ سُـؤْدَدِي

إِذا شَرُفَتْ نَفْـسُ الْفَتَـى زَادَ قَـدْرُهُ عَلَى كُلِّ أسْـنَى مِنـهُ ذِكْـرًا وأَمْجَـدِ

وَمــا المَــالُ إلاَّ عــارَةٌ مُــسْتَرَدَّةٌ فَهَلَّا بِفَـضْلِي كـاثَرُونِي وَمَحْتِـدِي[4]

وقال الأبيوردي:

مَتَــى تُــرِدِ الثَّــراءَ فَلَــسْتَ مِنِّــي وَخِدْنِي[5] غَيرُ منْ سأَلَ الرِّجـالاَ

فَلاَ تَصْحَبْ مِنَ اللُّؤَماءِ وَغْـدًا[6] يَكُــونُ عَــلَى عَــشِيرتِهِ عِيــالاَ

---

(١) الكاهل: الحارك وهو ما بين الكتفين.

(٢) السراة: سراة كل شيء أعلاه.

(٣) المعامع: صوت الأبطال في الحرب.

(٤) المحتد: الأصل.

(٥) خدني: صديقي.

(٦) وغدا، الوغد: الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه.

أَنَـا ابْـنُ الأَكْـرَمِينَ أَبًـا وَأُمًّـا ... وَهُـمْ خَـيْرُ الْـوَرَى عَـمًّا وَخـالاَ
أَشَـدُّهُمْ إِذَا اجْتَلَـدُوا[1] قِتَـالًا ... وَأَوْثَقُهُـمْ إذا عَقَـدُوا حِبَـالاَ
وَأَرْجَحُهُـمْ إِذَا قَـدَرُوا حُلُومًـا ... وَأَصْـدَقُهُمْ إِذَا افْتَخَـرُوا مَقَـالاَ
وأصْـلَبُهُمْ لَـدَى الغَمَـراتِ عُـوَدًا ... إِذَا الْخَفِـراتِ[2] خَلَّـيْنَ الحِجَـالاَ

البناء على فساد:

قال أبو الطيب المتنبي:

وَمَـا مَـاضِي الـشَّبَابِ بِمُـسْتَرَدٍّ ... وَلاَ يَـوْمٌ يَمُـرُّ بِمُـستَعَادِ
وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيـفُ وَإِنْ تَقَـوَّى ... بِمُنْتَـصِفٍ مِـنَ الْكَـرَمِ الـتِّلاَدِ
فَـلاَ تَغْـرُرْكَ أَلْـسِنَةٌ مُـوَالٍ ... تُقَلِّـبُهُنَّ أَفْئِـدَةٌ أَعَـادِ
فَـإِنَّ الْجُـرْحَ يَنْفِـرُ بَعْـدَ حِـينٍ ... إِذَا كَـانَ الْبِنَـاءُ عَـلَى الْفَـسَادِ

لين في قوة:

وقال أبو الطيب المتنبي:

إِنِّي لأَجْـبُنُ مِـنْ فِـرَاقِ أَحِبَّتِـي ... وَتُحِـسُّ نَفْـسِي بِـالْحِمَامِ فَأَشْـجَعُ
وَيَزِيدُنِي غَـضَبُ الأَعَـادِي قَـسْوَةً ... وَيُلِـمُّ بِي عَتْـبُ الـصَّدِيقِ فَـأَجْزَعُ
تَـصْفُو الْحَيَـاةُ لِجَاهِـلٍ أَوْ غَافِـلٍ ... عَـمَّا مَـضَى مِنْهَـا وَمَـا يُتَوَقَّـعُ

شجاعة نادرة:

قال أبو تمام الطائي:

مُسْتَبْـسِلُونَ كَـأَنَّمَا مُهَجَـاتُهُمْ ... لَيْـسَتْ لَهُـمْ إِلاَّ غَـدَاةَ تَـسِيلُ
أَلِفُـوا الْمَنَايَـا فَالْقَتِيـلُ لَـدَيْهِمُ ... مَـنْ لَمْ يُخَـلِّ الْعَـيْشَ وَهْـوَ قَتِيـلُ

(١) اجتلدوا: تضاربوا.

(٢) الخفرات: الجواري شديدات الحياء.

لولا المشقة:

قال أبو الطيب المتنبي:

لاَ يُـدْرِكُ المجْـدَ إِلاَّ سَـيِّدٌ فَطِـنٌ لِمَـا يَـشُقُّ عَـلَى الـسَّادَاتِ فَعَّـالُ
يُرِيـكَ مَخْـبَرُهُ أَضْـعَافَ مَنْظَـرِهِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَـا المَـاءُ وَالآلُ(١)
وَإِنَّـمَا يَبْلُـغُ الإِنْـسَانُ طَاقَتَـهُ مَا كُلّ مَاشِيَّةٍ بِالرِّجْلِ شِـمْلاَلُ(٢)
لَـوْلاَ المُـشَقَّةُ سَـادَ النَّـاسُ كُلُّهُـمُ الجُـودُ يُفْقِـرُ وَالإِقْـدَامُ قَتَّـالُ
إِنَّـا لَفِـي زَمَـنٍ تَـرْكُ الْقَبِـيحِ بِـهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّـاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ

الصفح عند المقدرة:

قال أبو عبادة البحتري:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَضْرِبْ عَـنِ الحِقْـدِ لَمْ تَفُـزْ بِـذِكْرٍ وَلَمْ تَـسْعَدْ بِتَقْـرِيظِ مَـادِحِ
وَلَنْ يُرْتَجى فِي مَالِـكٍ غَـيْرُ مُـسْجِحٍ(٣) فَـلاَحٌ وَلاَ فِي قَـادِرٍ غَـيْرُ صَـافِحِ

لا تحقرن من المعروف شيئًا:

قال أبو عبادة البحتري:

لاَ تَحْقِـرَنَّ صَـغِيرَ الخَـيْرِ تَفْعَلُـهُ فَقَدْ يُرَوِّي غَلِيلَ الْهَـائِمِ الثَّمَـدُ(٤)
وَيَرْخُصُ الْحَمْـدُ حَتَّـى إِنَّ عَارِفَـةً بَذْلُ السَّلاَمِ فَكَيْـف الرِّفْـدُ وَالـصَّفَدُ(٥)
مَا اسْتَغْرَبَ النَّاسُ إِفْضَالًا وَلاَ اشْـتَهَرُوا مِنْ حَاتِمٍ غَيْرَ (مَا) جُودِ الَّـذِي يَجِـدُ

---

(١) الآل: السراب.
(٢) شملال: الشملال الناقة السريعة.
(٣) السجح: اللين السهل.
(٤) الثمد: الماء القليل.
(٥) الصفد: محركة: العطاء.

في الفروسية والفتوة:

قال عدي بن الرقاع:

وَأُصَاحِبُ الجَيْشَ الْعَرَمْرَمَ فَارِسًا ... فِي الخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَّهَا وَطِرادَهَا

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا ... حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا(١) وَسِنَادَهَا(٢)

فَسَّرْتُ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكَرُّمٍ ... وَأَتَيْتُ فِي سَعَةِ النَّعِيمِ سِدَادَهَا(٣)

وعَلِمْتُ حَتَّى مَا أُسَائِلُ وَاحِدًا ... عَنْ عِلْمِ وَاحِدَةٍ لِكَيْ أَزْدَادَهَا

عزة النفس والذّبُ عن العرض:

قال إبراهيم بن العباس:

لَنَا إِبِلٌ كُومٌ(٤) يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا ... وَتَفْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا

فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا ... وَمِنْ دُونِهَا أَنْ يُسْتَذَمَّ دِمَاؤُهَا(٥)

حِمًى وَقِرًى فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا ... وَأَيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حُقَّ فَنَاؤُهَا

غريزة حب النفس:

قال أبو الطيب المتنبي:

أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِه ... حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًّا

فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى ... وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الحَرْبَا

وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعَلُ وَاحِدٌ ... إِلى أَنْ تَرَى إِحْسَانَ ذا لِذَا ذَنْبَا

---

(١) ميلها: ما بها من ميل.

(٢) سنادها: اختلاف الردفين في الشعر.

(٣) سدادها: سدّ الثلمة أصلحها. والسَّداد: الصواب من القول والعمل.

(٤) الكوم: بالضم القطعة من الإبل والكوماء الناقة عظيمة السنام.

(٥) هكذا في الأصل والأحسن: ومن دوننا أن تستذم دماؤها.

من يزاحم البحر يغرق:

قال أبو الطيب المتنبي:

إِذَا مَا لَبِسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ   تَخَرَّقْتَ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ
ومَا كَمَدُ[1] الْحُسَّادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ   وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرَقِ
وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَى   إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ

الشعر المؤثر:

قال أبو تمام الطائي:

كَشَفْتُ قِنَاعَ الشِّعْرِ عَنْ حَرِّ وَجْهِهِ   وَطَيَّرْتُهُ عَنْ وَكْرِهِ وَهْوَ وَاقِعُ
بِغُرٍّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ   وَيَدْنُو إِلَيهَا ذُو الْحِجَى وَهْوَ شَاسِعُ
يَوَدُّ وِدَادًا أَنَّ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ   إِذَا أُنْشِدَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا مَسَامِعُ

عظمة في عزم:

قال أبو الطيب المتنبي:

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي   مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فِي نَفْسِهِ الزَّمَنُ
لاَ تَلْقَ دَهْرَكَ إِلاَّ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ   مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يُدِيمُ سُرُورًا مَا سُرِرْتَ بِهِ   وَلاَ يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ   تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُّفُنُ

في الحماسة والفخر [2]

النفسُ الأبيَّة:

قال الشريف الرضي:

أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى النُّجُومِ   سَأَحْمِلُهَا عَلَى الْخَطَرِ[3] الْعَظِيمِ

---

(١) الكمد: الحزن الشديد.

(٢) بدائع الشعر ص: ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٤.

(٣) الخطر: الإشراف على الهلاك.

وَإِنَّ أَذى الْهُمُــوم عَــلَى فُــؤَادِي   أَضَرُّ مِنَ النُّصُولِ عَلَى أَدِيمـي[١]
وَإِنِّي إِنْ صَــبَرْتُ ثَنَيْــتُ قَلْبِــي   عَــلَى طَـرْفٍ مِـنَ الْبَلْـوَى أَلِـيمِ
وَمَـــا لِي هِمَّـــةٌ إِلاَّ الْمَعَـــالِي   وَذَبُّ الضَّيْمِ[٢] عَنْ نَسَبٍ صَـمِيمِ

ترفع وكرم:

قال حاتم الطائي:

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَـرِيمِ اِدِّخَـارُهُ[٣]   وَأَصْفَحُ عَنْ شَـتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمَـا
ولَا أَخْذُلُ الْمَوْلَى وَإِنْ كَـانَ خَـاذِلًا   وَلاَ أَشْتُمُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ مُفْحِمَا

الشجاعة طريق الشرف:

قال أبو الطيب المتنبي:

إِذَا غَـــامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَـــرُومٍ   فَــلاَ تَقْنَــعْ بِـمَا دُونَ النُّجُــومِ
فَطَعْــمُ الْمَــوْتِ فِي أَمْــرٍ حَقِـيرٍ   كَطَعْـمِ الْمَـوْتِ فِي أَمْـرٍ عَظِـيمِ
يَــرَى الْجُبَنَــاءُ أَنَّ الْعَجْــزَ عَقْــلٌ   وَتِلْـكَ خَدِيعَــةُ الطَّبْـعِ اللَّئِـيمِ
وَكَـمْ مِـنْ عَائِـبٍ قَـوْلًا صَـحِيحًا   وَآفَتُــهُ مِـــنَ الْفَهْــمِ الــسَّقِيمِ
وَلكِـــنْ تَأْخُـــذُ الآذَان[٤] مِنْـــهُ   عَــلَى قَــدْرِ الْقَــرَائِحِ وَالْعُلُــومِ

في الشجاعة:

قال أبو الطيب المتنبي:

إِذَا كُنْـتَ تَـرْضَى أَنْ تَعِـيشَ بِذِلَـةٍ   فَــلاَ تَــسْتَعِدَنَّ الْحُـسَامَ الْيَمَانِيَـا

---

(١) الأديم: الجلد.
(٢) الضيم: الظلم.
(٣) دحر، دحورًا: صغر وذل.
(٤) هكذا في الأصل، والأحسن: الإفهام.

وَلاَ تَـسْتَطِيلَنَّ الرِّمَـاحَ لِغَـارَةٍ وَلاَ تَـسْتجِيدَنَّ الْعِتَـاقَ الْمُـذَاكِيَا
فَمَا يَنْفَعُ الأُسْدَ الْحَيَاءُ مِـنَ الطَّـوَى وَلاَ تُتَّقَـى حَتَّـى يَكُـنَّ ضَـوَارِيَا

تفويض الأمر إلى الله:

قال أبو تمام الطائي:

أَأَيَّـا منَّـا مَـا كُنْـتِ إِلاَّ مَوَاهِبًـا وَكُنْتِ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبَا
وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ للنَّوائِبِ أَصْبَحَتْ خَلاَئِقُـهُ جَمْعًـا عَلَيْـهِ نَوَائِبَـا
وَقَدْ يَكْهَمُ[1] السَّيْفُ الْمُسَمَّى مَنِيَّـةً وَقَـدْ يَرْجِـعُ الْمَـرْءُ الْمُظَفَّـرُ خَائِبَـا
فَآفَـةُ ذَا أَنْ لاَ يُـصَادِفَ صَـارِمًا وَآفَـةُ ذَا أَنْ لاَ يُـصَادِفَ ضَـارِبَا

أنفة وإباء:

قال الحاجري:

وقـالوا تَوَصَّـلْ بِالخضوعِ إِلَى الغِنَـى وما عَلِمُوا أَنَّ الخُضوعَ هُو الفَقْـرُ
وبَيْنِـي وبَـيْنَ المـالِ شَـيْئَانِ حَرَّمَـا عَلَيَّ الْغِنَى نَفْسي الأَبِيَّةُ والـدَّهْرُ
إذا قِيلَ هذا اليُـسْرُ أَبْـصَرتُ دونَـهُ مواقِفَ خَيْرٌ من وُقُوفِي بها الْعُـسْرُ

غنى النفس:

قال الشافعي:

عَـلَيَّ ثِيَـابٌ لَـوْ تُبَـاعُ جَمِيعُهَـا بِفَلْسٍ لَكَانَ الْفَلْسُ مِـنْهُنَّ أَكْثَـرَا
وفِيهِنَّ نَفْـسٌ لَـوْ تُقَـاسُ بِبَعْـضِها نُفوسُ الوَرَى كانَتْ أَجَلَّ وَأَكْـبَرَا

المعالي غرائز:

قال أمية بن أبي الصلت:

وقَائِلَـةٍ مـا بـالُ مِثْلِـكَ خَـامِلاً أَأَنْتَ ضَعيفُ الـرَّأْيِ أَمْ أنـتَ عـاجزُ
فَقُلْـتُ لهـا ذَنْبِـي إِلَى القَـوْمِ أَنَّنِـي لِمَـا لَمْ يَحُـوزُوهُ مِـنَ الْمَجْـدِ حـائِزُ

---

(١) يكهم: يكلّ.

وما فاتَنِي شَيْءٌ سِـوَى الحَـظَّ وَحْـدَهُ ... وأَمَّا المَعَـالِي فَهْـيَ عِنْـدِي غَرائِـزُ

الأماني مضلة والقناعة سلاح:

قال أبو تمام الطائي:

لَـوْ حَـارَ مُرْتَـادُ المَنِيَّـةِ لَمْ يَجِـدْ ... إلاَّ الْفِـرَاقَ عَـلَى النُّفُـوسِ دَلِـيلاَ

الـصَّبْرُ أَجْمَـلُ غَـيْرَ أَنَّ تَلَـذُّذًا ... فِي الحُبِّ أَحْـرَى أَنْ يَكُـونَ جَمِـيلاَ

رَدُّ الجُمُـوحِ الـصَّعْبِ أَسْـهَلُ مَطْلَبًا ... مِـنْ رَدِّ دَمْـعٍ قَـدْ أَصَـابَ مَـسِيلاَ

مَـنْ زَاحَـفَ الأَيَّـامَ ثُـمَّ عَبَـا لهـا ... غَـيْرَ الْقَنَاعَـةِ لَمْ يَـزَلْ مَفْلُـولاَ

مَـنْ كَـانَ مَرْعَـى عَزْمِـهِ وَهُمُومِـهِ ... رَوْضُ الأَمَـانِي لَمْ يَـزَلْ مَهْـزُولاَ

لَوْ جَازَ سُـلْطَانُ الْقُنُـوعِ وَحُكْمُـهُ ... فِي الخَلْـقِ مَـا كَـانَ الْقَلِيـلُ قَلِـيلاَ

الـرِّزْقُ لاَ تَكْمَـدْ عَلَيْـهِ فَإِنَّـهُ ... يَـأْتِي وَلَمْ تَبْعَـثْ إِلَيْـهِ رَسُـولاَ

حسن التحمل:

قال إبراهيم بن العباس:

وأَجْنِو عَـلَى قَـوْمِي وأَحْمِـلُ عَـنْهُمُ ... وَسَـيِّدُ قَـوْمٍ مَـنْ جَنَـا وَتَحَمَّـلاَ

وَإِنْ أَجْـنِ لاَ أَحْمِـلْ عَلَـيْهِمْ جَرِيـرَتِي ... وَلَكِنَّـي إِمَّـا جَنَـوْا كُنْـتُ مَـوْئِلاَ

تجارة الحمد:

قال أبو عبادة البحتري:

أَيَذْهَبُ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يُـرَ مَوْضِـعِي ... وَلَمْ يُدْرَ مَا مِقْـدارُ حَـلِّي وَلاَ عَقْـدِي

وَيَكْسُدُ مِـثْلِي وَهْـوَ تَـاجِرُ سُـؤْدَدٍ ... يَبِيـعُ ثَمِينَـاتِ المَكَـارِمِ وَالحَمْـدِ

أَأَضْرِبُ أَكْبَـادَ المَطَايَـا إِلَـيْهِمُ ... مُطَالَبَـةً مِنِّـي وَحَاجَـاتُهُمْ عِنـدِي

الدهر قلب:

قال أبو الطيب المتنبي:

كَـذَا الـدُّنْيَا عَـلَى مَـنْ كَـانَ قَـبْلِي ... صُرُوفٌ لَمْ يَـدُمْنَ عَلَيْـهِ حَـالاَ

أَشَـــدُّ الْهَـــمِّ عِنْـــدِي فِي سُرُورٍ ... تَـــيَقَّنَ عَنْـــهُ صَـــاحِبُهُ انْتِقَـــالاَ
أَرَى الْمُتَــشَاعِرِينَ غَــرُوا بِــذَمِّي ... وَمَــنْ ذَا يَحْمَــدُ الــدَّاءَ العُــضَالاَ
وَمَــنْ يَــكُ ذَا فَــم مُــرٍّ مَــرِيضٍ ... يجِــدْ مُــرًّا بِــهِ المَــاءَ الــزُّلاَلاَ

ضيق ونفور:

أنشد أبو العباس:

ثَقِيـــلٌ يُطَالِعُنَـــا مِـــن أمَـــمْ ... إذا سرَّه رَغْـــــمُ أَنْفِـــــى أَلَمْ
أَقُـــولُ لَـــهُ إِذْ أَتَـــى لا أَتَـــى ... وَلا حَمَلَتْـــــهُ إِلَيْنَـــــا قَـــــدَمْ
عَــدِمْتُ خَيَالَــكَ لاَ مِــنْ عَمَــى ... وسَــمْعَ كَلاَمِــك لاَ مِــنْ صَــمَمْ
تَغُــطُّ بِــمَا شِــئْتَ عَــنْ نَــاظِرِي ... ولَـــوْ بِـــالرِّدَاءِ بِـــهِ فَالْتَـــشِمْ
لِنَظْرَتِـــهِ وخْـــزَةٌ فِي القُلُـــو ... بِ كَــوَخْزِ المَحَــاجِمِ فِي المُلْتَــزَمْ[1]

عسير الهضم:

قال أحمد شوقي:

سَقَطَ الحِمَارُ مِـنَ الـسَّفِينَةِ فِي الـدُّجَى ... فَبَكَــى الرِّفَــاقُ لِفَقْــدِهِ وتَرَحَّمُــوا
وعِنْدَ مَـا طَلَـع الـصَّبَاحُ أَتَـتْ بِـهِ ... نَحْـــو الـــسَّفِينَةِ مَوْجَـــةٌ تَتَقَـــدَّمُ
قَالَــتْ خُــذُوه كَــمَا أَتَــانِي سَــالِمًا ... لَمْ أَبْتَلِعْـــه لِأَنَّـــه لاَ يُهْـــضَمُ[2]

غاية كل حيّ:

تَمَنَّى رِجَـالٌ أَنْ أَمُـوتَ وَإِنْ أمُـتْ ... فَتِلْكَ سَـبِيلٌ لَـسْتُ فِيهَـا بِأَوْحَـدِ
وما مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِي بِـضَائِرِي ... وَلا عَيْشُ مَنْ قَدْ عَاشَ بَعْدِي بِمُخْلِدِي

---

(١) الأمالي لأبي علي القالي.

(٢) ديوان أحمد شوقي.

لا تمتهن نفسك:

وَإذا ابتُليتَ ببَذْلِ وَجهِكَ سائِلاً ... فابْذُلْهُ للمُتكرِّمِ المِفْضَالِ
إنّ الشَّرِيفَ إذا حَباكَ بوَعْدِهِ ... أعْطاكَهُ سَلِسًا بغَيرِ مِطالِ
ما اعتاضَ باذِلُ وَجْهِهِ بِسُؤالِهِ ... عِوَضًا، وَلَوْ نَالَ الغِنى بِسُؤالِ

نصائح:

صَافِ الكِرامَ فإنَّهُمْ أهلُ النُّهَى ... وَاحْذَرْ عَلَيكَ مَوَدَّةَ الأنذالِ
صِلْ قاطِعيكَ وحارِميكَ وَأعطهم ... وَإذا فَعَلتَ فَدُمْ بذاكَ وَوَالِ
وَالمَرْءُ لَيسَ بكامِلٍ في قَوْلِهِ ... حتى يُزَيِّنَ قَوْلَهُ بفِعَالِ
وَلَرُبَّما ارْتَفَعَ الوَضيعُ بفِعْلِهِ ... وَلَرُبَّما سَفَلَ الرّفيعُ العَالي

وصايا[1]:

وَاخْتَرْ قَرِينَكَ واصْطَفِيهِ تَفَاخُرًا ... إنَّ القَرينَ إلى المُقَارِنِ يُنْسَبُ
وَدَعِ الكَذُوْبَ فَلاَ يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا ... إنَّ الكَذُوبَ لَبِئْسَ خِلًّا يُصْحَبُ
واحْفَظْ لِسَانَكَ واحْتَرِزْ من لَفْظِهِ ... فالمَرْءُ يَسْلَمُ باللِّسَانِ وَيُعْطَبُ
وَزِنِ الكَلاَمَ إذَا نَطَقْتَ ولا تَكُنْ ... ثَرْثَارَةً في كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
وارْعَ الأَمَانَةَ والخِيَانَةَ فاجْتَنِبْ ... واعْدِلْ ولا تَظْلِمْ يَطِيبُ المَكْسَبُ
واحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللئِيمِ فإنَّهُ ... يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحَ الأَجْرَبُ
واحْذَرْ مِن المَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا ... واعْلَمْ بأنَّ دُعَاءَه لاَ يُحْجَبُ

آمال تتجدد:

إنَّ الأُمُورَ إذا اسْتَقْبَلْتَها اشتَبَهَتْ ... وفي تَدبُّرِها التِّبْيَانُ والعِبَرُ
والمَرْءُ ما عَاشَ في الدُّنيا لَهُ أملٌ ... إذا انقَضَى سَفَرٌ مِنْهَا أَتَى سَفَرُ
لها حلاوةُ عيشٍ غيرُ دائمةٍ ... وفي العَوَاقِبِ مِنْهَا المُرُّ والصَبَرُ

---

(١) الأبيات لصالح بن عبد القدوس.

مفارقة:

تَمُوتُ الأُسْدُ في الغَاباتِ جُوعًا ... وَلَحْمُ الضَّأْنِ تَأْكُلُهُ الكِلابُ

إعلان قبيح:

وَأَنْطَقَتِ الدَّراهِمُ بَعْدَ صَمْتٍ ... أُناسًا بَعْدَمَا كَانُوا سُكُوتا

فَما عَطَفُوا عَلى أَحَدٍ بِفَضْلٍ ... وَلاَ عَرَفُوا لِمَكْرُمَةٍ ثُبُوتا

لا تبْجُسُ الماء من الصخر:

وَلا تَرْجُ السَّماحَةَ مِنْ بَخِيلٍ ... فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمآنِ مَاءُ

وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التأَنّي ... ولَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ

وَلا حُزْنٌ يَدُومُ ولا سُرُورٌ ... ولا بُؤْسٌ عَلَيْكَ ولا رَخَاءُ

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم :

أَتَهْزَأُ بِالدُّعاءِ وَتَزْدَرِيهِ ... ومَا تَدْرِي بِما صَنَعَ الدُّعاءُ

سِهامُ اللَيْلِ لا تُخْطِي وَلَكِنْ ... لَهَا أَمَدٌ وَلِلأَمَدِ انْقِضاءُ

عين بصيرة ويد قصيرة:

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلى مالٍ أُفَرِّقُهُ ... عَلى الْمُقِلِّينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ

إنَّ اعْتِذَارِي إِلى مَنْ جاءَ يَسْأَلُني ... مَا لَيْسَ عِنْدِي لَمِنْ إحْدَى الْمُصِيباتِ

السعي الدائم:

سَأَضْرِبُ في طُولِ البِلادِ وَعَرْضِهَا ... أَنَالُ مُرَادِي أَوْ أَمُوتُ غَرِيبَا

فَإِنْ تَلِفَتْ نَفْسِي فَلله دَرُّها ... وَإِنْ سَلِمَتْ كَانَ ا لرُّجوعُ قَرِيبا

احترم غيرك:

وَمَنْ هَابَ الرِّجَالَ تَهَيَّبُوهُ ... وَمَنْ حَقَرَ الرِّجالَ فَلَنْ يُهابا

تنوعت الأسباب:

مَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسيفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ ... تَنَوّعتِ الأَسْبَابُ والْمَوْتُ وَاحِدُ

ما قيمة البصر إذن؟

ومَـا انتِفـاعُ أَخـي الـدُّنْيا بِنَـاظِرِهِ ... إِذا اسْتَوَتْ عندَهُ الأَنْوارُ والظُّلَـمُ

مقارنة ظالمة:

أَلَمْ تـرَ أَنَّ الـسَّيْفَ يَـنْقُصُ قَـدْرُه ... إِذا قِيل إِنَّ السَّيْف أَمْضَى مِنَ العَصَا

أمنية:

أَلاَ لَيْـتَ الـشَبَابَ يَعـودُ يَوْمًـا ... فَـأُخْبِرُهُ بِـمَا فَعَـلَ المَـشِيبُ

النجاح وليد المحاولات:

أَخْلِقْ بِـذِي الـصّبْرِ أَنْ يَحْظَـى بِحاجتِـهِ ... ومدْمِنِ القَرْعِ للأَبْوابِ أَنْ يَلِجَـا

شكوى الزمان:

إِذا أَحْسَـسْتَ فِي لَفْظِـي فُتُـورًا ... وخَطِّـي والبَلاغَـةِ والبَيَـانِ

فَـلاَ تَعْجَـبْ لِهَـذَا إِنَّ رَقْـصِي ... عَـلَى مِقْـدَارِ إِيقَـاعِ الزَّمَـانِ

نفثة مَصْدُور:

ولا بُدَّ من شكوى إِلى ذِي مُـرُوءَة ... يُواسِـيك أَو يُـسْلِيك أَو يتوجَّـعُ

إصابة الحق:

أَرُونَـا خُطَّـةً لا عَيْـبَ فِيهَـا ... يُـسَوِّي بَيْنَنَـا فيهـا الـسّوَاءُ

فَـإِنَّ الحَـقَّ مَقْطَعُـهُ ثَـلاثٌ ... يَمِـيْنٌ أَوْ نِفَـارٌ أَو جَـلاءُ

إساءة مضاعفة:

إِذَا جَـاءَ الْفَتَـى مَـا عَنْـهُ يَنْهَـى ... فَمِـن جِهَتَـينِ لا جِهـةٍ أَسـاءَ

خيانات:

إِذَا خَـانَ الأَمِـيرُ وكَاتِبَـاهُ ... وقَاضِي الأَرضِ دَاهَنَ فِي القَـضَاءِ

فَوَيْـلٌ ثُـمَّ وَيْـلٌ ثُـمَّ وَيْـلٌ ... لِقَاضِي الأَرْضِ مِـن قَـاضِي الـسَّمَاءِ

ذم:

إِذَا مَـا كَـانَ مِـثْلُكُمْ رِجَـالًا ... فَمَا فَضْلُ الرِّجَـالِ عَـلَى النِّسَاءِ؟!

لا تنمْ:

أَمَامَــكَ يــا نَوْمَــانُ دَارُ سَــعادَةٍ يَطـولُ الثَّـوى فِيهَـا ودارُ شـقاءِ
خُلِقْتَ لإِحْدَى الغَايتَيْنِ فَـلاَ تَـنمْ وكُـنْ بَـينَ خَـوفٍ مِـنْهمَا وَرجَـاءِ

طول الشقاء:

إِذَا مَـا نَبَـا حِـسٌّ وقلَّـتْ بَـصِيرةٌ فَطُـولُ بَقَـاءِ المَـرءِ طُـولُ شَـقَائِهِ

ويبقى وجه ربك:

مَا لِلطَّبِيـبِ يَمُـوتُ بالـدَّاءِ الـذِي قَدْ كَـان يُـبْرِئُ مِثْلَـهُ فِـيمَا مَـضَى؟
هَلَك المُـدَاوِي والمُـدَاوَى والَّـذِي جَلبَ الدَّواءَ وباعَهُ ومَنِ اشْـتَرَى

تضرع وثبات:

اللهُــمَّ لَــوْلا أَنْــتَ مَــا اهْتَــدَيْنا ولا تَـــــصَدَّقْنا ولاَ صَــــلَّيْنَا
فَـــأَنْزِلَنْ سَـــكِينَةً عَلِيْنـــا وثَبِّـــتْ الأَقْـــدامَ إِنْ لاقَيْنَـــا
إِنَّ الأُلَى قَـــدْ بَغَـــوْا عَلَيْنـــا إِذَا أَرادُوا فِتْنَـــــةً أَبَيْنَـــــا

اعتراف وندم:

لم تبْـكِ نَفْـسَكَ أَيـامَ الحَيَـاةِ لِمَـا تَخْشى وأَنْتَ عَلى الأَمـواتِ بَكَّـاءُ
أستَغْفِرُ اللهَ مِـن ذَنْبـي وَمِـنْ سَرَفِي إنِّي وإنْ كُنْـتُ مَـسْتورًا لخطَّـاءُ

الحذر:

أراكَ امْـرَأً تَرْجُـو مِـنَ الله عَفْـوَهُ وأَنْـتَ عَـلَى مَـا لا يُحِـبُّ مُقـيمُ
فَحتَّى مَتى تعصي ويَعْفـو إِلى مَتَـى تَبَـــارَكَ رَبِّي إِنـــهُ لَـــرَحِيمُ

لا تستهن بالصغائر:

خَـــلِّ الـــذُّنوبَ صَـــغيرَها وكَبِيرَهـــا فَهُـــوَ التُّقَـــى
واصْـــنَعْ كَـــماشٍ فَـــوقَ أر ضِ الـــشَّوكِ يَحْـــذرُ مَـــا يَـــرَى
لا تَحْقِـــــرَنَّ صَـــــغِيرَةً إنَّ الجِبَـــالَ مِـــنَ الحَـــصَى

شكر النعمة:

إِذَا كُنْـــتَ ذَا نِعْمَـــةٍ فَارْعَهـــا فَـــإِنَّ المَعَـــاصِي تُزِيـــلُ الـــنِّعَمْ
ودَاوِمْ عَلَيْهـــا بِـــشُكْرِ الإلـــهِ فَـــإِنَّ الإلـــهَ سَرِيـــعُ الـــنِّقَمْ

لا تقنطوا من رحمة الله :

إنْ كَثُرتْ منْكَ الـذُّنوبُ فَـداوِها بِرَفْعِ يدٍ فِي اللَّيْلِ واللَّيـلُ مُظْلِـمُ
ولا تَقْـنَطَنْ مِـنَ رَحمـةِ الله إنَّـما قُنوطَك مِنها مِن خَطَايَـاكَ أعظـمُ
فَرَحْمَتُـــهُ للمُحْـــسنِينَ كَرامـــةٌ ورَحْمَتُـــه للمُـــسْرِفِينَ تكـــرُّمُ

غفلة الإنسان:

إذا ما خَلوتَ الدَّهْرَ يومًا فَلا تَقُـلْ خَلَـوتُ ولَكِـنْ قُـلْ عَـليَّ رَقِيـبُ
ولا تَحْـــسَبَنَّ اللهَ يَغْفَـــلُ سَـــاعَةً ولاَ أنَّ مَـا تُخْفِـي عَلَيـهِ يَغِيـبُ
لَهَوْنَا عَـنِ الأعـمالِ حتَّـى تَتَابَعَـتْ ذُنُـــوبٌ عَـــلَى آثَـــارِهنَّ ذُنُـــوبُ
فَيَـا لَيْـتَ أنَّ اللهَ يَغفـرُ مَـا مَـضَى ويَـــأْذَنُ فِي تَوبَاتِنَـــا فَنَتُـــوبُ

عراة العصر:

إِذَا المَرءُ لَمْ يَلـبسْ ثِيَابًـا مِـنَ التُّقَـى تَقَلَّـبَ عُرْيَانًـا وإنْ كَـانَ كَاسِـيَا

دموع السحر:

قُلتُ: لِلَّيْلِ كـمْ بِـصَدْرِكَ مِـن سرٍّ أَنْبِئْنِـــــي مَـــــا أَرْوعَ الأَسْرَارِ
قـالَ: مـا ضَـاءَ فِي ظَلاَمِـيَ سِرٌّ كَـــدُمُوعِ المُنِيـــبِ فِي الأَسْـــحَارِ

رهبان الليل فرسان النهار:

يُحْيُـونَ لَـيْلَهُمْ بِطَاعَـةِ رَبِّهِـمْ بِـــتِلاَوةٍ وتَـــضَرُّعٍ وسُـــؤَالِ
وعُيُونُهمْ تَجْرِي بِفَيْضِ دُمـوعِهِمْ مِثْـلَ انْهِـمالِ الوَابـلِ الهَطَّـالِ
فِي اللَّيـلِ رُهْبَـانٌ وعِنْـدَ جِهَـادِهمْ لعَـدُوهمْ مِـن أَشْـجَعِ الأَبْطَـالِ
بِوجـوهِهِمْ أثـرُ الـسُّجُودِ لِـرَبهمْ وَبِهـــا أَشِـــعَّةُ نُـــورِهِ المُـــتَلالي

الرغبة المنطلقة:

قَيَّـــدَ الحُـــرُّ نَفْـــسَهُ بِرِضَـــاهُ   وأَبَـــى فِي الحَيَـــاةِ قَيْـــدَ سِـــواهُ
وتَـرَى العَبْـدَ رَاضِـيًا كُـلَّ قَيْـدٍ   غَـيْرَ تقييـدِ نَفْـسِهِ عَـنْ هَـواهُ

الحزم مع النفس:

إِذَا المَرءُ أَعْطَى نَفْسَهُ كُلَّ مَـا اشْـتَهَتْ   ولَمْ يَنْهَهَـا تَاقَـتْ إلى كُـلِّ باطِـلِ
وسَاقَتْ إِلَيْهِ الإِثْمَ والعَـارَ بالَّـذي   دَعَتْـهُ إِلَيْـهِ مِـن حَـلاَوةِ عَاجِـلِ

علاج وراحة:

سَـــبِّحي نَفْـــسِي وصَـــلِّي   عِنْـــدَ سَـــطْوِ العَادِيَـــاتِ
فَـــإِذَا القَلْـــبُ تَنَـــزَّى   مِـــن تَبَـــاريحِ الحَيَـــاةِ
رَقْرِقِـــي الــــنَّفْسَ دُمُوعًـــا   واسْــــكُبِيهَا فِي الــــصَّلاةِ
فَإِلَـــهُ الكَـــونِ يُـــصْغِي   لِلنُّفُـــــوسِ البَاكِيَـــاتِ

كيد الخصم والحكم:

فلا تـرُم بالمَعَـاصِي كَـسْرَ شَـهْوتِها   إِنَّ الطَّعَـامَ يُقَـوِّي شَـهْوةَ الـنَّهِمِ
والنفسُ كَالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَـلى   حُبِّ الرَّضَاعِ وإِنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِمِ
فاصرِفْ هَوَاهـا وحَـاذِرْ أنْ تُولِيَـهُ   إِنَّ الهَوى مَـا تَـولَّى يُـصْمِ أو يَـصِمِ(١)
وراعِها وَهِـيَ فِي الأعـمالِ سـائِمَةٌ   وإنْ هِيَ استحَلَّتْ المَرْعى فَـلا تُـسِمِ(٢)
كَـمْ حـسَّنَتْ لَـذَّةً للمَـرءِ قَاتِلَـةً   مِن حيثُ لَمْ يدْرِ أَنَّ السُّمَّ في الدَّسَـمِ
واخْشَ الدَّسَائِسَ مِن جُوعٍ ومِـن شِـبَعٍ   فَـرُبَّ مَخْمَـصَةٍ شرٌ مِـنَ الـتُّخَمِ
واستفرغ الدَّمعَ مِنْ عَينٍ قدْ امـتلأتَ   مِـنَ المَحَـارِمِ والْـزمْ حِمْيَـةَ النَّـدمِ
وخَالف النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْـصِهِمَا   وإِنْ هُمَـا محَّـضاكَ النُّـصْحَ فـاتَّهِمِ

(١) يصمي: يقتل. يصم: يعيب من وصم.
(٢) السوم: الرعي.

ولا تُطِعْ مِنْهما خَصْمًا ولاَ حَكَمًا فَأنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

إنما أنت أيام:

كــلَّ يــومٍ يَمُــرُّ يَأْخــذُ بَعْــضِي يورِثُ القَلْبَ حَسْرةً ثُمَّ يَمْضِي

عيش البهائم:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ولَيْلُكَ نَومٌ والأَسَى لَكَ لاَزِمُ
تُسَرُّ بِمَا يَفْنَى وتَفرَحُ بِالمُنَى كَمَا سُرَّ باللَّذَّاتِ في النَّومِ حَالِمُ
وسَعْيُكَ فِيمَا سَوفَ تَكْرهُ غِبَّهُ[1] كَذلِكَ فِي الدُّنْيا تَعِيشُ البَهائِمُ

كل نفس ذائقة الموت :

آتِ القُبَورَ فَنَادِها أَصْواتًا فَإِذَا أَجَبْنَ فَسِائلِ الأَمْوَاتَا
أَيْنَ المُلُوكُ بنُو المُلُوكِ فَكُلهُمْ أَمْسَى وأَصْبَحَ في التُّرَابِ رُفاتَا
كَمْ مِنْ أبٍ وأَبِي أبٍ لَكَ تَحْتَ أَطْـ ـبَاقِ الثَّرى قَدْ قِيلَ كَانَ فَمَاتَا
والدَّهْرُ يَومٌ أَنتَ فِيهِ وآخَرٌ تَرْجُوهُ أو يَومٌ مَضَى بِكَ فَاتَا
هَيهَاتَ إِنَّكَ لِلْخُلُودِ لمُرتَجٍ هَيْهَاتَ مِمَا تَرْتَجِي هَيْهَاتَا
مَا أَسْرعَ الأمَر الذِي هُوَ كَائِنٌ لاَ بُدَّ منهُ وأَقْرَبَ المِيقَاتَا

لئن شكرتم لأزيدنكم :

تُريدُ مِنَ الله إحْسَانَهُ فَيُعْطِيكَ أَكْثَرَ مِمَا تُرِيدُ
ومَن يَشْكُرْ اللهَ لَمْ يَنْسَهُ ولَمْ يَنْقَطِعْ مِنهُ يَومًا مَزِيدُ

الزاد القليل:

سَكنتُكِ يا دارَ الفَنَاءِ مُصَدِّقًا بِأَنِّي إِلى دَارِ البَقَاءِ أَصِيرُ
وأَعْظَمُ مَا فِي الأَمْرِ أَنِّي صَائِرٌ إِلى عَادِلٍ فِي الحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ

---

(١) الغبّ: العاقبة.

فَياليْتَ شِعْري كَيفَ أَلقاهُ عِنْـدها ... وزادِي قَلِيــلٌ والــذُّنوبُ كَثِـيرُ
فــإنْ أَكُ مَجْزِيًّــا بِــذَنْبِي فَــإنَّنِي ... بِــشَرِّ عِقَــابِ المُــذْنِبِينَ جَــدِيرُ
وإنْ يَـكُ عَفْـوٌ مِنْـه عَنِّـي ورَحْمَـةٌ ... فَــثَمَّ نَعِــيمٌ دَائِــمٌ وسُرُورُ

أمل في عفو الكريم:

لَـئِنْ جَـلَّ ذَنْبِـي وارْتَكَبْـتُ المَـآثِمَا ... وأَصْـبَحْتُ فِي بَحْـرِ الخَطِيئَـةِ عَـائِمَا
فَهَـا أَنَـا يَـا ربِّ أقْـرَرْتُ بِالَّـذِي ... جَنَيتُ على نَفْسِي وأَصْبَحْتُ نَادِمـا
أَجَـلُّ ذُنُـوبِي عِنـدَ عَفـوِكَ سَيِّدِي ... حَقِـيرٌ وإنْ كانَـتْ ذُنُـوبِي عَظَـائِمَا

ضراعة وأمل:

يَـا رَبِّ إنْ عَظُمَـتْ ذُنُـوبِي كَثْـرةً ... فَلَقَدْ عَلِمْـتُ بِـأَنَّ عَفْـوكَ أَعْظَـمُ
إنْ كَــانَ لاَ يَرْجُــوكَ إلا مُحْـسِنٌ ... فَـبِمَنْ يَلُـوذُ ويَـسْتَجِيرُ المُجْـرِمُ
أَدْعُـوكَ رَبِّي كَـمَا أمَـرْتَ تَـضَرُّعًا ... فَإِذَا رددتَ يَـدِي فَمَـنْ ذَا يَـرْحَمُ
مَـا لِي إِلَيْـكَ وسِـيلَةٌ إلا الرَّجَـا ... وجَمِيــلُ عَفْــوِكَ ثُـمَّ إِنِّي مُـسْلِمُ

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة :

مَــا أَحْــسَنَ الــدُّنْيَا وإِقْبَالَهَــا ... إِذَا أَطَــاعَ الله مَــنْ نَالَهَــا

الجد فيما ينفع:

دَعْ مَا يُرِيبُ وخُذْ فِيمَا خُلِقْـتَ لـهُ ... لَعــلَّ قَلْبَــكَ بِــالإيمانِ يَنْتَفِــعُ
إنَّ الحَيَــاةَ لَثَــوْبٌ سَــوْفَ تَخْلَعــهُ ... وكُــلُّ ثَــوبٍ إِذَا مَــا رَثَّ يَنْخَلِـعُ

أسرى المنون:

لَعَمْرُكَ مَـا حَـيٌّ وإنْ طَـالَ سَـيْرُهُ ... يُعَــدُّ طَلِيقًــا والمَنُــونُ لَــهُ أَسْرُ
ومَــا هَــذهِ الأَيَّــامُ إلاّ مَنَــازِلٌ ... يَحُلُّ بِهَـا سـفَرٌ[1] ويَتْرُكُهـا سَـفَرُ

---

(١) سفر: أي مسافر.

فَـلاَ تَحْـسبنَّ المـرءَ فيهـا بخالــدٍ ولَكِنَّــهُ يَـسْعَى وغايَتُــهُ العَمْــرُ

تتابع الأيام:

تَمُـرُّ بِنَـا الأَيَّـامُ تَـتْرى[1] وإنَّـمَا نُـسَاقُ إِلَى الآجَـالِ والعَـينُ تَنْظُـرُ

فَلا عَائِدٌ ذَاكَ الشَّبَابُ الذِي مَـضَى ولاَ زَائِـلٌ هَـذَا المَـشِيبُ المُكَـدِرُ

دموع الندم وطلب العفو:

اُعْــفُ عَنِّــي وأَقِلْنِــي عَثْــرَتِي يَــا غِيَــاثي لِمُلِــمَّاتِ الــزَّمنْ

لاَ تُعَــاقِبْنِي فَقَــدْ عَــاقَبَني نَــدَمٌ أَقْلَــقَ رُوحِــي فِي البَـدَنْ

لا تُطَــيِّرْ وَسَــنًا عَــنْ مُقْلَــةٍ أَنْـتَ أهـدَيتَ لَهَـا طِيـبَ الوَسَـنْ

إنْ تُؤاخِــذْنِي فَمَــنْ ذَا أَرْتَجِــى وإِذَا لَمْ تَعْـفُ عَـنْ ذَنْبِـي فَمَـنْ؟

الحلاوة المرّة:

فَـلاَ تَعْـشَقِ الـدُّنْيَا أُخَـيَّ فَإِنَّمَـا يُـرى عَاشِـقُ الـدُّنْيَا بِجَهْـدِ بـلاءِ

حَلاَوتُهَــا مَمْزُوجَــةٌ بِمَــرَارَةٍ ورَاحَتُهَــا مَمْزُوجَــةٌ بِعَنَــاءِ

عبرة:

إنَّ الطَّبِيــبَ بِطِبِّــهِ ودَوائِــهِ لاَ يَـسْتَطِيعُ دِفَـاعَ مَكْـرُوهٍ أَتَـى

مَا لِلطَّبِيـبِ يَمُـوتُ بِالـدَّاءِ الـذِي قَدْ كَانَ يُبْرئ منـهُ فـيَما قـدْ مَـضَى

ذهبَ المُـدَاوِي والمُـدَاوَى والـذي جلبَ الدواءَ وباعَهُ ومنِ اشْـتَرى

لماذا البخل؟

أَبْقَيْــتَ مَالَــكَ مِيرَاثًــا لِوارِثِــهِ فَلَيْتَ شِعْري مَا أَبْقى لَـكَ المَـالُ

القَــومُ بَعْـدَكَ فِي حَــالٍ تَـسُرُّهُمُ فَكَيْفَ بَعدهُمُ دَارَتْ بِـكَ الحَـالُ

مَلّوا البُكَاءَ فَـمَا يَبْكِيـكَ مِـنْ أحـدٍ واسْتحكَمَ القِيلُ في المِيرَاثِ والقَـالُ

---

(١) تترى: تتابع.

لا مرحبا بسرور جاء بالضرر:

إِنَّ الحَـوادِثَ مَبْـدَاهَا مِـنَ النَّظَـرِ ومُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ فتكَتْ فِي قَلْبِ صَـاحِبِها فَتْكَ السِّهَامِ بِـلاَ قَـوْسٍ ولا وتَـرِ
والمَـرءُ مَـا دَامَ ذَا عَـيْنٍ يُقَلِّبُهَـا فِي أَعْيَنِ النَّاسِ مَوقُوفٌ عَـلى الخَطَـرِ
يَـسُرُّ مُقْلَتَـهُ مَـا ضَرَّ مُهجَتَـهُ لا مَرْحَبًا بِـسُرورٍ جَـاءَ بالـضَّرَرِ

انحسار وحسرة:

كَـمْ كَمِّـي[1] «عَـرَبِي» ثَـائِرٍ كَبَّلـوا فِي كَفِّـه الـدَّامِي الحُـسَامَا
وجَـوَادٍ عَـرَبِيٍّ قَـدْ غَـدَا يَمْضَغُ السَّرجَ.. ويَقْتَاتُ اللِّجَامَـا

عشق البندقية:

سَـاءَلَتْنِي في حِمَانَـا ظَبْيَـةٌ أَتُحِـبُّ الـشَّوْقَ فِي عَيْنَـيْ صَـبِيَّةْ
قُلْـتُ لَا أَعْـشَقُ طَرْفًـا نَاعِـسًا وخُـدُودًا وشِـفَاهًا قُرْمُزِيَّـةْ
إِنَّـما أَعْـشَقُ صَـدْرًا عَـامِرًا يَحْمِـلُ المَـوْتَ ويَزْهُـو بِالمَنِيَّـة
أَدْرَكَـتْ سِرِّي وقَالَـتْ ظَبْيَتِـي أَنْـتَ لا تَعْـشَقُ غَـيْرَ البُنْدُقِيَّـة

أمنية:

مَـنْ لِي بِـسَيْفٍ لَا يَهَـابُ الـرَّدَى فِي كَـفِّ مَـنْ يَزْهُـو بِـهِ المَوْكِـبُ
أَوْ رَايَـةٍ فِي جَحْفَـلٍ ظَـافِرٍ يَقُـودُه الفَـارُوقُ أو مُـصْعَبُ

أرغد العيش لذة:

ولَا تَـذْكُرا لي طِيـبَ عَـيْشٍ فَـإِنَّمَا بُلُوغُ الأَمَـانِي صِـحَّتِي وسـقَامِي
وفِي الغَزْو أَلْقَى أَرْغَدَ العَـيْشِ لَـذَةً وفِي المَجْـدِ لَا فِي مَـشْربٍ وَطَعَـامِ

أين الأباةُ؟

أَيْـنَ الأُبَـاةُ أَكَـادُ أُنْكِـرُ أَنَّنِـي مِـنْ أُمَّـةٍ قَـدْ جَاءَهـا التَنْزِيـلُ

---

(١) الكمي: الشجاع.

ثُـوري أمّتي:

كَفَـاكِ تَفَجُّـعٍ وكَفَـتْ دُمُـوعٌ وهِبِّـي فَـالْمَاتُ ولَا الخُـضُوعُ
ونَـادِي كُـلَّ مِقْـدَامٍ أبِيٍّ لَـهُ فِي كُـلِّ مُعْـتَرَكٍ سُـطُوعُ
وثُـورِي أُمَّتِـي فَلَقْـدْ تنَـزَّتْ(١) إلى ثارَاتِهـا هَـذِي الجُمُـوعُ

السكوت ستر:

سَـأَهْجُرُ مَـا يُخَـافُ عَـلِيَّ مِنْـهُ وأَتْـرُكُ مَـا هَويـتُ لِمَا خَـشِيتُ
لِـسَانُ المَـرءِ يُنْبِـئُ عَـنْ حِجَـاهُ وإنَّ المَـرءَ يَـسْتُرُهُ الـسُكوتُ

عباد الليل فرسان النهار:

كَـمْ زاوَلُـوا الأَوْرَادَ فِي ظَلْمَائِهِـمْ وقَـاتَلُوا الأَبْطَـالَ يَـومَ الْمُلْتَقَـى
فَهُـمْ إِذَا جَـنَّ الظَّـلامُ سُـجَّدٌ وبالنَّهَـارِ مُـضْرِمُو نَـارَ الـوَغَى

افتقاد الموضوعية:

فَعينُ الرِّضَا عَنْ كُـلِ عَيْـبٍ كَلِيلَـةٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْـدِي المَسَاوِيَا

ارتفع بنفسك:

قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْـرٍ لَـوْ فَطِنـتَ بِـهِ فَارْبأ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الهَمَـلِ

إمّعة:

نَرْضَى بِمَا تَرْضَى وإنْ كَلَّفْتَنَـا شَـطَطًا ومَـا كَرِهْـتَ فَكُـرْهٌ عِنْـدنَا قَـذَرُ

لصوص خائفون:

وتَهَيَّبُوا التَّطَبِيـقَ خَـوفَ حُـدُودِها لاَ يُرْهِـبُ التَّطَبِيـقَ إلا لِـصُّهَا

أنا لها:

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أَنَّنِي عُنِيـتُ فَلَـمْ أكـسَلْ ولَمْ أتبلَّـدِ

زمن الكساد والركود:

يَا رُكُـودًا فِي وَقْـتِ غَـيمٍ وصيفِ يَـا وُجُـوه التّجَّـارِ يَـوْمَ كَـسَادِ

---

(١) تنزَّت: وثبت.

للرجال حالات:

وطَـوْرًا تَـرَانِي فِي ظِـلاَلٍ ومَجْمَـعٍ ... وطَوْرًا تَـرَانِي والعِنَـاقُ[1] رِكَابِيًـا
وطَـوْرًا تَـرَانِي فِي رَحْـى مُـسْتَدِيرَةٍ ... تُخَـرِّقُ أَطْـرَافُ الرِّمَـاحِ ثِيَابِيَـا

الجود:

هُو البَـصرُ مِـنْ أَيِّ الجِهَـاتِ أَتيتَـهُ ... فَلُجَّتُهُ المَعْـرُوفُ والجُـودُ سَـاحِلُهْ
تَعَوَّدَ بَـسْطَ الكَـفِّ حَتَّـى لَـو أَنَّـهُ ... أَرَادَ انْقِبَاضًـا لَمْ تُطِعْـهُ أَنَامِلُـهْ
ولَـوْ لَمْ يَكُـن فِي كَفِّـهِ غَـيْرَ نَفْـسِهِ ... لجَـادَ بِهَـا فَلْيَتَّـقِ اللهَ سَـائِلُهْ

جبن:

أُسْـدٌ عَـلَّي وفِي الحُـرُوبِ نَعَامَـةٌ ... فَتْخَاءَ[2] تَجْفَلُ مِـنْ صَـفِيرِ الـصَّافِرِ
هَلاَّ كَـرَرْتَ عَـلى غَزَالـةَ[3] فِي الـوَغَى ... بَلْ كَانَ قَلْبُـكَ فِي جَنَـاحَيْ طَـائِرِ

جزارة جديدة:

قَـــدْ بُلِينَـــا بِـــأَمِيرٍ ... ظَلَـــمَ النَّـــاسَ وسَـــبَّحْ
فَهْـــو كَـــالجَزَّارِ فِـــيهِمْ ... يَـــذْكُرُ اللهَ ويَـــذْبَحْ

التغاضي:

لَوْ كُلُّ كَلْبٍ عَوَى أَلْقَمْتُـهُ حَجَـرًا ... لَأَصْـبَحَ الـصَّخْرُ مِثْقَـالًا بِـدينَارِ

داء لا علاج له:

احْـــذَرْ الأَحْمَـــقَ واحْـــذَرْ ودَّهُ ... إِنَّـمَا الأَحْمَـقُ كَـالثَّوبِ الخَلِـقْ
كُلَّـــمَا رَقَعْتَـــهُ مِـــنْ جَانِـــبٍ ... زَعْزَعَتْـهُ الـرِّيحُ يَوْمًـا فَـانْخَرَقْ
أو كَـــصَدْعٍ فِي زُجَـــاجٍ فَـــاحِشٍ ... هَلْ تَـرى صَـدعَ زُجَـاجٍ يلتَـصِقْ

---

(١) العناق: عناق الأرض.
(٢) الفَتْخَاء: الناقة ونحوها ترتفع أخلافُهَا قِبَلَ بَطْنها.
(٣) غزالة هي زوجة زعيم الخوارج، وكانت مشهورة بالشجاعة.

فَـــإِذَا عَاتَبْتَـــهُ كَـــي يَرْعَـــوِي زادَ شَرًّا وتَمَــادَى فِي الحَمَــقْ(١)

علو في الحياة وفي الممات:

لَئِنْ حَسُنَتْ فيكَ المَرَاثِـي وذِكْرِهـا فَقَدْ حَسُنَتْ مِن قَبلِ فِيكَ المَدائِحُ

الهموم لا تدوم:

أَيُّهَـــــا الحَامِـــــلُ هَمًّـــــا إنَّ هَــــــذَا لاَ يَــــــدُومْ

مِــــثْلَمَا تَفْنَــــى المَــــسَرَّاتُ كَــــذَا تَفْنَــــى الهُمُــــومْ

إِنْ قَــسَا الــدَّهْرُ فَــإِنَّ اللـــــهَ بِالنَّــــاسِ رَحِــــيمْ

أو تَــــرَى الخَطْــــبَ عَظِــــيمًا فَكَــــذَا الأَجْــــرُ عَظِــــيمْ

مِيتةٌ كريمةٌ:

فَيَـا رَبِّ لاَ تَجْعَـلْ حَيـاتِي مَذَمـةً ولا مَـوْتتِي بَـيْنَ النِّسَاءِ النَّـوائِحِ

ولَكِنْ قَتِـيلًا يَـدْرُجُ الطَـيْرُ حَولَـهُ وتَشْرَبُ غِرَبانُ الفَلا مِنْ جَـوانِحِي

مجرب:

لَقَدْ زِدتُ بالأَيَّـامِ والنَّـاسِ خِـبَرَةً وجَرَّبْتُ حَتى هَذَّبْتنِي التَجَـارِبُ

قيمة التجربة:

إِنَّ الـسَّعِيدَ لَـهُ مِـنْ غَـيْرِه عِظَـةٌ وفِي التَجَـارِبِ تَحْكِـيمٌ ومُعْتَـبرُ

أخوة:

إِنَّ أَخَاكَ الصِّدْقَ مَـنْ كَـانَ مَعَـكْ ومَـــنْ يَـضُرُّ نَفْـسَهُ لِيَنْفَعَـكْ

ومَـنْ إِذَا رَيْـبُ الزَّمَـان صَـدَعَك شَـتَّتَ شَـمْلَ نَفْـسِهِ لِيَجْمعَـكْ

رفقة السوء:

لا تَـصْحَبَنَّ رَفِيقًـا لَـسْتَ تَأْمنُـهُ بِئْسَ الرَّفِيقُ -رَفِيقٌ- غَيْرُ مَـأْمُونِ

تحذير:

فَــلاَ تَــصْحَبْ أَخَــا الجَهْــلِ وإِيَّــــــاكَ وإِيَّــــــاهُ

(١) الحمق: فساد الرأي.

فَكَـــمْ مِــــنْ جَاهِـــلٍ أَرْدَى حَلِــــيمًا حِــــينَ آخَــــاهُ

صافِ الكرام:

كَـمْ مِـنْ أَخٍ لَـكَ لَمْ يَلِـدْهُ أَبُوكَـا وأخٍ أَبُــوهُ أَبُــوكَ قَــدْ يَجْفُوكَــا

صَافِ الكِـرَامَ إِذَا أَرَدْتَ إِخَـاءَهمْ واعْلَمْ بَـأَنَّ أَخَـا الحِفَـاظِ أَخُوكَـا

والنَّاسُ مَا اسْتَغْنَيْتَ كُنتَ أَخَـاهُمُ وإِذَا افْتَقَــرْتَ إِلَــيْهِمُ رَفَــضُوكَا

أفعالنا فخارنا:

إنّــا وإنْ أَحْــسَابُنَا كَرُمَــتْ لَــسْنَا عَــلى الأَحْــسَابِ نَتَّكِــلُ

نَبْنِــي كَــمَا كَانَــتْ أَوائِلُنــا تبْنِــي ونَفْعَــلُ مِثْــلَ مَــا فَعَلُــوا

أفضل الناس:

وأفْضَلُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ الوَرَى رَجُـلٌ تُقْضَى عَلى يَـدِهِ لِلنَّـاسِ حَاجَـاتُ

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ ومَا مَاتَتْ مَكـارِمُهمْ وعَاشَ قَوْمٌ وهُمْ فِي النَّـاسِ أَمْـواتُ

اطلب الأجود:

تَجِــدْ الكُتْــبَ عَــلى النَّقْــدِ كَــمَا تَجِــدْ الإخــوان صِــدْقًا وكِــذابا

فَتَخَيَّرْهَـــــا كَـــــمَا تَخْتَـــــارُهُ وادّخِـرْ فِي الـصُّحْبِ والكُتْـبِ اللُّبَابَـا

صَـالِحُ الإِخْـوَانِ يَبْغِيـكَ التُّقَـى ورَشِيدُ الكُتْـبِ يَبْغِيـكَ الـصَّوابا

إن الأمور همّة:

مَــــنْ يَــــبِنْ مُلْكًــــا أو يَــــذُد فَبِالقَنَــــــا المُجَــــــرَّرَةْ

إنَّ الأُمُـــــــورَ هِمّـــــــةٌ لَــــيْسَ الأُمُــــورُ ثَرْثَــــرَةْ

مَــــا المُلْــــكُ إلاَّ فِي ذُرَى الألويــــــةِ المُنَــــــشَّرَةْ

عَرِينُــــهُ مُــــذْ كَــــانَ لاَ يَحْمِيــــــهِ إلا قَــــــسْورَةْ

ربُّ النِّيــــوبِ الــــزُّرْقِ والمَخَالــــبِ المُــــذكَّرَة

رامي البحر:

مـا يـضُرُّ البَحـرَ أَمْـسَى زَاخِـرًا ... إنْ رَمَـى فِيـهِ غُـلامٌ بِحَجَـرْ

ليس الحكم على الشيء بمظهره:

تَـرَى الرَّجُـلَ النَّحِيـفَ فَتَزْدَرِيـهِ ... وفِي أَثْوَابِـهِ أسَـدٌ هَـصُورُ

ويُعْجِبُـكَ الطَّرِيـرُ إِذَا تَـراهُ ... فَيُخْلِـفُ ظَنَّـكَ الرَّجُـلُ الطَّرِيـرُ

بُغَـاثُ الطَّـيْرِ أَطْوَلُهَـا رِقَابَـا ... ولَمْ تَطُـل البُـزَاةُ ولا الـصُّقُورُ

خـشَاشُ الطَّـيْرِ أَكْثَرُهَـا فِرَاخًـا ... وأُمُّ الـصَّقْرِ مُقْـلاَتٌ نُـزُورُ

ضِـعَافُ الأُسْـدِ أَكْثَرُهَـا زَئِـيرًا ... وأَصْرَمُهَـا اللَّـواتِي لاَ تُزِيـرُ

وقَـدْ عَظُـمَ البَعِـيرُ بِغَـيْرِ لُـبٍّ ... فَلَـمْ يَـسْتَغْنِ بـالعظمِ البَعِـيرُ

يُنَـوّخ ثـم يَـضْربُ بـالهَرَاوي ... فَـلاَ عُـرْفٌ لَدَيْـهِ ولا نَكِـيرُ

يُقَـوّده الـصَّبِيُّ بِكُـلِّ أَرْضٍ ... ويَنْحَـرُه عَـلى الـتُّرْبِ الـصَّغِيرُ

فَـمَا عِظَـمُ الرِّجَـالِ لَهُـمْ بـزَيْنٍ ... ولكِـنْ زَيْـنُهُمُ كَـرَمٌ وخِـيرُ

بكاء وقهر:

ولّمـا أبـتْ عَيْنَـاي أَنْ تَكْـتِمَا البُكَـا ... وأنْ تَحبِسَا سَحَّ الـدُّمُوعِ الـسَّوَاكِبِ

تثاءبْتُ كَي لاَ يُنْكِـرَ الـدَّمْعَ مُنْكِـرٌ ... ولَكِـنْ قَلِـيلًا مَـا بَقَـاءُ التَّثَـاؤُب

أَعَرَّضْـتُمانِي لِلْهَـوى ونَمَمْـتُمَا ... عَليّ لَبِئسَ الـصَّاحِبَانِ لِـصَاحِبِ

الحفاظ على الأعراض:

قال أبو بكر الأنباري رحمه الله: أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي:

يَقُولُـونَ لَـيْلَى بالمَغِيـبِ أَمِينَـةٌ ... لَـهُ وهُـو رَاعٍ سِرَهَـا وأمِينُهَـا

فـإنْ تَـكُ لَـيْلَى اسْتَوْدَعَتْني أَمَانَـةً ... فَـلا وأَبِي (أعْـدائِها) لا أَخُونُهَـا

أأُرضي بِلـيلَى الكَاشِـحينَ وأَبْتَغِـي ... حَراسـة أَعْـدَائي لهَـا وأُهِينُهَـا

مَعَاذَةَ وَجْه اللهَ أَنْ أُشْمِت العِدَا بِلَيلى وإنْ لَمْ تَجْزِنِي ما أَدِينُها
سَأَجْعَل عِرْضِي جُنَّةً دون عِرْضَها ودِيني فيبَقَى عِرْض ليلى ودِينُها

حُسْن التخلص:

قال أبو بكر بن دريد – رحمه الله: أخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام الكلبيّ قال: صعد خالد بن عبد الله القسري يومًا المنبر بالبصرة ليخطب فأُرتج عليه فقال: «أيها الناس إن الكلام ليجيء أحيانًا فيتسبَّب سَبَبُه، ويعزبُ أحيانًا فيعزّ مطلبُه، فربما طُولب فأبى، وكوبر فعصى، فالتأنِّي لمجيئه أصوب من التعاطي لِأَبيِّه» ثم نزل. فما رئي حصر أبلغ منه.

سقم بلا ألم:

قال أبو بكر بن دريد لنفسه:

أَرَى الشَّيْبَ مُذ جَاوَزْتُ خَمْسِينَ دَائِبًا يَدبُّ دَبِيبَ الصُّبْحِ فِي غَسَقِ الظُّلَمْ
هُو السُّقْمُ إِلَّا أَنَّه غَيْرُ مُؤْلِمٍ ولَمْ أَر مِثْل الشَيْبِ سُقْمًا بِلاَ أَلَمْ

بكاء الفراق:

عن عبد الله بن شبيب قال: أتيت الزبير لأودّعه وأَخرج من المدينة، فقال لي: بلغني أنك لما أتيت هشام بن إبراهيم لتودّعه قال: لا أودعك حتى أغنِّيك.

وأَنَا بَكَيْتُ مِن الفِرَاقِ فَهَلْ بَكَيْتَ كَمَا بَكَيْتُ
ولَطَمْتُ خَدِّي خَالِيًا وَمَرسْتُه حَتَّى اشْتَقَيْتُ
وعَواذِلِي يَنْهَيْنَنِي عَمَّنْ هَويتُ فَمَا انْتَهيْتُ

قال الزبير، وأنا لا أودّعك حتى أنشدك:

أَزفَ البَيْنُ المُبِينُ وجَلا الشُّكْرَ اليَقِينُ
لَمْ أَكُنْ لاَ كُنْتُ أَدْرِي أنَّ ذَا البَيْنَ يَكُونُ
عَلَّمُونِي كَيْفَ أَشْتَا قُ إذا خَفَّ القَطِينُ

الحكمة ضالة المؤمن:

قال معاوية: الفرصة خلسة، والحياء يمنع الرزق، والهيبة مقرون بها الخيبة، والكلمة من الحكمة ضالة المؤمن.

حب الضرر:

قال عبد الرحمن عن عمه: سمعت أعرابيًا من بني مـرّة يعـظُ ابنًـا لـه وقـد أفسد ماله في الشراب فقال: لا الدّهر يعظك، ولا الأيـام تنـذرك، والـساعات تعدُّ عليك، والأنفاس تعدُّ منك، أحبّ أمريك إليك، أردُّهما بالمضرة عليك.

شدة تنفع خير من لين يضر:

قال: وأخبرنا عبد الرحمن عن عمه قـال: سـمعت أعرابيًـا يقـول لأخ لـه: اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طـالع لـك مـا وراء العواقـب بِرَوِيَّتـه ونظره، ومَثَّل لك الأحوال المخوفة عليك، وخَلَط الوَعْر بالـسهل مـن كلامـه ومشورته، ليكون خَوْفُك كفـاء رَجَائِـكَ، وشـكرك إزاء النعمـة عليـك، وأن الغاش لك والحاطب عليك من مَدَّ لك في الاغترار، وَوَطَّأ لـك مهـاد الظلـم، تابعًا لمرضاتك، منقادًا لهواك.

من مساوئ الأخلاق:

حدّثنا أبو بكر بن دريد -رحمه الله- قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه، قال: سمعت رجلًا يقول: الحسدُ ماحق الحسنات، والزَّهْو جالبٌ لمقت الله ومقـتِ الصالحين، والعُجْب صارفٌ عن الازدياد من العلم، داع إلى التخمُّط والجهل، والبخل أَذَأم الأخلاق وأجلبَها لسُوء الأحدوثة.

العقل وزير ناصح:

وقال أبو بكر بن دريدًا: وأخبرنا عبد الرحمن عن عمـه، قـال: سـمعت رجـلًا يوصي آخر وأراد سفرًا فقال: آثـر بعملـك معـادك، ولا تـدع لـشهرتك رشـادك، وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك إلى الهدى، ويعصمك من الرَّدى، ألجم هـواك عن الفواحش، وأطْلقه في المكارم، فإنك تبرُّ بذلك سلفك، وتشيد شرفك.

صدق المودة:

وقال أبو بكر بن دريد: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: سـمعت أعرابيًـا يُوصي ابنه فقال: ابْذُل المـودّة الـصادقة تـستفد إخوانـا، وتتخـذ أعوانًـا، فـإن العداوة موجودة عتيدة، والصداقة مُـستَعزِرَة بعيـدةٌ، جنِّـب كرامتـك اللئـام، فإنك إن أحسنت إليهم لم يشكروا، وإنْ نَزَلَت شديدةٌ لم يصبروا.

قال أبو علي: مستعزرة: منقبضة شديدة.

متاعب ومذامّ:

قال الأحنف بن قيس:

الكذُوب لا حيلة له، والحسود لاراحة له، والبخيل لا مروءة لـه، والملـول لا وفاء له ، ولا يسود سيئ الأخلاق، ومن المروءة إذا كـان الرجـل بخـيلًا أن يكتم ذلك ويتجمّل.

ترفُّع:

قال أبو حاتم: قيل للأحنف: بم بلغت ما بلغت؟ قال: لو عاب الناسُ الماء ما شربته.

قيمة السخاء:

قال: وقال: من لم يسخُ نفسًا عـن الحـظّ الجـسيم للعيـب الـصغير، لم يعـدَّ شفيقًا على نفسه، ولا صائنًا لعرضه. وقال الأصمعي: من أمثال العـرب: «دَعْ بُنَيَّات الطريق» أي اقصد لمعظم الشأن.

ويقال: «لا تويس الثرى بيني وبينك» أي لا تقطع الودّ الذي بيننا. ويقال: «السعيد من اتعظ بغيره» يراد من رأى غيره فاتعظ سَعِدَ. ويقال: «طويتُه عـلى بُلَلَتِه» يُرادُ استبقيته قبل أن تبلغ فساده، وذلك أن السقاء إذا طويته وهو مبتـلٌّ تثنَّى، وإذا طوى وهو يابس تكسّر. أي فقد طلبت مصلحته.

بلاغة وبيان:

عن هشام بن صالح عن سعد القصر قال: حَجَّ عتبة سنة ٤١- والناس قريب عهدهم بفتنة- فصلى بمكة الجمعة، ثم قال: أيها الناس، إنا قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر، وعلى المسيء فيه الوزر، ونحن على طريق ما قصدنا، فلا تمدُّوا الأعناق إلى غيرنا، فإنها تنقطع دوننا، وربّ مُتَمَنٍّ حتفُه في أمنيَّته، فاقبلوا العافية ما قبلناها فيكم وقبلناها منكم، وإياكم ولوا فإنها أتعبت من كان قبلكم، ولن تريح من بعدكم، وأنا أسأل الله أن يعين كلًّا على كل. فصاح به أعرابي: أيها الخليفة، فقال: لستُ به ولم تبعد، فقال: ياأخاه، فقال: أسمعتَ فقل، فقال: تالله أن تحسنوا وقد أسأنا، خير من أن تسيئوا وقد أحسنَّا، فإن كان الإحسان لكم دوننا فما أحقكم باستتمامه وإن كان منَّا، فما أولاكم بمكافأتنا. قال رجل من بني عامربن صعصعة: يلقاكم بالعمومة ويقرُب إليكم بالخئولة، قد كثره العيال، ووطئه الزمان، وبه فقر وفيه أجر، وعنده شكر. فقال عتبة: استغفر الله منكم، واستعينه عليكم، قد أمرنا لك بغناك، فليت إسراعنا إليك، يقوم بإبطائنا عنك.

تجربة ناجحة:

وحدّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا العكليّ، قال: حدّثنا أحمد بن محمد المزني قال أبوجهم بن حذيفة لمعاوية: نحن عندك يا أمير المؤمنين، كما قال الشاعر لابن عبد كلال:

نَمِيلُ عَلى جَوَانِبِهِ كَأَنّا ... نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلى أَبِينَا

نُقلّبُه لِنُخْبِرَ حَالَتَيْهِ ... فَتُخْبِرَ مِنْهُمَا كَرَمًا ولِينَا

فأمر له بمائة ألف.

الجود أمان:

عن أبي عمرو بن العلاء قال: لمّا توّج النعمان واطمأنّ به سريرُه، دخل عليه الناس وفيهم أعرابي فأنشأ يقول:

إِذَا سُسْتَ قَومًا فاجْعَل الجُودَ بَيْـنهم وبَيْنَـك تَـأْمنْ كُـلَّ مَـا تَتَخـوَّفُ

فـإنْ كُـشِفَتْ عِنْـد المُلـمَّاتِ عَـوْرةٌ كَفَاكَ لِبَـاسُ الجُـودِ مَـا يَتكَـشَّفُ

فقال: مقبول منك نصحك، ممن أنت؟ قال: أنا رجل مِـنْ جَـرْم، فـأمر لـه بمائة ناقة وهي أول جائزة أجازها.

أصناف الناس:

قال معاوية لصعصعة بن صوحان: صف لي الناس، فقال:

خُلق الناس أطيافًا: فطائفـة للعبـادة، وطائفـة للتجـارة، وطائفـة خطبـاء، وطائفة للبأس والنجدة، ورِجْرِجة فيما بين ذلك، يكدِّرون الماء ويُغْلُون السِّعْرَ، ويضيقون الطريق.

قال أبو علي: الرجرجة: شرار الناس ورُذَالهم، وأصل الرجرجة: الماء الذي قد خالطه لُعاب وجَمْعُهُ رَجَارج.

عزة الرجال:

عن المطلب بن المطلب بن أبي وداعة عن جده، قال: رأيت رسـول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه على باب بني شيبة فمرّ رجل وهو يقول:

يـا أيّهـا الرجُـل المُحـوِّل رَحْلَـه ألا نَزَلْـتَ بِـآلِ عَبْـدِ الـدَّارِ

هَبَلَتْكَ أمُّـكَ لَـوْ نَزَلْـتَ بِـرَحْلِهِمْ مَنَعُـوكَ مِـن عَـدَمٍ ومِـنْ إكْبَـارِ

قال: فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فقال: «أهكذا قال الشاعر؟» قـال: والذي بَعثك بالحق لكنه قال:

يَـا أَيُّهَـا الرَّجُـلُ المُحـوّلُ رَحْلَـهُ أَلا نَزَلْـتَ بِـآلِ عَبْـدِ مَنَـافِ[1]

هَبَلَتْكَ أُمُّـكَ لَـوْ نَزَلْـتَ بِـرَحْلِهم مَنَعُـوكَ مِـنْ عَـدَمٍ ومِـنْ إِقْـرَافِ

الخَـالِطِين فَقِـيرَهُم بِغَنِـيّهِمْ حَتَّـى يَعُـودَ فَقِـيرُهُم كَالكَـافِي

(١) السديف: منعم السنام أو قطعه.

ويُكَلِّلُــونَ جِفَــانَهم بِــسَدِينهم حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَّـاف[1]

مِــنْهُم عَــلِيٌّ والنَّبِــيّ مُحمــدٌ القَــائِلانِ هَلُــمَّ لِلأَضْــيَافِ

قال: فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «هكذا سمعت الرواةُ ينشدونه»[2].

ذنب وعفو:

عن سعيد بن مسعدة الأخفش قال: اعتـذر رجـل مـن العـرب إلى بعـض ملوكهم فقال:

إنّ زلَّتي وإن كانت قد أحاطت بحُرْمتي، فإن فضلك يحيط بها، وكرمك يُوفي عليها، ثم قال:

إِنِّي إِلَيْكَ سَـلِمْتُ كانَـتْ رحْلَتِـي أَرْجُو الإِلـه وصَـفْحَكَ المَبْـذُولاَ

إِنْ كَانَ ذَنْبِي قَـدْ أَحَـاطَ بِحُرْمَتِـي فَـأَحِطْ بِـذَنْبِي عَفْـوَك المَـأْمُولاَ

أخوة:

أَبِيتُ فَلاَ أَهْجُو الصَّعِيق، وَمَـنْ يَبِـعْ بِعِـرْضِ أَبِيـهِ فِي الْمَعَـاشِرِ يُنْفِـقِ

وَمَــنْ لاَ يُقَــدِّمْ رِجْلَــهُ مُطْمَئِنَّــةً فَيُثْبِتَه فِي مُـسْتَوَى الأَرْضِ تَزْلَـقِ[3]

ذم ومدح:

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْـثُ كَـانَ وَلـ ـكِـنَّ الجْـوَادَ، عَـلَى عِلاَّتِـهِ هَـرِمُ[4]

صدق:

بَـــدَا لِيَ أَنَّ اللهَّ حَـــقٌّ، فَـــزَادَنِي إِلَى الْحَقِّ تَقْوَى الله مَـا كَـانَ بَادِيَـا

بَـدَا لِيَ أَنَّ النَّـاسَ تَفْنَـى نُفُوسُـهُمْ وَأَمْـوَالُهُمْ، وَلاَ أَرَى الـدَّهْرَ فَانِيَـا

استعداد للموت:

أَرَانِي إِذَا مَـا بِـتُّ بِـتُّ عَـلَى هَـوًى وَأَنِّي إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيَا

(١) الرجاف: البحر وقيل يوم القيامة.

(٢) انظر: أعلام النبوة للماوردي ص (٢٥٢).

(٣) من ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، شرحه وقدم لـه الأستاذ عـلى حسن فـاعور، بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص ٧١.

(٤) المصدر السابق: ص ١١٥.

إِلَى حُفْـرَةٍ أُهْـدَى إِلَيْهَـا مُقِيمَـةً يَحُثُّ إِلَيْهَـا سَـائِقٌ مِـنْ وَرَائِيَـا[١]

رد الفروع إلى الأصول:

وَهَـلْ يُنْبِـتُ الْخَطِـيَّ إِلاَّ وَشِـيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا في مَنَابِتِهَـا النَّخْـلُ[٢]

فضل واسع:

يَفْنَى الْكَـلاَمُ وَلاَ يُحِيطُ بِفَـضْلِكُمْ أَيُحِـيطُ مَـا يَفْنَـى بِـمَا لاَ يَنْفَـدُ[٣]

الحياة غرور:

إِنِّي لأَعْلَـمُ وَاللَّبِيـبُ خَبِـيرُ أَنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصَتُ غُـرُورُ[٤]

أقوال معسولة وقلوب مغلولة:

وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيـفُ وَإِنْ تَقَـوَّى بِمُنْتَـصِفٍ مِـنَ الْكَـرَمِ الـتِّلاَدِ

فَـلاَ تَغْـرُرْكَ أَلْـسِنَةٌ مَـوَالٍ تُقَلِّـبُهُنَّ أَفْئِـدَةٌ أَعَـادِي[٥]

كل قرين بالمقارن يقتدى:

وَشِـبْهُ الـشَّيْءِ مُنْجَـذِبٌ إِلَيْـهِ وَأَشْـبَهُنَا بِـدُنْيَانَا الطَّغَـامُ[٦]

عظم المنفعة:

قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمُ كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنَبِ الأَنْـفُ

وَلاَ الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالتِّبْرُ وَاحِـدًا فنوعَانِ لِلْمُكْـدِي وَبَيْـنَهُما صَرْفُ[٧]

وتغشى منازل الكرماء:

وَكَـذَا الْكَـرِيمُ إِذَا أَقَـامَ بِبَلْـدَةٍ سَـالَ النُّـضَارُ بِهَـا وَقَـامَ الْمَـاءُ[٨]

---

(١) المصدر السابق: ص ١٤٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٧.

(٣) من ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتب العلمية، شرحه وكتب هوامشه مصطفى سبيتي، بيروت ـ لبنان، ص ٩٤.

(٤) المصدر السابق: ص ١١٦.

(٥) المصدر السابق: ص ١٣٢.

(٦) المصدر السابق: ص ١٤٥.

(٧) المصدر السابق: ص ١٥٢.

(٨) المصدر السابق: ص ١٧٠.

على قدر أهل العزم:

مَـا كُـلُّ مَـنْ طَلَـبَ الْمَعَـالِي نَافِـذًا فِيهَا وَلاَ كُـلُّ الرِّجَـالِ فُحُـولاَ(١)

ميت الأحياء:

مَــنْ يَهُــنْ يَـسْهُلِ الْهَــوَانُ عَلَيْــهِ مَــا لِجُــرْحٍ بِمَيِّــتٍ إِيــلاَمُ(٢)

* * *

إِنَّ بَعْــضًا مِــنَ الْقَــرِيضِ هُــذَاءٌ لَــيْسَ شَــيْئًا وَبَعْــضَهُ أَحْكَــامُ

مِنْـهُ مَـا يَجْلِـبُ الْبَرَاعَـةَ وَالْفَـضْـ ـلَ وَمِنْـهُ مَـا يَجْلِـبُ الْبِرْسَـامُ(٣)

لا تكن صلبًا فتكسر:

فَقْـرُ الْجَهُـولِ بِـلاَ قَلْـبٍ إِلَى أَدَبٍ فَقْـرُ الْحِـمَارِ بِـلاَ رَأْسٍ إِلَى رَسَـنِ

قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْـدِي كُـلَّ نَازِلَـةٍ وَلَيَّنَ الْعَزْمُ حَدَّ الْمَرْكَـبِ الْخَـشِنِ(٤)

شهادة إثبات:

وَإِذَا أَتَتْـكَ مَـذَمَّتِي مِـنْ نَـاقِصٍ فَهِـيَ الـشَّهَادَةُ لِي بِـأَنِّي كَامِـلُ(٥)

الفقر الحقيقي:

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِـهِ مَخَافَـةَ فَقْـرٍ فَالَّـذِي فَعَـلَ الْفَقْـرُ

تناقض قد يحدث:

وَشَيْخٌ فِي الـشَّبَابِ وَلَـيْسَ شَـيْخًا يُـسَمَّى كُـلُّ مَـنْ بَلَـغَ الْمَـشْيَبا(٦)

وترفعني نفسي إلى غاية العلا:

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْـسُ النَّـسِيبِ كَأَصْـلِهِ فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِـي كِـرَامُ الْمَنَاصِـبِ

---

(١) من ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتب العلمية، شرحه وكتب هوامشه مصطفى سبيتي، بيروت ـ لبنان، ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١١.

(٤) المصدر السابق، ص ٢١٤، ٢١٥.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٦) من ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتب العلمية، شرحه وكتب هوامشه مصطفى سبيتي، بيروت ـ لبنان، ص ٢٤٠.

وَمَـا قَرُبَـتْ أَشْـبَاهُ قَـوْمٍ أَبَاعِـدٍ وَلاَ بَعُدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَـارِبِ (١)

سيّان:

فَطَعْـمُ الْمَـوْتِ في أَمْـرٍ حَقِـيرٍ كَطَعْـمِ الْمَـوْتِ في أَمْـرٍ عَظِـيمِ(٢)

أوهام:

نَـصِيبُك في حَيَاتِـكَ مِـنْ حَبِيـبٍ نَصِيبُكَ في مَنَامِكَ مِـنْ خَيَـالِ(٣)

تفوق غير مستبعد:

فَـإِنْ تَفُـقِ الأَنَـامَ وَأَنْـتَ مِـنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْـضُ دَمِ الْغَـزَالِ(٤)

قوة خفية:

وَمَا الْمَوْتُ إِلاَّ سَارِقٌ دَقَّ شَخْـصُهُ يَصُولُ بِلاَ كَفٍّ وَيَسْعَى بِلاَ رِجْلِ

فداء:

كُـلٌّ يُرِيـدُ رِجَالَـهُ لِحَيَاتِـهِ يَـا مَـنْ يُرِيـدُ حَيَاتَـهُ لِرِجَالِـهِ(٥)

ظنون يبددها الواقع:

فَقَدْ يُظَـنُّ شُـجَاعًا مَـنْ بِـهِ خَـرَقٌ وَقَـدْ يُظَـنُّ جَبَانًـا مَـنْ بِـهِ زَمَـعُ

إِنَّ الـسِّلاَحَ جَمِيـعُ النَّـاسِ تَحْمِلُـهُ وَلَيْسَ كُـلَّ ذَوَاتِ الْمِخْلَـبِ الـسَّبُعُ(٦)

داء ودواء:

فَإِنَّ قَلِيـلَ الْحُـبِّ بِالْعَقْـلِ صَـالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِـدُ(٧)

---

(١) من ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتب العلمية، شرحه وكتب هوامـشه مـصطفى سـبيتي، بيـروت ـ لبنان، ص ٢٤٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٨.

(٦) المصدر السابق: ص ٦٦.

(٧) المصدر السابق: ص ٧٢.

لا يغرنك المظهر:

فَرُبَّ كَئِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ ... وَرُبَّ نَدِيٍّ الْجَفْنِ غَيْرُ كَئِيبِ(١)

تجربة لا تكذب:

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ ... عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كَذِبَا (٢)

عامل الناس بما يستحقون:

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغَامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ ... تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فِيمَا تَصَيَّدَا

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلا ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى(٣)

لوعة:

وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ ... مِنَ اللِّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلاَ أَمَلِ

الأعمال بالنيات:

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ(٤)

العبرة بالرجال:

وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلاَ الْقَنَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ(٥)

السخاء والتساخي:

إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلاَصًا مِنَ الأَذَى ... فَلاَ الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلاَ الْمَالُ باقِيَا

وَلِلنَّفْسِ أَخْلاَقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى ... أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا(٦)

* * *

---

(١) من ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتب العلمية، شرحه وكتب هوامشه مصطفى سبيتي، بيروت ـ لبنان، ص ٧٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٥.

(٤) المصدر السابق: ص ١٠٠.

(٥) المصدر السابق: ص ١٤٤.

(٦) المصدر السابق: ص ٢٠٣.

عِيـدٌ بِأَيَّـةِ حَـالٍ عُـدْتَ يَـا عِيـدُ بِمَا مَضَى أَمْ لأَمْـرٍ فِيـكَ تَجْدِيـدُ[١]

* * *

إِذَا أَتَـتِ الإِسَـاءَةُ مِـنْ وَضِيـعٍ وَلَمْ أَلُمِ الْمُـسِيءَ فَمَـنْ أَلُـومُ[٢]

* * *

إِذَا مَا عَدِمْتَ الأَصْلَ وَالْعَقْلَ وَالنَّدَى فَـمَا لِحَيَـاةٍ في جَنَابِـكَ طِيـبُ

* * *

ذَرِينِي أَنَلْ مَـا لاَ يُنَـالُ مِـنَ العُـلاَ فَصَعْبُ العُلاَ فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ

تُرِيـدِينَ لُقْيَـانَ الْمَعَـالِي رَخِيـصَةً وَلاَ بُدَّ دُونَ الشُّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ[٣]

* * *

وَرُبَّ قُـبْحٍ وَحُـلًى ثِقَـالِ أَحْسَنُ مِنْهَـا الْحُسْنُ في الْمَعَـالِي[٤]

* * *

إِذَا اشْـتَبَهَتْ دُمُـوعٌ فِي خُـدُودٍ تَبَـيَّنَ مَـنْ بَكَـى مِمَّـنْ تَبَـاكَى[٥]

تجارة رابحة:

وَأَدِّ زَكَـاةَ الْجَـاهِ وَاعْلَـمْ بِأَنَّهَـا كَمِثْـلِ زَكَـاةِ الْمَـالِ تَـمَّ نِـصَابُهَا

وَأَحْسِنْ إِلَى الأَحْـرَارِ تَمْلِـكْ رِقَـابَهُمْ فَخَيْرُ تِجَـارَاتِ الْكِـرَامِ اكْتِسَابُهَا[٦]

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٠.
(٢) المصدر السابق: ص ٢٦٦.
(٣) المصدر السابق: ص ٢٧٦.
(٤) المصدر السابق: ص ٢٨١، ٢٨٢.
(٥) المصدر السابق: ص ٣٣٣.
(٦) المصدر السابق: ص ٣٣٧.

جددْ حياتك:

سَـافِرْ تَجِـدْ عِوَضًـا عَمَّـنْ تُفَارِقُـهُ وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَـيْشِ فِي النَّـصَبِ

إِنِّي رَأَيْـتُ وُقُـوفَ الْمَـاءِ يُفْـسِدُهُ إِنْ سَـاحَ طَـابَ وَإِنْ لَمْ يَجْـرِ لَمْ يَطِـبِ(١)

غنى النفس:

غَنِيٌّ بِـلاَ مَـالٍ عَـنِ النَّـاسِ كُلِّهِـمْ وَلَـيْسَ الْغِنَـى إِلَّا عَـنِ الـشَّيْءِ لاَ بِـهِ(٢)

السخاء حماية:

وَكُنْ رَجُـلاً عَـلَى الأَهْـوَالِ جَلْـدًا وَشِــيمَتُكَ الــسَّمَاحَةُ وَالْوَفَــاءُ

وَإِنْ كَثُــرَتْ عُيُوبُــكَ فِي الْبَرَايَــا وَسَرَّكَ أَنْ يَكُــونَ لَهَــا غِطَــاءُ

تَــسَتَّرْ بِالــسَّخَاءِ فَكُــلُّ عَيْــبٍ يُغَطِّيـهِ - كَـمَا قِيـلَ - الـسَّخَاءُ(٣)

نار الحسد:

كُـلُّ الْعَـدَاوَةِ قَـدْ تُرْجَـى مَوَدَّتُهَـا إِلاَّ عَدَاوَةُ مَنْ عَـادَاك مِـنْ حَـسَدِ

استسلام:

أُسَــــلِّم إِنْ أَرَادَ الله أَمْــــرًا فَــأَتْرُكُ مَــا أُرِيــدُ لِمَــا يُرِيــدُ(٤)

وَمَــا لإِرَادَتِي وَجْــهٌ إِذَا مَــا أَرَادَ الله لي مَــــا لاَ أُرِيــــدُ

الضرب في الأرض:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَـبِ الْعُـلَا وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَار خَمْسُ فَوَائِـدِ

تَفْـرِيجُ هَـمٍّ، وَاكْتِـسَابُ غَنِيمَـةٍ، وَعِلْـمٌ، وَآدَابٌ، وَصُـحْبَةُ مَاجِـدِ(٥)

* * *

اقْبَلْ مَعَـاذِيرَ مَـنْ يَأْتِيـكَ مُعْتَـذِرًا إِنْ بَـرَّ عِنْـدَكَ فِـيمَا قَـالَ أَوْ فَجَـرَا

---

(١) من ديوان الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ المولود عام ١٥٠هـ ـ ٧٦٧م، المتوفى عـام ٢٠٤هـ ـ ٨٢٠م، جمعه وعلَّق عليه الأستاذ نعيم زرزور، تقـديم د. مفيـد قميحـة، دار الكتـب العلميـة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ٣٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٤.

(٤) المصدر السابق: ٣١.

(٥) المصدر السابق: ٥٥.

لَقَـدْ أَطَاعَـكَ مَـنْ يُرْضِـيكَ ظَـاهِرُهُ وَقَدْ أَجَلَّكَ مَـنْ يَعْـصِيكَ مُـسْتَتِرَا(١)

يسر وعسر:

الـدَّهْرُ يَوْمَـانِ ذَا أَمْـنٌ وَذَا خَطَـرٌ وَالْعَيْشُ عَيْشَانِ ذَا صَفْوٌ وَذَا كَـدَرُ

أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُـو فَوْقَـهُ جِيـفٌ وَتَـسْتَقِرُّ بِأَقْـصَى قَاعِـهِ الـدُّرَرُ

وَفِي الـسَّمَاءِ نُجُـومٌ لاَ عِـدَادَ لَهَـا وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلاَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَـرُ(٢)

حذار فالأيام متقلبة:

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالأَيَّـامِ إِذْ حَـسُنَتْ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَـا يَـأْتِي بِـهِ الْقَـدَرُ

وَسَـالَمَتْكَ اللَّيَـالِي فَـاغْتَرَرْتَ بِهَـا وَعِنْدَ صَـفْوِ اللَّيَـالِي يَحْدُثُ الْكَـدَرُ(٣)

تاجر فوق الجميع:

وَجَـدْتُ سُـكُوتِي مَتْجَـرًا فَلَزِمْتُـهُ إِذَا لَمْ أَجِدْ رِبحًـا فَلَـسْتُ بِخَـاسِرِ

وَمَا الصَّمْتُ إِلاَّ فِي الرِّجَالِ مَتَاجِرٌ وَتَاجِرُهُ يَعْلُـو عَـلَى كُـلِّ تَـاجِرِ(٤)

الرضا بالقضاء:

وَمَا كُنْتُ أَرْضَى مِنْ زَمَـانِي بِـمَا تَـرَى وَلَكِنَّنِي رَاضٍ بِـمَا حَكَـمَ الـدَّهْرُ(٥)

لا تستهن بعدو:

وَلَيْسَ كَثِيرًا أَلْفُ خِـلٍّ وصـاحبٍ وَإِنَّ عَــدُوًّا وَاحِــدًا لَكَثِــيرُ(٦)

النتائج مبنية على المقدمات:

تَبْغِي النَّجَـاةَ وَلَمْ تَـسْلُكْ طَرِيقَتَهَـا إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْـرِي عَـلَى الْيَـبَسِ

---

(١) من ديوان الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ المولود عام ١٥٠هـ ـ ٧٦٧م، المتوفى عـام ٢٠٤هـ ـ ٨٢٠م، جمعه وعلّق عليه الأستاذ نعيم زرزور، تقـديم د. مفيـد قميحـة، دار الكتـب العلميـة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ٥٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٦٣.

(٥) المصدر السابق : ص ٦٢.

(٦) المصدر السابق: ص ٦٣.

رُكُوبُـكَ الـنَّعْشَ يُنْـسِيكَ الرُّكُـوبَ عَـلَى ... مَا كُنْتَ تَرْكَبُ مِـنْ بَغْـلٍ وَمِـنْ فَـرَسٍ (١)

العلم نور:

شَـكَوْتُ إِلَى وَكِيـعٍ سُـوءَ حِفْظِـي ... فَأَرْشَـــدَنِي إِلَى تَـــرْكِ الْمَعَـــاصِي

وَأَخْـــبَرَنِي بِـــأَنَّ الْعِلْـــمَ نُـــورٌ ... وَنُـــورُ الله لاَ يُهْـــدَى لِعَـــاصِي (٢)

نصيحة لا فضيحة:

تَعَمَّــدَنِي بِنُــصْحِكَ فِي انْفِــرَادِي ... وَجَنِّبْنِـــي النَّــصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَــهْ

فَــإِنَّ النُّــصْحَ بَــيْنَ النَّــاسِ نَــوْعٌ ... مِــنَ التَّــوْبِيخِ لاَ أَرْضَى اسْــتِمَاعَهْ (٣)

دعوى بغير دليل:

تَعْـصِي الإِلـهَ وَأَنْـتَ تُظْهِـرُ حُبَّـهُ ... هـــذَا مُحَـــالٌ فِي الْقِيَـــاسِ بَـــدِيعُ

لَـوْ كَـانَ حُبُّـكَ صَـادِقًا لأَطَعْتَـهُ ... إِنَّ الْمُحِـــبَّ لِمَـــنْ يُحِـــبُّ مُطِيـــعُ (٤)

الحرث في البحر:

وَلاَ تُعْطِـيَنَّ الـرَّأْيَ مَـنْ لاَ يُرِيـدُهُ ... فَلاَ أَنْتَ مَحْمُـودٌ وَلاَ الـرَّأْيُ نَافِعُـهْ (٥)

البعد عن مواطن الهوان:

فَـالْعَنْبَرُ الْخَـامُ رَوْثٌ فِي مَوَاطِنِـهِ ... وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُـولٌ عَـلَى الْعُنُـقِ

وَالكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الأَحْجَارِ تَنْظُرُهُ ... فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَرمِيٌّ عَـلَى الطُّـرُقِ

لَمَّـا تَغَـرَّبَ حَـازَ الْفَـضْلَ أَجْمَعَـهُ ... فَصَارَ يُحْمَلُ بَـيْنَ الْجَفْـنِ وَالحَـدَقِ (٦)

---

(١) من ديوان الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ المولود عام ١٥٠هـ ـ ٧٦٧م، المتوفي عـام ٢٠٤هـ ـ ٨٢٠م، جمعه وعلَّق عليه الأستاذ نعيم زرزور، تقـديم د. مفيـد قميحـة، دار الكتـب العلميـة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٥.

(٣) المصدر السابق : ص ٦٨.

(٤) المصدر السابق: ص ٧١.

(٥) المصدر السابق: ص ٧٥.

(٦) المصدر السابق: ص ٧٦.

حماقة:

إِذَا الْمَــرْءُ أَفْــشَى سِرَّهُ بِلِــسَانِهِ ... وَلاَمَ عَلَيْــهِ غَــيْرُهُ فَهُــوَ أَحْمَــقُ

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَـرْءِ عَـنْ سِرِّ نَفْـسِهِ ... فَـصَدْرُ الَّـذِي يُـسْتَوْدَعُ الـسِّرَّ أَضْـيَقُ(١)

علم الصدور لا علم السطور:

عِلْمِـي مَعِـي حَيْـثُمَا يَمَّمْـتُ يَتْبَعُنِـي ... قَلْبِي وِعَاءٌ لَـهُ لاَ بَطْـنُ صُـنْدُوقِ

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيـهِ مَعِـي ... أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْـمِ فِي الـسُّوقِ(٢)

فتنة الناس:

فَــسَادٌ كَبِــيرٌ عَــالِمٌ مُتَهَتِّــكٌ ... وَأَكْــبَرُ مِنْــهُ جَاهِــلٌ مُتَنَــسِّكُ

هُمَــا فِتْنَــةٌ فِي الْعَــالَمِينَ عَظِيمَــةٌ ... لِمَــنْ بِهِــمَا فِي دِينِــهِ يَتَمَــسَّك(٣)

أعمال وأحوال:

إِنَّ الْفَقِيــهَ هُــوَ الْفَقِيــهُ بِفِعْلِــهِ ... لَــيْسَ الْفَقِيــهُ بِنُطْقِــهِ وَمَقَالِــهِ

وَكَذَا الرَّئِيسُ هُوَ الـرَّئِيسُ بِخُلقِـهِ ... لَـيْسَ الـرَّئِيسُ بِقَوْمِـهِ وَرِجَالِـهِ

وَكَـذَا الْغَنِـيُّ هُـوَ الْغَنِـيُّ بِحَالِـهِ ... لَـيسَ الْغَنِـيُّ بِمُلْكِـهِ وَبِمَالِـهِ(٤)

سبيل النجاة:

فَلَـوْلاَ الْعِلْـمُ مَـا سَـعِدَتْ رِجَـالٌ ... وَلاَ عُرِفَ الْحَـلاَلُ مِـنَ الْحَـرَامِ(٥)

ضع الشيء في موضعه:

فَمَـنْ مَـنَحَ الْجُهَّـالَ عِلْـمًا أَضَـاعَهُ ... وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَـدْ ظَلَـمْ

---

(١) من ديوان الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ المولود عام ١٥٠هـ ـ ٧٦٧م، المتوفى عـام ٢٠٤هـ ـ ٨٢٠م، جمعه وعلّق عليه الأستاذ نعيم زرزور، تقـديم د. مفيـد قميحـة، دار الكتـب العلميـة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٨١.

(٣، ٥) المصدر السابق: ص ٨٣.

(٥) المصدر السابق: ص ٨٦.

الجزاء من جنس العمل:

مَـنْ يَـزِنِ يُـزْنَ بِـهِ وَلَـوْ بِجِـدَارِهِ إِنْ كُنْـتَ يَـا هـذَا لَبِيبًـا فَـافْهَمِ[(١)]

طريق العلم:

أَخِـي لَـنْ تَنَـالَ الْعِلْـمَ إِلاَّ بِـسِتَّةٍ سَـأُنْبِيكَ عَـنْ تَفْـصِيلِهَا بِبَيَـانِ

ذَكَاءٌ، وَحِرْصٌ، وَاجْتِهَادٌ، وَبُلْغَـةٌ، وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ، وَطُـولُ زَمَـانِ[(٢)]

الأمانة والغدر[(٣)]:

أغـدر مِـنْ قـيس بـن عاصـمٍّ

كمجـــــير أم عـــــامر

لا تنفـــع حيلـــة مـــع غيلـــة

مَـــنْ اسْـــتَرْعى الـــذئبَ ظَلَـــمَ

بعد النظر وقصر النظر[(٤)]:

خُـــــذْ الأمـــــر بقوابلـــــه

أفـــاطمُ إنّي هالـــكٌ فتبيَّنـــي ولا تجزعـي كـلُّ النـساء تئـيمُ

لكـــــلِّ مَقـــــامٍ مقـــــالٌ

الحلم والغضب:

الغــــضب غــــول الحلــــم

غـــضب الجاهِـــل في قولـــه وغـــضب العاقـــل في فعلـــه

مَـــنْ أطـــاعَ غضبَـــه أَضـــاعَ أَدَبَـــهُ

---

(١) من ديوان الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ المولود عام ١٥٠هـ ـ ٧٦٧م، المتوفي عـام ٢٠٤هـ ـ ٨٢٠م، جمعه وعلَّق عليه الأستاذ نعيم زرزور، تقـديم د. مفيـد قميحـة، دار الكتـب العلميـة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ٨٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٩١.

(٣،٤) مجمع الأمثال للميداني.

الإحسان والإساءة[1]:

خـيــــر حـــــــــالبـيْكِ تنطحــــــــين

الوحدة والفرقة:

ذهــبـــــــــوا أيـــــــــدي ســـــــبأ

ذهــبـــــــــوا تحــت كـــــل كـــــوكب

أعْشـــــــــــــــارٌ أرْفَـــــــضَّـــــــتْ

التفاخر والاعجاب[2]:

كُـــــلُّ فَتَـــــــــاةٍ بِأَبِيـــــــهَا مُعْجَبَـــةٌ

قُـــوّادُ مَعْرَكـــةٍ، وُرَّادُ مَهْلَكَـــةٍ — أوتَــارُ مَمْلَكَــةٍ آسَــادُ مُحْــتَرب

بَلَوتَهمْ، فَتَحَدَّثْ: كَمْ شَدَدْت بِهِـمْ — مِنْ مُضمَحلٍ وكَمْ عَمَرْتُ مِـنْ ضَرِبِ

وكَمْ ثَلَمْتَ بِهِمْ من مَعقِـلٍ أَشِـبٍ — وكَمْ هَزَمَت بِهِمْ مِن جَحْفَـلٍ لجِبِ

وكَـمْ بَنيْـت بِهِـمْ مجْدًا فَـمَا نَـسَبُوا — فِي الهَدْمِ مَا لَيْس في البُنيانِ مـن صـخبِ

أحمد شوقي

خُلِقْـتُ مـن الحَدِيـدِ أَشَـدُّ قَلْبًـا — وقَـدْ بَـلِيَ الحَدِيـدُ ومَـا بَليـتُ

وإنّي قَــدْ شَرِبْــتُ دَمَ الأعــادي — بِأَقْحَـافِ الـرُّؤُوسِ ومَـا رُويـتُ

عنترة

ونَحْــنُ العَــادِلُونَ إِذَا حَكَمْنَــا — ونَحْــنُ المُــشْفِقُونَ عَــلى الرَّعِيّــة

عنترة

في ذكرى الأموات:

والمَــرْءُ يــذكَرُ بِالجَمَائِــلِ بَعْــدَهُ — فَــارْفَعْ لِــذِكْرِكَ بِالجَمِيــلِ بَنَــاءً

واعْلَـمْ بِأَنَّـكَ سَـوْفَ تُـذْكَرُ مَـرَّةً — فَيُقَـالُ: أَحْـسَنَ، أَو يُقَـالُ: أَسَـاءَ

وغَـدًا سَـيَذْكُرُكَ الزَّمَـانُ ولَمْ يَـزَلْ — لِلــدَّهْرِ إنْـصَافٌ وحُـسْنُ جَـزَاءِ

أحمد شوقي

(١،٢) مجمع الأمثال للميداني.

في النخوة والبطولة:

يَا وَيْحَ وَجْهِ الأَرْضِ أَصْبَحَ مَأْتَمَا بَعْـدَ الفَـوَارِسِ مِـن بَنِـي حَـواءِ
مِـنْ ذَائِـدٍ عَـنْ حَوْضِـهِ أَوْ زَائِـدٍ فِي مُلْكِـهِ مِـنْ صَـوْلَةٍ وثَـرَاءٍ
أَوْ مَـانِعٍ جَـارًا يُنَاضِـلُ دُونَـهُ أَو حَـافِظٍ لِعُهُـودِهِ بوفـاءِ

أحمد شوقي

وكُنتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بن شَوْرٍ ولا يَـشْقَى بِقَعْقَـاعٍ جَلِـيسُ
ونَحْـنُ فِي عَـيْنِ الوُجُـود أُمَّـهْ ذَات اشْـتِهَارٍ بِعُلُـوّ الهِمّـهْ

أحمد شوقي

مَـنْ لَمْ يَرْكَـب الأَهْـوالْ لَمْ يَنَـلِ الآمَـال
هَـذا أَوَانُ الـشَّدِّ فاشْـتَدّي زِيَـمْ[1]

سوء العمل يلحق صاحبه:

لم تكُـنْ عَـن جِنَايَـة لَحِقَتْنِـي لاَ يَـسَارِي ولاَ يَمِينِـي رَمَتْنِـي
بَـلْ جَنَاهَـا أَخٌ عَلَـيَّ كَـرِيمٌ وعَلَـى أَهْلِهَـا بَـرَاقِشُ تَجْنِـي

حمزة بن بيض

عَـلى أَهْلِهَـا جَنَـتْ بَـراقش
مَـنْ يـزرعِ الـشوكَ لا يَحْـصد بِـهِ العنبـا
مَـنْ سَـلَّ سـيْفَ البغْـي قُتِـلَ بِـه[2]

في الحِكَم:

عِـشْ رَجَـبـاً تَـرَ عَجَبـاً[3]

العَبْـدُ يُقْـرعُ بالعَـصا والحُـرُّ تَكْفِيـه الإشَـارَةْ

(١،٢) مجمع الأمثال للميداني.

(٣-٣) مجمع الأمثال للميداني.

عـــدوُّ الرجـــلِ حُمْقُـــهُ، وصـــديقه عقلُـــه

أَعْـــــذَرَ مَـــــــنْ أَنْـــــذَرَ

العَـــــــوْدُ أَحْمَـــــــــدُ(١)

جَزَيْنا بَنِي شَيْبانَ أَحَسْنَ قرضـهمْ وعُدْنا بمثل البَـدْءِ والعَـوْدُ أحمـدُ

مالك بن نويرة

عنـــد الامتحـــان يُكـــرم المـــرءُ أو يُهـــان

عنـــد النازلـــة تَعـــرفُ أخـــاكَ

أَعْلَـــمُ مِـــنْ أَيْـــن تؤكـــل الكتـــفُ

في الـــصيف ضَـــيّعتِ اللـــبن(٢)

في بيتـــه يُـــؤتى الحكَـــم

قُـــصَارَى المُتمنِّـــي الخيبـــة

قَـــدْ ضَـــلَّ مَـــنْ كانـــت العميـــانُ تهديـــه

كـــل شيء أَخْطَـــأَ الأنـــف جَلَـــلَ (أي ســـهل)

في التأني السَّلامة وفي العجلة الندامة:

العَجَلـــةُ فُرصـــةُ العجـــزة

مَـــنْ ســـابَقَ الـــدهرَ عَثَـــر

مـــا حَـــكَّ ظهـــري مِثْـــلُ يـــدي

الواقع والخيال:

كَمُبتغـــي الـــصيْد في عرينـــةِ الأســـد

(١،٢) مجمع الأمثال للميداني.

لَـــــنْ يَهْلَـــــكَ امْـــــرُؤٌ عَـــــرَفَ قَـــــدْرَهُ

في الصِّدْق والكذب:

لا يكـــذبُ الـــــــــرائـــدُ أهـــــــــله

وَعَدْتَ وكانَ الخُلْفُ مِنّكَ سَجِيَّةً مَواعِيدُ عُرقوبٍ أَخَاهُ بِيثْرِت

الأشجعي

يَا رَبِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

أبو نواس

التقوى:

أَلاَ إنَّ تَقْوَى الله أَكْثَرُ نِسْبَةً تَسَامَى بِهَا عِنْدَ الفَخَارِ كَرِيمُ

أبو العتاهية

النفس والمحافظة عليها:

وعليـــك نفـــسك فارعهـــا واكـــسبْ لهـــا فعـــلًا جمـــيلًا

أبو العتاهية

الغفلة والحذر منها:

فَمَا لِي أَرَى النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ سَامِدهْ

شَرَوْا بِرِضَا الله دُنْيَاهُمُ وقَدْ عَلِمُوا أَنَّهَا بَائِدَهْ

أبو العتاهية

دَهْرٌ يَمُرُّ وآمالٌ تَسُرُّ وأعْمارٌ تَمُرُّ وأيامٌ لَهَا خِدَعٌ

محمود سامي البارودي

ومَا مَاضِي الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ ولاَ يَومٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ

المتنبي

مِــــــنْ مَأْمَنِـــــهِ يُـــــؤْتَى الحَـــــذِرُ

القبور والعبرة من زيارتها:

زُرْتُ القُبُورَ قُبُورَ أَهْـلِ المُلْـكِ فِي الـدُّ ... نيَـا وأَهْـلِ الرَّتْـعِ فِي الـشَّهَوَاتِ
كَـانُوا مُلُـوكَ مَآكِـلٍ ومَـشَارِبٍ ... ومَلابِـسٍ ورَوائِـحٍ عَطِـرَاتِ
فَـإِذَا بِأَجْـسَادٍ عَـرَيْنَ مِـن الكِـسَا ... وبِأَوْجُـهٍ فِي الـتُّرْبِ مُنْعَفِـرَاتِ
لَمْ تُبْـقِ مِنْهـا الأَرْضُ غَـيْرَ جَمَـاجِمٍ ... بِـيضٍ تَلُـوحُ وأَعْظُـمٍ نَخِـرَاتِ

أبو العتاهية

أَمَـا يُـرْدِعُ المَـوتُ أَهْـلَ النُّهَـى ... ويمتنـعُ عَـنْ غَيِّـه مَـنْ غَـوى
فَيَـا لاهِيًـا زمَنَـا والحِـمَامُ ... إلَيْـهِ سَرِيـعٌ قَرِيـبُ المَـدَى
إِذَا مَـرَرْتَ بِأَهْـلِ القُبُـورِ ... تَيقَّنْـتَ أَنَّـكَ مِـنْهُم غَـدَا

أبو نواس

أَزُورُ قُبُـورَ المُتْرَفِـينَ فَـلاَ أَرَى ... بَهَـاءً وكَـانُوا قَبْـلُ أَهْـلَ بَهَـاءِ

أبو العتاهية

فلا تغرنكم الحياة الدنيا:

نَبْكِي عَلى الـدُّنْيَا ومَـا مِـنْ مَعْـشَرٍ ... جَمَعَـتْهُمُ الـدُّنْيَا فَلَـمْ يَتَفَرَّقُـوا
إنَّ الأكَـاسِرَةَ الجبـابِرةَ الأُولَى ... كَنَزُوا الكُنُوزَ فَـمَا بَقَـيْنَ ولاَ بَقُـوا
فَـالمَوتُ آت والنُّفُـوسُ نَفَـائِسٌ ... والمُـسْتَعِزُّ بِـمَا لَدَيْـهِ الأَحْمَـقُ

المتنبي

هَـبْ الـدُّنْيا تُـسَاقُ إِلَيـك عَفْـوًا ... أَلَـيْسَ مَـصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالِ

أبو العتاهية

فَخُذْ لِنَفْسِكَ مَنْ دُنْيَاكَ مَـا سَـمَحَتْ ... بِـهِ إِلَيْـكَ وكُـنْ مِنْهَـا عَـلَى حَـذَرِ

البارودي

أَيَـا بَـانِيَ الـدُّنْيَا لِغَـيْرِكَ تَبْتَنِـي ... ويَـا جَـامِعَ الـدُّنْيَا لِغَـيْرِكَ تَجْمَـعُ

أبو العتاهية

وغُـرُورُ دُنْيَـاك التِـي تَـسْعَى لَهَـا — دارٌ حَقِيقَتُهَـا مَتَـاعٌ يَـذْهَبُ
وجَمِيـعُ مَـا خَلَّفْتَـه وجَمَعْتَـه — حَقًّـا يَقِينًـا بَعْـدَ مَوْتِـك يُنْهَـبُ

صالح بن عبد القدوس

كلٌ من عليها فانٍ:

لَعَمْـرُكَ مَـا أَدْرِي وإنّي لَوَاجِـلٌ — أَفِي اليَـوْمِ إِقْـدَامُ المنيـةِ أم غـد

طرفة بن العبد

بَكَـرَتْ تُخَـوِّفُنِي الحُتُـوفَ كَـأَنَّنِي — أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ
فَأَجَبْتُهَـا إنَّ المَنِيـةَ مَنْهَـلٌ — لاَ بُـدَّ أَنْ أُسْـقَى بِكَـأْسِ المَنْهَـلِ
فاقْني حَيَـاؤُكِ لاَ أَبَالَـكِ واعْلَمِـي — أَنِّي امْـرُؤٌ سَـأَموتُ إنْ لَمْ أُقْتَـلِ

عنترة

دَقَّـاتُ قَلْـبِ المَـرْءِ قَائِلَـةً لَـهُ — إِنَّ الحَيَـاةَ دَقَـائِقٌ وثَـوَانِ

شوقي

ولاَ تَفِـرَّ إِذَا مَـا خُـضْتَ مَعْرَكَـةً — فَـما يَزِيـدُ فِـرارُ المَـرْءِ في الأَجَـلِ

عنترة

المَوْتُ بَـابٌ وكُـلُّ النَّـاسِ دَاخِلُـهُ — يَا لَيْتَ شِعْرِيَ بَعْدَ البَابِ مَا الدَّارُ
الـدَّارُ جَنَّـةُ خُلْـدٍ إنْ عَمِلْـتَ بِـمَا — يُرضِي الإِلَـهَ وإِنْ قَـصَرْت فالنَّـارُ

أبوالعتاهية

وإِذَا المَنِيَّـةُ أَقْبَلَـتْ لَمْ يُثْنِهَـا — حِرْصُ الحَرِيصِ وحِيلَـةُ المُحْتَـالِ

أبو فراس

أُؤمِّـلُ أنْ أُخَلَّـدَ والمَنَايَـا — يَثِـبْنَ عَـلِيَّ مِـنْ كُـلِّ النَّـواحِي
ومَـا أَدْرِي إِذَا أَمْـسَيْتُ أَحْيَـا — لَعَـلِّي لاَ إِعِـيشُ إِلى الـصَّبَاحِ

أبو العتاهية

حُسْنُ الخلق:

وإِذَا أُصِـيبَ القَـوْمُ فِي أَخْلاَقِهِـمْ فَــأَقِمْ عَلَــيْهِم مَأْتَمًــا وعَــوِيلًا

شوقي

إِنِّي امْـرُؤٌ سَـمْحُ الخَلِيقَـةِ مَاجِـدٌ لا أُتْبِـعُ الـنَّفْسَ اللَّجُـوجَ هَواهَـا

عنترة

لا يَصْلُحُ المَرْءُ إِنْ سَاءَتْ خَلاَئِقُـهُ فَاعْمَدْ إلى كُلِّ خُلْق صَالِحٍ حَسَنِ

أحمد محرم

فِــي سِــعَــةِ الأَخْـــلاق كُـنُـــوزُ الأَرْزاقِ

وإِنَّـمَا الأُمَـمُ الأَخْـلاَقُ مَـا بَقِيَـتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَـتْ أَخْلاَقُهـم ذَهَبُـوا

شوقي

كَذَا النَّاسُ بِالأَخْلاَقِ يَبْقَى صَـلاحُهُمْ ويَذْهَبُ عَنْهُم أمْرُهم حِينَ تَذْهبُ

شوقي

لا تَنْـه عـن خُلُـقٍ وتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ عَــارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْـتَ عَظِـيمُ

حفظ اللسان:

خَـيْـرُ الخَـــلالِ حِفْـظُ اللِّسَـانِ

رُبَّ كلمةٍ تَقولُ لِصَاحِبِـــها دَعْني

الصَّمْتُ يُكْسِـــبُ أَهْــلَه المَحبة

طـــول اللِّسَـــانِ يقصّرُ الأَجَــلْ

عَثْرَةُ القَدَمِ أَسْـــلَمُ مِنْ عَثْرَة اللِّسَان

واحْفَظْ لِسَانَك واحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِـهِ فــالمَرءُ يَـسْلَمُ باللِّـسَانِ ويَعْطَـبُ

صالح بن عبد القدوس

تكَلَّـمْ وسَـدِّدْ مـا اسـتطعْتَ فـإنّما كَلامُـكَ حَـيٌّ والـسُكُوتُ جَمَـادُ

أبو الفتح البُسْتي

الحُرُّ يَصْبِرُ مَا أَطَاق تَصَبُّرًا   فِي كُلِّ آوِنَةٍ وكُلِّ زَمَانِ

أبو فراس الحمداني

فَلَمْ أرَ حَيًّا صَابَرُوا مِثْلَ صَبْرِنَا   ولا كَافَحُوا مِثْلَ الذين نُكَافِحُ

عنترة

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وتَجَلَّدِ   واْعَلَمْ بأنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ

أبو العتاهية

دَواءُ الدَّهْرِ الصَّبْرُ عَلَيْه

صَبْرُكَ عَلى مَحَارِم الله   أَيْسرُ مِنْ صَبْرِك عَلى عَذابِ الله

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الفَرَجْ

هو الدّهْرُ وعِلاجُهُ الصَّبْرُ

الصَّابِرينَ إِذَا حَلَّ البَلاءُ بِهِمْ   كَاللَّيثِ عَضَّ عَلى نَابيْه فِي النُّوبِ

أحمد شوقي

الجهاد والكفاح:

إذَا لَمْ يَكُنْ مِن المَوْتِ بُدُّ   فَمِن العَجْزِ أَنْ تَمُوتَ جَبَانَا

إنَّ السِّلاَحَ جَمِيعُ النَّاسِ تحملهُ   ولَيْسَ كُلُّ ذَواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

المتنبي

أَخِي جَاوز الظَّالِمُونَ المَدَى   فَحُقَّ الجِهَادُ وحُقَّ الفِدَا

محمود طه

يا قُدْسَنا إنْ طَالَتْ بِنَا فُرْقَةُ   فَسَيْفُنَا يا قُدْسُ لَنْ يُغْمَدا

يوسف العظم

وإِذَا الجَبَانُ نَهَاك يَوْمَ كَرِيهَةٍ   خَوْفًا عَلَيْكَ مِن ازْدِحَام الجَحفلِ

فأَعْصِ مَقَالَتَهُ ولا تَحْفِلْ بِهَا   وأقْدِمْ إذَا حُقَّ اللِّقا في الأولِ

واخْـتَرْ لِنَفْـسِك مَنْـزِلًا تَعْلُـو بِـهِ   أَوْ مُتْ كَرِيمًا تَحْتَ ظِـلِّ القَـسْطل

عنترة

الــــرُّوُم إِذَا لَـــمْ تُغْـــــزَ غَـــزَتْ

فَمَــوْتِي في الــوَغَى عَــيْشٌ لِأَنِّي   رَأيـتُ العَـيْشَ فِي أَرَبِ النُّفُـوسِ

المتنبي

الشِّدَّةُ يعقبها الفَرَج:

رُبَّ أمْـــرٍ يَـــسُوء ثُـــم يَـــسُرُّ   وكَــذَاكَ الأُمُــورُ حُلــوٌ ومُــرُّ

وكَــذَاكَ الأُمُــورُ تعــبُرُ بِالنَّــاسِ   فَخَطْـبٌ يَمْـضِي وخَطْـبٌ يكـرُّ

أبوالعتاهية

الصُحبة:

واحْـذَرْ مُقَارَنَـة اللَّئِـيمِ وإنْ عَـلا   فَـالَمْرْءُ يُفْـسِدُه القَـرِينُ الأَحْقَـرُ

البارودي

احْـــذَرْ مُقَارنَـــة اللِّئَـــامِ فإنَّـــهُ   يُنْبِيـكَ عَـنْهُم في الأُمُـورِ مُجَـرِّبُ

قَـوْمٌ إذا أيْـسَرتَ كَـانُوا إخْـوةً   وإذَا تَرِبــتَ تَفَرَّقُــوا وتَجَنَّبُــوا

أبو فراس

خـالِصْ المُـؤمن وخَـالِقْ الفـاجِر   رُبَّ أخٍ لـــك لم تلـــده أمـــك

المَرْءُ بِخَلِيلِهْ:

واْخْتَرْ قَرِينَـك واصْـطَفِيه تَفَـاخُرًا   إنَّ القَــرِينَ إلى المُقَــارن يُنْـسَبُ

صالح بن عبد القدوس

أَكْثِرْ مـن الـصديق فإنـك عـلى العَـدوِّ بـه قَـادِرُ

الكرم والبخل:

دَمعـــةٌ مـــن عَـــوْراءَ غَنِيمَـــةٌ بَـــارِدة

أَرَى خَــــــــالًا ولا أَرَى مَطَــــــــرًا

الخال: السحاب.

عُشْبٌ ولا بَعِيرُ

أقْرى مِنْ زاد الرَّكبْ

لَمْ يَعْدَمْ منه خابطٌ ورقًا

لا تسقط من كفه خردله

وَأُمٌ بِشِقٍّ أَهْلُهُ جياعٌ

أَوسْعُ القوم ثوبًا

يُصْبِحُ ظمْآنَ وفي البحر فَمُهُ

ليس يُعطيكَ لِلْجَزاءِ ولا لِلْخَوفِ، ولَكِنْ يَلَذُّ طعْمُ العَطَاءِ

بشار

العزة والذل:

ذليل من يذلله خِذامُ (يضرب للضعيف يقهره من هو أضعف منه)

أذلُ الناس معتذرٌ إلى لئيمٍ

المَنيَّةُ ولا الدَّنيةُ

وما يُقِيم بدارِ الذُّلِّ يَعْرفها إلا الأذلاَّن عِير الحَيِّ والوتدِ

هو أَذَلُّ من حمارٍ مُقَيَّدٍ

هو أهونُ على مَنْ طلبه

اعْطِ أخَاكَ تَمْرَةْ فَإنْ أَبَى فَجَمْرَةْ

عِشْ كريمًا أوْ مُتْ وأنْتَ كريمٌ بَيْنَ طَعْنِ القنا وخَفْقِ البنودِ

فرؤوسِ الرماح أَذْهَبُ للغيْظِ وأشْفَى لغِلِ صَدْرِ الحَقودِ

لا كما قد حَييتَ غَيْرَ حَميدٍ وإذا مِتَّ مِتَّ غَيْرَ فقيدِ

المتنبي

التواضع والكبرياء:

ركوب الخنافس، ولا المشي على الطنافس

لَـيْسَ لمختـالٍ في حُسْـن الثنـاء نصيبُ

مَـنْ أُعْجـبَ برأيـه ضَـلَّ ... ومَـنِ اسْـتَغْنَى بِعِلْمِـه زَلّ

مـن هانَـتْ عليـه نَفْـسُه ... فَهُـو عَـلى غَيْرِهـا أَهْـونُ

كونـوا جَميعًـا يـا بَنِـيَّ إِذَا اعـتَرى ... خَطْـبٌ ولا تَتفرقـوا آحَـادَا

تأبى الرِّمـاحُ إذا اجـتَمَعْن تكسُّرًا ... وإذا افـتَرقْنَ تكَـسَّرَتْ أَفْـرادا

كـذا المـاءُ إنْ حَرّكَتْـهُ يـدٌ ... طَفَـا عَكَـرٌ راسِـبٌ في إِنَائِـهْ

فَنـذلُ الرِّجَـالِ كَنَـذْلِ النبَـاتِ ... لا للـثِمار ولا للحَطَـبْ

قال صالح بن عبد القدوس:

يُعْطِيكَ مِن طَرَفِ اللِّسَانِ حـلاَوَةً ... ويَرُوغُ مِنْـكَ كـما يَـرُوغ الثَّعلَـبُ

وقَدْ تَمْلِكُ الأُنْثَى وَقَـدْ يُلْـثَمُ الحَـصَا ... وَيُتَّبَـعُ الأَغْـوَى ويُـسَوَّدُ القـرد

ابن المقرب

ومِمـا كانَـتِ الحُكَـماءُ قالـتْ ... لـسانُ المَـرْءِ مـن جِـذْمِ الفُـؤادِ

أبو تمام

يَـا دَهْـرُ صَـافَيتَ اللِّئـامَ ولم تَـزَلْ ... أبـدًا لأَبْنَـاءِ الكـرامِ مُعَانِـدَا

وَعُرِفْـتَ كَـالمِيزَانِ تَرْفَـعُ ناقِـصًا ... أبـدًا وتخفـضُ لا محَالـة زائِـدا

وفي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَـةٌ ... سُـكُوتِي بَيَـانٌ عِنْـدَها وخِطـابُ

لِئَنْ كُنْتَ قَـدْ بُلِّغْـتَ عَنِّـي خِيَانَـةً ... لَمُبْلِغُـكَ الـوَاشِي أَغـشُّ وأَكَـذَبُ

النابغة الذبياني

مَـنْ فَاتَـهُ نَـسَبٌ فَليَطلُـبِ الأَدَبـا ... فَفيـهِ مَنْفَعَـةٌ إن حَـلَّ أَو ذَهَبَـا

إنَّ الأديـبَ ليُحيـي ذِكَـرَ والـدِهِ كالْغَيْثِ يُحيي نَدَاهُ حَيْـثُما انْـسَكَبا
وَلَـسَتُ وإنْ قُرِّبـتُ يَومًـا بِبـائِع خَلاقِي وَمَجْـدِي ابتغَـاء التَّحَبُّـبِ

البعيث بن حريث

وأرَاهُ يُـصْغِي للحـديثِ بقَلْبِـهِ وبِـسَمْعِهِ وَلَعَلَّـهُ أَدْرَى بِـهِ

أبو تمام الطائي

إذَا كَـانَ الطِّبَـاعُ طِبَـاعَ سُـوءٍ فَـلاَ أَدَبٌ يُفِيـدُ وَلاَ أدِيـبُ
إذَا لَزِمَ النـاسُ البُيُـوتَ وَجَـدْتُهمْ عُماةً عن الأخْبـارِ خُـرْقَ المكَاسِـب
يُـسَاقُ إلى ذا رزقُـهُ وهُـوَ وادِعٌ ويُحْـرَمُ هَـذا رِزْقَـهُ وَهْـوَ طَالِبُـهْ
وإِنَّكَ لا تَدْرِي أَرزْقُـكَ في الـذي تُطَالِبُـهُ أمْ في الـذي لا تُطَالِبُـهْ
تُرَوِّعُنَـا الجَنَـائِزُ مُقـبلاتٍ ونَلهُـو حـينَ تَـذهَب مُـدبِراتِ
كَرَوعـةِ بَهْمـةٍ لِمُغَـارِ ذيـبِ إذَا مَـا غَـابَ عَـادَتْ راتِعَـاتِ
لَقَـد أَسْـمَعْتَ لـو نَادَيـتَ حَيًّـا ولكِـنْ لا حَيَـاةَ لِمَـنْ تُنَـادي
وَلَـو نـارًا نَفَخْـتَ بهـا أضـاءَتْ ولكِـنْ كنْـتَ تَـنْفُخُ في رَمَـادِ
فكـلُّ الحادثـاتِ وإِنْ تَنَاهَـتْ فَمَوصـولٌ بهـا فَـرَجٌ قَريـبُ

ابن السكيت

ورأسُ مالك وهـذي الرُّوح إنْ سلِمتْ لا تأْسـفن لِـشيءٍ بعـدها ذهبـا
مـا كُنـتَ أول مفـدوحٍ بحِادثـةٍ كذا مَعَ الدهرَ لا بـدْعا ولا عجبـا

بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى

مقتطفات من ديوان امرئ القيس:

أَلاَ رُبَّ خَصْمٍ فِيكِ أَلْـوَى رَدَدتُـهُ نَـصِيحٍ عَـلَى تَعْذَالِـهِ غَـيْرُ مُؤتَـلِ

ألْوى: شديد الخصومة.

المؤتلى: المقصِّر.

أَلا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهـا الطَّلَـلُ البَـالي وَهَلْ يَعَمِنْ مَنْ كَانَ في العـصرِ الخَـالي

وهَــل يَعِمَــنْ إلَّا ســعيدٌ مُخَلَّــدٌ قليـلُ الهمـومِ مـا يَبِيـتُ بأَوْجَـالِ

ألا عِمْ: دعوة للطلل بالنعيم.

مخلد: باق في الدنيا على حالة حسنة.

الأوجال: جمع وجَلٍ، الفزع.

وَقَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وإنْ كانَ بَعْلَها بأنَّ الفتـى يهـذِي ولـيس بفعَّـال

يهذي: يذكر ما لا يفعل.

ـ يَرِدُ في الذي يهدد ولا ينفّـذ، والـذي يـتكلم كثـيرًا بـدون فعـل الأفـراد والأحزاب والأنظمة.

فلو أن مـا أَسَـعْى لأَدْنَـى مَعِيـشَةٍ كَفَانِي ولَمْ أَطْلُبْ - قَليلُ - مِن المَـالِ

ولكــنّما أَسْــعى لمَجْــدٍ مُؤثّــلٍ وقَدْ يُـدرِكُ المجـدَ المُؤثّـلَ أَمْثَـالي

المؤثل: المثمر الذي له أصل.

ـ التكاليف المادية على مستوى الطموح.

ـ المشاريع الحضارية النبيلة لا بد لها من المال، وقد قدم الله جِهَادَ المال عـلى الجهاد بالنفس.

وما المرءُ ما دامت حُـشَاشَةُ نَفْـسِهِ بمُدْرِكِ أطرافِ الخطـوبِ ولا آلِ

الحشاشة: البقية.

ـ عدم يأس الإنسان من العمل على الوصول إلى الهدف ما دام حيًا.

ـ المسلم ما دام حيًا لا ينتهي عمله لله، ولو وصل لهدف معين من ذلك.

فللـه عَيْنَـا مـن رأى مِـنْ تَفَـرُّقٍ أَشَتَّ وأَنْأَى من فِـراقِ المُحَـصَّبِ

فراق المحصب: يضرب به المثل في الافتراق الذي لا يلتئم أهله بعد.

ـ الحذر من هذا الافتراق. والحرص على عدم التنازع خوف الفشل.

ـ يمكن أن يؤخذ مقالًا ودعوة على أعداء الإسلام من أحزاب وحركات ودول.

وإنَّك لم يَفْخَرْ عليك كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ، ولَمْ يَغْلِبْك مِثْلُ مُغَلَّبِ

الرويبضة: يحارب الإسلام ويتطاول على أهله.

أَأَسْماءُ أَمْسَى وُدُّهَا قَدْ تَغَيَّرا سَنُبْدِلُ إنْ بَدَّلْتِ بالودِّ آخَرَا

ـ إمكانية التحالف مع أي حزب أو أي حركة إن خان واحد العهد.

بَكَى صَاحِبي لَّما رَأى الدَّرْب دُونَه وأَيْقَنَ أنَّا لاَحِقَانِ بقَيْصَرَا

فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُك إنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أو نَموتُ فنُعْذَرا

الدَّرْب: ما بين بلاد العرب والعجم.

ـ العمل على رفع معنويات الأخوة في الدرب (الجهاد).

ـ التصميم وقوة الإرادة للوصول إلى الهدف.

ـ الوصول إلى الهدف أو ترك الحسن والإنصاف من الناس.

ـ في الإسلام الحصول على الحسنيين أو إحداهما.

فَمَا جَبُنَتْ خَيْلي ولكِنْ تَذكَّرت مَرابِطَها مِنْ بربعيصَ ومَيْسَرا

ـ أقبح ما قيل في الاعتذار.

ـ تحويل الهزائم إلى انتصارات، والفضائح إلى بطولات، كما تفعل الأنظمة والأحزاب.

ـ اعتذارات ومخارج الحكومات والحركات.

أَرَى المرْءَ ذا الأذوادِ يُصْبحُ مُحْرَضًا كَإحْراضِ بَكْرٍ في الدِّيَارِ مَريضِ

كأنّ الفَتى لَمْ يَغْنَ في النَّاسِ سَـاعَةً إِذَا اخَتَلَف اللحيانِ عِنْـد الجـريضِ

ـ محَرْضًا: كبيرًا في السن، ضعيفًا، أحرضه المرض: أنحل جسمَه.

ـ ذا الأذواد: صاحب القطيع من الإبل (الغني).

ـ لم يغنِ: لم يُقِمْ ساعة.

ـ تغير أحوال الأغنياء وأقوياء الجسم إلى حالة سيئة، والاعتبار بذلك.

ـ في مجال الوعظ، يوم واحد من المرض أو الفقـر يُنْـسِي جميـع نعـيم الـدنيا وكذلك عذاب الآخرة.

فَإِنْ أَمْـسِ مَكْرُوبًـا فَيَـا رُبَّ بُهْمَـةٍ كَشَفَتْ إذَا مَا اسْوَدَّ وجْـهُ الجَبَـانِ

ـ البهمة: الأمر المجهول.

ـ اسود وجه الجبان: ارتبك وأُشكل عليه الأمر.

ـ تبدل الإنسان من حال القوة إلى حال الضعف والعجز.

ـ في مجال الوعظ: الأخذ بـالقوة قبـل زوالهـا للطاعـة. اسـتغلال الفـرص الجسمية والمادية في الطاعة قبل زوالها.

إذا المَـرْءُ لَمْ يَخْـزُنْ عَلَيْـهِ لِـسَانَهُ فَلَـيْسَ عَـلَى شَيءٍ سِـوَاهُ بَخـزَّانِ

ـ لم يخزن عليه لسانه: لم يستر سره.

ـ أي أنه لم يستر سر نفسه، فإنه بالأحرى لا يستر سر غيره.

ـ يستطرد في مجال التهور وعدم حفظ السر، «**وهل يكب الناس في النار على وُجُوههم إلا حصائد ألسنتهم**».

فَإِمَّـا تَرينـي فِي رِحَالَـةِ جَـابِرٍ عَـلى حَـرَجٍ كَـالقَرِّ تخفـقُ أَكْفَـانِي

فَيَـا رُبَّ مَكْـرُوبٍ كـررت ورَاءهُ وعَانٍ فَكَكْتُ الغُـلَّ عَنْـه فَفَـدَّانِي

وفِتَيانِ صِدْقٍ قَـدْ بعثـت بـسُحرةٍ فَقَامُوا جَمِيعًا بَـيْن عَـاثٍ ونَـشْوانِ

ـ رحالة جابر: خشبات كان يحمل عليها، وهي الحرج.

ـ القر: مركب للنساء كالهودج.

ـ عاث: يأخذ كل شيء، واستعيرت للظالم الكثير الظلم.

ـ الأكفان: ثيابه، وصيرها أكفانًا لشدة مرضه.

ـ العاني: الأسير.

ـ التحدث على سبيل شكر نعمة الله على ما فعل الإنسان في صحته من عمل المعروف.

ـ البيتُ الثالث: نموذج في الطاعة، فلما أمرهم نيامًا قاموا يتخبطون وهم سكارى من شدة النوم، فكلهم مثلًا يتناول ثوبه ويعطيه صاحبه من شدة النوم، وكأنه سكران.

أرانا مُوضَعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ ... ونُسْحَرُ بالطعِام وبالشَّرَابِ

عَصَافِيرٌ وذُبَّانٌ ودودٌ ... وأجرأُ مِنْ مُجَلَّحَةِ الذِّئابِ

ـ موضعين لأمر غيب: مسرعين للموت المغيب.

ـ نسحر: نلهي.

ـ عصافير: أي ونحن في الضعف مثل هذه المخلوقات الضعيفة.

ـ مجلحة الذئاب: المصممة على الشيء.

ـ في مجال الوعظ: التلهي بالملذات وترك التفكير في المصير المحتوم.

ـ كون الإنسان ضعيفًا، ويتجرأ بشدة على معصية الله الذي سيلقاه.

وقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ حتَّى ... رضيتُ من الغَنيمةِ بالإِيَابِ

ـ من أكثر الطلب ولم ينجح حتى رضي بمجرد العودة سالمًا.

أَبِينِي لَنَا إنَّ الصَّرِيحَةَ راحَةٌ ... من الشَّكِّ ذي المخلُوجَةِ المتَلَبِّسِ

ـ المخلوجة: الأمر المختلج، أي المتشابه غير الواضح.

ـ المتلبس المشكل الذي يتنازع فيه.

ـ المواقف الغامضة المغلقة وتأثيرها في سمعة الشخص والحركة والحزب.

ـ كون الموقف الصريح ولو سلبيًا أحسن من الموقف الغامض.

فَإمَّـا تَرَينِـي لا أُغَمِّـضُ سَـاعَةً مِـن اللَّيْـلِ إلاَّ أَنْ أَكُـبَّ فأنْعَـسا

فَيَـا رُبَّ مَكْـرُوبٍ كَـرَرت وراءَه وطَاعَنْتُ عَنَه الخَيلَ حَتَّى تَنَفَّسَا

ـ كون الله خلق من قوة ضعفًا، فعلى الإنسان أن يتزود من قوته لضعفه.

ـ كون الإنسان تمسه الظروف، فلا يستطيع أفعـال الـبر كـما كـان يفعـل - فعليه أن يبادر بها.

ـ يرد أيضًا للتسلي، فعندما يعجز الفرد أو الحركة عما تَعَّود فعلَه مـن الخـير يمكن أن يتسلى وأن يطلب من الله قبول ما مضى من عمله.

ـ في مجال الوعظ: تغير حال الإنسان من الأحسن إلى الأدنى، وما دفـع الله أعظم.

ـ قضية المرض وتأثيرها النفسي على الإنسان.

ـ استغلال الموضوع في مجال دعوة صاحب هذه الحالة إلى الهدايـة، وكونهـا هي الدواء.

ـ إعطاء الإسلام وسعادة أهله النفسية، بديلاً لشقاء المريض وحيرته.

ألا إنَّ بَعْـدَ العُـدْم للمـرءِ قِنْـوَةً وبعد المَشِيبِ طُولُ عُمْـرٍ وملبـسًا

ـ علاج ضعاف النفوس وضعاف الإرادة.

ـ عدم القنوط من رحمة الله وفضله، إذا نابـت الـشدائد الإنـسان مـن فقـر ومرض وعدم.

ـ استطراد تبدل الأحوال للأشخاص، سلبًا وإيجابًا نماذج تاريخية.

أَلاَ إِنَّمَا الدَّهرُ لَيالٍ وأعْصُرٍ — ولَيْسَ عَلى شَيءٍ قَويم بِمُسْتَمِرّ
وإِذَا أُذيتُ بِبَلْدَةٍ ودَّعْتُها — إِذْ لا أُقِيمُ بِغَيْرِ دَارِ مُقَامِ
وأُنَازِلُ البَطَلَ الكَرِيهَ نِزَالُهُ — وإِذَا أُنَاضِلُ لا تَطِيشُ سِهَامِي

ـ وجهة نظر في هجرة مكان الأذى، هل هي مناسبة الآن أم لا؟ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية(١).

ـ التصدي للمجابهات القوية.

ـ إحكام الخطط والحذر من المخططات الفاشلة وعدم تقديم خطة غير ناجحة.

وخَلِيلٍ قَدْ أُفَارِقُهُ — ثُمَّ لا أَبْكِي عَلَى أَثَرِهْ
وابنِ عمٍّ قَدْ تَرَكْتُ لَه — صَفْو مَاء الحَوْضِ عَنْ كَدَرِهْ

ـ وجهة نظر في مفارقة الحبيب إذا انقلب عكس: والبادئ أفضل.

ـ ترك ما يحب الإنسان مخافة الشنآن ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾(٢)، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾(٣).

ـ تحويل ابن العم إلى القرن السياسي المناوئ وتطبيق المبدأ عليه.

ـ التنازل عن الحقوق والمطالب الشخصية حفاظًا على الجماعة (الحسن ابن علي -رضي الله عنهما).

أَلاَ إِنْ لَمْ تَكُنْ إِبِلاً فَمِعْزَى — كَأنّ قُرُونَ جِلَّتِهَا العِصِيُّ
فَتُوسِعُ أَهْلَهَا أَقْطًا وسَمْنًا — وحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شَبَعٌ ورِّيّ

ـ جلتها: جمع جليل وهو الحسن.

---

(١) النحل: ٢٨.
(٢) الشورى: ٤٣.
(٣) البقرة: ٢٣٧.

ـ العصي: جمع عصا وعصا وعصا.

ـ لولم يكن غنى وكثرة مال فبلغة من العيش تغني عن ذلك.

ـ إذا لم يطلب الإنسان إلا الحياة والعيش دون الرئاسة وعلو الذكر فيكفيه القليل.

ـ التكيف مع الظروف المتقلبة.

ـ التربية على التخفف من متاع الدنيا ومن اللذات.

ـ الرضا بما قسم الله للإنسان والقناعة به ولو قليلًا، وأن الرزق لا يزيد ولا ينقص.

ـ كون الدنيا كلها يكفي منها (الكفاف) وسد الخلة، وقالوا: يكفي الإنسان لقيمات تقيم ظهره، وملابس تستره. وللزهاد في هذا أقاويل كثيرة، لكن المسلمين تربوا على مفهوم مغلوط للزهد، والموضوع محل نقاش معروف.

ـ فالمرء يصيبه ما يهم به ويعزم عليه.

ـ النظر في عواقب الأمور، والتفكير قبل الإقدام على الشيء.

ـ يساعد على فهم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[1].

إذا رَكِبُوا الخيلَ واسْتَلأمُوا ... تَحَرَّقَتِ الأرضُ واليومُ قَرّ

ـ يستغل في حال تعبئة الحركة، لا سيما في الانتخابات والمجابهات.

ولَمْ يَرنَا كَالِئٌ كَاشِحٌ ... ولَمْ يُفْشَ مِنّا لَدَىَ البَيْتِ سِرٌّ

ـ الكالئ: المراقب.

ـ الكاشح: النمام المعادي.

---

(١) الشورى: ٣٠.

ـ يستعمل في مجال التربية في التدريب على العمـل الـسري، وحفـظ الـسر، ومحاربة المخابرات السرية والعلنية، ومحاربة تَفَشِّي سر الإنسان في بيته.

وكَـمْ دُونَهَـا مِـن مَهْمَـهٍ ومَفَـازَةٍ وكَمْ أَرْضِ جَدْبٍ دُونَهَا ولُـصُوصُ

ـ مهمهٍ: أرض بعيدة.

ـ المفازة: الأرض المهلكة، وسموها تفاؤلا، كتسمية اللديغ سليمًا.

ـ يستعمل في مجال غلاء سلعة الله، وهي الجنة.

ـ يستعمل في مجال كل ما صعب الوصول إليه من الأهداف السريعة.

وذَلِـــكَ مِـــنْ نَبَـــأٍ جـــاءنِي وأُنْبِئْتَـــهُ عَـــنْ أَبِي الأَسْـــوَدِ

ولَـوْ عَـنْ شَـخْصٍ غَـيرِهِ جَـاءنِي وجُـرْحُ اللِّـسَانِ كَجُـرْحِ اليَـدِ

ـ يستعمل في مكروه ورد من حبيب ما كان يظن منه الإحباط تجاه شخص معين (قصة المرجوم).

ـ يستعمل في خطورة اللسان، قال جرير:

جِرَاحَـاتُ الـسِّنَانِ لَهَـا الْتِئَـامُ ولاَ يَلْـتَمُّ مَـا جَـرَحَ اللِّـسَانُ

فَـإِنْ تَـدْفِنُوا الـدَّاءَ لا نُخْفِـهِ وإن تَبْعَثُـوا الحَـرْبَ لا نَقْعُـدِ

ـ يستعمل في الغلظة على الأنظمة والحركات السياسية المعادية للإسلام.

ـ يستعمل في منهج التعامل والتعاون معهما أيضًا.

مَتى تَرَ دارًا مـن سُـعَادَ نَقْـفْ بِهَـا وتَسْتَجِرِ عَيْنَـاكَ الـدُّموعَ فَتَـدْمَعَا

ـ الوقوف على الأمجاد التاريخية للحركـة الإسـلامية، لا سـيما التـضحيات الجسيمة.

ـ الوقوف على مآثر السلف وجهادهم عبر التاريخ.

فَلَـو أَنِّي هَلَكْـتُ بِـدَارِ قَـوْمِي لَقُلْـتُ المَـوتُ حَـقٌّ لا خُلـودَا

ولَكِنِّـي هَلَكْـتُ بِـأَرَضْ قَـوْمٍ بَعِيـدٌ مِـنْ دِيَـارِكُمْ بَعَيـدا

ـ يستطرد في من أصيب بأذى، أو بموت، أو تعب في غير الإسلام (نعوذ بالله).

ـ كون العمل لغير الله: مصيره حسرات على صاحبه.

ـ كون الشهيد في سبيل الله لا يعنيه أين مات؟ ولا على أي حال؟

لا يَـضرُّ العَجْـزُ ذَا الجَـدِّ ولاَ يَنْفَـعُ المَحْـرُومَ إيـضاحُ وكـدّ

ـ الجد: الحظ.

ـ الإيضاح: ضرب من السير أي التشدد والإسراع في الأسباب.

ـ يستعمل في مجال التربية على الأسباب، وأن رزق الله للعبد لا يزيد ولا ينقص، ولكن لحكمة بالغة أمرنا بالتسبب والتكسب والأخذ بالأسباب.

ـ يستعمل للإجمال في الطلب. ومع كل ذلك فلا يقع إلا ما شاء الله.

لامية العرب للشنفرى

شرح د.عبدالحليم حفني

لَعَمْرُكَ مَا فِي الأَرْضِ ضِيقٌ عَلى امْـرِئٍ سَرى رَاغِبًا أَو رَاهِبًا وهْـوَ يَعْقِـلُ

وإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلى الزَّادِ لَمْ أَكُـنْ بِأَعْجَلِهِم إِذَا أَجْشَعُ القَوْمِ أعجَلُ

ـ الجشع: النهامة والحرص.

ـ حب الوظائف والمطالب الشخصية.

ـ الأنانية وترشيح الإنسان نفسه قبل الآخرين، وقبل أن يُرشح.

ـ الإنسان الذي يريد أن يحصل على كل شيء دون الآخرين.

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيهِمُ وَلاَ الجَانِي بِـمَا جَـرَّ يُخْـذَلُ

ـ الحركة المُخْتَرَقَةُ من الناحية الأمنية.

ـ الحركة التي تتخلى عن مناصرة أفرادها عندما يخوضون معركة إعلامية أو انتخابية.

ـ ينبغي أن توفر الحركة جوًا سياسيًا مريحًا وغطاء أمنيًا كافيًا.

وَلاَ جُبَّـأٍ أَكْهَـى مُـرِبٍّ بِعِرْسِـهِ يُطالِعُهـا في شَـأنِهِ كَيْـفَ يَفْعَـلُ

ـ الجُبأ: الجبان.

ـ الأكهى: الأبخر، السيئ الخلق، البليد.

ـ المُربّ: الملازم لامرأته.

ـ ضعيف الشخصية والرأى، فيوجه من طرف امرأته أو غيرها.

ـ الكسول الملازم لبيته، الذي ليس له حركة.

ـ الجبان الذي يخاف الأقوام على الأمور العظيمة.

وَلاَ خَـرِقٍ هَيـقٍ كَـأَنَّ فُـؤَادَهُ يَظَـلُّ بِـهِ المَكَّـاءُ يَعْلُـو وَيَـسْفُلُ

ـ الخرق: المضطرب من الخوف.

ـ الهيق: ذكر النعام.

ـ المكاء: نوع من الطيور.

ـ يمدح نفسه بأنه ليس الجبان المضطرب الذي يطير فؤاده لأبسط هزة.

ـ يستعمل في التربية وتكوين الشخصية على النمط المضاد.

وَلاَ خَـالفٍ داريـةٍ مُتَخَـزِّلٍ يَـرُوحُ وَيَغْـدُو دَاهِنًـا يَتَكَحَّـلُ

ـ الخالف: التافه الملازم لبيته.

ـ الدارية: المقيم في داره.

ـ يستطرد في المستحسن وضعاف النفوس.

ـ يستعمل في معاكسة تمعددوا واخشوشنوا.

ولَـسْتُ بِعَـلٍّ شَرُّهُ دونَ خَـيْرِهِ أَلَـفَّ إِذَا مـا رُعْتَـهُ اهْتَـاجَ أَعْـزَلُ

ـ العلّ: الرجل الضئيل الضعيف.

ـ ألف: لا خير فيه.

ـ التربية على قوة الشخصية.

ـ تغليب الخير والأخلاق الفاضلة على الشر والأخلاق الرديئة.

ـ تسليح أفراد الحركة بمختلف أسلحة الشخصية القوية، وضرورة ألا يكون الإنسان أعزل من الحجة والرد على الشبه.

أُدِيـمُ يَطَـالَ الجُـوع حَتّـى أُمِيتَـهُ   وأَضْرِبُ عَنه الذِّكْرَ صَـفْحًا فأَذْهَـلُ

ـ يستعمل في تربية الشباب على التحمل وعلى الصبر.

وأسْتَف تُرْبَ الأَرضِ كي لاَ يُرى لَهُ   عَاش مـنَ الطَّـولِ امـرؤٌ مُتَطـوِّلُ

ـ الطول: المنْ.

ـ المتطول: النعمة التي يمن بها صاحبها.

ـ يستغل في تربية الشباب على القناعة والتكسب والاستغناء بالنفس.

ـ التربية على أن كل معروف له ثمن من شرف الإنسان وكرامته.

ـ كل خدمة تقدمها الأحزاب والشخصيات العلمانية والأنظمة فلها ثمن سياسي على حساب المبدأ وسمعة الشخص وحركته السياسية.

ولولا اجْتِنَابُ الذَّامِّ لَمْ يُلْف مَـشْرَبٌ   يُعَـاشُ بـه إلا لـديّ ومَأكَـلُ

ـ الذام: العيب.

ـ المحافظة على نظافة السمعة السياسية لا بد لها من ثمن كبير يدفعه الإنسان.

ـ كثير من الوظائف السامية، وكثير من السمعة لا بد لها من تنازل عن المبادئ والقناعات.

فإن تَبْتَـئِسْ بالـشَّنْفَرى أُم قَـسْطَلٍ   لَمَا اغْتَبطتْ بالشَّنْفرى قَبْلُ أَطْـوَلُ

ـ أم قسطل: القسطل الغبار والمراد بأم الغبار «الحرب».

ـ يمكن استغلاله في الشخصيات التاريخية المؤسسة للحركات والأحزاب، والتي لم تعد تلعب فيها نفس الدور.

وأُعْــدِمُ أَحْيَانَــا وأُغْنــى وإنَّــمَا يَنَـالُ الغِنَـى ذُو البُعْـدةِ المُتبـذِّلُ

فَـلاَ جَـزَعٌ مِـنْ خلعـةٍ مُتكـشف ولا مَـرَحٌ تَحْـتَ الغِنَـى أَتخَيَّـلُ

ـ البعدة: بعد الهمة. وهنا الإبعاد في السعي.

ـ المتبذل: الذي لا يصون نفسه، بل يبذلها في الإسفاف.

وَلاَ تَزْدَرِي الأَجُمَالُ حِلْمِـي وَلاَ أُرَى سَؤولًا بأَعْقَـابِ الأَقَاوِيـلِ أُنْمِـلُ

ـ تزدري: تستخف.

ـ أنمِلُ: أنقل الأحاديث.



الخاتمة

إن ما أتينـا بـه في «الكـشكول» هـو غـيض مـن فـيض تمتلـئ بـه مكتبتنـا الإسلامية الواسعة، وما فعلناه هو جهدُ المُقِلِ، ولكن رُبَّ نفـعٍ في القليـل، إلا أن مكتبتنا الإسلامية لفي حاجة إلى أنواع أخرى من الكتابات، مع أن الساحة الفكرية الآن ليست مُعدمة منهـا، إلا أن التطـوير والتحـسين والابتكـار عـلى الأسس الثابتة، لا بد أن يكون حليفها. ومن هذه الكتابات:

أولًا: نظريات الحركة لإحياء الإسلام وتجديده على كـل المـستويات، ومـا يتطلب ذلك من نظريات تربوية وثقافية وتنظيمية وخطط عمليـة ومبـادرات. فلا خير لواقعنا الحركي الدعوى أن يسير على الارتجالية في الأداء، ولا أن يسير على خطط وهمية غير واقعية.

ثانيًا: فقه الخلاف بين التيارات الإسلامية المتعـددة وضرورة إيجـاد وحـدة فكرية وعضوية بينها، وقد أسهمنا بفضل الله وتوفيقه في هذا الجانب، على هيئة مقالات نُشرت تباعًا في صـحيفة «الـوطن» الكويتيـة تحـت عنـوان «يـا دعـاة الخليج اتحدوا» وهذا جزء من مشروع «وحدة أمة»، ولـذا نرجـو لـه أن يـنعم برِي أقلام مفكرينا وعلمائنا، فهو نبتة نرجو لها النماء لتشمل بظلها الوارف أبناء الصحوة الإسلامية.

ثالثًا: نحن كـذلك في حاجـة إلى كتابـات مـن شـأنها أن تنقـب في أحـشاء المجتمع، باحثة فيه عن سبب الداء ومحاولة تقديم الدواء، فالمجتمع الإسلامي مجتمع واسع، مختلف بين قُطر وآخر، ممتلئ بالعادات والتقاليد المتنوعـة والتـي بعضها يسير مع الدين في وئام وسـلام وبعـضها الآخـر، يقـف في صراع بينـه وبين الدين. والأسرة التي هي لبنة بناء المجتمـع لفـي حاجـة إلى الرعايـة مـن خلال أعمال فكرية، تبصر الواقع جيدًا وتدرك خطورة التحديات التي تواجـه تلك الأسرة.

رابعًا: ثقافة الحوار، فالعصر الذي نعيش فيه يتميز بسقوط الحدود الزمانية والمكانية وتلاشي المسافات، فأصبح أبناء الأمة الإسلامية في مواجهـة مبـاشرة مع الغرب بما أنتج من تقنيات ما تزيد أكثرها البشرية إلا عنـاءً، وشـاعت بـين العامة والخاصة ثقافة الحوار، غير أنها عند الـبعض لا تـستند إلى أسـس ثابتـة ومناهج واضحة، فأخطأ البعض لَّما أراد الصواب، فكان لزامًا عـلى العلـماء أن يوضحوا أهداف هذا الحوار ومنطلقاته وثوابته ومؤثراته.

ونسأل الله تعالى أن يـسدد خطانـا وخطـى أمتنـا، فـلا نـضيع بـين الغفلـة والجهل، وأن يرينا الحق حقًا والباطلَ باطلًا.





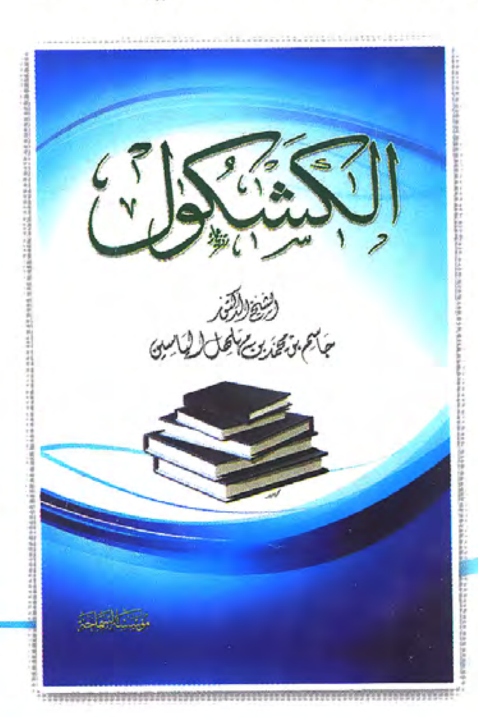
فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة



هذا الكتاب جامع شامل لأطراف متباينة من فنون الأدب والحكمة والقول، لا يرتكز على موضوع واحد، وفكرة محددة، وإنما جمع فيه المؤلف من الحكم والمواعظ والآداب، ومنثور الكلام، وجميل الأشعار، وغريب الأخبار من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة التى تملأ مكتبتنا الإسلامية، وقد هدف من خلاله أن يكون عونًا ورافدًا للدعاة والواعظين .

والكتاب يجمع طرفًا من كل فن، فهو لون أدبي وعظي محبب إلى النفس، ومن شأن هذا اللون من التأليف أن يدفع السأم والملل والخمول؛ حيث تنتقل بين صفحاته بين منثور الكلام ومنظومه، من موضوعات مختلفة في وقت واحد .



مؤسسة السماحة
للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت : ت/٩٩٥٥٧٤٧١ الرمز البريدي : ٤٣٧٥٦ ص. ب : ٦٦٥٢٠
E-mail: alsamaha_laib@gmail.com